

جامعة الجزائر (2)

أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

القضية التونسية في الصحافة الجزائرية

والكولونيالية من 1952 - 1956

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم

إشراف الأستاذة الدكتورة:

د/ نظيرة شتوان

إعداد الطالب:

نجيب دكاني

أعضاء اللجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د. بوعزة بوضرساية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيسا
د. نظيرة شتوان	أستاذة محاضرة	جامعة خميس مليانة	مشرفة ومقررة
أ.د. مريوش أحمد	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة	عضوا
د. تاونزة محفوظ	أستاذ محاضر	جامعة خميس مليانة	عضوا
د. حمزي كمال	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر 2	عضوا
د. كرليل عبد القادر	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر 2	عضوا

السنة الجامعية: 2016 – 2017

إهداء

إلى والدي رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه
إلى أُمِّي أطال الله في عمرها وجازاها عنا كل خير
إلى إخوتي وأخواتي
إلى زوجتي السند والمعين
إلى أبنائي إسلام - مريم ولخضر أيوب
أهدي هذا العمل

ملخص الأطروحة:

تناولنا من خلال الأطروحة الدكتوراه القضية التونسية ما بين 1952 إلى 1956 من خلال الصحافة الجزائرية خصوصا "جريدة البصائر والصحافة الكولونيالية" في تلك الفترة ونقصد بها "لاديباش كوتيدان" و"ليكو دالجي" و"دار نيار أور"، حاولنا من خلالها إبراز دور "جريدة البصائر" في التأثير على الرأي العام الوطني من أجل من يد من الدعم والتضامن مع إخوانهم في تونس.

في المقابل لم تبخل الجرائد الكولونيالية من مجهودها في السعي لتوجيه السياسة الاستعمارية لمزيد من (المطالب الشرعية للشعب التونسي) القمع والعنف اتجاه المطالب الشرعية للشعب التونسي.

Notre thèse de Doctorat traite de la question tunisienne entre 1952 et 1956 par la presse algérienne, particulièrement « El Bassaïr » et la presse coloniale de cette époque en l'occurrence : « La Dépêche quotidienne », « L'Echo d'Alger » et Dernière Heure ».

Nous avons essayé également de mettre en évidence le rôle « d'El Bassaïr » d'influencer l'opinion publique algérienne à être plus solidaire avec leurs frères tunisiens.

Par contre la presse coloniale n'a ménagé aucun effort pour orienter la politique colonialiste vers plus d'oppression et d'agressivité aux revendications légitimes du peuple tunisien.

فهرس المحتويات

01.....	مقدمة
07.....	الإشكالية
08.....	أسباب إختيار الموضوع
09.....	صعوبات البحث

الفصل التمهيدي

أوضاع تونس من فرض الحماية حتى بداية الخمسينات

11.....	1- فرض الحماية الفرنسية على تونس وطبيعتها
15.....	2- دور اليهود في إحتلال تونس وتآمرهم مع الاستعمار
17.....	3- رد فعل الشعب التونسي على فرض الحماية الفرنسية
18.....	4- ميلاد الحركة الوطنية التونسية
19.....	5- تونس أثناء الحرب العالمية الثانية
25.....	6- تشكيل جبهة وطنية والمطالبة بالاستقلال الداخلي
27.....	7- مؤتمر ليلة القدر 1946 ورفع مطلب الاستقلال التام
29.....	8- الحزب الدستوري الجديد يسترجع زمام المبادرة 1948-1951م
30.....	9- القضية الفلسطينية وارتباطها بقضايا تحرير المغرب العربي
33.....	10- فرحات حشاد وتأسيس الإتحاد العام التونسي للشغل UGTT ودوره في الحركة الوطنية
39.....	11- مكانة ودور جامع الزيتونة والزيتونيين في مقاومة الاحتلال الفرنسي

الفصل الأول

تطور القضية التونسية من بداية الخمسينات حتى فشل إصلاحات "بيار فوازير 1954م

وسقوط حكومة "محمد صالح مزالي"

42.....	1- تشكيل حكومة "محمد شنيق" ورفع مطلب الحكم الذاتي. 1951.
45.....	2- رد فعل الحكومة الفرنسية وخضوعه لضغط المستوطنين في الجزائر وتونس.

- 3- أوضاع تونس الاقتصادية والاجتماعية في تلك الفترة.....46
- 4- الولايات المتحدة الأمريكية وموقفها من القضية التونسية.....47
- 5- تدويل القضية التونسية في الأمم المتحدة 1952.....53
- 6- إختيار فرنسا أسلوب المواجهة وبداية المقاومة المسلّحة 59
- 7- جريمة تمشيط " الوطن القبلي " Cap Bon " وانعكاساته الوطنية والدولية.....61
- 8- إنشاء مجلس الأربعين خطوة لتوحيد الحركة الوطنية والرد على القمع الاستعماري.....67
- 9- تطوّر أشكال النضال والمقاومة المسلّحة 1952م - 1954م 78
- 10- المجلس الأعلى للمقاومة.....82
- 11- سقوط حكومة" محمد صالح مزالي " وفشل إصلاحات بيار فوازار Pierre Voizard 85

الفصل الثاني

القضية التونسية من الحكم الذاتي إلى الاستقلال التام 1954 - 1956م

- 1- "بيار منديس فرانس Pierre Mendes France وإعلان الحكم الذاتي لتونس
31 جويلية 1954م 93
- 2- أسباب ودوافع مراهنة فرنسا التفاوض مع "الحبيب بورقيبة" 96
- 3- تباين مواقف الحركة الوطنية وزعمائها من الحكم الذاتي.....98
- 4- المفاوضات التونسية الفرنسية حول الحكم الذاتي سبتمبر 1954 والصعوبات التي واجهتها.....100
- 5- تجدد المقاومة المسلحة معركة "برقو" 13 نوفمبر 1954 106
- 6- إتفاقيات الحكم الذاتي 3 جوان 1955 مضمونها والمواقف منها 109
- 7- الخلاف "اليوسفي البورقيبي" دوافعه مظاهره وانعكاساته.....112
- 8- إستجداد بوقيبة بالقوات الفرنسية لتصفية المعارضة اليوسفية 122
- 9- المفاوضات التونسية الفرنسية واستقلال تونس 20 مارس 1956 125

الفصل الثالث

البصائر والقضية التونسية من بداية الخمسينات إلى اغتيال فرحات حشاد

- 1- التعريف بجريدة بالبصائر 132
- 2- "البصائر" والإصلاحات والمفاوضات بين الإقامة العامة والوزارة في تونس 1951 139
- 3- "البصائر" وربطها بين قضيتي تونس والمغرب 141
- 4- ضغط الكلون الفرنسيين ورفضهم لتغيير الوضع القائم 143
- 5- الأوضاع الإقليمية والدولية وتأثير على القضية التونسية 145
- 6- تباين المواقف بين الطرفين الفرنسي والتونسي 146
- 7- التهريب والقمع الاستعماري ومحاولة إضعاف وتحطيم جامع الزيتونة 150
- 8- إستهداف الاستعمار للإتحاد العام التونسي للشغل والسعي لتقييد نشاطه 153
- 9- موقف "البصائر" من الصحف الكولونيالية 154
- 10- القضية التونسية في الأمم المتحدة وردود الفعل الفرنسية 157
- 11- تضامن الشعب الجزائري وجريدة "البصائر" مع القضية التونسية 160
- 12- السياسة القمعية الاستعمارية لوئد القضية التونسية 163
- 13- "البصائر" ترد على الجرائد الكولونيالية 168
- 14- "البصائر" تحت على تدويل القضية التونسية 171
- 15- التطورات الدولية والموقف الأمريكي من القضية التونسية 178
- 16- إغتيال فرحات حشاد وردود الفعل عليه حسب "البصائر" 191

الفصل الرابع

البصائر من تدويل القضية التونسية إلى الحكم الذاتي ثم الاستقلال التام 1956م

- 1- تناقضات الموقف التركي من قضيتي "تونس" و"المغرب" 196
- 2- الدعم الآسيوي لقضية تونس والمغرب - مؤتمر رانغون " 196

3- تضامن الأحزاب السياسية المغاربية والصحافة العربية مع قضيتي تونس والمغرب

- ونقلهما إلى الأمم المتحدة سنة 1953 م..... 200
- 4- القمع الاستعماري في عهد " دي هوتكلوك " ومهزلة الانتخابات البلدية والإدارية 202
- 5- عدم الاستقرار السياسي في فرنسا وتأثيره في إيجاد حلول لقضيتي تونس والمغرب 208
- 6- العودة إلى الأمم المتحدة 210
- 7- الصحافة الإنجليزية وقضايا شمال إفريقيا 215
- 8- الإصلاحات الفرنسية في تونس وردود الفعل عليها 220
- 9- نشاط المقاومة المسلحة التونسية 221
- 10- إنعكاسات الاضطرابات في كل من تونس وفرنسا على القضية التونسية 227
- 11- تفاؤل " البصائر " بوصول " منديس فرانس " للحكم في فرنسا وحل القضية التونسية 230
- 12- تشكيل حكومة "الطاهر بن عمار" التفاوضية حول الحكم الذاتي 232
- 13- قضية تسليم سلاح المقاومة وموقف البصائر منها 238
- 14- استمرارية المقاومة المسلحة والتحامها بالمقاومة الجزائرية 241
- 15- القمع الاستعماري للصحافة الجزائرية 251
- 16- من الحكم الذاتي إلى الاستقلال التام لكل من تونس والمغرب مارس 1956م 257

الفصل الخامس

الصحافة الكولونيالية والقضية التونسية من تعيين دي هوتكلوك مقيما عاما على تونس

إلى نهاية 1954 واستمرار المقاومة المسلحة

- 1- نظرة السياسيين والمثقفين والصحافيين الفرنسيين للقضية التونسية في الخمسينات 262
- 2- الجرائد الكولونيالية والقضية التونسية 283
- 3- تونس بين التدويل وتعيين " دي هوتكلوك " مقيما على تونس 286
- 4- القمع الاستعماري ورد فعل الشعب التونسي 291
- 5- تضاعف نشاط المقاومة المسلحة التونسية 299
- 6- تمشيط القوات الاستعمارية في " الوطن القبلي Cap boir " وإنعكاساته 304

- 7- إلقاء القبض على الوزير الأول " محمد شنيق " وبعض وزرائه.....313
- 8- القضية التونسية في مجلس الأمن حسب "لاديباش كوتيديان" La Dépêche Quotidienne 316.
- 9- الموقف الأمريكي من القضية التونسية وتعليق الجريدة الكولونiale عليه.....321
- 10- إستمرارية ونشاط المقاومة المسلّحة التونسية.....325
- 11- التصعيد الاستعماري في مواجهة المقاومة المسلحة خلال سنة 1954م.....332

الفصل السادس

الصحافة الكولونiale وتغطيتها للقضية التونسية من إعلان الحكم الذاتي

حتى الاستقلال التام 1956م

- 1- ظروف وملابسات إعلان الحكم الذاتي لتونس وردود الفعل عليه 337
- 2- إرسال المزيديم القوات الفرنسية إلى تونس.....341
- 3- تطورات الوضع الأمني نهاية 1954 حسب جريدة ليكودالجي l'Echo d'Alger وتزامنها مع إندلاع الثورة الجزائرية 344
- 4- تسليم سلاح المقاومة التونسية وردود الفعل الوطنية والاقليمية والدولية عليه 347
- 5- تجدد المفاوضات التونسية الفرنسية وردود الفعل عليها.....351
- 6- الارتباط بين الثورة الجزائرية والمقاومة التونسية.....355
- 7- الإمضاء على اتفاقيات الحكم الذاتي لتونس 357
- 8- ملخص نظرة جريدة "لاديباش كوتيديان" للقضية التونسية حسب تحقيق الصحفي "جون برون Jean Brune" 360
- أ- تونس في منعرج الاتفاقيات.....360
- ب- حوار حصري مع "منصف العقبي" نائب رئيس المجلس البلدي لتونس 370
- ج- حوار حصري مع "طاهر بن عمار" رئيس مجلس الوزراء التونسي.....372
- 9- الترابط بين إتفاقيات الحكم الذاتي لتونس ومفاوضات استقلال المغرب 373
- 9- تأثير الجرائد الكولونiale "لوجورنال دالجي Le journal d'alger" و"دارنيار أور Dernière Heure" على النزاع "اليوسفي" "البورقيبي" 375

11-	المفاوضات المغربية الفرنسية والصعوبات التي واجهتها	383
12-	ضغط الثورة الجزائرية على مسار التفاوض الفرنسي التونسي والمغربي	
	حسب الجرائد الكولونيالية واستقلال البلدين المغرب وتونس مارس 1956	384
13-	تأسيس نقابة الصحف اليومية الكولونيالية في الجزائر	388
	الخاتمة	390
	المصادر والمراجع	400
	الملاحق	

مقدمة:

إن المتتبع للأحداث التاريخية لمنطقة المغرب العربي، خصوصا في فترة الإحتلال الفرنسي والمقاومات المسلحة التي تصدّت له، ثم بروز الحركات الوطنية التي واجهته حتى استقلال أقطاره تونس، المغرب والجزائر، يصل إلى قناعة للنضال المشترك بين تلك الشعوب، ونضج وإقتناع الحركات الوطنية فيه بضرورة التعاون والتنسيق فيما بينها لمواجهة العدو المشترك الذي سعى بشتى الوسائل والطرق إلى تكسير ذلك التعاون تطبيقا لسياسة فرق تسد، فلم تجد نفعا ولم تصمد أمام فطنته ووعى وإرادة تلك الشعوب للانعتاق والتحرّر، وتبني مبدأ أن ما أخذ بالقوّة لا يسترجع إلا بالقوّة وسوف تكون النتائج أفضل وأكثر فعالية ونجاعة إذا كان العمل مشتركا والتعاون ميداني بين المقاومات المسلّحة المشكلة للحركات التحرّرية في كل من تونس الجزائر والمغرب سواء تعلّق الأمر ببداياتها السياسية أو بعد تبنيها للمقاومة المسلّحة.

سوف نحاول من خلال هذا العمل تناول القضية التونسية في صحيفة " البصائر " الجزائرية، والصحف الكولونيالية منها " لا ديباش كوتيديان La Dépêche Quotidienne " ولوجورنال دالجي Le Journal d'Alger، ودارنيار أور Dernière Heure، في الفترة الممتدة من 1952 إلى غاية 1956، فهي تمثل حلقة هامة من حلقات النضال المشترك بين المقاومة التونسية والثورة الجزائرية بعد إندلاعها، مع التركيز على كيفية تناول تلك الجرائد للقضية التونسية والحركة الوطنية فيها، وتحولها من النضال السياسي إلى المقاومة المسلّحة في مواجهة الاستعمار الفرنسي. وإختيارنا " للبصائر " كنموذج للصحافة الجزائرية سببه أنها تغطي الفترة المدروسة زمنيا يضاف لها الحيز الكبير الذي كانت تخصصه لأقطار المغرب العربي عموما وتونس خصوصا، والتي تعود إلى فترة الشيخ عبد الحميد بن باديس و عبد العزيز الثعالبي، وإستقبال تونس وجامع الزيتونة للبعثات الطلابية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

أما إختيارنا للصحف الكولونيالية وفي مقدّمتها " لاديباش كوتيديان " فهي فعلا النموذج الأفضل الذي يعبر عن التوجهات الاستعمارية وتأثيرها الكبير على قرارات هذا الأخير فيما يخص سياسته في المغرب العربي لأنها تمثل الناطق الرسمي لفئة المستوطنين والمرافعة عن مصالحه، وأضفنا في الأخير جريدتي "لوجرونال دالجي Le journal d'Alger" و"دارنيار أور Dernière Heure" لإبراز تطابق خطّها الافتتاحي وتوجهاتها الكولونيالية.

تم تقسيم هذه الرسالة إلى:

فصل تمهيدي وحاولنا من خلاله تناول القضية التونسية من فرض الحماية الفرنسية إلى بداية الخمسينات مع الإشارة إلى طبيعة نظام الحماية كأسلوب استعماري جديد، ودور اليهود في ذلك وما تبعه من مقاومة شعبية ثم بروز الحركة الوطنية خصوصا الحزب الدستوري القديم والجديد، إضافة لما عرفته تونس من تجاذبات بين القوى المتصارعة أثناء الحرب العالمية الثانية وتأثير ذلك على الأوضاع الداخلية، وصولا إلى تشكيل جبهة وطنية والمطالبة بالاستقلال الداخلي ثم الاستقلال التام في مؤتمر ليلة القدر.

لنصل إلى استرجاع الحزب الدستوري الجديد زمام المبادرة بعد الحرب مركزا مطالبه على الإصلاحات والحكم الذاتي بقيادة "حبيب بورقيبة" و"صالح بن يوسف"، تزامنا مع تأسيس الإتحاد العام التونسي للشغل بقيادة "فرحات حشاد" ودوره في الحركة الوطنية خصوصا في إخراج القضية التونسية من إطارها المحلي كما أرادته السلطات الفرنسية إلى قضية دولية.

الفصل الأول جاء تحت عنوان القضية التونسية من 1951 - 1954م وتناولنا فيه تشكيل حكومة "محمد شنيق" من طرف الباي ورفع مطلب الحكم الذاتي، وما ترتب عنه من ردود فعل من طرف الكولون في الجزائر وتونس للضغط على الحكومة الفرنسية رافضين تغيير الوضع القائم، رغم تسببه في تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للإيالة. مع التركيز على قضية المعركة الدبلوماسية ومحاولة الحزب الدستوري الجديد تدويل القضية

على مستوى هيئة الأمم والدور المحوري للولايات المتحدة الأمريكية في دعمها لحليفها فرنسا وارتباط ذلك بالحرب الباردة. مع اختيار فرنسا لأسلوب القمع والترهيب كما حدث في جريمة تمشيط "الوطن القبلي"، ثم تأتي جريمة اغتيال الزعيم "فرحات حشاد" من طرف "منظمة اليد الحمراء" الإرهابية، لدوره الكبير في توحيد الحركة الوطنية ونشاطه الميداني، ومساهمته الفعالة في نقل القضية التونسية إلى المحافل الدولية وكسبه ومساندة النقابات العالمية بما فيها النقابات العمالية في الو.م.أ. أكبر داعم لفرنسا مما أُرهب هذه الأخيرة ودفع بها إلى تصفيته وفتح الطريق أمام من اختارته لقيادة تونس وهو "حبيب بورقيبة"، هذا الاغتيال دفع بالشعب التونسي إلى تبني المقاومة المسلحة في الفترة 1952-1954م وإفشال كل محاولات الإصلاح الفرنسية الشكلية وإسقاط للحكومات التي شكلت بالضغط على الباي ومنها حكومة "محمد صالح مزالي".

الفصل الثاني خصص هذا الفصل للفترة الممتدة من إعلان رئيس الحكومة الفرنسية "بيار منديس فرانس" في قصر "قرطاج" لمنح تونس الحكم الذاتي في جويلية 1954م وحتى تحقيق الاستقلال التام 1956م حيث تناولنا فيه مراهنة فرنسا التفاوض مع "بورقيبة" دون غيره من زعماء الحركة الوطنية، وموقف الأحزاب والشخصيات من الحكم الذاتي والصعوبات التي اعترضته مع تجدد المقاومة المسلحة تزامنا مع اندلاع الثورة الجزائرية في 01 نوفمبر 1954، والضغط الذي سوف تتسبب فيه لفرنسا لدفعها إلى التخلص من قضيتي تونس والمغرب، وتوجيه طاقاتها للقضاء على الثورة الجزائرية، وصولا إلى اتفاقيات الحكم الذاتي في 3 جوان 1955م مضمونها والمواقف منها خصوصا الخلاف الذي تطوّر إلى نزاع وصراع بين كل من "صالح بن يوسف" و"حبيب بورقيبة" واستتجاد هذا الأخير بالقوات الفرنسية لتصفية المعارضة اليوسفية، مع إبراز بعض جوانب تطور القضية المغربية بما فيها "نفي الملك محمد الخامس" واندلاع المقاومة المسلحة، ثم التفاوض واستقلال كل من المغرب وتونس 1956م.

الفصل الثالث جاء هذا الفصل تحت عنوان: "البصائر والقضية التونسية 1951-

1954م، مع تخصيص لمحة تاريخية حول تأسيس "الجريدة" واهتمامها بقضايا المغرب العربي عموما وتونس على الخصوص، وهذا راجع لمكانة ودور "عبد الحميد بن باديس" في جامع الزيتونة والصداقة التي جمعتها بعبد العزيز الثعالبي.

تناولنا في هذا الفصل نظرة وموقف "الجريدة" من الإصلاحات والمفاوضات بين الإقامة العامة والوزارة في تونس منذ بدايتها 1951، وسعي "البصائر" إلى الربط بين قضيتي تونس والمغرب، وضغط المستوطنين ورفضهم لتغيير الوضع القائم، مع تأكيد تأثير الأوضاع الاقليمية والدولية على القضية التونسية، مع تبني فرنسا لأسلوب القمع والترهيب وسعيها إلى تحطيم جامع الزيتونة. كما خصّصت الجريدة حيزا لتغطية نشاط "فرحات حشاد" والإتحاد العام التونسي للشغل وسعي الاستعمار لتقييد نشاطه.

كما اهتمت الجريدة بقضية تدويل القضية التونسية في الأمم المتحدة، وأنها الإطار الأمثل لها. ليأتي يوم تضامن الشعب الجزائري وصفحه وفي مقدمتها "البصائر" مع الشعب التونسي وهو تحديدا يوم الجمعة 1 فيفري 1952م، مع إبراز الاهتمام الكبير للجريدة في التصدي والردّ على الصحف الكولونيالية، ومحاولاتها تشويه الحقائق، كما ركّزت الجريدة على التطورات الدولية وخصوصا الحرب الباردة والصراع بين الشرق والغرب والدور والتأثير الأمريكي الكبير على القضية التونسية ثم يأتي اغتيال "فرحات حشاد" في 5 ديسمبر 1952م، وردود الفعل عليه، خصوصا بروز مقاومة مسلحة منظمة سوف يكون لها تأثير كبير على القضية.

الفصل الرابع خصص لتدويل القضية التونسية وتتبع جريدة "البصائر" لمراحلها

والاهتمام الكبير به حتى الاستقلال التام لتونس. بدءا بتناول الموقف "التركي" من قضيتي تونس والمغرب وتناقضاته، مروراً بالدعم الأسبوي للقضيتين إثر انعقاد مؤتمر "رانغون" في برمانيا، وتضامن الأحزاب المغاربية والصحافة العربية وصولاً إلى دخول القضية التونسية

والمغربية أ ورقة الأمم المتحدة 1953م والذي أدى بسلطات الاحتلال في عهد المقيم العام "دي هوتكلوك" إلى تبني أسلوب قمعي تجسد في جريمة "الوطن القبلي" مع محاولاتها ذر الرماد في الأعين من خلال مهزلة الانتخابات البلدية والمجالس الإدارية التي قاطعها الشعب التونسي. كما أن الجريدة ربطت بين عدم الاستقرار السياسي في فرنسا وتساقط الحكومات فيها وعدم الوصول إلى إيجاد حلول لقضيتي تونس والمغرب.

وما يسجل "الجريدة البصائر" اهتمامها بتغطية "الصحافة" الدولية للأوضاع في المنطقة عموما وتونس خصوصا، ومن هنا تناولت بالسرد والتحليل اهتمام الصحافة الإنجليزية بقضايا شمال إفريقيا من خلال تحقيق ميداني لهذه الأخيرة. كما جاء تفاؤل "البصائر" بوصول "بيار منديس فرانس" للحكم وإمكانية حل القضية التونسية، مع إعلانه للحكم الذاتي، وما تبعه من تشكيل حكومة "طاهر بن عمار" التفاوضية، ثم قضية تسليم سلاح المقاومة وموقف "البصائر" منه، مع التنبيه لضغط المقاومة التونسية ومحاولة تنسيقها مع الثورة الجزائرية، مما دفع بالسلطات الاستعمارية إلى محاولة تكميم الأفواه بقمع الصحف الجزائرية وتوقيف صدورها، وصولا إلى الإمضاء على إتفاقيات الحكم الذاتي ثم تحقيق الاستقلال التام لكل من المغرب وتونس.

الفصل الخامس تناولنا فيه علاقة الصحافة الكولونيالية خصوصا جريدة لاديباش كوتيديان بالقضية التونسية وهذا منذ تعيين دي هوتكلوك مقيما عاما على تونس وتبنيه لسياسة قمعية ردت عليها المقاومة التونسية حتى نهاية 1954م، وربطنا تلك الأحداث بنظرة السياسيين والمتقنين والصحافيين الفرنسيين للقضية التونسية في فترة الخمسينات وإخراجها من مجالها المحلي والاقليمي إلى المحافل الدولية وتحديدًا الأمم المتحدة وتأثير الموقف الأمريكي على إفشال أو إنجاح ذلك المسعى وردة فعل تلك الصحف على مواقف هذه الأخيرة.

الفصل السادس وجاء تحت عنوان الصحافة الكولونيالية وتغطيتها للقضية التونسية من إعلان الحكم الذاتي لتونس 1954م وحتى الاستقلال التام 1956م بالاستعانة بجرائد كولونيالية أخرى منها ليكو دالجي l'Echo d'Alger ولوجورنال دالجي Le Journal d'Alger ودارنيال أور Dernière Heure ومحاولة تأثير تلك الجرائد على النزاع البروقيبي - اليوسفي من خلال الضغط على السلطات الاستعمارية على تصفية هذا الأخير وتمهيد الطريق لتولي بورقيبة الحكم.

أما آخر الفصل فخصص لضغط الثورة الجزائرية على مسار التفاوض الفرنسي التونسي والفرنسي المغربي وهذا دائما حسب تغطية الجرائد الكولونيالية والذي أفضى في الأخير إلى استقلال البلدين.

وخاتمة الموضوع هي مجموعة استنتاجات الأولى خاصة بالقضية التونسية، والثانية مرتبطة بتغطية البصائر للقضية والثالثة تخص الجرائد الكولونيالية وتعاملها أيضا مع القضية التونسية.

الإشكالية:

للسحافة تأثير كبير على مسار الأحداث من خلال توجيه الرأي العام ودفعه إلى تبني موقف محدد من قضية ما، وفي هذا الإطار حاولنا من خلال هذه الرسالة معرفة ما مدى تأثير جريدة " البصائر " والجرائد " الكولونيلالية على القضية التونسية في الفترة الممتدة 1952م حتى 1956م ؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة تساؤلات منها ماذا يقصد بالقضية التونسية ؟

كيف تناولتها جريدة " البصائر " ؟ هل كان لها تأثير على الرأي العام الوطني وتوجيهه لاتخاذ موقف دعم ومساند للقضية التونسية ؟ أم مجرد تعاطف معها ؟ هل ساهمت في إيجاد إرتباط بين القضية التونسية والقضية الجزائرية؟ ما مدى إطلاع وإنتشار " البصائر " في تونس وتأثيرها ؟ ما موقف السلطات الاستعمارية من توزيع " البصائر " في تونس ؟

مقابل هذا كيف تناولت " الصحف الكولونيلالية " القضية التونسية ؟ ما مدى علاقتها بالأقلية الكولونيلالية وأثر ذلك على تناولها لتلك الأحداث ؟ ما مدى تأثير الجريدة على قرارات السلطات الاستعمارية في كل من تونس الجزائر وحتى فرنسا في توجيهها لتبني أسلوب القمع أو التفاوض أو الإثنان معا ؟

هي مجموعة تساؤلات سوف نحاول الإجابة عنها من خلال هذه الرسالة

أسباب إختيار الموضوع:

يمكن إيجاز أسباب ودوافع إختيار الموضوع كما يلي:

أولاً: القناعة بوجود إرتباط وثيق بين القضية التونسية والثورة الجزائرية، سواء من حيث التأثير المتبادل أو العمل المشترك والتعاون فيما بينها على جميع الأصعدة، سياسيا من خلال التشاور والتنسيق وحتى اللقاءات المشتركة، عسكريا التعاون المشترك بين المقاومتين في البلدين.

ثانياً: إهتمام الأشقاء في تونس بالثورة الجزائرية سواء من خلال الكتابات التاريخية أو الأعمال الأكاديمية الجامعية بما فيها رسائل دكتوراه، فجاءت الفكرة بتناول الموضوع في الاتجاه المعاكس من خلال البحث عن تأثير الصحافة الجزائرية والكولونيالية على القضية التونسية.

ثالثاً: العمل على وضع لبنة لعمل مشترك يتناول تاريخ المقاومة المغاربية تونس الجزائر والمغرب للاستعمار الفرنسي وتحقيق الاستقلال والمساهمة في إحياء فكرة اتحاد مغربي واقعي عملي وميداني، حققه السلف ويمكن للخلف إنتهاجه خدمة لمصلحة شعوبه.

رابعاً: إضافة لبنة لكتابات التاريخ المشترك لتونس والجزائر أمام الكم الهائل من الكتابات الفرنسية التي يسيطر على توجهها مدرسة كولونيالية سعت لتشويه وتزوير الحقائق لإعطاء مصداقية لمشروعها الاستعماري.

صعوبات البحث:

أولاً: إحتفاظ فرنسا بأخطر الوثائق والأكثر أهمية وسريّة إلى يومنا هذا وعدم وضعها في متناول الباحثين خصوصاً المرتبطة بالمقاومة المسلّحة وملف الثوار التونسيين (الفاقة) وإتفاقيات الحكم الذاتي والاستقلال التام لتونس يضاف لها ملفات اغتيالات كل من "منصف باي" و "فرحات حشاد" و "صالح بن يوسف"، وهذا بإعتراف المؤرخين التونسيين والفرنسيين والإكتفاء بوضع وثائق عادية وتقارير إحصائية توضع في متناول الباحثين

ثانياً: بيروقراطية بعض مؤسسات البحث في الجزائر من خلال مطالبتها بملف إداري يتضمن حتى تعهد مصادق عليه في البلدية بتقديم نسخة عن البحث المنجز للإدارة المعنية مسبقاً.

ثالثاً: صعوبة العودة إلى البحث العلمي الأكاديمي بعد سنوات طويلة من التدريس في الثانوي والجامعي استهلكت الجهد والطاقة وتطلب الأمر إرادة كبيرة لتجسيده.

الفصل التمهيدي

أوضاع تونس من فرض الحماية حتى بداية الخمسينات

1- فرض الحماية الفرنسية على تونس 1881 وطبيعتها:

منذ احتلالها للجزائر سعت فرنسا لبسط نفوذها على تونس في إطار مشروعها الاستعماري الكبير لاحتلال كل المغرب العربي أو ما تطلق عليه بشمال إفريقيا، وهكذا قرّرت حكومة " جول فيري " Jules FERRY ⁽¹⁾ في مارس 1881م إحتلال تونس حسب خطة مضبوطة بدأ تطبيقها منذ أفريل من نفس السنة إنتهت بفرض معاهدة " باردو " على "محمد الصادق باي " والتي أمضى عليها في 12 ماي 1881م، والبلد تحت سيطرة القوات الفرنسية فعليا. جاء نص المعاهدة في نسختين بالعربية والفرنسية تحمل توقيع كل من " محمد الصادق باي " وكذلك إمضاء الوزير الأول " مصطفى بن إسماعيل " أما من الجانب الفرنسي فحملت توقيع كل من الجنرال " بريت " Bréat " والقنصل العام الفرنسي في تونس " تيودور روستان " Theodore Roustaine ⁽²⁾.

حاول الباي الصمود أمام الضغوط الفرنسية لكنه في النهاية أجبر على الإمضاء على المعاهدة. تركّز الإحتلال العسكري في بدايته في المدن الهامة وعلى أطراف البلاد، وبقيت الإدارة المركزية والجهوية خاضعة للنظام التونسي.

وبالعودة إلى معاهدة " باردو " فقد مثّلت السند المرجعي للوجود الفرنسي بتونس طيلة ثلاثة أرباع القرن. ⁽³⁾ أخطر من ذلك فقد أصبحت السند القانوني للاستعمار الفرنسي لتونس، لكنها في الوقت نفسه مثّلت حجة وذريعة الحركة الوطنية التونسية للمطالبة بالاستقلال وإنهاء الحماية، وهذا ما تفضّلت له السلطة الاستعمارية التي أجبرت " علي باي " (1817-1902)

¹ - جول فيري Jules François Camille FERRY : (1832-1893)، سياسي فرنسي عضو في البرلمان، ثم وزير في الحكومة الفرنسية 1870م، تولى منصب وزير التعليم صاحب مشروع فصل الدين عن الدولة (Laïcité)، يعتبر من رواد الفكر الاستعماري الفرنسي ومعه المشاريع الكولونيالية لاحتلال تونس، الهند الصينية، ومدغشقر، أنظر Michel MOURRE : Dictionnaire de l'histoire, Larousse, Bordas, France, 1998, P : 382.

² - Habib BOULARES, « Histoire de la Tunisie , Les Grandes dates de la préhistoire a la révolution » Cérès éditions Tunis, 2011, PP : 496-497.

³ -Albert DELABERGE, « En Tunis, Récit de l'expédition Française, voyage en Tunis », L harmattan, France, Pp :370-373

على الإمضاء على معاهدة "المرسى" في 8 جوان 1883م، والتي منحت الاحتلال الفرنسي تقويضا غير مشروط لإعادة بناء النظم الإدارية التونسية وفق ما تقتضيه مصالحها، وهي تؤسس في ذلك لنمط جديد من العلاقات بين سلطة الحماية والإدارة التونسية، لأنها تلزم الباى على إجراء الإصلاحات التي تخدم مصالح فرنسا وفي مقدمتها أن يصبح المقيم العام هو الحاكم الفعلي للبلاد بإسم الباى، ويحدّد السياسة العامّة للدولة ويبيدي رأيه في تعيين أبرز رجالاتها (1).

بعد وفاة " محمد الصادق باي " سنة 1882م، خلفه أخوه "علي باي"، الذي خضع لسلطة الاحتلال الفرنسي وأمضى على معاهدة " المرسى " في 8 جوان 1883م، حيث جاء في مادتها الأولى: ".... ومن أجل تسهيل مهمّة الحكومة الفرنسية في تطبيق حمايتها، على جلالة باي تونس التعهد بالقيام بالإصلاحات الإدارية والمالية التي تعتبرها الحكومة الفرنسية ضرورية. " (2) كما نصّت المادة الثالثة على ضمان أجرّة سنوية للباى تقدّر با 24 مليون ريال (Piastres) (3) وهكذا أصبح " باي تونس " موظف يتلقّى أجرته من الحكومة الفرنسية وما يعنيه ذلك من خضوع وتبعية، لكن الأخطر من كل هذا هو إضافة كلمة " الحماية " لمعاهدة "المرسى" والتي لم تكن موجودة في معاهدة " باردو ". كما قام الفرنسيون بإحتكار ثلاثة سلطات أو مهام وهي الأمن، التمثيل الدبلوماسي والشؤون الخارجية، وحق الرقابة على الإدارة المحلية، والأخطر من هذا أن معاهدة " المرسى " لا تتدخل في إطار القانون الدولي أي معاهدة بين دولة ودولة، وإنما عبارة عن إتفاق يسهل تطبيق المعاهدة، هذا الإشكال سوف تستغله فرنسا لإصدار سلسلة من القرارات لربط تونس بالإدارة الفرنسية،

¹ – Julien CHARLES ANDRE, « L' Afrique du nord en Marche Algérie- Tunisie Maroc » édition Nivara, Tunis, 2010, P :66.

² – Paul D'Estoumelles DE CONSTANT , « La conquête de la Tunisie, récit Contemporaine » les éditions Sfar, Paris, 2002, P P : 394-395.

³ – Ibid, P : 395.

أما الوطنيون التونسيون فاعتبروه غير قانوني ولا يلزمهم في شيء وأنهم لا يعترفون إلاّ بمعاهدة "باردو"،⁽¹⁾ ومن ثم كان سندهم القانوني فيما يخصّ مطالبهم الوطنية بدءاً بإشراكهم في مؤسسات تسيير البلد ثم مطلب الحكم الذاتي وأخيرا الاستقلال التام.

ولإبراز النوايا الفرنسية في تونس صرّح أول مقيم عام فيها وهو "بول كامبون" Paul Cambon - أحد أقرباء جول فيري- قبل توجهه إلى تونس مخاطبا زوجته قائلاً: "... سوف أنشئ وزارة من الفرنسيين لحكم تونس بإسم الباي من الأعلى إلى الأسفل، وأن كل شيء لابد أن يمرّ على يدي والجميع يتبع إتجاهي " (2).

إن خضوع بايات تونس- بإستثناء " منصف باي" - لسلطة الاحتلال الفرنسي، وتخليهم عن صلاحياتهم أعطى الشرعية للتجاوزات الاستعمارية في إخضاع تونس وشعبها، وهذا مقابل الحفاظ على مركزهم وامتيازاتهم كأوصياء على العرش الحسيني وليس كحكام حقيقيين للبلد.

طبيعة الحماية الفرنسية على تونس: - قامت فرنسا بوضع نظام إداري في تونس يركز على استحداث مناصب إدارية عليا ومزجه بالنظام التونسي الموجود آنذاك وتتمثل تلك المناصب فيما يلي:

-المقيمون العامون: - كان دورهم أساسي في وضع هيكله وأسس النظام الاستعماري في تونس، وتمكين أقلية المستوطنين من الاستحواذ على النفوذ السياسي والاقتصادي للبلد، والتصدي بقبضة من حديد لكل من يقف في وجهها وتحديد الحركة الوطنية.

¹ - Habib BOULARES, op.cit, P : 506.

² - Jean GANIAGE, et Jean MARLIN, « **Histoire contemporaine du Maghreb de 1830 a nos jours** » édition Fayard, France, 1994, P : 296.

تولى هذه المهمة في الفترة الممتدة من 1882م إلى 1955م إثني وعشرون (22) مقيما عاما، وتراوحت مدة توليهم السلطة من سنة واحدة إلى تسع سنوات وكانت معرفتهم وخبرتهم شبه منعدمة بأوضاع تونس وبأحوال العالم العربي والإسلامي لجهلهم اللغة العربية وتقاليدها وعادات وتركيبية المجتمع وتوازناته، مع سعي أقلية مستوطنة متنفذة التحكم فيها⁽¹⁾.

-المراقبين المدنيين: - إقترح " بول كامبون " وهو أول مقيم عام على تونس على وزارة الخارجية الفرنسية سنة 1883م تعيين مراقبين مدنيين بدل مكاتب الاستعلامات التي وضعها الجيش الفرنسي بعد الإحتلال، وتكون تحت سلطته مباشرة كما قام بتقسيم تونس إلى 13 مقاطعة إدارية يشرف على كل منها مراقب مدني يتمثل دورهم في إخضاع الإدارة التونسية المحلية ومراقبة مراسلات القيادة وكل ما يخص التسيير الإداري والاقتصادي يمر عليهم، مع الاحتفاظ بهم موظفي البايلك الذي لم يتغير أي القائد - الخليفة - الشيخ⁽²⁾.

- مجلس الوزراء: - يترأسه المقيم العام وبظم الوزير الأول، ووزير القلم، والكاتب العام للحكومة والمديرين العاميين للإدارة المركزية⁽³⁾.

عموما عرفت تونس أثناء الإحتلال الفرنسي مرحلتين أساسيتين من الحكم: -

المرحلة الأولى من بداية الإحتلال إلى نهاية الحرب العالمية الثانية 1881-1945م، وشهدت إقصاء شبه كلي للتونسيين من مراكز النفوذ.

المرحلة الثانية وتبدأ من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الاستقلال 1945-1956م، عرفت توسيعا لمجال مشاركة التونسيين في الحكم، وهذا بفضل العمل الميداني

¹ - يحي الغول: " جذور الحماية الفرنسية على تونس، تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال "، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجزء الثالث، تونس، 2006م، ص: 37.

² - François ARNOVLET, « **Extrait de la correspondance de Paul Cambon, Résident , général a Tunis avec Jules Jusseraud** », Revue D histoire de maghrébine, n° 156, Juin 2014, publication de la fondation, Temimi, Tunis, P : 211.

³ - يحي الغول، المرجع نفسه، 38.

المنجز من طرف رجال إستعماريين مثل النقيب " جول لوبوف Jules Le Boueuf " رئيس جهاز شؤون الأهالي لدى المقيم العام في تونس سنة 1909 ⁽¹⁾.

حيث صرّح هذا الأخير بما يلي: " لابد من إحتلال إفريقيا بالأفارقة ، إن العنف الذي صاحب احتلال الجزائر يجب أن يأخذ مكانه أسلوب جديد يتميز بالمرونة فائدته تفادي حرب طويلة منهكة ضد الأهالي وخسائر بشرية ومالية كبيرة، فالتعاون والشاركة هما الأفضل ⁽²⁾.

هاتان الكلمتان سوف تؤدي بفرنسا إلى تبني أسلوب جديد في التعامل مع القضية التونسية من بدايتها إلى نهايتها.

2- دور اليهود في إحتلال تونس وتآمرهم مع الاستعمار:

ساهم المضاربون اليهود الفرنسيون في بورصة باريس، وعلى رأسهم " كريميو Crémieux " و " ليفي " Levey ، إثر الأزمة المالية في تونس في تبلور إتفاق بينهم وبين الحكومة الفرنسية على ضرورة تجاوز المراقبة المالية إلى إحتلال فرنسي للبلد، وتضافرت مساعي هؤلاء مع الوالي العام للجزائر " قريفي A. Grévy " من خلال الضغط على الوسط البرلماني والحكومة الفرنسية من أجل الحصول على أغلبية برلمانية والتي صادقت على قرار التدخل العسكري الفرنسي في إيالة تونس ⁽³⁾.

مباشرة بعد الإحتلال الفرنسي طالب يهود تونس الخروج من القضاء التونسي المطبق عليهم منذ قرون بصفتهم رعايا الباي مع تمتعهم بنفس مزايا المواطنين التونسيين، والدخول تحت طائلة القضاء الفرنسي، وتحقيقا لذلك الهدف قاموا بحملة إعلامية واسعة على أعمدة

¹ – Paul D' Estoumelles DE CONSTANT, op.cit, P : 414

² – Ibid, P : 414

³ – يحي الغول، المرجع السابق، ص: 38.

الصحف الأجنبية الصادرة في تونس ومنها جريدة " العدل " La Justice " التي أسسها " مردخاي سماجة " Mordacheé Smaja " سنة 1907، موازاة مع القيام بنشاط مكثف ومسبق في البرلمان الفرنسي، ولكسب تأييد أوسع وسط الرأي العام الفرنسي جاءت مشاركة هؤلاء اليهود في المؤتمر الاستعماري في مارسيليا سنة 1906م، ثم تلاه المؤتمر الاستعماري في باريس في أكتوبر 1908م حيث دافع ممثلوهم لتحقيق ذلك المطلب (1).

لكن أهداف اليهود أبعد من ذلك فالمطلب الثاني الذي رفعوه ودافعوا عنه هو الحصول على الجنسية الفرنسية- كما حصل في الجزائر مع صدور قانون أدولف كريمو (2) وقد تم صياغة تلك المطالب في بحث وعرض تحت عنوان " توسيع القضاء والجنسية الفرنسية في تونس " من إمضاء " مردخاي سماجة " (3).

وهذا رغم إقرار الجالية اليهودية وزعمائها بتمتعهم بالمساواة بينهم وبين المسلمين في الحقوق المدنية والسياسية. (4) كما كانت لهم مساهمة كبيرة في تطوّر الأحداث التي عرفت تونس من خلال تواجد ممثلين لهم في الحكومات التونسية المتعاقبة برتبة وزير وهذا حتى الاستقلال وما بعده.

¹ -Paul SEBAG, « Histoire des Juifs de la Tunisie des origines a nos jours » L harmattan, Paris, 1991, P : 153

² - قانون أدولف كريمو 1870م: نسبة إلى الحاكم العام الفرنسي في الجزائر ويمقتضاه تم منح الجنسية الفرنسية لليهود الجزائريين.

³ -Paul SEBAG, op.cit, P : 154.

⁴ - في 10 سبتمبر 1857 أصدر " محمد باي " العهد الأساسي " Le Pacte Fondamental " وهو عبارة عن إعلان لحقوق الإنسان، حافظ عليه خليفته " صادق باي " الذي أصدر تشريعا بعنوان القانون التنظيمي في 21 أبريل 1861م ثم تلاه إصدار القانون المدني والجنائي في 25 فيفري 1862م، مجموع هذه القوانين جعلت من إيالة تونس ملكية برلمانية أين يتساوى فيها جميع مواطنيها في الحقوق والواجبات دون تمييز في الأصل أو الدين، ويتمتعون فيها بكل الحقوق المعترف بها في الدول المتطورة.

أنظر:

André CHOURAQUI ; « Histoire des juifs en Afrique du nord » Hachette France 1985, PP : 298-

300

3- رد فعل الشعب التونسي على فرض الحماية الفرنسية:

فاجأت مقاومة الشعب التونسي المحتل الفرنسي خصوصا سكان جبال الشمال الشرقي والبدو بتصديهم للقوات الاستعمارية بكل شجاعة وتوسعت تلك المقاومة لتصل إلى "رأس بونة Cap bon"، وتمكنوا من تحرير مدينتي " صفاقس " و " القيروان "، مما دفع بفرنسا إلى إرسال 30 ألف جندي إضافي وإستعمال المدفعية لاسترجاع المدينتان، كما استغلت تفوقها في إنتزاع أسلحة البدو، وتهجير وإبعاد 120 ألف منهم إلى ليبيا بالقوة⁽¹⁾.

وما يلاحظ على الكتابات التاريخية التي تناولت المقاومة المسلّحة أنها قليلة وكأن هناك محاولة لإخفائها أو على الأقل تهميشها، على العكس من ذلك هناك إهتمام أكبر وأوسع لنشاط الحركة الوطنية، وهذا إنطلاقا من المدرسة الصديقية College Sedeki حيث درست أغلب عناصر النخبة التونسية وعلى رأسهم " حبيب بورقيبة " من أجل نشر فكر وتوجه شبيه بجماعة " تركيا الفتاة "، مع عدم تناول المقاومة الشعبية المسلّحة حتى لا يكون لها دور أو تأثير في الحياة السياسية مستقبلا، هذا التوجه يجد له سند في محيط الديوان البايلكي، والمتقفين وبرجوازية المدن.

كما نجد أن أكثر النعوت التي تستعمل في التعريف بهؤلاء المقاومين تسمية الناهيين والمفسدين والفئة الضالة والعصاة.⁽²⁾ ومصدر هذه التسميات على الخصوص الكتابات التاريخية الفرنسية وأكثر النعوت إستعمالا في التعريف بالمجاهدين التونسيين هي تسمية " الفلاقة " أي قطاع الطرق والتي سوف تطلق أيضا على المجاهدين الجزائريين.

¹ -Daniel REVET ; « Le Maghreb a L'épreuve de la colonisation» Hachette France 2003, P : 154

² -Ibid,

4- ميلاد الحركة الوطنية التونسية:

شهد مطلع القرن العشرين ميلاد الحركة الوطنية التونسية بدءًا بحركة الشباب التونسي (1907-1918)، وقد عايش أعضاؤها التحولات الجيوسياسية العربية والعثمانية والدولية، وقد ساهم هؤلاء الشباب في فتح نقاش عام بين مكونات المجتمع المدني من طلبة جامع الزيتونة والمتخرجين من المدارس الفرنسية⁽¹⁾.

وقد تطوّر نشاط تلك النخب إلى حركة سياسية مهيكلة تحمل مواصفات الحزب السياسي العصري، وهو " الحزب الحرّ " الدستوري التونسي (1919-1952)، ثم " الحزب الحرّ الدستوري الجديد " الذي ناضل من أجل الاستقلال (1952-1956)⁽²⁾.

هذه المراحل الثلاثة من تطوّر الحركة الوطنية عرفت كل منها مطالب معيّنة فالمرحلة الأولى إرتكزت على المطالبة بإشراك التونسيين في تسيير شؤونهم الداخلية، أما المرحلة الثانية فعرفت المطالبة بانتخاب حكومة مسؤولة أمام مجلس منتخب أما المرحلة الثالثة فإرتكزت على المطالبة بالحكم الذاتي ثم الاستقلال التام.

وفيما يخص الحزب الحر الدستوري التونسي فقد أسسه عبد العزيز الثعالبي (1874-1944) و " أحمد السقا " وقلّة من المحامين والأطباء والصحفيين، وقد اعتمد في برنامجه على كتاب " تونس الشهيدة " الذي ظهر 1920م، وهو ثمرة مجهود مجموعة من أعضاء الحزب كتب نسخته العربية " عبد العزيز الثعالبي "، مع وجود نسخة بالفرنسية، وأهم ما يتضمّنه الكتاب هو المطالبة بوضع دستور تونسي⁽³⁾.

¹ - Adbeldjalil TEMMIMI « le rôle du premier ministre Hadi Nourira dans le mouvement national et dans la construction de l'état après l'indépendance », in Revue D'histoire maghrébine, N :151 année 2013, Tunis, P : 177.

² - Abdallah LAROUÏ, « L' histoire du Maghreb » un essai de synthèse, FM, fondations, paris ,1982, PP 336-337.

³ - Adnan ZMERLI, « Réflexion sur le projet de constitution du parti tunisien durant 1919 » In Revue D'histoire maghrébine, N :148, 2011, PP :293 -295.

كما يعتبر كتاب " تونس الشهيدة " الأساس المرجعي لتشكيل " الحزب الحر الدستوري التونسي " الذي حدث في صفوفه إنشقاق من طرف مجموعة من المناضلين في مارس 1934 والتي قامت بتأسيس الحزب الحرّ الدستوري الجديد برئاسة "محمود الماطري"، و"حبيب بورقيبة" أمينا عاما و" طاهر صفر " كاتباً عاما (1).

ولتوسيع قاعدته الشعبية وكسب أكبر عدد من المؤيدين والمناضلين، جاء تأسيس جريدتين هما " الصوت التونسي "، و جريدة " المهمة " Mission التي كان لها دور فعال وكان رئيس تحريرها " الهادي نوييرة " (2).

وبطبيعة الحال فقد إنزعجت السلطات الاستعمارية لهذا النشاط السياسي والإعلامي المكثف، فقامت بحل الحزب الدستوري الجديد في 12 أبريل 1938م، صاحبه إعتقال أغلب زعمائه وعدد كبير من مناضليه ورغم ذلك واصلت البقية القليلة من مناضليه نشاطها سرّياً.

5- تونس أثناء الحرب العالمية الثانية:

مع إندلاع الحرب العالمية الثانية سنة 1939، وجد الوطنيون التونسيون أنفسهم وسط تجاذبات عدّة أطراف من جهة الدّعاية النازية والفاشية، ومن جهة ثانية ضغط حكومة " فيشي " بقيادة المارشال " بيتان " Pétain، ومن جهة ثالثة حكومة فرنسا الحرة بقيادة ديغول " Dégaul " إلى جانب الحلفاء.

تمكن المحور الألماني الإيطالي من إحتلال تونس بداية من 9 نوفمبر 1942م، حيث تحوّلت تونس إلى ميدان مواجهة بين المحورّ والحلفاء طيلة ستة أشهر أي حتى نهاية ماي 1943م، ولإبراز الأهمية الإستراتيجية لتونس في تلك المواجهة فقد صرّح قائد جيش الحلفاء الجنرال الأمريكي " دوايت إيزنهاور Dwight Eisenhower " قائلاً: " هدفنا

¹ – Daniel RIVET, op.cit, P : 339.

² – Adbeldjalil TEMMIMI « **le rôle du premier ministre Hadi Nouira** », op.cit, P : 179.

الاستراتيجي يتمثل في السيطرة السريعة على شمال تونس... وكنا متأكدين بأن تحقيق ذلك الهدف يعني نهاية قوة المحور في إفريقيا"، وقد زاد عليه رئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل " Winston Churchill " لا أحد يمكن له التشكيك في الانتصار الذي تحقق في تونس بحيث يمكن مقارنته بانتصار "ستالين غراد Stalingrad " (1).

وقد عرفت تونس خلال تلك الفترة عدّة أحداث منها إعتلاء " منصف باي " العرش في 19 جوان 1942م الذي مثل سندا قويًا للحركة الوطنية سيما أنه عرف منذ صغره برفضه للحماية وتعاطفه مع الحزب الحر الدستوري الجديد ومطالبه الوطنية. ورغم تأثير الدعاية الألمانية الإيطالية على جزء هام من الرأي العام التونسي والحركة الوطنية، فقد إلّتمز " منصف باي " الحياد إزاء الحلفاء والمحور، وقد سعت حكومة " فيشي " للضغط عليه وإجباره على مساندتها لكنه رفض وابلغ موقفه للرئيس الأمريكي روزفلت Roosevelt وأيضاً للألمان والفرنسيين (2).

وقد برز التأثير الأمريكي في تونس من خلال القنصل العام " هوكر دوليتل " Hooker Doolittle " المتواجد في تونس منذ فيفري 1941م والمعروف عنه تأييده إستقلال البلدان العربية، فهو الذي قام بنقل رسالة " منصف باي " للرئيس الأمريكي "روزفلت" التي أكد له فيها هذا الأخير عن أمله في تطبيق الميثاق الأطلسي، والداعي لحق الشعوب في تقرير مصيرها، وأن ثقته كبيرة في شخص الرئيس، كما أكد له من خلال رسالة ثانية في 12

¹ – Abdelwaheb HACHICHI « Le mouvement national Tunisien entre militantisme et les défis de L'indépendance », in Histoire du mouvement national, N ; 13, Institut supérieur d'histoire du mouvement national, Tunis, 2010, P : 26.

² – عبد الجليل التميمي، " الدور الوطني للمنصف باي ودفاعه عن وحدة وإستقلال ومصالح الشعب التونسي "، المجلة التاريخية المغربية، العدد 147، تونس، نوفمبر 2012م، ص ص: 101-102.

نوفمبر 1942م أنه إختار الحياد، ويسعى لإبعاد تونس عن ويلات الحرب، ويتمنى أن تُعلن تونس مدينة مفتوحة (1).

من جانب آخر قاوم " منصف باي " الضغوطات الألمانية بما فيها مطالبته بإدانة قصف الحلفاء لمدينتي " تونس " و " القيروان "، كما رفض الإمضاء على مرسوم إستدعاء وتصخير التونسيين للعمل المدني.

كما تميزت هذه الفترة بأخذ " منصف باي " للمبادرة بتحديث العرش والقيام بإصلاحات إدارية أكسبته شعبية كبيرة خصوصا عندما قام بتشكيل وزارة وحدة وطنية في 1 جانفي 1943م - دون إستشارة المقيم العام الأميرال إستيفا " Esteva - وعلى رأسها " محمد شنيق " بإشراك الحزب الدستوري بشقيه القديم والجديد (2).

لم يكن من السهل على الحركة الوطنية التحرك والنشاط في هذه الفترة وتونس مقيدة ، وضحية مزدوجة بموجة من القمع الاستعماري إنطلقت منذ 1938م، وأيضا بتجاوزات الحرب العالمية الثانية، ونهاية المواجهات على أرضها لم تحررها من القمع على العكس من ذلك فإنصار الحلفاء سيدفع بالمتطرفين الكولونياليين لأن ينقلبوا على نظام " فيشي "، ووصول القوات الأمريكية والبريطانية ستمنحهم الفرصة والغطاء في تحقيق ما عجزوا عنه طيلة خمس سنوات من القمع أي تصفية الحركة الوطنية. (3) لعدم وجود أي سلطة تُردعهم.

ولتحقيق هدفهم سعوا إلى إصاق تهمة العمالة للمحور بالحركة الوطنية و " ببورقية " هذا الأخير كان قد إحتاط للأمر فمن سجن " سان نيكولا " بمارسيليا، وجه رسالته إلى

¹ Christine LEVISSE TOUZE « l'Afrique du Nord dans la guerre 1939-1945 », Albin Michel, France, 1998, P : 360.

² - Said MESTIRI, « Moncef Bey » Sud Editions, Tunis, 2008, PP : 220-221.

³ - Abdelwaheb HACHICHI, op.cit, P : 28.

"حبيب تامر" الذي تولى قيادة الحزب في فترة اعتقاله مطالبا بعدم الانسياق وراء الدعاية النازية وداعيا إياه للإتصال فورا بأنصار الجنرال "ديغول" (1).

وحتى بعد إطلاق سراحه في 16 نوفمبر 1942م مع كل من "بن سليمان" و"بن يوسف" وتسليمهم للسلطات الإيطالية التي حاولت استمالته لكنه رفض، وأكد دعمه التام واعتماده على الباي، كما قام بتوزيع منشورين على الشعب التونسي داعيا إياه إلى مساندة الحلفاء وتشكيل جبهة مقاومة مع فرنسا (2).

وبإطلاق سراح بقية أعضاء الحزب تحت ضغط الدعاية الألمانية على المقيم العام، ليتم اللقاء بين "منصف باي" و"حبيب بورقيبة" وبقية الزعماء الوطنيين في 8 أفريل 1943 هذا التقارب والتنسيق بين "الباي" و"الحزب الدستوري الجديد" زاد من قمع سلطات الاحتلال والمتطرفين خصوصا مع تمكن الحلفاء من إعادة السيطرة على تونس منتصف 1943م، وهو ما دفع بمجموعة من الدستوريين إلى مغادرة تونس والتوجه إلى ألمانيا أين أسسوا مكتب المغرب العربي في برلين في 21 جويلية 1943م وقد مكّتهم ذلك النشاط من ربط علاقات مع شخصيات عربية منهم "أمين الحسيني" و"شكيب أرسلان" (3).

وحسب التقرير الذي أعده الجنرال "ماسست" Mast " وهذا مباشرة بعد سيطرة الحلفاء على تونس وطرد قوات المحور منها، وردت فيه إحصائيات تبرز مظاهر القمع الاستعماري من ذلك اعتقال وإلقاء القبض على 9536 مواطن وتونسي وهذا فقط في شهر ماي 1943م، كما تم إعدام 154 مواطن بعد محاكمتهم وإدانتهم بأعمال إرهابية.

¹ - محمد لطفي الشابي، "الحركة الوطنية (1934-1954)، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، تونس عبر التاريخ"، الجزء (3)، تونس 2006، ص: 115.

² - Abdelwaheb HACHICHI, op.cit, P : 28

³ - محمد لطفي الشابي، المرجع نفسه، ص: 116.

كما أشار التقرير إلى وجود 3000 تونسي رهن الاعتقال في السجون وهذا حتى ديسمبر 1943م، مع التأكيد أن السجون لم يعد بمقدورها إستيعاب العدد الهائل من المعتقلين ولا بد من إقامة سجون ومحتشدات جديدة (1).

هذه السياسة القمعية والمضايقات الاستعمارية، لم تمنع الحزب الدستور الجديد من القيام بنشاط مكثّف، ففي مجال الصحافة تمكن من إصدار وطبع جريدة "إفريقيا الفتاة" - كما سبقت الإشارة لها - واستمرت في الصدور من 2 جانفي إلى 6 ماي 1943م، والجريدة تمثل لسان حال شباب الحزب الدستوري الجديد وكان يشرف عليها " فريد بورقيبة "

كما قام هذا الأخير بجمعية " رشيد إدريس " بتدشين " إذاعة الوطن "، كما تمكن الحزب من تأسيس "الهلل الأحمر التونسي" في منتصف جانفي 1943م، وتمثلت مهمته في تلك الفترة في مساعدة معطوبي الحرب ودعم المنكوبين، وقد تمكّن من فتح فروع له في أغلب المدن التونسية، وفي حقيقة الأمر هي خلايا الحزب الدستوري الجديد (2).

ومحاولتا منه لاستعطاف الحلفاء قام " بورقيبة " في 13 ماي 1943م بكتابة منشور تم توزيعه عبر فيه عن إعجابه بقوة الحلفاء وفرنسا المحاربة - يقصد ديغول - التي بفضلها تم إنقاذ وتخليص تونس من خطر الفاشية، داعيا الشعب التونسي للاتحاد مع فرنسا متمنيا من هذه الأخيرة إنتهاج سياسة جديدة في تونس تطبيقا للميثاق الأطلسي (3).

نقطة هامّة لا بد من الإشارة لها وتتمثل في تأثير وضغط المستوطنين والسلطات الاستعمارية في الجزائر وذلك بالضغط على الحكومة الفرنسية لتوجيه سياستها في تونس نحو مزيد من القمع وترهيب الحركة الوطنية خشية إنتقال العدوى إلى الجزائر، والانعكاسات

¹ - Said MESTIRI, op.cit, P : 249.

² - Roger CASEMAJOR, « **L'Action nationaliste en Tunisie** » Rapport secret des renseignements généraux, Sud édition, Tunis, 2009, PP, 159-169

³ - Christine LEVISSE TOUZE, op.cit, P : 362.

الغير محمودة العواقب في حالة تكاثف جهود الوطنيين في البلدين والذي يمكن أن ينهي الوجود الاستعماري.

ومن خلال هذا التوجه تم تشكيل لجنة تحقيق أرسلها كاتب الدولة للإعلام الفرنسي الجنرال " شامبير " Chambre والتي إقترحت تنحية " منصف باي " من السلطة، فاستجابت له الحكومة الفرنسية مباشرة بعد دخول الحلفاء إلى تونس، فقام كل من الجنرال " جيرو Giraud " ومساعدته الجنرال " جوان Juin " بعزل " منصف باي " في 8 ماي 1943م⁽¹⁾. وذلك عقابا له بسبب لجوئه لتحكيم الحلفاء، ومحاولة تحديث نظام الحكم والتخلص من الحماية الفرنسية بتعاونه مع الحركة الوطنية. ساهم عزل "منصف باي" في تلاحم الشعب التونسي والحركة الوطنية حول شخصيته كما أصبح رمز للتضحية بعد نفيه إلى الجزائر ومنها إلى فرنسا حيث توفي فيها.

لقد استفادت الحركة الوطنية من فقدان فرنسا لمصداقيتها، واستغلت الوضع الإقليمي المتمثل في مطالبة كل من سوريا ولبنان باستقلالهما وإلغاء الانتداب الفرنسي سنة 1943. كما زادهم تأييد القنصل الأمريكي " دوليتل Doolittle " لحق تقرير المصير دفعا إضافيا لمطالبهم. على أن أكبر مستفيد من هذا الزخم وتلك الأحداث هو " حبيب بورقيبة "، حيث استطاع أن يجذب إليه إرث " منصف باي "، فقبل مغادرته تونس إلى فرنسا في 20 أوت 1944م عبر " بورقيبة " للجنرال هنري مارتين Henri Martin عن تخوفه من أن يرى " إفريقيا الشمالية تضيع من بين أصابع فرنسا " (2).

¹ - بعد عزله نقل "منصف باي" إلى مدينة الأغواط بالجزائر حيث مكث فيها من جوان إلى سبتمبر 1943م، لينقل بعدها إلى مدينة تنس الساحلية، ومنها إلى مدينة " بو " Pau بفرنسا في 12 أوت 1945م وبقي فيها حتى وفاته في 1 سبتمبر 1948م. لينقل إلى تونس حيث دفن في جنازة مهيبية في 6 سبتمبر 1948.

Roger CASEMAJOR, op.cit, P : 233.

أنظر :

² - Christine LEVISSE TOUZI, op.cit, P : 363.

6- تشكيل جبهة وطنية والمطالبة بالاستقلال الداخلي 1944-1947م:

ازداد القمع الاستعماري بتولى الجنرال " ماست " Mast " منصب المقيم العام من 1943 إلى 1947 خلفا للجنرال "جوان Juin"، كان ذلك من الأسباب التي أدت إلى تشكيل جبهة وطنية لمواجهة، وإعطاء مصداقية أقوى لمطالبها من خلال نقل القضية التونسية إلى المحافل الدولية وإخراجها من النطاق التونسي الفرنسي، مستغلة إنعقاد قمة " برازافيل " في "الكونغو" نهاية جانفي 1944م التي دعا لها " ديغول " معلنا فيها عن إنشاء الاتحاد الفرنسي Union Française، كرد فعل على قمة " سان فرانسيسكو " التي أدت إلى إنشاء هيئة الأمم المتحدة وتبنيها لمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها وتصفية الاستعمار (1).

وقد ضمت الجبهة الوطنية الحزبين الدستوريين القديم والجديد- حيث وقع تقارب بينهما أثناء جنازة الشيخ عبد العزيز الثعالبي 1 أكتوبر 1944- كما ضم الإصلاحيون والمتقنون المستقلون وجمعية المنتخبين والزيتونيين والحركة منصفية، وتم الاتفاق على "ميثاق تونس " الذي تضمن المطالبة بالاستقلال الداخلي وإقامة نظام ملكي دستوري ديمقراطي (2).

ومن بين الشخصيات التي أمضت على ميثاق تونس، نذكر - الطاهر بن عمار - صالح فرحات - مصطفى كاعك- حبيب بورقيبة- محمد بن رمضان- حمادي بدة - فاضل بن عاشور - طاهر لخضر كما انضمت شخصيات أخرى وهي "ألبير بيسيس Albert Bessis - ممثل الجالية اليهودية ونفوذها الكبير في تونس - محمود الماطري- محمد شنيق- عزيز جلولي- أحمد زاوش- طاهر زاوش - بحري قيقة- منصف مستيري- على كاهية - د/ شاذلي بن رمضان، وهذا إثر لقاء ثاني تم في 13 نوفمبر 1944 (3).

¹ - Roger CASEMAJOR, op.cit, P : 190.

² - Daniel REVET, op.cit, PP : 366-367.

³ - Roger CASEMAJOR, op.cit, P : 191.

كما سعت اللجنة إلى الإتصال بالقنصلين الإنجليزي وخصوصا الأمريكي "دوليتل Doolittle" بتونس اللذان عرضا تقديم تلك المطالب للسلطات الاستعمارية.

لإبراز الدور الأمريكي وتأثيره على الأحداث التي جرت في تونس خصوصا بفضل نشاط القنصل " هوكر دوليتل Hooker Dollittle " فمنذ تعيينه في منصبه لم يتوقف على الإتصال بمختلف التشكيلات التونسية مدافعا على مطلب إستقلال تونس لدى وزارة الخارجية الأمريكية فقد قام بنقل رسائل من "روزفلت" إلى " منصف باي "، كما إتصل "بعبد العزيز الثعالبي" وكثير من مناضلي الحزب الدستوري الجديد وهو يعتبر تلميذ " سومر وبلس Summer Wells " صديق "روزفلت" والذي كتب الميثاق الأطلسي، وهو يمثل داخل كتابة الدولة الاتجاه الديمقراطي الليبرالي المساند لحق الشعوب في تقرير مصيرها (1).

مقابل هذا الاتجاه نجد كاتب الدولة للشؤون الخارجية " كورديل هيل Cordell Hull " هو أيضا صديق روزفلت، ومعه الأميرال " Leahy " لايهي" السفير الأمريكي لدى حكومة فيشي برئاسة بيتان Petain "، وتمثلت مهمتهما في جذب فرنسا وحكومة فيشي والإمبراطورية الاستعمارية إلى جانب الحلفاء، وهذا يتطلب الحفاظ على مصالح فرنسا وإبقاء سيطرتها على مستعمراتها، وفي هذه النقطة بالذات جاءت مساندة رئيس وزراء بريطانيا " ونستون تشرشل W. Churchel " (2).

بعد تأسيس الجامعة العربية في 22 مارس 1945م سعت الحركة الوطنية إلى تدويل القضية التونسية وإخراجها من النطاق الفرنسي، فقد تقرّر إرسال "حبيب بورقيبة " إلى مصر حيث توجه إليها في 26 مارس 1946م لإطلاع الشعوب العربية والإسلامية على

¹ - Said MESTIRI, op.cit, P : 236.

² - نفس السياسة طبقتها الولايات المتحدة الأمريكية في الجزائر من خلال الممثل الشخصي للرئيس روزفلت T. Murphy ، والمُعِين من طرف كاتب الدولة كورديل هيل Cordell Hull مع نهاية 1940م. فقد أمضى على إتفاقيات مع كل القناصل اللذين مروا من الجزائر، مع دعمه الكبير لتعيين بيريتون Peyrouton كحاكم عام للجزائر. وماعدا تصريحه بأنه يعادي الكولونيالية في مخاطبته لفرحات عباس، سوف نجده من أكبر المساندين للسياسة الاستعمارية الفرنسية في شمال أفريقيا. أنظر: Said MESTIRI, op.cit, P : 236

آخر التطوّرات في تونس، وحثها على المزيد من الدعم والمساندة، وأثناء غيابه خلفه على رأس الحزب الدستوري الجديد و لمدة قاربت أربع سنوات الأمين العام للحزب أي " صالح بن يوسف " (1).

7- مؤتمر ليلة القدر 23 أوت 1946م وتوحيد الحركة الوطنية:

في ليلة 23 أوت 1946م، إنعقد مؤتمر عرف بمؤتمر ليلة القدر " ترأسه القاضي " لعروسي حداد " بمشاركة كل فصائل الحركة الوطنية بما فيهم الشيوعيين في إطار جبهة تونسية موحدة لمواجهة الاستعمار، ولأول مرة تتفق جميع الأطراف على رفع مطلب الاستقلال التام، ورغم مdahمة القوات الاستعمارية لمكان اللقاء، وإلقاء القبض على أغلب المجتمعين فيه بقي هذا المؤتمر يعرف بمؤتمر الاستقلال (2).

جاء رد الفعل على حملة الاعتقالات من "الاتحاد العام التونسي للشغل" بإعلانه عن إضراب عام دفع بالسلطات الاستعمارية إلى التعجيل في إطلاق سراح المعتقلين السياسيين، وسوف نوضح لاحقا ظروف تأسيس الاتحاد ودوره في الحركة الوطنية وخصوصا إرتباطه العضوي بالحزب الدستوري الجديد. في فيفري 1947، يتم تعويض الجنرال "ماسر Mast" بمقيم عام جديد هو " جان مون " Jean Mons - لم يكن عسكريا ولا دبلوماسيا بل موظف برتبة والي تولى منصب رئيس ديوان "ليون بلوم" Léon Blum 1946 (3) - عرفت فترته إنفتاحا برفع الرقابة عن الصحافة التونسية فظهرت عدة جرائد منها " هنا تونس "، مع فتح العديد من الوزارات أمام التونسيين، لكنها في المقابل أشعلت الخلاف بين دعاة الحوار والمشاركة في السلطة يتزعمها "الحزب الدستوري الجديد"، ودعاة التمسك بمطالب الاستقلال

¹ - Anissa EL MATERI HACHED, « Mahmoud EL MATERI, pionnier de la Tunisie Moderne, edition les belles lettres, Tunis, 2011, P : 204.

² - Jean GARNIAGE, op.cit, P P: 545-546.

³ - ليون بلوم Léon Blum: 1872-1950 رجل سياسي فرنسي من أصول يهودية انخرط في الحزب الاشتراكي، تولى منصب وزير الأشغال العمومية، تولى رئاسة الحزب بعد 1936، ثم رئيسا للحكومة ثم 1946، أنظر

Michel Mourre : Le petit MOURRE ; Dictionnaire de l'histoire, édition Larousse, France, 1998, P : 116.

التام ويمثله اللجنة التنفيذية لمؤتمر ليلة القدر، ورغم محاولات التوسط للمقيم العام إلا أنها باءت بالفشل، كما أنه لقي معارضة شديدة من المستوطنين الفرنسيين في تونس وعلى رأسهم النائب " أنطوان كولونا Antoine Colona " ⁽¹⁾. وإثر مظاهرات عمالية دعى لها "الاتحاد العام التونسي للشغل" وعلى رأسها " فرحات حشاد " يوم 5 أوت 1947 " بصفافس "، تدخلت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال " دوفال Duval " - كان وراء مجازر 8 ماي 1945 في سطيف- وسقط فيها 30 قتيلا تونسيا و 150 جريح ⁽²⁾.

واصل إتحاد العمال والحزب الدستوري الجديد نشاطهم رغم مضايقات الاستعمار حتى عودة "بورقيبة" من "مصر" في 9 سبتمبر من نفس السنة أي 1947 ولقي إستقبالا شعبيا كبيرا، وكانت أول زيارة له للباي للتأكيد على وحدة الشعب التونسي والحركة الوطنية مع الباي، ليتم ربط إتصالات مع بقية الزعماء الوطنيين وعلى رأسهم " فرحات حشاد " و " صالح بن يوسف " ⁽³⁾.

عربيا و مغاربيا عرفت "القاهرة" نشاطا مكثفا أدى إلى عقد مؤتمر المغرب العربي من 15 إلى 22 فيفري 1947م، وهو أول مؤتمر يجمع ممثلين عن الحركات الوطنية لبلدان المغرب العربي وهي الحزب الحرّ الدستوري التونسي الجديد، وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية من الجزائر وحزب الاستقلال عن المغرب مطالبتا بالاستقلال لأقطارها وخروج القوات الاستعمارية من بلدانها.

من العوامل الخارجية التي ساهمت في تطوّر القضية التونسية، إستقلال كل من سوريا ولبنان سنة 1946م، ثم جاء إستقلال كل من الهند و باكستان 1947م، تبعه إستقلال سيريلانكا وبرمانيا 1948م، وفي نفس السنة جاءت إتفاقية خليج " ألونغ Along "

¹ - Anissa EL MATERI HACHED, op.cit, P : 207.

² - Jean PLANCHAIS, « L'empire embrasé 1946-1962 » éditions Denoël, Paris, France, 1990, P : 151

³ - Jean GARNIAGE, op.cit, P : 544.

بمنح الفيتنام الجنوبي ⁽¹⁾ واللاوس وكمبوديا صفة دولة ذات حكم ذاتي (إستقلال داخلي) في إطار إتحاد الهند الصينية الفرنسي، وهي محاولة من فرنسا للإبقاء على نفوذها في المنطقة وتفاديا لانتشار عدوة الثورة الفيتنامية التي إندلعت 1946 لبقية البلدان وفقدانها نهائيا.

في تلك الأثناء يقوم " بورقيبة " بجولة إلى كل من " جينيف " ثم نيويورك سعيا لإيصال القضية التونسية إلى الأمم المتحدة، ثم التوجه إلى واشنطن وتحديدًا كتابة الدولة للشؤون الخارجية لكسب دعمها للقضية ⁽²⁾.

8- الحزب الدستوري الجديد يسترجع زمام المبادرة 1948-1951م:

هناك حدثان هامان كان لهما تأثير سلبي على الرأي العام التونسي، الأول خارجي ويتمثل في مصادقة الأمم المتحدة على قرار تقسيم فلسطين رقم 181 في 29 نوفمبر 1947 إلى دولتين عربية ويهودية، تبعته ردود فعل قوية في الشارع التونسي، فسارع طلبة جامع الزيتونة بتوجيه من الشيخ "الشاذلي بلقاضي" ومساعدته " الشيخ صادق بسايس " مؤسس ورئيس لجنة الدفاع عن فلسطين العربية بتنظيم مظاهرات في المدن التونسية، كما تقرّر القيام بإضراب عام يوم 3 ديسمبر 1947 بالتنسيق مع الحزب الدستوري الجديد، مع جمع الأموال لدعم الشعب الفلسطيني في نضاله.

كما شهدت تونس حملة إعلامية للصحف الصادرة بالعربية والتي عنونت في صفحاتها الأولى إسم فرنسا على رأس قائمة الدول التي دعمت قرار التقسيم وقيام الكيان الصهيوني في فلسطين ⁽³⁾.

¹ - سوف يتحول الفيتنام إلى ميدان صراع بين الشرق وغرب فبعد إعتراف الاتحاد السوفياتي والصين بحكومة هوشي منه، وتطبيقا لسياسة فرق تسد قامت فرنسا بتقسيم الفيتنام إلى شمال وجنوب عند خط 17 شمالا، وأنشأت في هذا الأخير حكومة "باو داي " العميلة والتي إعترفت بها كل من الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا، بينما واصل الشعب الفيتنامي كفاحه حتى موقعة ديان بيو فو، في 7 ماي 1954م، حيث انهزمت القوات الاستعمارية الفرنسية على يد الجنرال "جياب".

² - Jean PLANCHAIS, op.cit, P. 152.

³ - Roger CASEMAJOR, op.cit, P : 216.

بالنسبة للخطاب السياسي تحوّلت القضية الفلسطينية إلى قضية رئيسية وليست ثانوية، فقد صرّح "صالح بن يوسف" الأمين العام للحزب الدستوري الجديد بما يلي: "...إن القضية الفلسطينية لن تُحل إلاّ عن طريق السلاح، ومنذ الآن، وبالاتجاه الإيجابي لصالح العرب" (1).

9- القضية الفلسطينية وارتباطها بقضايا تحرر المغرب العربي:

حسب وثيقة سرية واردة من الحكومة العامة لإفريقيا الغربية الفرنسية ومن مديرية الأمن العام موجهة من المحافظ السامي للجمهورية في إفريقيا الغربية الفرنسية إلى السيد وزير الفرنسي لما وراء البحار عنوان 27، شارع أودينو Oudinot، باريس وتشمل المراسلة وثيقة مترجمة من العربية، مصدرها المكتب العربي في إفريقيا الشمالية "مرسلة" من القاهرة إلى السيد "جوزيف قهواجي"، 533 أورليان ستيرت Orléans Street، دينة 7، 7، Detroit، ميشيقان Michigan، الولايات المتحدة الأمريكية، هذا الأخير رفض نشرها، وقام بتسليمها لأحد أصدقائنا اللبنانيين المقيم في "داكار Dakar" ناصحا إياه بإعلام السلطات الفرنسية فقام هذا الأخير بتسليمها لجهاز الأمن العام. (2)

أخطر ما في هذه الوثيقة أن ممثل الجامعة العربية اللبناني "جوزيف قهواجي" بدل نشر تلك الوثيقة في جريدة "الصباح"، قام بتسليمها للسلطات الفرنسية لأنها تتضمن دعما من شعوب المغرب العربي تونس الجزائر المغرب وليبيا للقضية الفلسطينية خصوصا بعد هزيمة فلسطين 1948م وإنشاء مركز لتدريب متطوعي المغرب العربي في مصر قبل توجيههم إلى فلسطين، وقد زار المعسكر كل من "حبيب بورقيبة" بصحبة "رشيد إدريس"

¹ - عبد اللطيف الحناشي، "تطوّر الخطاب السياسي في تونس إزاء القضية الفلسطينية 1920-1955م"، المطبعة الرسمية، تونس، 2006، ص: 245.

² Archive national d'outre mer, Aix en Provence, France, Du haut commissaire de la république en Afrique Occidentale Française, a Mr. le Ministre de la France d'autre, Mer, 1 AFF, Poc Carton 2134/6, Articles presse arabe antisémite et anti Français, soutien du Maroc et de la Tunisie à la guère en Palestine, 1948.

عضو مكتب المغرب العربي في القاهرة ووكيل اللجنة التونسية للدفاع عن فلسطين العربية، في آخر الزيارة هتف المتطوعون بحياة الأمة العربية وحياة الملك "فاروق" وجلالة باي تونس "محمد منصف"⁽¹⁾ وسمو الأمير عبد الكريم الخطابي.

الأمر الثاني الخطير الوارد في الوثيقة أنها تربط بين القضية الفلسطينية وبقية قضايا التحرر في الوطن العربي عموما والمغرب العربي خصوصا، وكشف تواطؤ ودعم سلطات الاحتلال الفرنسي في المغرب لمجهود الجالية اليهودية في هذا البلد والمقدر عددها حسب الوثيقة ب 200 ألف، في توجيه المتطوعين اليهود إلى فلسطين وجمع المال والسلاح لدعم الكيان الصهيوني، والذي دفع بجلالة السلطان محمد الخامس إلى توجيه نداء للشعب المغربي في التصدي لتلك العصابات الصهيونية والقضاء عليها وتصفيتها والاستيلاء على ما جمعته من مال وسلاح لتوجيهه لدعم فلسطين، واعتبار أن تحرير فلسطين أولوية شعوب المغرب العربي وسوف تكون فال خير لتحرير المغرب، تونس والجزائر وبقية الأمة العربية⁽²⁾.

من جانبه طالب " حبيب بورقيبة " من الدول العربية تركيز إهتمامها وجهدها على القضية الفلسطينية وتأجيل قضايا المغرب العربي فتحرير فلسطين هي أكثر القضايا إلحاحا الآن⁽³⁾. كما هبّ الشعب التونسي للتطوّل لحرب فلسطين⁽⁴⁾، فحسب تقرير سري للمخابرات

¹ - أحد أهم أسباب عزل "منصف باي" ثم اغتياله من طرف السلطات الفرنسية هو مساندته المطلقة للقضية الفلسطينية ومعاداته للصهيونية والاستعمار وربطه بين القضية الفلسطينية وقضايا تحرير المغرب العربي.

² - أنظر الوثيقة رقم (1) وملاحقها.

³ - عبد اللطيف الحناشي، المرجع السابق، ص: 249.

⁴ - إنطلقت أول حرب عربية إسرائيلية في 16 ماي 1948م، وشارك فيها آلاف المتطوعين من بلدان المغرب العربي دفاعا عن فلسطين ومنهم متطوعين من تونس والجزائر. وإنتهت الحرب بهزيمة العرب.

الفرنسية، ففي يوم 30 ماي 1948 فقط وصل إلى بنغازي 300 متطوع في طريقهم إلى فلسطين و 1000 متطوع إلى طرابلس من مجموع 2678 متطوع⁽¹⁾.

أما الحدث الثاني الذي أثر على الأوضاع في تونس فهو داخلي، ويتمثل في قرار المقيم العام بغلق دورة المجلس الأعلى- بعد مرور 20 يوما القانونية- بسبب مقاطعة الأعضاء التونسيين لها فجاء رد فعل الرأي العام والصحافة بتوجيه الانتقاد واللوم لهؤلاء الأعضاء بعدم إستقالتهم على الأقل لإمتصاص غضب الشارع، وإثباتا لدفاعهم عن القضية التونسية.

كل هذه العوامل وغيرها دفع بالحزب الدستوري الجديد لتغيير إستراتيجيته من خلال التركيز على النشاط الداخلي على حساب البحث عن السند والدعم الخارجي، فهزيمة العرب في حرب فلسطين الأولى في ماي 1948م، وتراجع الدعم الأمريكي البريطاني الذي إقتصر على نوع من التعاطف مع المطالب الوطنية، مع فقدان " بورقيبة " لأي تأثير أو توجيه داخل لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة والتي عادت أمانتها العامة لصالح " عبد الكريم الخطابي "، يضاف لها وفاة " منصف باي " الذي فتح باب المنافسة على ترعم الحركة الوطنية بين كل من " صالح بن يوسف " و " فرحات حشاد "، كل ذلك دفع بـ " بورقيبة " تحت إلحاح أنصاره داخل الحزب بالعودة إلى تونس وأخذ زمام المبادرة من جديد⁽²⁾.

الزخم الخارجي والداخلي دفع أيضا با " لمين باي " للتقرب أكثر من الوطنيين، فكلف إبنته زكية بإرسال مساعدات مالية للطلبة التونسيين في فرنسا، كما راسل رئيس الجمهورية الفرنسية فانسان أوريول Vincent Aurriol مجددا بتحقيق مطلب الإصلاحات السياسية الذي قدّمته الحكومة التونسية⁽³⁾.

¹ – Roger CASEMAJOR, op.cit, P : 216.

² – Jean GARNIAGE, op.cit, P : 545.

³ – Anissa EL MATERI HACHED, op.cit, P : 219.

10- تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل UGTT 1946م ودوره في الحركة الوطنية:

لا يمكن الحديث عن الحركة الوطنية التونسية ونضالها من أجل الاستقلال، دون الحديث عن الاتحاد العام التونسي للشغل، ومؤسسه وزعيمه " فرحات حشاد "، والدور الكبير الذي لعبته النقابة وزعيمها في تهيئة الطبقة العمالية ومن ورائها الرأي العام التونسي وتوحيد كلمتها حول مطلب الاستقلال، وعدم الفصل بينه وبين المطالب السياسية والاجتماعية ومن هنا نجد ذلك الارتباط العضوي بين الحزب الدستوري الجديد، والاتحاد العام التونسي للشغل منذ تأسيسه، وكذلك مع بقية المنظمات الوطنية.

وللإلمام بظروف وملابسات تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل، لابد من الرجوع إلى بدايات الحرب العالمية الثانية، فرغم قلة النشاط النقابي في هذه الفترة إلا أن السلطات الاستعمارية قامت في 9 أكتوبر 1940 بإصدار قانون يتضمن حل المنظمات النقابية مع فرضها للعمل الإجباري، ومع سيطرة الحلفاء على تونس سنة 1943 عاد النشاط النقابي من جديد بفضل المناضلين الشيوعيين ودورهم البارز في مقاومة قوات المحور أثناء سيطرتها على تونس ما بين 1942-1943م، مما أكسبهم شعبية وتأثيرا على الحركة العمالية، فجاء إنضمام غالبية العمال للنقابات التابعة للكونفدرالية العامة للشغل C.G.T الاشتراكية الفرنسية⁽¹⁾.

وبانعقاد المؤتمر الإقليمي لهذه الأخيرة يومي 18 و 19 مارس 1944م، سيطرت العناصر الشيوعية على المنظمة النقابية بإنتخاب 17 عضوا شيوعيا من مجموع هيئة إدارية تضم 21 عضوا، ساهم ذلك في حدوث إنشقاق بإنفصال مجموعة من النقابيين من مدينة " صفاقس " على رأسهم " فرحات حشاد " و " حبيب عاشور " ، وبدأو في تشكيل العديد من

¹ – Juliette BESSIS, « Maghreb question D'histoire » L harmattan, Paris, 2003, P : 94.

النقابات المستقلة عن الكونفدرالية العامة للشغل وذلك منذ شهر أكتوبر 1944م.⁽¹⁾ ليأتي إجتماع الأربعون (40) نقابة المستقلة للجنوب والشمال مع الفيدرالية التونسية للموظفين، ليعلن على إثرها إنشاء الاتحاد العام التونسي للشغل U.G.TT في 20 جانفي 1946م ويتم إنتخاب " فرحات حشاد " رئيسا له بالإجماع⁽²⁾.

منذ البداية أدرك " فرحات حشاد " أهمية كسب الدعم والتأييد الخارجي بدءا بالنقابات العمالية الدولية ومن ورائها تأييد الرأي العام الدولي للقضية التونسية ولتحقيق ذلك الهدف سعى منذ شهر فيفري 1946م بتقديم طلب الإنخراط في الفيدرالية النقابية العمالية F.S.M⁽³⁾.

السؤال المطروح حاليا متى بدأ النشاط السياسي للاتحاد ؟

الجواب على هذا السؤال: يكون من تتبّع مواقف الاتحاد ونشاطه من تطوّرات الأوضاع في تونس منذ تأسيسه، والبداية كانت في شهر أوت 1946م حيث وقع إضراب عام وصف بسياسي والذي جاء كرد فعل على إعتقال القوات الاستعمارية لزعماء وطنيين شاركوا في " مؤتمر ليلة القدر "، الذي سبقت الإشارة إليه، كما مثل الإضراب العام الذي دعت إليه النقابة في 4 أوت 1947م في مدينة "صفاقس" وأدى إلى سقوط عشرات الضحايا ومئات المعتقلين دليلا قاطعا على التوجه السياسي للاتحاد.

¹ - عبد السلام بن حميدة، " الحركة النقابية في تونس 1924-1954 تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الإستقلال "، الجزء الثالث، تونس 2006، ص: 132.

² - Juliette BESSIS, op.cit, P : 97.

³ - عبد السلام بن حميدة، المرجع نفسه، ص: 137.

وبالعودة إلى هذا الإضراب ففي الوقت الذي طالبت فيه إتحاد النقابات التونسية للشغل L' U.S.T.T.⁽¹⁾ والكونفدرالية العامة للشغل C.G.T.⁽²⁾ نهاية جويلية من الحكومة تخفيف إجراءات مرسوم 26 جويلية حول نسبة الأجور وسعر الخبز، جاء رد فعل الاتحاد العام التونسي للشغل U.G.T.T. بوقف المفاوضات والإعلان عن إضراب عام ليومين 4 و5 أوت 1947 بدا من الوهلة الأولى أن هذا الإضراب له أبعاد سياسية تتمثل في مساندة ودعم الاتحاد لمطالب الحركة الوطنية وردّ فعل على السياسة القمعية الاستعمارية إتجاه مناضلي وزعماء الحركة الوطنية وخصوصا الحزب الدستوري الجديد.⁽³⁾

أهم دليل على الدور السياسي للاتحاد هو تصريح "فرحات حشاد" في مارس 1950: "إذا أردنا البحث عن أسباب الفقر الذي نحن عليه، فليس من الصعب التفتّن إلى الحقيقة الأليمة من أن سياسة الاستعمار هي المسؤولة الوحيدة عن كل ذلك "⁽⁴⁾.

مع الإشارة إلى أن عدد كبير من النقابيين كانوا مناضلين في الحزب الدستوري القديم أو الجديد وفي بقية الجمعيات والتنشكيلات السياسية.

وفي إجابته عن سؤال حول إستقلالية الاتحاد العام التونسي للشغل " عن الحزب الدستوري الجديد ردّ "أحمد بن صالح " وهو من مؤسسي الاتحاد وأمينه العام بعد الاستقلال، بأن موضوع الاستقلالية لم يكن مطروحا آنذاك، لأن أغلب مناضلي اتحاد الشغل كانوا أعضاء في الحزب الدستوري القديم أو الجديد، وكانت تجمعهم علاقات جيدة داخل النقابة،

¹ - إتحاد النقابات التونسية للشغل U.S.T.T. هي التسمية الجديدة التي تبنتها الكونفدرالية العامة للشغل C.G.T. والتي أصبحت تحت سيطرة الشيوعيين منذ 1944 بعد أن تحولت في أكتوبر 1946 إلى مركزية تونسية. أنظر:

Roger CASEMAJOR, op.cit, P : 212

² - الكونفدرالية العامة للشغل C.G.T.F.O، ذات توجه إشتراكي والتي تشكلت في أعقاب الحرب العالمية الثانية في فرنسا بداية 1947م والتي إجتمع حولها عدد من النقابات والنقابيين الفرنسيين في تونس ووقفوا ضد تونس C.G.T ورفضوا الانضمام U.S.T.T.

Roger CASEMAJOR, op.cit, P : 212

³ - Ibid, P : 213.

⁴ - Julliette BESSIS, op.cit, P : 101.

وإهتمامهم الأكبر في تلك الفترة هو تحقيق إستقلال البلد، وإعادة بناء الدولة التونسية التي سوف تكون وسيلة إنبعاث البلد ⁽¹⁾.

ومن العوامل أيضا التي أثرت على النشاط النقابي في تونس هو الصراع الإيديولوجي بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي لبسط نفوذهما على منطقة المغرب العربي، مما كانت له تأثيرات فكرية على الرأي العام عموما والحركة الوطنية خصوصا بجميع مكوناتها الحزبية والنقابية، ولذا نجد من القواسم المشتركة التي تربط بين " فرحات حشاد " و " حبيب بورقيبة " و " صالح بن يوسف " رفضهم التبعية والولاء للاتحاد السوفياتي وهو ما يعاب عليه شيوعيو تونس إضافة لتبعيةهم وولائهم للشيوعيين الفرنسيين الراضين لفكرة إستقلال تونس، فقد جاء في لائحة الحزب الاشتراكي التونسي إثر مؤتمره المنعقد في تونس ديسمبر 1949م ومعلنا عن موقفه: " بأن لتونس مكانتها البارزة، بصفتها دولة مشاركة تتجّه عبر مراحل سريعة نحو الاستقلال داخل التجمع المشكل حول فرنسا " ⁽²⁾.

وفي قضية الإيديولوجية نجد إختلاف جوهري بين " فرحات حشاد " و " حبيب بورقيبة " فالأول متأثر بالمشاكل الإجتماعية للعمال وتحسين أوضاعهم المادية مما يضعه دائما في مواجهة أرباب العمل التونسيين، أما الثاني فيرفض هذا الطرح، وبالتالي المواجهة بين التونسيين، هذا الإختلاف برز خصوصا عند قيام الاتحاد العام التونسي للشغل بإضرابات عمالية بسبب الاستغلال الفاحش لها من طرف بعض أرباب العمل التونسيين، لكن تلك الإضرابات عرفت تراجعا تحت الضغط المزدوج لأرباب العمل والذين هم في الوقت نفسه ممولي الحركة الوطنية خصوصا الحزب الدستوري الجديد والمناضلين الليبراليين داخل تلك الأحزاب ومنهم على الخصوص " حبيب بورقيبة " ⁽³⁾.

¹ – Noura BORSALI, « **Livre D'entretiens avec Ahmed ben Salah** », Tunis, 2008, P : 29.

² – Julien Charles ANDRE, op.cit, P : 167.

³ – Julliette BESSIS, op.cit, P : 102.

الإختلاف الفكري والإيديولوجي إنتقل إلى الساحة الدوليّة، وإبرازا لموقفه قرّر "فرحات حشاد" و "الاتحاد العام التونسي للشغل" الإنسحاب من الجامعة النقابية العالمية (F.S.M) المرتبطة بالكتلة الشرقية والانضمام إلى الكونفدرالية للنقابات الحرّة (C.I.S.L) الموالية للكتلة الغربية في ديسمبر 1949 والتي كان مقرها بروكسل عاصمة بلجيكا، وتم تعيين "أحمد بن صالح" عضوا فيها بإقتراح من "فرحات حشاد"، مما أكسب القضية التونسية دعما دوليا من أوروبا ثم الولايات المتحدة الأمريكية التي دُعِيَ لها فرحات حشاد للمشاركة في مؤتمر توحيد النقابات الأمريكية المنعقد في مدينة "سان فرانسيسكو" 1951م باعتباره عضوا في لجنة الوساطة، حيث ساهم في إنجاح المؤتمر وتوحيد النقابات، كما حضر هذا المؤتمر أيضا "حبيب بورقيبة" بدعوة من المنظمين (1).

هذا الاحتكاك بين النقابات الأمريكية والتونسية ومن ورائه الحركة الوطنية استغلته الولايات المتحدة الأمريكية لمحاولة التأثير عليها والتحكم فيها وتوجيهها من خلال تمويلها ماليا، فقد كلفت الإدارة الأمريكية في عهد "أيزنهاور"، وتوجيه مباشر من نائبه "ريتشارد نيكسون" الذي يعتبر من أشد أعداء الشيوعية، شخصا يدعى "إيروين براون Irwin Brown"، الذي اتخذ من عاصمة فرنسا باريس مقرا له والذي كان ينشط بتوجيه مباشر من وكالة الاستخبارات المركزية، كما كان عضوا في نقابة النسيج وفي الحزب الشيوعي الأمريكي وكان مجال نشاطه أوروبا وشامل إفريقيا، أما في تونس تحديدا فقد كان على إتصال مباشر مع بورقيبة خصوصا بعد أن أصبح هذا الأخير رئيسا لتونس وذلك دون أية وساطة (2).

وهذا يعتبر دليل إضافي على إستعمال المعسكرين الشيوعي والرأسمالي للحركات النقابية والمنظمات المختلفة وحتى الأحزاب السياسية كوسيلة صراع بينهما في إطار الحرب

¹ – Noura BORSALI, op.cit, P P : 20-21.

² – Kamel CHENOUFI et Gilles GALLO «La Tunisie en décolonisation 1957-1972» Edition du lau, Tunisie, 2003, P P : 23-24.

الباردة من خلال تمويلها سواء من الشرق أو الغرب، وضربها ببعضها البعض للتحكم فيها أكثر وتوجيهها.

ومن المؤكد أن "فرحات حشاد" كان مدرّكاً لخطورة الأمر ولإثبات إستراتيجيته إتجاه الكتلة الغربية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية فقد صرّح في مؤتمر سان فرانسيسكو، بعد أن أنشئ على دور الولايات المتحدة الأمريكية في القضاء على دكتاتوريات دول المحور بما يلي: ".... هذا لا يعني بأننا نفضل الرأسمالية على حساب الاشتراكية، ولكن نظراً لموقعنا الجغرافي فإننا نقع في المعسكر الغربي سواء أحببنا ذلك أم لا، ونعتقد بأن زعيم هذا المعسكر أي الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن يساعدنا في معركتنا من أجل إستقلال بلدنا الصغير تونس من خلال الضغط على فرنسا " (1).

لقد تحمل " فرحات حشاد " عبء المسؤولية خارجياً وداخلياً خصوصاً في الفترة الممتدة 1950م-1952م أين كان فيها " صالح بن يوسف " منتقلاً بين فرنسا والمشرق العربي، و"بورقيبة" معتقلاً ومنفيّاً، ويمكن القول أنه كان الزعيم الوحيد في هذه الفترة، ولملأ الفراغ السياسي على المستوى الشعبي بادر مع بداية 1950م إلى تأسيس جمعيات الدفاع عن الحريات الديمقراطية والتمثيل الشعبي وذلك على مستوى الأحياء سواء في المدن أو الأرياف والقرى، هذه اللجان ساهمت في إعطاء نشاط وحيوية للعمل السياسي (2).

هذا النشاط المكثف والقدرة على التعبئة الشعبية والتنظيم تعتبر من الأسباب التي دفعت بالإستعمار لتصفية " فرحات حشاد " جسدياً بإغتياله.

¹ – Juliette BESSIS, op.cit, P : 208.

² – Noura BORSALI, op.cit, P : 26.

11- مكانة ودور جامع الزيتونة والزيتونيين في مقاومة الاحتلال الفرنسي:

أردنا من خلال هذا العنصر إبراز دور جامع الزيتونة والزيتونيين كجزء من نضال الشعب التونسي وحركته الوطنية من أجل الاستقلال والتحرّر، ومن هنا سوف نركز على نضال ودور أساتذة وطلبة الزيتونة في الصراع الذي كان قائما مع سلطة الحماية خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية.

لقد حاولت سلطة الاحتلال الفرنسي لتونس وضع إطار قانوني يمكنها من التحكم في جامع الزيتونة أو على الأقل الحد من تأثيره، فتم وضع نص قانوني يتعلق بالوضع الجديد للزيتونة وتقديمه للباي للإمضاء عليه يوم 1 جوان 1947، ونصّت مادته الأولى على أن الزيتونة وفروعها في العاصمة وفي داخل البلاد أصبحت مؤسسة عمومية للحكومة تحضى بالشخصية المدنية بدءا بالسنة المالية 1948، وعلى هذا الأساس فإن ميزانية الجامع الأعظم تقدّم سنويا للمجلس الكبير من طرف الوزير الأكبر لحكومة الباي (1).

في 29 مارس 1948 قام طلبة الزيتونة وبتشجيع من أساتذتهم "فاضل بن عاشور" و"شاذلي بلقاضي" تحت غطاء تقديم مسرحية، بإجتماع شعبي خصّص للقضايا السياسية منها دعم الجامعة العربية والحديث عن عبد العزيز الثعالبي وعبد الحميد بن باديس- الذي كان من أساتذة الزيتونة - وهما المؤسسان الحقيقيان لهذا التنظيم (2).

لقد مثل جامع الزيتونة المنارة العلمية التي تؤكد إنتماء تونس للإرث الحضاري العربي الإسلامي، وبقي عليها تطوير مناهجها والانفتاح على العلوم الحديثة لمسايرة النظام التعليمي الفرنسي وإبراز قدرتها على المنافسة، وفعلا فقد أعلن الوزير الأول " محمد شنيق " في

¹ - مختار العياشي، " الزيتونة والزيتونيين في تاريخ تونس المعاصر (1883-1958) "، مركز النشر الجامعي، جامعة الزيتونة، تونس 2003، ص: 337.

² - Roger CASEMAJOR, L'Action, op.cit, P : 218.

أكتوبر 1950 بأن حكومته وافقت على إدراج العلوم الفيزيائية والطبيعية في مناهج التعليم وكذلك اللغة الإنجليزية والتي توجت في 11 نوفمبر 1950 بإنشاء الشعبة الزيتونية⁽¹⁾.

ويمكن إنجاز نشاط طلبة جامع الزيتونة قبل اندلاع الكفاح المسلح نهاية 1952م فيما يلي:

● - تأسيس لجنة صوت " الطالب الزيتوني " في 19 فيفري 1950م، والتي تقدّمت إلى سلطة الإحتلال بستة عشر (16) مطلباً.

● - إنشاء جريدة أسبوعية " الطالب الزيتوني " والتي إستمرت في الصدور سنة كاملة إبتداء من 1 سبتمبر 1950م.

● - تظاهر طلبة الزيتونة يوم 29 جانفي 1951م، واعتقال لجنة صوت الطالب الزيتوني - رغم لقائهم بالوزير الأول محمد شنيق في 5 سبتمبر 1950م - ولم يطلق سراحهم إلا يوم 31 جانفي 1951م.

● - مظاهرة ساحة القصبة بقيادة صوت الطالب الزيتوني يوم 2 أكتوبر 1950م، وكانت أولى مظاهرة تنظم ضدّ حكومة "محمد شنيق"، ثم تلتها مظاهرة ثانية في 10 أكتوبر 1950م⁽²⁾.

كما شهدت أغلب الثانويات في تونس مظاهرات داخل ساحاتها، والقيام بما عرف بإضراب السكوت داخل الأقسام بمشاركة أساتذة فرنسيين، والتي أطلق عليهم إسم الأقسام الميتة ليتحول إلى إضراب عن الدراسة من بداية حتى نهاية 1952 م⁽³⁾.

مع الإشارة إلى أن مجموعة كبيرة من الطلبة التونسيين إلتحقوا بصفوف المقاومة المسلحة بعد إندلاعها.

¹ - مختار العياشي، نفس المرجع، ص ص: 341-342.

² - محمد قريمان، " إنطباعات شاهد عيان على منظومة التعليم الزيتوني بعد الحرب العالمية الثانية "، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 150، سنة 2013، منشورات مؤسسة التميمي، تونس، ص: 291.

³ - Mohamed CHARFI, « Mon combat pour la lumière » édition, Zellige, Paris, 2009, P : 37.

الفصل الأول

تطور القضية التونسية 1951 – 1954

1- تشكيل حكومة محمد شنيق ورفع مطلب الحكم الذاتي 1951.

في 12 أبريل 1950 توجه بورقيبة إلى فرنسا لكسب أنصار داخل اليسار الفرنسي وعرض مشروعا إصلاحيا من 7 نقاط، يمكن تلخيصه في إنتخاب مجلس وطني بإقتراع عام، تكون مهامه إعداد دستور ديمقراطي يضبط العلاقات بين تونس وفرنسا على أساس إحترام السيادة التونسية ومصالح فرنسا المشروعة، كان لهذه المطالب صدى إيجابي في أوساط الحزب الاشتراكي الفرنسي، والحركة الجمهورية الشعبية، وكذا شخصيات مناهضة للاستعمار مثل المؤرخ " شارل أندري جوليان "، والصحفي الحرّ " جون روس Jean ROUS ⁽¹⁾.

شكل هذا تراجعاً عن الموقف الذي اتخذته ممثلوا الحركة الوطنية في مؤتمر ليلة القدر حيث طالبوا فيه بالاستقلال، وإستطاع بورقيبة أن يفرض أسلوبه بالتفاوض على مراحل أو ما يعرف بسياسة خطوة خطوة.

أبرز ما يلاحظ من جانب فرنسا إنعدام الرؤية السياسية الواضحة فيما يمكن القيام به في تونس، وهذا ما دفع " لمين باي " إلى مراسلة رئيس الجمهورية الفرنسية في 11 أبريل 1950 قائلا : " يجب علينا التحوّف من مظاهر نفاذ صبر الشعب التونسي وقد يؤدي ذلك لما نسعى لتفاديه " ⁽²⁾. ولإبراز التخبّط الفرنسي نشير لتصريح وزير الخارجية " روبرت شومان " في 10 جوان 1950 في مدينة Thion Ville، في حفل تنصيب المقيم العام لويس بريلي Louis Perillier خلفا لجون مونص Jean Mons بما يلي: " أن مهمّة

¹ - محمد لطفي الشابي، " الحزب الحرّ الدستوري التونسي (1920-1934)، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، تونس عبر التاريخ "، الجزء الثالث، تونس، 2006، ص: 123.

² - Charles André Julien, « L'Afrique du Nord en Marche, Algérie, Tunisie, Maroc 1880-1952 » Omni Bus, France, 2002, P : 166.

المقيم العام الجديد في تونس هي قيادة البلاد التونسية نحو الاستقلال، والذي تمثل الهدف النهائي بالنسبة لكل الأقاليم داخل الاتحاد الفرنسي " (1).

لكنه سرعان ما تراجع عن مواقفه تحت ضغط المستوطنين الفرنسيين في تونس وحلفائهم في فرنسا والجزائر، موضحا أنه كان يقصد الحكم الذاتي، وحتى هذا الأخير رفض من طرف هؤلاء المستوطنين، هذا التطرف الاستعماري يجد منابعه في أوساط اليمين واليمين المتطرف، وهو يمثل قلعة المستوطنين المدافعين عن الوجود الاستعماري، وهذا من خلال التأثير الكبير الذي يمارسونه على البرلمان، والمدعم لأغلب حكومات الجمهورية، كما أن أكثر الأحزاب تجذرا في المستعمرات هو الحزب الراديكالي، والراديكالي الاشتراكي، رغم تصنيفه من اليسار الوسط بسبب تحالفاته أحيانا مع اليمين وأحيانا مع اليسار، فتلك الأحزاب أعطت للاستعمار أهم إطاراته السياسية، فأكبر المستوطنين وأكثرهم تمردا في الجزائر مثل "بورجو Borgeaud" و "بلاشت Blachette"، و ناطقهم الرسمي "روني ماير René Mayer"، يسيطرون على جهاز الحزب الراديكالي، ومع إنتمائه للجهة الشعبية فهو يبقى على ارتباطه الوثيق مع فرنسا مما يمكنه من التأثير على حكومات الجهة الشعبية المتعاقبة قبل وبعد الحرب العالمية الثانية وهو الذي يحدّد سياساتها في المستعمرات بما فيها تونس من خلال مشروع "الاتحاد الفرنسي" (2). وفي هذا المجال جاءت مبادرة العضو في البرلمان الفرنسي ممثلا عن الجزائر وهو من أشد المتطرفين ويدعى "كويليسي Quilici" مصرّحا: "أنه لم يبق لنا إلى الإتصال بأصدقائنا في الجزائر والمغرب وتونس لخلق حركة واسعة، بإنشاء "فيدرالية فرنسي شمال إفريقيا"، وذلك لمقاومة "روبرت شومان Robert Schuman" وإصلاحاته التي يريد فرضها علينا" (3).

¹ – Charles André Julien ; l'Afrique... op.cit., P : 174.

² – Juliette BESSIS, « **Maghreb la traverse du siècle** » L'Harmattan, France, 1997, PP : 97-98.

³ – Charles André Julien ; l'Afrique... op.cit., P : 222.

إن فكرة الخلط والدمج بين مصالح فرنسا، وإمّيازات فرنسي ما وراء البحار يمثل
الحجّة الدائمة للمستوطنين الرافضين لفكرة الانفصال والاستقلال⁽¹⁾.

جاء تشكيل حكومة " محمد شنيق " M'hamed Chenik في 17 أوت 1950م
لمساعدة " لمين باي "، وكان من بين أعضائها " صالح بن يوسف " وزيرا للعدل،
و " محمود الماطري " وزيرا للداخلية، و " طاهر بن عمار " رئيس شعبة تونس في المجلس
الأعلى⁽²⁾.

ليتوجه على إثرها وفد من الحكومة المشكلة برئاسة " محمد شنيق " إلى فرنسا في 31
أكتوبر 1951 لإجراء مفاوضات حول مجموعة مطالب سلّمت لوزير الخارجية الفرنسي
روبيرت شومان Robert Schuman " وتضمنت ما يلي:

- إقامة حكومة متجانسة - إنشاء برلمان تمثيلي تونسي - إصلاح الوظيفة العمومية.

هذه المطالب عارضها المقيم العام والأعضاء الفرنسيون في المجلس الأعلى،
مؤكدین على ضرورة إستمرار هذا الأخير في مهامه، حتى تطبيق النظام الجديد مع
المحافظة على تمثيل الجالية الفرنسية فيه، أما الأعضاء التونسيون فطالبوا بتعويض المجلس
الأعلى بجمعية برلمانية متجانسة⁽³⁾. هذه المحاولة للخروج من نظام الحماية نحو
الاستقلال الداخلي لقي موافقة كل من " حبيب بورقيبة " و " الصالح بن يوسف " الأمين
العام للحزب الدستوري الجديد، ووزير العدل في الحكومة المشكلة.

¹ - Charles André Julien, op.cit, PP : 222-223.

² - Anissa AL MATERI HACHED, op.cit, PP : 219-220.

³ - Khalifa CHATER, « **Tahar BEN AMMAR 1889- 1985** » édition NIRVANA, Tunis, 2010, P :
136

وكرّد فعل على تردّد الحكومة الفرنسية قرّرت الأحزاب الوطنية تنظيم إضراب عام في 29 نوفمبر 1951م، عارضه الحزب الدستوري القديم والشيوعيين بحجّة أنه لا يطالب بالاستقلال، وإنما بإصلاحات بسيطة في إطار الحماية⁽¹⁾.

2- رد فعل الحكومة الفرنسية وخضوعه لضغط المستوطنين في الجزائر وتونس.

بعد تردّد و ماطلة من جانب الحكومة الفرنسية في الردّ على مذكرة " محمد شنيق "، يتقدم وزير خارجيتها " روبرت شومان Robert Schuman " بإقتراح صاغته لجنة من مجلس الوزراء- تمثل تراجعاً عن وعود سابقة- سلّم لحكومة " شنيق " و " للباي " في شكل مراسلة رسمية لإعطائها الصبغة القانونية وذلك في 15 ديسمبر 1951 حيث تضمنت رفضاً قاطعاً لحق التونسيين في ممارسة سيادتهم، مع إجبارهم على قبول وتطبيق مبدأ السيادة المشتركة مع الفرنسيين، وبذلك غلق باب التوافق بين الطرفين⁽²⁾.

على أن ردّ الفعل الأعنف على مراسلة 15 ديسمبر جاء من المتطرفين الفرنسيين وحلفائهم داخل الحكومة الذين طالبوا بإشراك المستوطنين في تونس في تسيير مؤسسات البلد، مع التأكيد على أن العلاقات بين الجمهورية ومحميتها لا يمكن تأسيسها إلا على الإعراف بالروابط التي تجمعهما، وهذا يعني تطبيق السيادة المشتركة CO. Souveraineté.

وهي نفس المحاولة التي قام بها الجنرال " جوان " Juin⁽³⁾ في المغرب الأقصى في فيفري 1951م، محاولاً إجراء إنتخابات بلدية يكون فيها للفرنسيين أغلبية المقاعد لتعويض النقص العددي لهم في الواقع، هذا التجانس في تسيير قضيتي تونس والمغرب من طرف فرنسا سيتواصل حتى حصولهما على الاستقلال.

¹ - Khalifa CHATER, Op.cit, P : 136.

² - Hedi BACOUCE, « **La Nation Tunisienne d hier a aujourd'hui** » C.P.U, Tunis, 2007, P : 63.

³ - جوان ألفونس JUIN Alphonse: ولد ب عنابة الجزائر 1888 توفي في باريس 1967، مارشال، شارك في عملية احتلال المغرب، وقمع مقاومة الريف تولى منصب حاكم عام في المغرب (1947-1951) من دعاة الجزائر الفرنسية.
- Voir Michel MOURRE, op.cit., P : 625.

إن المتطرفين الفرنسيين الذين ضغطوا على حكومتهم إستطاعوا إلغاء كلمة " السيادة الداخلية "، التي حذفت من مراسلة 15 ديسمبر، وهو ما أدى إلى فقدان الثقة، وتبيّن للحكومة التونسية أنها خُدعت من طرف حكومة فرنسية تبنت نظريات أقلية مستوطنة، وقفت في وجه طموحات شعب وممثليه، وكانت سببا في تسميم العلاقات بين الطرفين وساهمت في دفع الشعب التونسي لتبني الكفاح المسلح.

وهو ما دفع ببورقية إلى القول: " إن جواب الحكومة الفرنسية قد وضع حدا نهائيا للتجربة التونسية الساعية إلى التوفيق بين طموحات الشعب التونسي نحو الاستقلال والمصالح العامة لفرنسا في كنف السلم والصدقة بين الطرفين " (1).

3-أوضاع تونس الاقتصادية والاجتماعية في تلك الفترة

كما أن هناك العامل الاقتصادي الذي عجل بالقطيعة بين الطرفين، فحسب وثيقة جديدة من أرشيف أحمد بن صالح⁽²⁾ تشير في هذا المجال أنه بعد فرض فرنسا للانتخابات البلدية، وإنهاء هيئة الأمم من بحث القضية التونسية، كان الفرنسيون يأملون أن يساعد ذلك الهدوء على الإنتعاش الاقتصادي، وانتقلت عدّة وفود تجارية إلى فرنسا لجلب البضائع وعقد الصفقات، وأخذت صحف المستوطنين مثل " لا بريس La Presse " و " تونيزي فرانس Tunis France " تبشر قرائها بقرّب عودة النشاط التجاري.

لكن آمالهم خابت بعودة نشاط المقاومة التونسية، وظلّت المقاطعة الاقتصادية للبضائع الفرنسية قائمة مما تسبّب في تزايد إعلانات الإفلاس بين التجار الفرنسيين كل يوم، كما أن الأزمة التي يعانيها الاقتصاد الفرنسي في تونس لم يسبق لها مثيل في تاريخ

¹ - Charles André Julien , op.cit, P : 190.

² - التميمي عبد الجليل، " بعض الوثائق الجديدة من أرشيف الأستاذ أحمد بن صالح "، المجلة التاريخية المغاربية، السنة 42، العدد 160، جويلية 2015، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ص ص: 360-361.

الاستعمار، وقد نشطت حركة بيع الأراضي بين المعمرين الفرنسيين، الذين لجؤوا إلى الإنتقام، فأخذت عصاباتهم السرية تهاجم الشركات الاقتصادية التونسية الناجحة وتقوم بنسفها وتدميرها بالمتفجرات، ومن أمثلة ذلك تخريب شركة السياحة التونسية للمرة الثانية، ومصنع الحلوى للحاج " عباد ربانة "، و الشركة الفرنسية التونسية للبنوك والقروض، التي يشتغل فيها " علي بن يوسف " - شقيق الزعيم صالح بن يوسف - حيث يتولى منصبا هاما، وكل هذه الشركات تتعاون مع التونسيين بإخلاص.

ويقاسي الشعب التونسي آلاما شديدة من جراء الأزمة الاقتصادية التي سببتها الأزمة السياسية، وزاد من وطأتها شدة القحط في الوسط والجنوب، لكن الشعب يتحمل تلك الشدائد بصبر جميل ⁽¹⁾ عاملا بقوله تعالى: " فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ " .

هذا الوضع الاقتصادي نبّه لخطورته المؤرخ شارل أندري جوليان عندما أكد منذ 1952، "أنه لم يعد بمقدور فرنسا إحتكار رؤوس الأموال في تونس، مع بروز مصادر خارجية له خصوصا من جانب الولايات المتحدة الأمريكية ليصل إلى الاستنتاج التالي أنه لم يعد بالإمكان التعايش بين الاستقلال الداخلي والحماية" ⁽²⁾.

4- الموقف الأمريكي من القضية التونسية:

لم تعد فرنسا اللاعب الرئيسي في قضية إستقلال تونس، أصبح من الواضح أنها لن تستطيع الصمود أمام الضغوطات الخارجية خصوصا الأمريكية لصالح ذلك الاستقلال، موازاة مع ضربات وضغوطات المقاومة المسلّحة، إنّ الوضع الاقتصادي زاد سوءا مع مرور

¹ - Abdeljelil TEMMIMI, Cinq nouveau document du fonds personnel de Ahmed BEN SALAH, in revue d'histoire maghrébine, n° 159, 42 année, publication la fondation TEMMIMI, Tunis 2015, PP : 360- 361.

² - Charles André Julien, op.cit, P : 190.

الوقت فقد صرّح المقيم العام الجنرال "دولاتور De La Tour" في فيفري 1955م قائلاً: " إن الاقتصاد التونسي على حافة الهاوية والمجاعة على أبوابنا، يومياً تقوم مجموعات من الأشخاص بالسطو على المخازن والاستيلاء على الخبز في تونس، صفاقس، باجة....هناك يومياً مظاهرات للبطالين مطالبين بالعمل " (1).

لكنه لا يذكر من المسؤول الذي أوصل تونس إلى هذا الوضع الكارثي وهذا هو صلب المشكل.

وبالرجوع للاهتمام الأمريكي بالمغرب العربي فهو مرتبط على الخصوص بالموقع الاستراتيجي لهذا الأخير الذي يقع على طول إمتداد الطرق البحرية للولايات المتحدة الأمريكية عبر المحيط الأطلسي ثم البحر المتوسط والشرق الأوسط، وازدادت تلك الأهمية أثناء الحرب العالمية الثانية مع نزول الحلفاء في الجزائر في 8 نوفمبر 1942، ثم تونس وتأثير ذلك في إنتصارهم في الحرب وتضاعفت الاهتمامات الأمريكية بالمنطقة بسبب منافعها الاقتصادية حيث أشارت جريدة " نيويورك هيرالد تريبيون " الأمريكية: " أن لشمال إفريقيا أهمية عظيمة جداً بالنسبة للكتلة الغربية نظراً لوفرة اليد العاملة فيه، وما تحوي عليه أرضه من مواد أولية ذات قيمة حربية، وما فيه من مطارات عظيمة تستطيع طائراتنا إنطلاقاً منها من الوصول إلى كل جهات أوروبا وخاصة حقول آبار النفط في باكو بالبلاد الروسية " (2).

فتواجد الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة يهدف من جهة إلى حماية مصالحهم الحيوية، كما يحدّد في الوقت نفسه علاقتهم مع كل من فرنسا بتقديم النصح لها وطمأنتها بأنها لا تسعى إلى تفكيك إمبراطوريتها الاستعمارية بل بالعكس فهي تسعى لحمايتها، ولن يتحقق ذلك إلا بقبول فرنسا فكرة إشراك شعوب المغرب العربي في تسيير شؤونها الداخلية من خلال مبدأ الشراكة، وأن هدف الجميع هو التصدي للخطر الشيوعي في المنطقة.

¹ -ALGER Républicaine, Vendredi 18 Février 1955.

² - " البصائر " العدد 312 ليوم 1 أفريل 1955.

وكدليل على حسن نية أمريكا سوف تقوم بالضغط على الزعماء الوطنيين لإجبارهم على قبول فكرة الشراكة التي سوف تقود إلى الحكم الذاتي في آجال محدّدة وتخليهم على مطلب الاستقلال التام.

هذا الموقف الأمريكي من قضيتي تونس والمغرب، والذي يتميز بالمناورة وإمساك العصا من الوسط يلخّصه تصريح المندوب الأمريكي " بيرواد Byrood " أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في 30 أكتوبر 1952م قائلا: " ... من مصلحتنا العليا أن نرى فرنسا قويّة.... كما أن موقفنا ثابت في دعم حق الشعوب في تقرير مصيرها... كما أننا ننقهم رغبة تقرير المصير لدى المغاربة والتونسيين، إن مصلحتنا العليا لا يمكن الحفاظ عليها إلا بالتفاهم المقبول بين فرنسا ودول شمال إفريقيا "(1).

مع ضرورة التذكير بأن كفة التأييد تميل لصالح فرنسا بدعمها في الأمم المتحدة ومنع تسجيل قضيتي تونس والمغرب للنقاش، بل تعداه إلى أخطر من ذلك من خلال تأييد قرار السلطات الاستعمارية بعزل سلطان المغرب "محمد الخامس" في 20 أوت 1953م، من خلال مراسلة رسمية من كتابة الدولة للشؤون الخارجية الأمريكية موجه للسلطات الفرنسية في 25 أوت 1953م، وهذا رغم تحذيرات الأمم المتحدة للقرار الفرنسي (2).

هذا الموقف الأمريكي يتناقض مع محتوى المراسلة من جهاز الإعلام الفرنسي في الولايات المتحدة الأمريكية، والموجّه للإقامة العامة الفرنسية في المغرب في 16 فيفري 1953 بخصوص الدعاية المغربية ضد السياسة الاستعمارية داخل الولايات المتحدة الأمريكية والتي ساهمت في أن غالبية الرأي العام الأمريكي يساند مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها وذلك بتأثير من وسائل إعلام أمريكية متخصصة في الشؤون المغربية، وكذلك تقارير الدبلوماسيين، والمراسلين الصحافيين الأمريكيين، يضاف لها نشاط حزب

¹ – Juliette BESSIS , « **Maghreb question.....** » op.cit, PP : 205-209.

² – Ibid, P : 209.

الاستقلال الذي أصبح يملك مكتبا في واشنطن، مع غياب كلي لوكالة الأنباء الفرنسية A.F.P في الولايات المتحدة الأمريكية، وإن وصلت تقاريرها تكون متأخرة ولا تفيد في شيء مما ساهم في تثبيت وتدعيم هذا الموقف المؤيد لحركات التحرر لدى الرأي العام الأمريكي⁽¹⁾.

هذه المراسلة تثبت نفاق وأكاذيب المواقف الرسمية الأمريكية اتجاه شعوب وحركات التحرر في المغرب العربي، أكثر من هذا فالسلطات الأمريكية تخفي على رأيها العام أسباب وأهداف التوسع الاستراتيجي الأمريكي ومصالحها الاقتصادية في المنطقة من خلال تحليل نشاطات مراكز الإعلام الأمريكية، التي لا يمكن كشفها للرأي العام الذي يرفضها ويعاديتها، وللحفاظ على تعاطفه تحاول السلطات الأمريكية - ولو ظاهريا - إيهام رأيها العام بأنها تسايره في معاداته للاستعمار.⁽²⁾ لكنها في الحقيقة تمثل سنده الرئيسي كما سبق ذكره.

وما يؤكد هذه الازدواجية في الموقف الأمريكي تعارض تصريحات المسؤولين الأمريكيين فعل سبيل المثال ومباشرة مع إستقلال كل من المغرب وتونس في 2 ثم 20 مارس 1956 صرّح سفير أمريكا السيد " دوغلاس Douglas " أثناء مأدبة أقامها الصحفيون على شرفه في باريس، بما ملخصه: " إن أمريكا قد ارتاحت كثيرا لحل قضيتي المغرب وتونس، وهي تتمنى الآن أن تهتدي فرنسا إلى حل آخر لقضية الجزائر، يقوم على التفاهم الحر، وأنها مستعدة لمّد يد المساعدة التامة لها على إيجاد هذا الحل " ⁽³⁾.

أما التصريح الثاني فهو للرئيس " أيزنهاور " في البيت الأبيض وقد جاء عقب التصريح السابق بقليل، ونشرته بعض الجرائد تحت عنوان: " تصريحان متعارضان "، ومما ورد فيه : "أن الرئيس الأمريكي يعرض على فرنسا وساطة بينها وبين الجزائريين لإيجاد حل

¹ - Abdeljelil TEMMIMI, « Cinq nouveaux document » op.cit, P : 296.

² - Ibid, P : 297.

³ - البصائر، العدد 360 ليوم 30 مارس 1956.

للمشكل الفرنسي الجزائري، على قاعدة إرضاء رغبات الشعب الجزائري المشروعة"، وهذه العبارات قد خلا تصريح السفير منها (1).

وبالعودة إلى مراسلة جهاز الإعلام الفرنسي في أمريكا الذي يشير فيه إلى نقطة هامة في شكل توصية للسلطات الاستعمارية بضرورة قيامها بحملة توعية وتعليم التربية المدنية والتقنية للطبقات الشعبية في البلدان المستعمرة تُتبع بإنجازات إقتصادية وإجتماعية لصالح تلك الفئات، ومن هنا تبرز أهمية النشاط النقابي، مع ضرورة فتح باب نقاش حولها، مع شرح أسباب تحفظاتنا، وإقتراح مشاريع تنظيم وتعليم العمال سوف تمثل دعاية جيدة وذكية من جانبنا، مع التنبيه أن الفيدرالية الأمريكية للشغل American Fédération of Labour هي التي وجهت الدعوة لبورقيبة- وفرحات حشاد- بالمجيء إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهي التي ساعدت الوطنيين المغاربة في فتح مكتب الإعلام لحزب الاستقلال (2).

وكمحاولة لإغراء الأمريكيين يقترح أصحاب الوثيقة على السلطات الفرنسية إعلان رغبتها في خلق شروط تفاهم إقتصادي مع الولايات الأمريكية من أجل تطوير ثروات المغرب العربي، وأخذ المبادرة في هذا المجال سيعطي للطرف الفرنسي الأفضلية أثناء المحادثات، وسوف يساهم في إبعاد الاهتمام الأمريكي بالحركات الوطنية (3).

أما بالنسبة لتونس فلم تعد فرنسا اللاعب الرئيسي بالنسبة لاستقلال هذا البلد، وأنها لن تستطيع الصمود أمام الضغوطات الخارجية لصالح ذلك الاستقلال، وهذا ما دفع بالدعاية الاستعمارية إلى محاولة إصاق تهمة عملاء موسكو بالوطنيين التونسيين وإستغله هؤلاء للضغط على الولايات المتحدة الأمريكية لاتخاذ موقف مساند للقضية التونسية أو تهديدها بالإرتقاء في أحضان الاتحاد السوفياتي في حال تخلي الولايات المتحدة الأمريكية عنهم،

¹ - "البصائر"، العدد، 360.

² - Abdeljelil TEMMIMI, « Cinq nouveaux document » op.cit, P : 298.

³ - Ibid,

وهو ما يؤكد تصريح الأمين العام للحزب الدستوري " صالح بن يوسف " منذ جانفي 1948 قائلا: " بأن خيبة التونسيين اتجاه الولايات المتحدة الأمريكية تدفعهم للنظر في إتجاه الاتحاد السوفياتي " ليُزِيد عليه بورقيبة بعد عودته من القاهرة قائلا: " بأن المطلب الأول الاستقلال الداخلي، وفي حالة رفض فرنسا سيكون اللجوء إلى الأمم المتحدة، وفي حالة فشل هذا المسعى، اللجوء إلى الكفاح المسلح مثل الهند الصينية " (1).

لم يكن من أولويات بورقيبة تبني الكفاح المسلح، أو حتى اللعب على وتر الحرب الباردة من خلال التقارب مع الاتحاد السوفياتي فقد صرّح أثناء زيارة له "لندن" سنة 1951 قائلا: "إن ظاهرة محاربة الاستعمار مرتبطة بالحرب الباردة وهذا حسب إختياراتنا والطرق المستعملة سواء من طرف الاستعمار، أو من طرف من يسعون للاستقلال، وقد يؤدي ذلك إما لنفخ نار الحرب الباردة أو إخمادها " (2).

هذا التصريح من "بورقيبة" يمثل رسالة للسلطات الفرنسية بأنه متمسك بلغة الحوار والتفاوض معها، وأنه لا يساير بقية حركات التحرّر التي تبنت الكفاح المسلح كأسلوب لتحقيق استقلالها بدعم من الاتحاد السوفياتي والذي يقابله دعم أمريكي لحفائها بريطانيا وفرنسا، مما ساهم في اشتداد المواجهة بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي، وهو ما يسعى لتفاديه.

مع الإشارة إلى نقطة هامة تخص موقف الاتحاد السوفياتي من حركات التحرّر في المغرب العربي عموما، فقد كان هذا الأخير متأثرا إلى حدّ بعيد بتوجهات الحزب الشيوعي الفرنسي، والتي بدورها تتطابق مع مواقف الحكومة الفرنسية، ومن العوامل التي جعلت الاتحاد السوفياتي لا يولي إهتماما لها ما يلي:

¹ – Juliette BESSIS, « **Maghreb question.....** » op.cit, P : 206

² – Abdelwahed HACHICHI, op.cit, P : 29.

- إن أولوية الاتحاد السوفياتي كانت منصبة على تطوّر الأوضاع في أوروبا خصوصا مشروعه في تثبيت وجوده بشرق أوروبا وإتمام إنشاء المعسكر الشيوعي.

- كان السوفيّات ينظرون إلى فرنسا كحليف محتمل أو على الأقل كصديق لتطابق أهدافهما فيما يخص قضية ألمانيا والتواجد الأمريكي في أوروبا.

- إنشغال الاتحاد السوفياتي أكثر بمنع أن تأخذ أمريكا مكان فرنسا في المغرب العربي من إهتمامه بنهاية الاستعمار في المنطقة هذه النقطة الأخيرة هي التي تفسّر الدور الكبير للولايات المتحدة على حساب الاتحاد السوفياتي في شمال إفريقيا⁽¹⁾.

ومن هنا نستنتج أن حركات التحرّر في المغرب العربي عموما وتونس على الخصوص سعت للاعتماد على نفسها واستغلال ظروفها المحلية والإقليمية لتحقيق أهدافها الوطنية وفي مقدمتها الاستقلال والتحرر.

5- تدويل القضية التونسية في الأمم المتحدة 1952:

بدأت المعركة الدبلوماسية على مستوى الأمم المتحدة بعد إنقطاع المفاوضات مع فرنسا، بتقديم شكوى من حكومة "محمد شنيق" يوم 14 جانفي 1952م، قام بنقلها "صالح بن يوسف"، و"محمد بدرة" لتقديدها للأمين العام للأمم المتحدة، وهذا بدعم من المجموعة الأفرو آسيوية، وقد حاول الأمين العام للأمم المتحدة النرويجي تريف هالفدان Trygve Halvdan، تفادي الوفد التونسي الحامل للعريضة، لكن هذا الأخير تمكن من إيصالها إلى مكتب نائبه الأمريكي "أندري كوردي Andrew w. Cordier"⁽²⁾.

¹ - Abdelwaheb HACHICHI, op.cit., PP : 41-42.

² - Habib Bourguiba Jr, « **Notre Histoire, entretiens avec Mohamed KERROU** » Cérès éditions, Tunisie, 2013, P :117

من جهتها سعت فرنسا بكل قواها لمنع مناقشة القضية التونسية في الأمم المتحدة، خصوصا مع إحتمال فوز الديمقراطيين في الانتخابات الرئاسية الأمريكية وإمكانية تبنّيهم لموقف مدعم للتونسيين.⁽¹⁾ لتستمر المعركة الدبلوماسية في أروقة الأمم المتحدة في نيويورك وقد لخصها الوزير التونسي " محمد بدرة " عضو الوفد التونسي لدى الأمم المتحدة العائد من نيويورك في تقريره الموجه للحكومة التونسية من القاهرة، وقد تناولت مراحل تدويل القضية التونسية في هيئة الأمم ومعارضة فرنسا وحلفائها لهذا المسعى وأهم ما جاء في تقرير وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية لشرح موقف بلده في معارضتها إدراج القضية التونسية في جدول الأعمال، بأن حكومته تأمل أن تغير فرنسا من سياستها في تونس وأن تستأنف المفاوضات، وأنها لن تقف مستقبلا موقفا يتعارض مع مبادئ ميثاق الأمم المتحدة .

كما أشار التقرير لإرسال فرنسا لوزير خارجيتها ليعترض على إختصاص الهيئة ومُتَحَجِّجا بأن المعاهدات بين البلدان لا تبيح أي تدخل خارجي⁽²⁾.

ليتم تسجيل القضية التونسية في جدول الأعمال رغم معارضة الدول الاستعمارية والولايات المتحدة الأمريكية، لتبدأ بعدها المعركة الثانية معركة إختصاص الهيئة للنظر في القضية التونسية، لتصادق الجمعية العامة على تمرير إقتراح ممثل " البرازيل " والذي تدعمه الكتلة الآفرو آسيوية والذي يدعو الطرفين الفرنسي والتونسي للحوار والتفاوض بدل المقترح العربي الآسيوي والذي يطالب بمنح تونس إستقلالها، وخلص التقرير إلى توجيه الشكر

¹ - من أغرب التناقضات في أروقة الأمم المتحدة المنعقدة في قصر " شايلو " Chaillot في باريس، ضغطت فرنسا على الوفد الإسرائيلي ممثلا: Ebba Eban و Moshé Sharett لمنعه من التصويت لصالح الوفد العربي- لكسب وُدْهم وتقبل اعترافهم بإسرائيل- بينما في المقابل وقفت سوريا على الحياد أثناء التصويت حفاظا على علاقاتها الحسنة مع فرنسا. Juliette BESSIS, op.cit, P : 208.

² - عبد الجليل التميمي ، " بعض الوثائق الجديدة....."، المصدر السابق، ص: 351.

والامتحان للمجموعة الآفرو آسيوية على مساندتها ودعمها للقضية التونسية خصوصا من جانب الهند والباكستان إثر قمة رانقون Rangon في جانفي 1952م.⁽¹⁾

لتنظم دول أمريكا اللاتينية لصف المساندين لقضية تونس حيث إستطاعت تمرير لائحة على مستوى اللجنة السياسية للجمعية العامة للأمم المتحدة في 17 ديسمبر 1952م والتي نصت على ما يلي: "....تعتبر المجموعة عن الأمل في أن يستأنف الطرفان التونسي والفرنسي دون تأخير المفاوضات التي سوف تسمح للتونسيين بالحق في إدارة شؤونهم " ⁽²⁾.

في مارس 1953م قامت 14 دولة إفريقية وآسيوية برفع القضية التونسية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة، وترأس الوفد وزير الخارجية العراقي محمد فاضل الجمالي ⁽³⁾ فقام بضم مناضلين تونسيين للوفد وهو ما أغضب فرنسا فراسلت الحكومة العراقية مطالبات منها إبعاد العناصر التونسية، فقام رئيس الحكومة العراقية بمراسلة وزير خارجيته لتحقيق رغبة فرنسا فجاء ردّ فعل هذا الأخير بأنه يفضل الاستقالة على الخضوع لهذا الأمر، لأنه يرفض المشاركة في حكومة تقبل أن تكون في صف حكومة إستعمارية ⁽⁴⁾.

وفي وثيقة نقلتها وكالة الأنباء الفرنسية تناولت فيها الموقف التركي إتجاه القضية التونسية أثناء مناقشة الأمم المتحدة لها، من خلال خطاب وزير خارجيتها " فؤاد كوبرولو Fouad Ken Prulu أمام البرلمان التركي أثناء مناقشة ميزانية قطاعه، وقد كتب التقرير الصحفي في وكالة الأنباء الفرنسية A.F.P " أندري كلو "André Clot" وهذا نص الخطاب:

¹ - عبد الجليل التميمي، " بعض الوثائق الجديدة....."، المصدر السابق، ص: 352.

² - Charles André Julien, op.cit, PP : 233-234.

³ - تولى محمد فاضل الجمالي منصب رئيس البرلمان العراقي مرتين، وكذلك منصب رئيس مجلس الوزراء، كما كان من بين الشخصيات التي أمضت على الميثاق المؤسس للأمم المتحدة في 24 أكتوبر 1945 في سان فرانسيسكو، كان صديقا لبورقيبة، ترك العراق بعد ثورة 1958م، وانتقل إلى تونس حيث تولى منصب أستاذ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في تونس.

أنظر: Amor CHADLI ; Bourguiba tel que je l'ai connu, Berg international éditions, Paris, France, 2013, P : 65.

⁴ - Amor CHADLI ; op.cit., P : 65.

" إن موقف بلدنا واضح بالنسبة لإفريقيا الشمالية الفرنسية، لكنه تسبب في تفسيرات مغلوبة، فموقفنا له وجهان، الأول أخلاقي والثاني قانوني وتقني، بالنسبة للجانب الأخلاقي فنحن نؤيد حق الشعوب في تقرير مصيرها، وهذا دون أدنى شك، كما أضيف أنه بالنسبة لشعبي المغرب وتونس فنحن نشعر نحوهم بكثير من التعاطف، أما الجانب القانوني للمشكل، فقد كنا دائما من أنصار سياسة الحذر داخل الأمم المتحدة، ولم نخلط أبداً بين الهدف والوسائل لتحقيقه، ولهذا فقد ساندنا تسجيل القضيتين في جدول الأعمال، لنجد أنفسنا أمام مقترحين، الأول يدعو للتدخل المباشر للجمعية في علاقات الطرفين المعنيين، فاعتبرنا ذلك غير مجدي وتمثل سابقة خطيرة، لذا قرّرنا أن نصوّت للمقترح الثاني الذي يدعو الطرفين للتفاهم⁽¹⁾.

لا يمكن تفسير الموقف التركي هذا إلا بالتوجه العلماني، الذي وضع أسسه " كمال أتاتورك " ورغبته في قطع صلاته بالعالم العربي الإسلامي والسعي لإلحاق تركيا بأوروبا، مع الإشارة إلى الدور المحوري لتركيا داخل الحلف الأطلسي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية في التصدي للزحف الشيوعي وأطماع الاتحاد السوفياتي في السيطرة على مضيق البوسفور والدردنيل والوصول إلى المياه الدافئة في البحر المتوسط، مع الإشارة لإملاك الولايات المتحدة الأمريكية لأكبر قاعدة عسكرية في تركيا فلا بدّ على هذه الأخيرة أن تساهل سياسة حليفها في القضايا الدولية بما فيها قضايا التحرّر في الوطن العربي، أما تبرير وزير الخارجية فهو جواب دبلوماسي بإمساك العصا من الوسط بدل الدّعم والمساندة المطلقة لقضيتي تونس والمغرب.

على العكس من الموقف التركي فالدّعم الرسمي للولايات المتحدة لحليفها فرنسا إستمرّ بحدّ التصويت على اللائحة الأممية التي تدعو لطرح قضيتي تونس والمغرب للنقاش في الجمعية العامة سواء في الدّورة السابعة أكتوبر 1951م والثامنة في ديسمبر 1952م، وهو الموقف نفسه الذي تبناه الرئيس الأمريكي الجديد المنتخب " إيزنهاور " سنة

¹ – TEMMIMI Abdelljalil, « Cinq Documents..... » op.cit, PP : 286-287.

1953م، رغم موافقة أغلبية أعضاء الجمعية العامة على تسجيل القضيتين للمناقشة في جدول الأعمال بإقتراح من مجموعة الدول الآفرو آسيوية ودول أمريكا اللاتينية (1).

ومادما بصدد الحديث عن المواقف الدولية من القضية التونسية، لابد من ذكر موقف إيطاليا باعتبارها بلد أوروبي وجار لفرنسا ومنافسها على إحتلال تونس مع تواجد جالية إيطالية كبيرة فيه، كما أنه إحتل ليبيا - جارة تونس - دون أن ننسى المواجهة العسكرية بينهما في إطار الحرب العالمية الثانية، حيث تمكّنت قوات المحور الألمانية الإيطالية من السيطرة على تونس وحاولت إستمالة " الباي " والحركة الوطنية خصوصا " بورقيبة " إلى جانبها لكنه رفض أما " منصف باي " فقد تبنى موقف محايد من الحرب وسعى لإبعاد ويلاتهما على بلده وشعبه (2).

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وهزيمة المحور ومعه إيطاليا والقضاء على النظام الفاشي فيها وفقدانها كل مستعمراتها خصوصا ليبيا، إنقلب الموقف الإيطالي رأسا على عقب بتبنيها لموقف حق الشعوب المستعمرة في إستقلالها وتحرّرها من خلال تصريح وزير خارجيتها " كارلو سوفورزا " Carlo Sforza من منبر اللّجنة السياسية للجمعية العامة للأمم المتحدة في 1 أكتوبر 1949م، وأن هذا الموقف لا يشمل المستعمرات الإيطالية فقط وإنّما يشمل كل المستعمرات في إفريقيا وآسيا، هذا الموقف أدهش الدوائر الاستعمارية في أوروبا، وأن هذه الأخيرة أي إيطاليا قد حطّمت جبهة التضامن الاستعماري (3).

¹ - Juliette BESSIS, « Maghreb question..... » op.cit, P: 209.

² - حول موقف "الباي " من الحرب العالمية الثانية. أنظر: عبد الجليل التميمي، " الدور الوطني للمنصف باي... "، ص: 101-102 .

³ - Romain H. RAINERO, « Les Italien dans la Tunisie Contemporaine » Edition PUBLISUD, France, 2002, PP : 250-251.

هذا الموقف أكسبها عطف الرأي العام التونسي ومعه الحزب الدستوري الجديد، لكنّه في المقابل تسبب في أزمة وردود فعل سلبية من السلطات الاستعمارية الفرنسية خصوصا إتجاه الجالية الإيطالية في تونس (1).

كما أن هذا الموقف من إيطاليا أكّده وثيقة أحد رجال المخابرات الإيطالية ويدعى "أوجيانو Oggiano Quirino" تحصّل عليها العقيد المتقاعد عز الدين الشاذلي والذي كان ملحقا عسكريا بسفارة تونس بروما، والذي بدوره سلمها لمؤسسة عبد الجليل التميمي، وتتمثل في رسالة موجّهة من الزعيم التونسي "صالح بن يوسف" لرجل المخابرات الإيطالية تبرز دوره في السعي إلى إقناع السلطات المصرية بإجراء إتصالات مع "البابا" بروما لكسب دعمها للقضية التونسية، وهو ما إستجابت له مصر، كما أشارت الوثيقة إلى رسالة ثانية بعث بها "صالح بن يوسف" إلى "البابا" عن طريق سفيره في القاهرة لمقابلته شخصيا، مع تأييد السلطات المصرية لهذا المسعى أيضا (2).

وقد خاطب "صالح بن يوسف" رجل المخابرات الإيطالية "أوجيانو" بعبارة صديقي، على أساس وجود علاقات بينهما تعود للحرب العالمية الثانية بحيث أن هذا الأخير هو الذي إستقبل كل من صالح بن يوسف وحبيب بورقيبة، وسليمان بن سليمان عندما تم نقلهم من حصن "سان نيقولا" بفرنسا إلى إيطاليا كما رافقهم إلى إقامتهم بقصر ريسبيقي Respighi مع الإشارة أن السيّد "أوجيانو" من مواليد مدينة الكاف التونسية ويتكلم لهجتها المحلية، مما ولد شعورا بالطمأنينة بين الطرفين. وما طلبه الزعيم التونسي من صديقه أيضا أن: "يتفضل بتأمين المراسلات بين باريس والقاهرة، فهناك أصدقاء سوف يبعثون إليكم برسائل

¹ - بما فيها الاستيلاء على ممتلكاتها والتي لم تتوقف إلا في 15 فيفري 1951م إثر صدور قرار يلغي القوانين التي تسمح بذلك، كما سمحت السلطات الفرنسية في تونس لثاني قنصل إيطالي بعد الحرب أوجينو براتو Eugenio Prato بإنشاء

Ibid, P : 251 La Societa Italiana di Assistenzésia للتكفل بالإيطاليين الفقراء والمحتاجين في تونس

² - عبد الجليل التميمي، "نشاط صالح بن يوسف من أجل القضية التونسية على ضوء رسالة جديدة موجّهة إلى أحد الرجال الإيطاليين"، المجلة التاريخية المغاربية، السنة 38، العدد 143-144، أكتوبر 2011، ص ص: 385-390.

موجهة إلينا، فالرجاء إيصالها إلينا بالقاهرة، كما أننا نوجه إليهم رسائل في باريس وهذا ما يجنبنا الوقوع في رقابة باريس " (1).

وقد شدّد " صالح بن يوسف " على المطلب الرسمي لمقابلة البابا قائلاً: " نظراً لتأثير البابا الأخلاقي على مجمل الدّول الكاثوليكية... وقد شرحت في رسالتي الفضائع المقترفة بالبلاد التونسية من قبل فرنسا والتي تعد البنت الكبرى للكنيسة راجياً من قداسته توظيف سلطته الروحية لدى كل الدول والتي تعتبره الرئيس الروحي حتى تنظم إلينا في هذا النقاش الدائر في الأمم المتحدة حول القضية التونسية" (2). هذه الرسالة تبرز الحنكة والنشاط الدبلوماسي للزعيم " الصالح بن يوسف " وقدرته على توسيع دائرة التأييد الدولي للقضية التونسية، وفي الوقت نفسه تمثل أحد أسباب إنزعاج وقلق بورقيبة من الدور المتنامي لهذا الأخير كأخطر منافس له على تزعم الحركة الوطنية التونسية - بعد تصفية فرحات حشاد - وأنها أحد الأسباب الرئيسية التي سوف تدفع ببورقيبة إلى إبعاده وعزله عن الأمانة العامة للحزب الدستوري الجديد كمرحلة أولية ثم تصفيته جسدياً في الأخير.

6- إختيار فرنسا أسلوب المواجهة وبداية المقاومة المسلّحة:

عاد بورقيبة إلى تونس في 4 جانفي 1952م، مقترحاً عقد مؤتمر الحزب الدستوري الجديد، لوضع إستراتيجية جديدة في التعامل مع فرنسا بعد فشل تجربة التوافق والتفاهم.

موازاة مع تدويل القضية في الأمم المتحدة، كثف بورقيبة من تنقلاته داخل تونس، داعياً الشعب التونسي للإنتفاضة، ففي 5 جانفي خاطب الجماهير في مدينة " المُنستير " - مسقط رأسه - قائلاً: " لا بدّ على الشعب التونسي أن ينقل شكواه إلى الأمم المتحدة، وإذا لم يستطع فعل ذلك بصفة طبيعية فعليه إستعمال الطرق البدائية "، ومن مدينة " بنزرت "

¹ - عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص ص: 390-392.

² - نفسه.

صرّح في 13 جانفي قائلا: " لابد من القيام بعمليات بطولية على نطاق واسع، الثورة ستتنظم وتسيل الدماء... وربما ستخسر فرنسا مصالحها في تونس " (1).

في فرنسا كان سقوط حكومة " روني بليفن " René Pleven " في 7 جانفي 1952 مع مواصلة تسيير الشؤون العامة، ومنها عزل المقيم العام في تونس " لويس بريلي " Louis Perillier ، وتعيين " جون ديهوتكلوك " Jean De Hautecloucque " (2) - ابن عم الجنرال " لوكلارك " Le Clerc " - مع إعلامه لرئيس الجمهورية " Vincent Auriol " بالاعتقال الوشيك لـ "بورقيبة " من طرف المقيم العام الجديد، الذي وصل إلى تونس في 13 جانفي 1952م على متن سفينة حربية، وتم إستقباله بفرقة عسكرية على رأسها الجنرال " قارباي " Garbay - الذي إشتهر بمجازره المرتكبة في مدغشقر 1947م (3) وكإشارة لأسلوب القمع الذي سوف ينتهجه مع التونسيين كان De Hautecloucque يرتدي بذلة عسكرية، مصرّحا لمستقبله أن مهمته إنقاذ " تونس الفرنسية "، وكسر الحركة الوطنية التونسية وعلى رأسها الحزب الدستوري الحرّ الجديد، والاتحاد العام التونسي للشغل وزعيمه "فرحات حشاد"، مستغلا الفترة الانتقالية التي تنتهي بتعيين " إدغار فور " Edgar Faure " رئيسا للحكومة في 17 جانفي 1952م.

وفي أول إجراء قمعي له أمر المقيم العام الجديد بمنع إنعقاد مؤتمر الحزب الدستوري الجديد في 16 جانفي، لينفجر الوضع وتحدث مواجهات في كل من " بنزرت " و " باجة " أين دعا " بورقيبة "، الشعب التونسي إلى التضحية، وفي 18 جانفي 1952م يتم إلقاء

¹ - Jean LACOUTURE, « **Cinq Hommes et la France** » éditions, du seuil, Paris, 1961, P : 153.

² - جون ديهو تكلوك Hean De Hautecloucque

³ -Habib BOURGUIBA, Jr, op.cit, P : 117.

القبض عليه وعلى 150 من قادة ومناضلي الحزب الدستوري ⁽¹⁾ أما بورقيبة فسيتم نقله إلى الإقامة الجبرية في " طبرقة " على الحدود مع الجزائر.

رغم هذا القمع والحصار تمكّن مناضلو الحزب الدستوري الجديد اللذين لم يلقى عليهم القبض وعلى رأسهم أمين الخزينة " هادي شاكر " من عقد مؤتمر سرّي في نفس اليوم أي 18 جانفي 1952م وإختتم بلائحة تضمنت المطالب التالية:- إنهاء الحماية- إنتقال تونس إلى مصاف الدّول المستقلة ذات السيادة - الإمضاء على معاهدة بين تونس وفرنسا على قدم المساواة ⁽²⁾.

على إثرها يتم إلقاء القبض على " هادي شاكر "، ليتولى " فرحات حشاد " تنظيم وقيادة المقاومة، لتنفجر العمليات المسلّحة، ففي 22 جانفي تتم تصفية العقيد " Durand " في سوسة، وفي 28 جانفي، يتم اغتيال الملازم الأول " فاشير " Vacher " قائد وحدة الدرك في الوطن القبلي " كاب بون "، Cap bon ، لينفجر القمع الاستعماري بأوامر من ديهوتكلوك De Hauteclocque " وتنفيذ الجنرال بيار قارباي Pierre Garbay "، للقيام بعمليات إنتقام وتمشيط في منطقة " كاب بون " والساحل.

7- جريمة تمشيط الوطن القبلي " رأس بونة " Cap Bon :

إمتدت عملية التمشيط العسكرية من منطقة " تبولبة " إلى " بنزرت " ، وذلك من 28جانفي إلى 1 فيفري 1952م، إرتكبت فيها القوات الاستعمارية إحدى أبشع الجرائم في حق شيوخ، نساء وأطفال عزّل، صاحبها عمليات اغتصاب بشعة للنساء، وحرق وتدمير

¹ - Yvette KATAN BENSAMOUN, « Le Maghreb de L'empire Ottoman a la fin de la colonisation Française » Editions Belin, Paris, 2007, P : 323.

² - Charles André Julien, op.cit, P : 193.

للمنازل والحقول والاعتقالات العشوائية والتعذيب بمشاركة اللّيف الأجنبي وتحديدًا المشاة المغاربة⁽¹⁾.

وفي هذا المجال يمكن الإشارة إلى الأسلوب الاستعماري الخبيث في نشر العداوة والحقد بين شعوب وأبناء المستعمرات، حيث كان يجند أعداد كبيرة منهم في اللّيف الأجنبي لضرب حركات التحرّر والمقاومة الشعبية، فاستعمل التونسيين والمغاربة لضرب المقاومة في سوريا، واستعمل الجزائريين والمغاربة في الهند الصينية، ثم استعمل المغاربة والسنغاليين في تونس، واستعمل السنغاليون والمغاربة في الجزائر.

لقد تسببت مجزرة " رأس بون " Cap Bon، بتتديد واسع داخل تونس وخارجها خصوصا في فرنسا ويعود الفضل في كشف تفاصيلها لـ " فرحات حشاد "، الذي قام بالإتصال بممثل الاتحاد العام التونسي للشغل في سويسرا وهو " أحمد بن صالح "، واصفا له الجريمة، ومطالباً منه التدخل لدى " النقابة العالمية للشغل "، والذي يعتبر عضوا فيها، حيث تم تكليفه مع عضو آخر وهو السويسري " بيار لينجر " Pierre Linger، للقيام بتحقيق وإعداد تقرير حول تلك الأحداث، وقد تضمن هذا الأخير صور فاضحة للقمع الوحشي الاستعماري، تم الحصول عليها من صحفي هولندي يعمل في وكالة Sol Tass استطاع إخراجها من تونس داخل أغراضه الشخصية، وتم إيصال الملف إلى النقابة العالمية للشغل في سويسرا، كما تحصّل " صالح بن يوسف "، المتواجد في باريس أثناء إنعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة، على نسخ من الملف والصور سرّ بها للوكالة العالمية L' associated Press، التي قامت بنشرها، وفضح جرائم فرنسا في حق الشعب التونسي أمام الرأي العام الدولي⁽²⁾.

¹ - Daniel REVET, op.cit, P : 395.

² - Noura BORSALI, op.cit, P : 27.

تلك الجرائم أدت إلى تنديد عالمي واسع، ففي أمريكا كتبت " Washington Post " موجهتا اللوم لفرنسا لتمسكها بأساليب الاستعمار القديم، أما في إنجلترا فقد جاء في جريدة " Guardian " ما يلي: " التجربة الواعدة والوحيدة في الوطن العربي في مجال التعاون وجهت لها ضربة قوّة وليس من السهل جمع قطعها التي تكسّرت وتناثرت " (1).

ليزداد الضغط على حكومة "محمد شنيق" سواءا من الإقامة العامة في تونس أو من الحكومة الفرنسية لدفعها لسحب شكاوها من الأمم المتحدة، كما صاحبها تضاعف الاعتقالات وسط القيادات الدستورية وطالت حتى الشيوعيين، ففي ليلة 25 إلى 26 مارس 1952، تم إلقاء القبض على كل الوزراء في الحكومة التونسية بأمر من المقيم العام "دي هو تكلوك"، بما فيها "محمد شنيق"، و"طيب بن سالم" - نسيب الباي - للضغط على "لمين باي"، الذي بقي صامدا ومتضامنا مع حكومته، حيث تم نفيهم إلى منطقة "القبلي" في جنوب تونس (2).

أما بورقيبة فيحوّل من "طبرقة" إلى المنطقة الصحراوية "الرمادة"، لينتقل بعدها إلى جزيرة "لقاليت La Galite" وهي جزيرة تبعد بحوالي 100 كلم إلى شمال "بنزرت" حيث بقي فيها سنتان كان في أغلب أحيائها مريضا بسبب الرطوبة الكبيرة التي لا تلائمهم (3).

ومع إنفلات الوضع الأمني، وإتساع نطاق المقاومة المسلحة إلى كامل التراب التونسي، بما فيها اغتيال ثلاثة دركيين في "موقنيني" (4).

¹ - Amor CHADLI, « **Bourguiba tel que je l ai connu**, Berg international éditions, Paris, France, 2013, P : 63.

² - Anissa EL MATERI HACHED, op.cit, P P: 229-231..

³ - Jean LACOUTURE, op.cit, P : 154.

⁴ - Khalifa CHATER, op.cit, P : 149.

لتحدث القطيعة بين الطرفين باعتقال ونفي وزراء الحكومة التونسية، رغم محاولة رئيس الحكومة الفرنسية " إدغار فور Edgar Faure"⁽¹⁾ ، إبقاء الاتصال مع هذه الأخيرة، بتكليف النائب الاشتراكي " فرانسوا ميتران François Mitterrand " بإعداد تقرير حول الأوضاع في تونس، وفعلا تم إنجازه وسلّم لرئيس الجمهورية ليكون قاعدة لمناقشته في مجلس الوزراء.

مع إستمرار تمسك الحكومة الفرنسية بشرطين أساسيين لأي حوار جديد مع الحكومة التونسية، وهما أن تسحب هذه الأخيرة شكاوها من الجمعية العامة للأمم المتحدة والتي تعتبر إهانة لها، والشرط الثاني هو استقالة حكومة " محمد شنيق " لأنها لم تعد محل ثقة الطرف الفرنسي، ليأتي سقوط حكومة " أدغار فور "، وتولى " أنطوان بيني Antoine Pinay " رئاسة الحكومة الذي لم يكن من أولوياته القضية التونسية، بل كان تركيزه على الوضع الاقتصادي الداخلي لفرنسا⁽²⁾.

من جهته قاوم " لمين باي " الضغوطات الفرنسية، ليرضخ في النهاية لمساوماتها بإقالة حكومة " محمد شنيق " في 28 مارس 1952م، بعدما هدّده " المقيم العام " بعزله من منصبه وحتى سجنه، ليتم تعيين حكومة " صلاح الدين بكوش " ، وهو من كبار ملاك الأراضي ومن التجار الأغنياء، وجاء بإقتراح من المقيم العام " دي هوتكلوك " وقد رفضت كل الشخصيات التونسية التي عرض عليها تولي مناصب وزارية في الحكومة الجديدة الإنضمام لها، على اعتبار أن أغلبية الشخصيات كانت إما في السجن أو الإقامة الجبرية أو في الخارج، ولم يبق إلا " الهادي نويرة " أحد قيادات الحزب الدستوري الجديد طليقا فعرض عليه منصب وزير فرفضه فتم اعتقاله وسجنه بتهمة رفض منصب وزاري⁽³⁾.

¹ - إدغار فور Edgar Faure: 1908-1988، رجل سياسي فرنسي وبرلماني، عين كوزير في العديد من الحكومات، تولى رئيس المجلس مرتين 1952 ثم 1955/1956، حيث منح تونس الحكم الذاتي، أنظر:

Michel Mourre : op.cit., P : 375

² - Charles Rob . AGERON, op.cit, P : 202.

³ - أحمد خالد، " الهادي نويرة " مسيرة مثقف مناضل ورجل الدولة ، منشورات الزخارف، تونس، 2006، ص: 326.

وحسب الوثيقة التي كشف عنها " أحمد بن صالح " والذي كان عضوا في اللجنة التنفيذية للكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة، أنه أمام حملة الاعتقالات والسجن التي طالت قادة الاتحاد العام التونسي للشغل U.G.T.T، قرّرت الكونفدرالية الدولية إرسال لجنة تحقيق حول الأوضاع العامة في تونس، وكان على رأسها كل من R. Dekeyzer، رئيس الاتحاد البلجيكي لعمال النقل، وبمساعدة A. Vermeulen سكرتير إتحاد العمل الهولندي، وقد قاما بإنجاز تقرير بعنوان ملاحظات حول تونس Impression sur la Tunisie (1).

والتقرير له أهمية كبيرة خصوصا وأن وزارة الخارجية والمقيم العام دي هوتكلوك De Hauteclocque أكّدوا رفضهم لهذه الزيارة، وتطلب الأمر من لجنة التحقيق التفاوض لمدة 3 أيام مع وزارة الخارجية، ورئاسة المجلس (مكتب الوزير الأول)، والمقيم العام للحصول على الموافقة.

وقد استُهل التقرير بوصف عام للأوضاع في تونس بدءا بإقالة حكومة " محمد شنيق " لأنها لم تكن تُعجب باريس، أكثر من هذا فقد تم اعتقال ونفي أعضائها إلى منطقة " القبلي " بجنوب تونس، وتم تعيين حكومة " بكوش " مكانها، والتي تخضع لسلطة فرنسا، وأن العديد من المناصب الوزارية يتولاها فرنسيون مثل وزارة التعليم، كما أن هناك نفس العدد للمحاكم الفرنسية والتونسية، وقد خلصت اللجنة إلى مجموعة ملاحظات وهي:

❶- أن في تونس حزب سياسي كبير، وهو الحزب الدستوري الجديد، ذو توجهات وطنية، زعيمه بورقيبة ومساعدوه المقربون تم إلقاء القبض عليهم ونفيهم إلى جزيرة.

❷- أكبر النقابات الاتحاد العام التونسي للشغل حيث يضم ما بين 80 إلى 100 ألف منخرط، وهي تتبع الكونفدرالية الدولية لنقابات الحرة، وقد أُجبرت على تبني مطالب سياسية إلى جانب برنامجها النقابي.

¹ - Abdeljalil TEMMIMI, « Cinq Document..... » op.cit, P : 291.

●- إن أغلبية المستوطنين ملاك أكبر الأراضي فرنسيون، تم التنازل لهم عن تلك الأراضي، أصبحوا قلقون من حصول تونس على إستقلالها وفقدانهم لها ولا امتيازاتهم.

●- وجود فروع النقابات الكونفدرالية العامة للشغل C.G.T الفرنسية والقوة العمالية Force Ouvrière الفرنسية وهناك نقابة شيوعية وهي إتحاد النقابة التونسية للشغل L' U.S.T.T مع وجود نقابة مسيحية، عدد منخرطيه قليل مع وجود مجموعة من الموظفين المستقلين⁽¹⁾.

كما خلاص التقرير إلى مجموعة من الاستنتاجات وهي:

*- إن الشعور الوطني والرغبة في الاستقلال هي المسيطر على الوضع العام في تونس وأن العاملين السياسي والإجتماعي متداخلان.

*- الاعتقالات يومية، مع وجود محتشدات، كما أن الجيش واللفيف الأجنبي لا يتعاملون بليوننة فيما يطلق عليه بالإجراءات البوليسية ينفذها الجيش معتبرا نفسه المسيطر على الميدان، وأدى في كثير من الأحيان إلى حوادث دامية.

*- ألحت اللّجنة على السلطات الفرنسية الإطلاق الفوري لسراح كل الزعماء النقابيين المعتقلين، مع تطبيق سياسة أكثر ليبرالية والقيام بإصلاحات حقيقية⁽²⁾.

كما استطاعت اللّجنة الاتصال بـ " محمود مسعدي " الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل بالنيابة، وذلك بانتقالها إلى مدينة " قابس " على بعد 500 كلم من تونس.

وإستطاعت تحسين أوضاع مجموعة من أمناء النقابات المعتقلين. وبعد مشاورات مع جميع الأطراف خلاص التقرير أن بإمكان الكونفدرالية الدولية القيام بمشاورات على المستوى العالمي والتي يمكن أن تؤدي إلى نوع من الانفراج، وأن تونس في هذه اللحظة تشبه برميل

¹ - Abdeljalil TEMMIMI, « Cinq Document..... » op.cit, PP : 292-293.

² -Ibid, P : 294.

بارود يمكن أن ينفجر في أي لحظة، ليس بالسلاح والسجن يمكن قمع المطالب الشرعية ذات الطابع السياسي والاجتماعي للشعب، من الأفضل على فرنسا أن تحس في الوقت المناسب بالوضع المتأزم " الضوء الأحمر " في تونس، وأن عليها التعاون مع مجموع الحركة النقابية لإيجاد حلول لها (1).

وبالعودة إلى حكومة " بكوش " فقد ولدت ميّنة، وسميت بحكومة العملاء الخاضعة للاحتلال، ليأتي ردّ فعل الحركة الوطنية عليها وعلى رأسها الحزب الدستوري الجديد في إنشاء ديوان سياسي سرّي مهمته تشجيع " لمين باي " على مواجهة ضغوطات المقيم العام ، مع مواصلة الحزب في تعبئة وتجنيد الشعب على المستوى الداخلي، أما خارجيا فتم فتح العديد من المكاتب الجديدو للتعريف بالقضية التونسية في كل من نيويورك، وفي جنوب شرق آسيا مثل الهند والباكستان و إندونيسيا وهي دول عرفت حركات التحرّر ضد الاستعمار وحصلت على استقلالها وتسعى لتشكيل جبهة تضامن لتصفيته نهائيا.

أما على المستوى العربي فقد كانت القاهرة مقرا لمكتب تحرير المغرب العربي برئاسة " عبد الكريم الخطابي " والتي إلتحق به كل من " صالح بن يوسف " و " محمد بدرة "، بعد ما تمكّنّا من النجاة من قبضة السلطات الفرنسية، حيث فرا إلى بلجيكا ومنها إلى القاهرة بمساعدة كل من " قاستون سماجة Gaston Smadja " - من يهود تونس - وصاحب جريدة " Combat "، وحسان بلخوجة (2).

8- إنشاء مجلس الأربعين خطوة لتوحيد الحركة الوطنية والرد على القمع الاستعماري:

بقيت فرنسا رافعتا خطاب الإصلاح المزعوم لتغطية مطالب الحركة الوطنية التونسية، وبعد تردّد طويل قدّم زير الخارجية " روبرت شومان Robert Schuman (3) يوم 19 جوان

¹ - Abdeljalil TEMMIMI, op.cit, P : 295.

² - Habib BOURGUIBA, Jr, op.cit, P : 177.

³ - Jean LACOUTURE, op.cit, P : 147.

1952م، برنامجه الإصلاحى أمام البرلمان الفرنسى، الذى لم يتضمن أى تنازل فعلى لصالح القضية التونسية باستثناء بعض الإجراءات الشكلية⁽¹⁾.

ليأتى الردّ من " لمين باي "، وبإقتراح من " فرحات حشاد "، من خلال استدعاء أربعين شخصية تمثل جميع القوى الوطنية بدءا بالحزب الدستورى الجديد والقديم، والاتحاد العام التونسى للشغل، وبقية الاتحادات والمنظمات المهنية من محامين وأطباء ومهندسين، وتم اللقاء يوم 1 أوت 1952م، حيث رفض المجتمعون بالإجماع مشروع " شومان " الذى تضمنّ السيادة المزدوجة مع إعلانة الاستقلال الداخلى الذى فقد معناه حيث يتناقض معه فى مجالات السلطة التنفيذية والتشريعية والإدارة العمومية⁽²⁾. لم يقتصر دور " فرحات حشاد " فى تنظيم وتنسيق وإنجاح التفاف جميع التيارات السياسية والنقابية والشعبية حول مطلب الاستقلال من خلال إجتماع الأربعين شخصية وطنية والذى جسّد وحدة الشعب التونسى مع حركته الوطنية، بل أصبح الزعيم الوحيد لقيادتها فى مواجهة الاستعمار فى هذا الطرف بالذات بالإضافة إلى ترعّمه الاتحاد العام التونسى للشغل كان يتولى قيادة الحزب الدستورى الجديد، مع تحمله مسؤولية تنظيم وتوجيه المقاومة ضد الاستعمار، فى الوقت الذى كان " بورقيبة " تحت الإقامة الجبرية و " صالح بن يوسف " فى القاهرة، أما بقية المناضلين فإما فى السجون أو مبعدين ومنفيين.

فقد كان يزور يوميا " لمين باي " ويشجعه على الصمود وعدم الخضوع لتهديدات المقيم العام، ولإعطاء المثل لهذا الأخير رفض الإمضاء على قرار السلطات الاستعمارية بحل الاتحاد العام التونسى للشغل.

¹ - كان على روبرت شومان Robert Schuman الإختيار بين دعم البرلمان الفرنسى لمشروعه فى إنشاء المجموعة الاقتصادية، أو إيجاد حل للقضية التونسية، فإختار أوروبا على حساب تونس. أنظر:

Charles André Julien, op.cit, P :220

² - خليفة شاطر، " المقاومة والتحرير (1952-1965)، تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية ودور الاستقلال "، الجزء الثالث، تونس، 2006، ص: 153.

كما قام بتوجيه نداء لكل العمال المغاربة في تونس الجزائر والمغرب من أجل إنشاء إتحاد عمالي في المغرب العربي، كما إنخرط في المنظمة العالمية للشغل وإستطاع كسب دعم ومساندة نقابات عمالية أمريكية وأوروبية والتي دعمته لتولي منصب نائب أمين عام الجامعة العالمية للنقابات الحرة، وهذا المنصب منحه نوع من الحصانة والحماية ولو مؤقتا، دون أن ننسى دوره في كسب دعم ومساندة الدول المستقلة حديثا وخصوصا في شرق آسيا.

في شتاء 1952م توجه " فرحات حشاد " إلى الولايات المتحدة الأمريكية، رغم العراقيل التي وضعتها السلطات الاستعمارية لمنعه من السفر، وكان الهدف من هذه الزيارة محاولة كسب تأييد الشخصيات الديمقراطية التي لها نفوذ قوي داخل الكونغرس الأمريكي، وهذا بدعم من النقابة العمالية الأمريكية L' A.A.L. (1)

هذا النشاط المكثف جعل من " فرحات حشاد " الخطر الأكبر على الاستعمار الفرنسي ودفعت بهذا الأخير أن يضيق منه ذعرا لتزداد الحملة الدعائية الشرسة ضده قادتها الصحافة الاستعمارية سواء في فرنسا أو تونس فأثناء تواجده بالولايات المتحدة الأمريكية كتبت جريدة " لوفيغارو le Figaro " تقول: ".... أن فرحات حشاد يقوم بشراء الأسلحة من الولايات المتحدة الأمريكية"(2).

وحتى صحافة اليمين المتطرف في المغرب الأقصى شاركت في هذه الحملة الإعلامية فقد كتبت الأسبوعية "باريس" "Paris" التي تصدر في مدينة الدار البيضاء المغربية ، ورئيس تحريرها من غلاة الاستعمار وهو " كاميل آيمار " Camille Aymard " مايلي : " إن " فرحات حشاد " هو المسؤول الرئيسي للاضطرابات الحاصلة في تونس، والمكمل لنشاط بورقبيبة، وعليه أدعوا و ألح على ضرورة القيام بالفعل الرجولي المحرر الذي

¹ – Noura BOURSALI, op.cit, P : 28.

² – Ibid.

يفرض نفسه " (1) إنها دعوة لتصفية واغتيال " فرحات حشاد " . لتتم عملية تصفيته واغتياله يوم الجمعة 5 ديسمبر 1952 على يد منظمة " اليد الحمراء الإرهابية " (2).

هذا الاغتيال سيكون السبب الرئيسي لانفجار المقاومة المسلّحة وأخذها بعدا وطنيا، بعدما كانت في بدايتها تقتصر على عمليات مسلحة وتصفيات محدودة الزمان والمكان.

* - فرحات حشاد: 03 فيفري 1914م - 05 ديسمبر 1952م. ولد في " العباسة " بجزيرة " قرقة "، ولاية " صفاقس "، وسط عائلة فقيرة، كان أبوه صياد سمك.

تلقى فرحات حشاد دراسته الابتدائية في المدرسة العربية الفرنسية بقرية " الكلابيين " حيث تحصّل على الشهادة الابتدائية بتفوّق، لينقطع عن الدراسة نظرا لظروف المعيشة القاسية، وإنصرف للبحث عن عمل لمساعدة والده، عمل قابضا بحافلات الشركة التونسية للنقل على الساحل، ثم تم تعيينه كاتباً محاسباً بمدينة سوسة.

إنخرط في الكونفدرالية العامّة للشغل C.G.T، وأنتخب سنة 1936م كاتباً عاماً لنقابة عمال شركة النقل التابعة لفرع سوسة تونس، ثم عضوا بالمكتب الجامعي لهذه المنظمة ليقرّر بعدها مع مجموعة من رفاقه الانسحاب من الكونفدرالية العامة للشغل، ويؤسسوا اتحاد النقابات المستقلّة للجنوب التونسي في صفاقس، ثم بعدها تأسيس اتحاد النقابات المستقلّة للشمال سنة 1944م، إلى جانب الجامعة العامّة للموظفين التونسيين التي كانت موجودة آنذاك.

إجتمعت هذه النقابات في 20 جانفي 1946م مشكلتا الاتحاد العام التونسي للشغل U.G.T.T، وأنتخب فرحات حشاد أمينا عاما لها بالإجماع، لينخرط بعدها مباشرة في الجامعة العالمية للنقابات. وفي سنة 1951م قرّر الاتحاد العام التونسي للشغل الانسحاب

¹ - Amor CHADLI, op.cit, P : 65.

² - Anissa EL MATERI HACHED, op.cit, P : 238.

من الجامعة العالمية للنقابات ذات التوجه الشيوعي إثر مؤتمرها الرابع والانخراط في الجامعة الدولية للنقابات الحرة C.I.S.L. ابتداء من 18 جانفي 1952م، واعتقال بورقيبة ورفاقه، بقي فرحات حشاد طليقا، لكونه نائب الأمين العام للجامعة العالمية لنقابات الحرة، ليجد نفسه مسؤولا عن قيادة الحركة الوطنية، ومقاومة الاستعمار الفرنسي سرّا وعلنا، داخليا وخارجيا، فضاق الاستعمار ذرعا به، وتمّت تصفيته واغتياله يوم الجمعة 05 ديسمبر 1952م، على يد " منظمة اليد الحمراء الإرهابية ⁽¹⁾.

وفيما يخص " منظمة اليد الحمراء الإرهابية "، وتعرف أيضا بإسم " المنظمة الإرهابية للتجمع الفرنسي " ⁽²⁾ لا يعرف عنها الكثير، وحسب شهادة أحد أعضائها، والمدعو " أنطوان ميليرو " Antoine Méléro "، والذي ألف كتابا بعنوان " التاريخ السري لليد الحمراء Histoire secrète de la main rouge "، وتم توثيق شهادته في شريط اغتيال " فرحات حشاد " ⁽³⁾ أكد فيه هذا الأخير أن شرطيان بلباس مدني، كانوا على متن السيارة الثانية التي كانت تتبع سيارة " فرحات حشاد " وهو في طريقه من مدينة " رادس " إلى مدينة " تونس " دون حراسة هما اللذان أجهزا عليه، وأن هؤلاء الشرطيان التحقا فيما بعد " بمنظمة اليد الحمراء الإرهابية " التي كان هدفها القضاء على المقاومة التونسية وتصفية إداراتها وقاداتها " ⁽⁴⁾.

وحسب شهادة " أنطوان ميليرو " دائما فإن المسؤول عن هذه المنظمة الإرهابية هو ضابط في الجيش الفرنسي، مع وجود قرائن تثبت بأن هذه المنظمة تعتبر أحد أذرع جهاز المخابرات الفرنسي لتنفيذ المهام القذرة وبموافقة أعلى السلطات الفرنسية، ومن هذه الدلائل:

¹ - عبد السلام بن حميدة، المرجع السابق، ص ص: 127-139.

² - Amor CHADLI, op.cit, P : 65.

³ - شهادة أنطوان ميليرو، " إغتيال فرحات حشاد " قناة الجزيرة الوثائقية " : 22 سبتمبر 2014

⁴ - Said MESTIRI, « Moncef MESTIRI, aux sources du destour, sud éditions, Tunis, 2011, PP : 276-277.

❶ - غلق الشرطة لطريق " رادس "، " تونس " أمام حركة المرور في اليوم الذي توجه فيه فرحات حشاد إلى تونس يوم الجمعة 05 ديسمبر 1952م.

❷ - مغادرة المقيم العام تونس إلى فرنسا يوما قبل عملية الاغتيال.

❸ - أن عملية الإشراف على التحقيق، ودفن الشهيد أشرفت عليها السلطات الفرنسية، وفي نطاق عائلي محدود، حيث تم نقل رفات الشهيد ليدفن في مسقط رأسه على أرض ملك للعائلة⁽¹⁾، لمنع إقامة جنازة وطنية له تقاديا لتحويلها إلى مظاهرات تنديد عارمة قد تتحوّل إلى مواجهات مع القوات الاستعمارية.

وحسب إحدى الوثائق التي كشف عنها " أحمد بن صالح " المقرّب من " فرحات حشاد " وأحد قادة الاتحاد العام التونسي للشغل، تناولت زيارة المحامين " جورج إيزار " George Izard " للسيدة " فرحات حشاد "، التي كلّفته بمهمة الدفاع عن مصالحها وحقوقها، أكد فيها المحامي أن التحقيق الأول شابته كثير من العيوب والإهمال وأن الإجراءات القانونية الأولية لم تطبق مع بداية التحقيق من طرف السلطات الاستعمارية مباشرة بعد إبلاغها بالجريمة، وعدم جمعها لأقوال الشهود خصوصا شهادة أحد الرعاة وعمره 14 سنة، والذي سمع الجناة يتحدثون الفرنسية أو الإيطالية⁽²⁾.

كما ينوي المحامي طرح عريضة شكوى بالتهديد بالقتل تلقاها " فرحات حشاد " أيّما قبل اغتياله، كما تقرّر إعادة تمثيل الجريمة لأن الأولى لم تحترم المواصفات الدقيقة للتحقيق، مع وجود تضارب في أقوال الشهود، كما تقرّر أيضا منح مكافئة مالية بقيمة ثلاثة

¹ - شهادة أنطوان ميليرو، نفس المصدر.

² - Abdeljalil TEMMIMI, « Cinq Document..... » op.cit, P : 285.

ملايين فرنك لمن يقدم معلومات هامة حول الجريمة، وقد ورد هذا الخبر في جريدة لوموند Le Monde ليوم 03 فيفري 1953 م⁽¹⁾.

أما الوثيقة الثانية التي كشف عنها " أحمد بن صالح " فهي عبارة عن نشرة داخلية رقم (2) توزع على مكاتب الحزب الدستوري الجديد في 28 فبراير 1953م، وتخص قضية " فرحات حشاد " على الهيئات الدبلوماسية بتاريخ 06 فبراير.

كما تناولت الوثيقة أيضا زيارة الكاتب الفرنسي الحرّ " جان روس " Jean Roux " إلى القاهرة ضمن الوفد الصحفي الفرنسي الذي دعي من قبل الحكومة المصرية لحضور مهرجانات التحرير، وزار أثنائها مكتب لجنة تحرير المغرب العربي، حيث أكد لها الوفد متابعتهم تشكيل وزارة " روني ماير René Mayer "، وسعت إلى وضع أنصارها في المراكز الهامة للتأثير على السياسة الاستعمارية في كل من تونس والمغرب، ونظرا لهذا النشاط فقد أكد الكاتب " جان روس " أن منظمة اليد الحمراء الإرهابية وضعت تحت المراقبة لفترة من الزمن نظرا لنشاطه المعادي للاستعمار، كما أشار هذا الأخير إلى تحوّل هام لفائدة القضية التونسية في أوساط حزب الحركة الجمهورية الشعبية M.R.P، ودوائر جريدة " Le Figaro الباريسية⁽²⁾.

كما تناولت الوثيقة زيارة السيد " سعيد فرحي " مندوب حزب الشعب الجزائري إلى الشرق الأقصى لكسب الدعم والتأييد للقضية الجزائرية، وأعرب هذا الأخير عن إرتياحه الكبير لما لقيه من ترحيب ومساعدة من قبل ممثلي الحزب الدستوري الجديد في إندونيسيا والهند⁽³⁾.

¹ - Abdeljalil TEMMIMI, « **Cinq Document.....** » op.cit, P : 285.

² - Ibid, PP : 365-366.

³ - Ibid, P : 368.

وبالعودة إلى إغتيال " فرحات حشاد " فقد تمكنت السلطات الفرنسية عن طريق وزير الداخلية " فرانسوا ميتران " François Mitterrand " سنة 1956م من إبرام صفقة سرّية مع " بورقيبة " أدت إلى إطلاق سراح أعضاء منظمة اليد الحمراء الإرهابية اللذين أدينوا وحكم عليهم بالمؤبد في عملية اغتيال " فرحات حشاد "، ونقلوا على متن طائرة حربية إلى فرنسا، وأن أكبر مستفيد من إغتياله إلى جانب فرنسا هو " حبيب بورقيبة " (1).

وحسب شهادة " أحمد بن صالح " أحد المقرّبين من الشهيد فقد لخص قيم ومبادئ فرحات حشاد فيما يلي:

- إن فرحات حشاد يجسّد أخلقة السياسية.
- كان ذو توجه عربي إسلامي تجسّد واقع الشعب التونسي ويخاطبه بلغة عربية بسيطة لذا احتضنه الشعب.
- كان رافضا لأي مساومة أو تنازلات مع فرنسا.
- كان إشتراكي التفكير مع تطبيق العدالة الاجتماعية.
- كان ضد الاستغلال مهما كانت أشكاله، حيث وقف في وجه أرباب العمل التونسيين ونظم مظاهرات ضدهم بسبب استغلالهم الطبقة الشغيلة، رغم كونهم من أكبر ممّولي الحزب الدستوري الجديد، والمقرّبين من بورقيبة.
- كان سوف يمثل ثقلا قويا ضد توجهات تونس بعد الاستقلال في عهد بورقيبة (2).

إن إغتيال " فرحات حشاد " مثل الشرارة التي فجّرت الموجة الثانية من الكفاح المسلّح بصعود آلاف التونسيين إلى الجبال، خصوصا من مناضلي النقابة التونسية للشغل، وقد تشكل " كومندوس " يحمل إسم " فرحات حشاد " (3).

¹ - شهادة أنطوان ميليرون، " قناة الجزيرة الوثائقية " 22 سبتمبر 2014م

² - Noura BORSALI, op.cit, PP : 28-29

³ - Juliette BESSIS, op.cit, P. 209.

كما أن إغتيال " فرحات حشاد " لم يكن عملا معزولا، فقد طالت عمليات التصفيات الجسدية شخصيات وطنية تونسية أخرى ⁽¹⁾. ففي 13 سبتمبر 1953 يتم اغتيال القيادي في الحزب الدستوري الجديد " هادي شاکر "، والتي أدت إلى مظاهرات كبرى في أهم المدن التونسية ومنها " صفاقس " أين تم دفنه، تبعثها خطابات تأبينية أكثرها تأثرا كانت لطالب ثانوي دعا صراحتا لتبني الكفاح المسلح قائلا: "... أن دمّ الشهيد الكبير لابد أن ينتقم له بالدم...." مع الإشارة أن اغتيال هذا الأخير لا يمكن فصله عن العلاقات الجيدة التي كانت تربطه مع الأمريكيين مثله ومثل " فرحات حشاد " ⁽²⁾.

وطبيعيا أن يأتي ردّ الفعل من المقاومة التونسية في تصفية عملاء الاستعمار والمتعاونين معهم من التونسيين، وهكذا تم اغتيال " شاذلي كسطالي "، نائب رئيس بلدية تونس والمقرّب من الإقامة العامة وذلك في 02 ماي 1953م، كما تمت تصفية " عز الدين باي " في 01 جويلية 1953م على يد أحد الشبان الوطنيين والذي ألقى عليه القبض لاحقا وتم إعدامه، وكانت آخر كلمات تلفظ بها " يحيا بورقيبة "، " تحيا تونس "، كما تمت تصفية " عبد القادر بلقروي "، وأصله من " صفاقس "، والذي شارك في إغتيال " هادي شاکر "، وذلك على يد المناضل " طاهر الصافي " ⁽³⁾.

أما الدكتور " هادي بن ريس "، وزير الصحة فقد نجا من محاولة إغتيال، وقد تم إحصاء 30 عملية تصفيات في الفترة الممتدة من مارس إلى نهاية ماي 1953، طالت العملاء التونسيين الموالين لفرنسا، من جهتها كثّفت السلطات الاستعمارية عمليات مطاردة واعتقال الوطنيين المعارضين للانتخابات والإصلاح البلدي المعروفة بـ Caidales، والتي فرضها المقيم العام بعد ضغط وتهريب كبيرين مارسهما على الباي مباشرة بعد اغتيال " فرحات حشاد "، وانتهى بالإمضاء على مراسيمها والتي كانت تهدف لإثبات الشراكة

¹ – Saïd MESTIRI, op.cit, P. 207.

² – Mohamed CHARFI, op.cit, P : 39.

³ – Annisa EL MATERI HACHED, op.cit, P. 241.

الفرنسية التونسية في الحكم، مع منح حق المواطنة التونسية للمستوطنين الفرنسيين لأنهم حسب القانون يعتبرون أجنبان في تونس⁽¹⁾.

مع الإشارة أن تلك الانتخابات البلدية التي حاولت سلطات الاحتلال فرضها على الشعب التونسي تزامنت مع أزمة سياسية في فرنسا دفعت بالوزير الأول أنطوان بيني Antoine Piney لتقديم إستقالته يوم 23 ديسمبر 1952، فخلفه في منصبه " روني ماير René Mayer " يوم 07 جانفي 1953م، الذي صرّح في نفس اليوم أمام البرلمان الفرنسي بما يلي: " إذا لم يكن من حق فرنسي تونسي ممارسة حقوقهم السياسية، فلن تكون هناك مجموعة فرانكو إسلامية في تونس...إن فرنسا قوة أطلسية ومتوسطية، فهي من أوروبا ومن إفريقيا، وبذلك فموقعها الاستراتيجي الهام يفرض عليها واجبات وتمنحها حقوقا " (2).

ومن خلال هذا التصريح نستنتج إستمرارية السياسة الاستعمارية الخاضعة لمصالح الأقلية الفرنسية في تونس والمغرب مع التذكير أن الوزير الأول الجديد هو من نواب الجالية الفرنسية بالجزائر في البرلمان الفرنسي، وربما الجديد في برنامجه دعوته لمضاعفة ثروات البلد من مصادر الطاقة، وتكثيف الاستثمارات في البحث المنجمي، مركزا على ضرورة مواصلة التنقيب عن البترول والتي بدأت فعلا بمساعدة رؤوس أموال فرنسية وخارجية في تونس، كاشفا في نفس الوقت عن عمليات تنقيب مماثلة بدأت بصفة جدية في الجزائر (3).

بقي منصب وزير الخارجية يتولاها " مورييس بيدو Maurice Bidault " دون تغيير، مما شجع المقيم العام في تونس على مواصلة خطته لإجراء الانتخابات البلدية ابتداء من 03 ماي، لتتوحد ضده القوى الوطنية وعلى رأسها الحزب الدستوري الجديد لإفشالها سواء بمقاطعتها أو الامتناع عن الترشح لها (4).

¹ – Daniel RIVET, op.cit, P. 395.

² - Abdeljalil TEMMEMI, « cinq document..... » op.cit, PP : 287-289.

³ – Ibid, PP : 289-290.

⁴ – Daniel RIVET, op.cit, P. 395.

وهو ما تم فعلا على أرض الواقع، هذا الفشل دفع بأغلب أعضاء الحكومة الفرنسية للتفكير في تعيين مقيم عام جديد، لكن سقوط حومة " روني ماير " يوم 21 ماي 1953م وتعويضها بحكومة " جوزيف لانيال " " Joseph Laniel " سمحت لمناصري التشدد بربح الوقت وتأجيل اتخاذ هذا القرار (1).

عموما لم تغيّر سلطة الاحتلال من استعمال أسلوب القوة والضغط في تعاملها مع القضية التونسية، وذلك للإبقاء على المقيم العام " دي هوتكلوك " رغم سياسته القمعية والجرائم التي ارتكبت في عهده، وهو نفس الأسلوب المستعمل في المغرب الأقصى، حيث قامت سلطات الاحتلال بعزل الملك " محمد بن يوسف " إثر مطالبته بإنهاء الحماية واستقلال المغرب، فتم عزله يوم 20 أوت 1953م ونفيه مع إبنه إلى جزيرة مدغشقر (2).

كما استمرت عمليات الاغتيالات، فقد تعرض " الهادي نويرة " عضو المكتب السياسي للحزب الدستوري الجديد لمحاولتي اغتيال لكنهما فشلتا، الأولى أثناء إقامته الجبرية في 17 جويلية 1953م، والثانية في ديسمبر من نفس السنة (3).

ومع إنفلات الوضع الأمني في تونس، وإتساع نطاق المقاومة المسلحة، ومع الضغط الدولي الذي تعرضت له فرنسا لتهدة الوضع قامت هذه الأخيرة بعزل " دي هوتكلوك " المقيم العام وتعيين " بيار فوازار " " Pierre Voisard " (4) خلفا له في 08 ديسمبر 1953 كما سعت سلطات الاحتلال من وراء هذا التغيير إستعطاف وكسب وُدّ " الباي "، والعمل

¹ - خليفة الشاطر، المرجع السابق، ص: 161.

² - طالب الملك "محمد الخامس" من فرنسا فتح باب المفاوضات حول إستقلال المغرب مرتين الأول في 21 مارس والثانية في 18 نوفمبر 1952 لتأتي حادثة اغتيال " فرحات حشاد " والتي أدت إلى مظاهرات تنديد عارمة في مدينة الدار البيضاء، وتصدت لها القوات الاستعمارية بعنف وسقط عشرات القتلى والجرحى والمعتقلين، وقد ندد بها الملك وطالب بلجنة تحقيق وعرفت بأحداث المحاجر المركزية . أنظر:

Habib BOULARES, op.cit, PP : 64-65.

³ - أحمد خالد، " الهادي نويرة المرجع السابق، ص ص: 326-328.

⁴ - " باير فوازار " Pierre Voisard له تجربة في الإدارة الاستعمارية حيث كان عضوا في ديوان المقيم العام " لوسيان سان " Lucien Saint في تونس سنة 1922م، أنظر: Amor CHADLI, op.cit, P : 65.

على إحداث قطيعة بينه وبين الحزب الدستوري الجديد، ليأتي عزل حكومة " بكوش " من طرف الباي وتعيين حكومة جديدة برئاسة " محمد صالح مزالي "، وموافقة " هادي نويرة " على المشاركة فيها، أما " حبيب بورقيبة " و " الصالح بن يوسف " ومعهم أغلبية الدستوريين والقوى الوطنية الأخرى فقد أعلنوا معارضتهم لها، ولتلك الإصلاحات المزعومة، وكان ذلك مؤشرا على تضاعف وإشتداد المواجهات بين القوى الوطنية التونسية والقوات الفرنسية (1).

9- تطوّر أشكال النضال والمقاومة المسلّحة 1952م - 1954م:

سبق تبني المقاومة المسلحة في تونس أشكال متعدّدة من النضال والاحتجاجات المدنية، نجد في مقدمتها الإضرابات العامّة بما فيها الإضراب عن الدراسة، وكذلك المظاهرات والتجمعات الشعبية، وغيرها من أشكال المقاومة السلمية.

ويمكن تقسيم الاحتجاجات المدنية في تونس في الفترة الممتدة من 18 جانفي 1952 إلى 31 جويلية 1954م إلى مرحلتين أساسيتين:

الأولى: هي مرحلة إنتفاضة المدن من 18 جانفي 1952م إلى شهر مارس 1952م وتعرف بمرحلة 60 يوما.

الثانية: مرحلة مقاومة الأرياف والجبال والتي سوف تتحول إلى مقاومة مسلّحة من ديسمبر 1952م مع ظهور كمندوس " فرحات حشاد " وحتى نوفمبر 1954م (2)

وما ميز هذه الأخيرة استعمال المتفجرات، والقنابل اليدوية محلية الصنع، والمتفجرات، بإستهداف وحرق وتخريب المؤسسات الاستعمارية بما فيها أملاك المستوطنين من مزارع

¹ - Jean GANIAGE, op.cit, P P: 550-551.

² - عادل يوسف، " رصد الاحتجاجات المدنية خلال فترة الكفاح المسلّح 1952-1954 وتأثيرها على مسار الحركة الوطنية إلى غاية 1956م " المجلة التاريخية المغاربية، العدد 147، السنة 39، نوفمبر 2012، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ص: 56.

ومنشآت إقتصادية كالجسور ومخازن وإتلاف أسلاك الكهرباء والهاتف، ومولدات الكهرباء، لتتحول إلى عمليات اغتيالات وتصفيات لرموز الاستعمار والمتعاونين معهم من التونسيين، ليأتي الدور على ضباط وعناصر الجيش الاستعماري، وعناصر الدرك والشرطة وأجهزة الأمن القمعية خصوصا في فترة تولي المقيم العام " دي هوتكلوك "، حيث تتفق أغلبية المصادر والمراجع أن سياسة هذا الأخير القمعية، بإطلاق يد الجنرال "قارباي " أثناء جريمة " كاب بون "، وإغتيال " فرحات حشاد " على يد " منظمة اليد الحمراء الإرهابية "، هما السببان الرئيسيان لظهور مجموعات المقاومين المسلحين وعلى رأسهم " كمندوس فرحات حشاد " الذي كان ظهوره في الجنوب التونسي في 12 ديسمبر 1952 قادما من ليبيا قاعدته الخلفية، فمنذ أن حصلت هذه الأخيرة على إستقلالها تحولت إلى قاعدة لدعم المقاومة التونسية، فقد تم فتح مكتب في طرابلس يشرف عليه المناضل " علي الزليطي "، وقد أثمر هذا التعاون بإنشاء مركز اللاجئين التونسيين بالمكان المسمى " المزرعة قرب طرابلس "، تحول إلى معسكر للتدريب على السلاح بالتعاون مع السلطات الليبية والمصرية، بحيث يبعد عن الحدود التونسية 175 كلم وتحول إلى ملجأ آمن لكثير من الوطنيين التونسيين المطاردين من طرف القوات الفرنسية لتنفيذهم عمليات فدائية (1).

أما فيما يخص كومنندوس " فرحات حشاد "، فقد إستشهد جميع عناصره في جانفي 1953م، بعد دخولهم في مواجهة مع القوات الاستعمارية بين " مدنيين " و " بن قردان " (2) وعلى منوال هذه المجموعة تشكلت مجموعات صغيرة من المقاتلين عرفت بمصطلح " الفلاقة "، تتميز بكثرة تحركها، متبعة أسلوب حرب العصابات، وكانت تركز على الخصوص في الجنوب التونسي الذي عان من الاستعمار الاستيطاني، حيث تم إنتزاع ملكية الأراضي من أصحابها الشرعيين، ثم جاء الدور على إستغلال مناجم الفوسفات وإقامة

¹ - عمار السوفي، " عواصف الإستقلال رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي جذوره وتداعياته من ثامر إلى الشرايطي"، مطبعة ر.د.م.ك، تونس، 2006، ص: 64.

² - Habib BOULARES, op.cit, P. 646.

طرق السكك الحديدية لنقله إلى موانئ الشمال وتصديره إلى الخارج ولحماية هذا الاستغلال تم بناء الثكنات والمراكز العسكرية، هذا الجنوب كان أول ضحية لتفكيك وتدمير البنية الاجتماعية، الذي يعتبر ضروري للاستيطان الأوروبي ومصالحة الاقتصادية⁽¹⁾.

وعن أسلحة المقاومة التونسية فكانت تتشكل في بدايتها من بنادق صيد، ألمانية وإيطالية الصنع تعود للحرب العالمية الثانية، ومع مطلع سنة 1953م نجحت بعض المجموعات في الحصول على أسلحة من الخارج بمساعدة رموز المقاومة وبعض الوسطاء وتجار السلاح⁽²⁾ فعلى سبيل المثال توجه المناضل " علي الزليطي " إلى مصر 1951م، ووجد لدى الإخوان المسلمين مخازن أسلحة وذخيرة على ذمة شعوب المغرب العربي وفلسطين، وتلقى هذا الأخير وعد بنقل جزء منها للمقاومة عند إندلاعها في تونس⁽³⁾. وبعد نجاح الثورة المصرية ومجيء الضباط الأحرار إلى الحكم في 23 جويلية 1952م، ساهمت هذه الأخيرة في تسليح المقاومة التونسية عن طريق ليبيا.

وقد أشرف على تلك المجموعات المقاومة قادة وطنيون منهم " لزهر الشرائطي " في ناحية " قفصة " و" طاهر لسود " ناحية " بسيطة " و" ساسي لسود " ناحية " الكاف " و" قايد عجمي " ناحية " جلاص " ، و" حسن بن عبد العزيز " ناحية " الساحل ".

وقد إكتسب جل هؤلاء القادة خبرتهم أثناء الخدمة العسكرية، وأثناء الحرب العالمية الثانية سواء من خلال تجنيدهم من طرف الحلفاء أو المحور، أو من خلال مشاركتهم في حرب فلسطين الأولى في ماي 1948، أو في فليق "الشمال الإفريقي" بسوريا كما هو الحال

¹ – Yvette KATAN BEN SAMON, op.cit, P. 323.

² – عادل يوسف، المرجع السابق، ص: 60.

³ – عمار السوفي، المرجع نفسه، ص: 69.

بالنسبة لـ " لزهـر شـرائطي "، وكانوا يقومون بتكوين المتطوعين وإدماجهم في وحداته مع إستقلاليتـه تامة في اتخاذ القرارات وتنفيذها (1).

وكرد فعل على سياسة الاغتيالات التي طالت زعماء الحركة الوطنية باعتبارهم تهديدا للوجود الاستعماري على يد " منظمة اليد الحمراء الإرهابية "، إضافة لوحـدات الدفاع الذاتي للمستوطنين، تشكلت منظمة سرّية تونسية أطلق عليها إسم " السود الإحدى عشر " وتعرف أيضا باليد السوداء والتي نفذت عمليات إغتيال لبعض عملاء فرنسا منهم المحامي " طيب الغشام "، و " شاذلي قسطلـي " وهو محامي ومدير جريدة " النهضة " ورئيس قائمة بلدية تونس في 2 ماي 1953م لخيانته وتعاونه مع العدو بدخوله في الانتخابات البلدية ذات السيادة المزدوجة- نصف المقاعد للفرنسيين والنصف الآخر للتونسيين- وهو الأمر الذي وقع رفضه من الحزب ومن لجنة الأربعين التي ضمت مختلف مكونات الحركة الوطنية وأشرف عليها الباي (2).

وبالعودة إلى منظمة " السود الإحدى عشر " كان من بين قادتها " حسان بن عبد العزيز " و " شاذلي قلالة " يشرفان على الساحل، و " أحمد تليلي " و " بلحسن جراد " على تونس والجنوب الغربي، أما " محمود ريوة " فيشرف على الوطن القبلي خليج بونة Cap Bon، و " لعجيمي بن مبروك " على الوسط، أما " التومي بن أحمد " فالجنوب الشرقي، وتعود فكرة إنشائها إلى ما قبل إندلاع المقاومة المسلحة، إعتـمادا على رسالة كشفت عنها السلطات الاستعمارية من " حبيب بورقيبة " إلى " عابد بوحافة "، ممثل الحزب الدستوري في نيويورك تعود لجويلية 1950م، والتي تحدث فيها على إمكانية اللجوء إلى السلاح في حال

¹ - خليفة الشاطر، المرجع السابق، ص: 156.

² - عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص: 424.

رفض فرنسا التفاوض، مؤكداً على وجود هيكلية منظمة سرّية إلى جانب وخارج الحزب على أرض الواقع (1).

وحسب فحوى الرسالة، فإن " بورقيبة " يقصد بأن مهمة هذه المنظمة هو تصفية الخونة التونسيين وأنها ليست موجّهة ضد القوات الاستعمارية الفرنسية (2).

ولمواجهة نشاط المقاومة، واصلت سلطات الاحتلال الفرنسي سياستها القمعية بتوجيه من الإقامة العامة وقوات الجيش والدرك والشرطة، تساندها منظمات المستوطنين من أقصى اليمين في حزب " التجمع الفرنسي و " الحضور الفرنسي "، لتتضاعف الاعتقالات العشوائية والتعذيب دون محاكمة، والنفي لمناضلي الحركة الوطنية، فتجاوزت السجون طاقات إستيعابها، فقد جاء في تقرير الإقامة العامة أن السجن المدني لتونس الذي لا تتجاوز طاقة إستيعابه 900 سجين، أصبح يضم 2000 سجين (3).

وهذا ما دفع بالسلطات الاستعمارية إلى إقامة 10 محتشدات جديدة لاستيعاب عشرات الآلاف من المعتقلين والسجناء، مع الإشارة أن ظروف الإيقاف والمعاملة والأكل كانت غير إنسانية وهذا ما تضمنه تقرير اللجنة الدولية المناهضة لنظام الاعتقال في أعقاب زيارتها للمحتشدات والسجون " الكتاب الأبيض حول الإعتقال السياسي في تونس " (4).

10- المجلس الأعلى للمقاومة:

حسب بعض المصادر فإن تشكيل منظمة " اليد السوداء "، كان في تونس العاصمة، بإشراف " بشير زرق العيون " الذي يقود المجلس الأعلى للمقاومة، وتعمل الفرق السريّة تحت مسؤوليته.

¹ – Amor CHADLI, op.cit, P. 60.

² – عمار السوفي، المرجع السابق، ص: 60.

³ – Amor CHADLI, op.cit, P. 65.

⁴ – عادل يوسف، المرجع السابق، ص: 69.

أما عدد الثوار عند إنطلاق المقاومة المسلحة سنة 1952 فلم يتجاوز 3000 مقاوم، ليتضاعف العدد بالتحاق عدد كبير من الشباب الذي أدى الخدمة العسكرية ليصل إلى 6000 مقاوم⁽¹⁾.

أما حول نشاط المقاومة فسوف نورد أمثلة لبعض المعارك والعمليات الفدائية:

* - معركة السطح بضواحي "قفصة" يوم 13 فيفري 1952م، وهي عبارة عن كمين قتل فيه إثنان من الحرس الفرنسي.

* - معركة "وادي بياش" يوم 15 مارس 1952، إعترف فيها المراقب المدني بمقتل 12 جنديا فرنسيا وجرح 20 جندي آخر، أما من الجانب التونسي فقد سقط في المعركة ستة شهداء.

* - معركة "تمغزة" 9 أكتوبر 1954م وهي من المعارك الكبيرة التي وقعت في الجنوب، حيث تم إسقاط طائرة حربية للعدو مع مقتل طاقمها المشكل من ضابطين كانا على متنها.

كما لم تنقطع العمليات الفدائية في المدن خاصة في العاصمة، منها مثلا إلقاء قنبلة بمبنى الإذاعة، كما تم تفجير ثلاث قنابل ليلة 24 فيفري 1953م في كل من محطة توليد الكهرباء "بالعمران"، وبمركز الشرطة "بباب سعدون"، و بمركز البريد في "باردو"⁽²⁾.

ورغم التعطيم الإعلامي الفرنسي على نشاط المقاومة المسلحة التونسية، يمكن وضع جدول تقريبي للعمليات العسكرية:

18 عملية عسكرية - 1952

7 عمليات عسكرية - 1953

¹ - عبد الكريم عزيز، "نضال شعب أبي تونس 1881 م - 1956م"، مركز النشر الجامعي، تونس، 2005، ص ص: 424-423.

² - نفس المرجع، ص ص: 428 - 433.

ويمكن وضع حصيلة للخسائر البشرية في الفترة من 1952م إلى 22 نوفمبر 1954م، تاريخ وضع الثوار للسلاح، فقط سقط 455 شهيد إضافة إلى 74 تونسيا من المتعاونين مع فرنسا.

أما من الجانب الفرنسي ولفس الفترة سقط 31 قتيلًا و 120 جريح من المدنيين، أما في صفوف قوت الأمن والجيش فقد سقط 48 قتيل و 104 جريح (2).

ما يمكن إستنتاجه عن حصيلة هذه الأرقام ضعف المقاومة المسلحة والخسائر التي تسببت فيها للمحتل الفرنسي، وعموما تبقى هذه الأرقام نسبية وغير كاملة نظرا لغلق ملف الثوار " الفلاقة " من طرف مصلحة الأرشيف الفرنسي، للتكتم عن التقارير الفرنسية عن الخسائر التي لحقت بها كما حصل في الجزائر.

وحسب وثيقة كشف عنها " أحمد بن صالح "، وردت إليه في شكل تقرير مرسل من "مراد بوخريص " أحد قادة الحزب الدستوري الجديد تناول فيه الوضع العام في تونس سياسيا إقتصاديا و إجتماعيا وعسكريا ويمكن تلخيصه فيما يلي:

فيما يخص الأمن العام أشار التقرير أن القمع الاستعماري والإنتقام من المدنيين الأبرياء العزل دفع بالكثير منهم إلى الصعود إلى الجبال وتكوين عصابات لمواجهته والردّ عليه، وهو نفس الخطأ الذي وقعت فيه فرنسا في الهند الصينية، وهو ما جعل الكاتب الفرنسي " كلود بوردي " Claude Bourdet يقول : " أن بيدو Bidoult - يقصد وزير الخارجية الفرنسي - يجهل كل شيء عن قضايا شمال إفريقيا، ولا يريد دراستها على حقيقتها،

¹ - خليفة الشاطر، المرجع السابق، ص: 160.

² - عادل يوسف، المرجع السابق، ص: 65.

وسوف يقوم بنفس الأعمال التي حدثت من قبل في الشرق الأقصى، ويحوّل شمال إفريقيا إلى هند صينية ثانية " (1).

ومما يدل على خطورة الوضع في تونس أن سكرتير الدولة للشؤون الحربية " دي شوفيني De Cheigné " أوفدته الحكومة الفرنسية إلى تونس حيث تفقد الوحدات العامة في الجنوب.

أما فيما يخص أعمال المقاومة الشعبية، فقد تم تحسين القنابل محلية الصنع، وأصبحت لها قوة مدمّرة، واستعملت في نسف عدد كبير من المحولات الكهربائية، ومراكز الشرطة بالعاصمة ومحلات التجار الفرنسيين، كما تم تحطيم 94 عمودا للهاتف في ليلة واحدة بين " صفاقس " و " المهدية " موازاة مع أعمال تخريب للسكك الحديدية، وألقيت عدة قنابل مولوتوف على عربات الترامواي، وأشعلت عدة حرائق كبيرة في ميناء " سوسة " وفي مستودع سيارات سيمكا SIMCA، كما تم إعدام إثنان من الخونة رميا بالرصاص (2).

أما رد فعل المستوطنين فتمثل في إنشاء جمعيات سرّية إرهابية التي يشرف عليها الكاتب العام للحكومة " بونس " Pons " إضافة لإغتيالها " فرحات حشاد "، قامت بنسف شركة السياحة العالمية، والشركة التونسية الفرنسية للبنوك والقروض، مع الإشارة إلى حالة الخوف والهلع والاضطراب التي تسود الجالية الفرنسية (3).

11- سقوط حكومة " محمد صالح مزالي " وفشل إصلاحات بيار فوازار Pierre Voizard:

واصلت المجموعة الآفرو آسيوية مساعيها لتدويل القضية التونسية في الأمم المتحدة وذلك بإدراجها في جدول الأعمال أثناء الجلسة العامة في 18 سبتمبر 1953م، وشرعت اللجنة السياسية في مناقشتها يوم 22 أكتوبر، بعرضها لمشروع قرار يقضي بحصول تونس

¹ - التميمي عبد الجليل، " بعض الوثائق الجديدة"، المصدر السابق، ص: 36.

² - المصدر نفسه.

³ - المصدر نفسه.

على إستقلالها في بحر ثلاث سنوات، لكنه لم يحظى بموافقة ثلثي الأعضاء (32 نعم، 19 صوت ضد). وقد صرّح "صالح بن يوسف"، رئيس البعثة التونسية لدى الأمم المتحدة بعد الانتهاء من مناقشة القضية التونسية قائلاً: "سوف يواصل الشعب التونسي كفاحه في سبيل حريته وإستقلاله". أما في تونس فقد إتخذ المقيم العام "بيار فواز" عدّة إجراءات للتهدئة، متعهداً بإجراء إصلاحات تؤدي للحكم الذاتي لتونس مع الإبقاء على حكومة "بكوش"، فقام في نوفمبر 1953م بإطلاق سراح "هادي نويرة"، و"صدوق مقدم" ثم بعده "منجي سليم" مدير الديوان السياسي⁽¹⁾.

كما تم إطلاق سراح كل الوطنيين المعتقلين في السجن السري "لتطاوين" في جانفي 1954م، وفي 2 مارس 1954م أعلن العفو العام على المحكوم عليهم سياسياً، هذا القرار بقي حبرا على ورق مع بقاء وجود معتقلات ومحتشدات خصوصا في الجنوب.

عموما لم تخرج هذه الإصلاحات عن سابقتها، بإسناد بعض الحقائق الوزارية للتونسيين، وتكوين لجنة مشتركة يرأسها المقيم العام، لحل النزاعات، مع لإبقاء على الحقائق الوزارية ذات السيادة وهي الدفاع والأمن والمالية والاقتصاد والتعليم في يد الفرنسيين⁽²⁾. كما أن الهدف الذي سعى لتحقيقه المقيم العام، ومن ورائه السلطة الاستعمارية هي كسب وُدّ الباي وإحداث القطيعة بينه وبين الحزب الدستوري الجديد ثم القضاء على هذا الأخير.

وتحت الضغط والتهديد بالعزل ومحاصرة قصر "الباي" إضطر هذا الأخير لتوجيه نداء للشعب التونسي لإلتزام الهدوء وذلك في 21 سبتمبر 1953.⁽³⁾

أما الحزب الدستوري الجديد فقد أستغل هذه التهدة ليستعيد نشاطه العلني في التعبئة والتجنيد، في هذا الظرف بالذات تأتي إقالة "حكومة بكوش" من طرف المقيم العام وبموافقة

¹ - خليفة الشاطر، المرجع السابق، ص: 162.

² - عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص: 435.

³ - Jean GANIAGE, op.cit, P. 550.

الباي وتشكيل حكومة " محمد صالح مزالي " التي لم يدم وجودها إلا من 2 مارس حتى 16 جون 1954. وكان قبل ذلك قد تولى منصب "قائد " ثم وزيرا في حكومة " شنيق " ، وقد لقيت هذه الحكومة معارضة من جميع الأطراف.

فأول رفض جاء من طرف الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد، كما عقد مدير الحزب " المنجي سليم " يوم 8 أبريل 1954م إجتماعا ضم شخصيات دينية وثقافية ومهنية وسياسية للنظر في تلك الإصلاحات التي جاء بها " فواز " وتم رفضها بالإجماع، كما رفضها مجلس الأربعين، والاتحاد العام التونسي للشغل في أعقاب إجتماعه المنعقد يومي 18-19 أبريل 1954، كما رفضتها بقية المنظمات الوطنية داعيتا فرنسا للاستجابة لمطالب الحركة الوطنية وعلى رأسها الاستقلال (1).

أما " صالح بن يوسف " الأمين العام للحزب الدستوري الجديد، فقد صرّح من القاهرة مندداً بهذه المؤامرة الاستعمارية ومنتقدا برنامج تلك الإصلاحات التي لم تحقق شيئا من الأهداف الوطنية المقدسة (2).

مع ضرورة التنبيه أن تلك المرحلة شهدت فيها المستعمرات الفرنسية نشاطا مكثفا من الوطنين خصوصا الانتصارات الكبيرة للمقاومة الفيتنامية ضد الجيش الفرنسي، مع تكثيف نشاط الكفاح المسلّح في المغرب الأقصى، وبروز المقاومة المسلحة في مدغشقر، وهو ما دفع بأحد صحفي جريدة لوموند Le Monde بداية مارس 1954، لطرح السؤال التالي "كيف الخروج من مأزق شمال إفريقيا ؟ مؤكدا في إجابته على إستحالة التعايش مستقبلا بين 2 مليون أوروبي و 600 ألف يهودي مع المسلمين وهم الأغلبية، ففي الوقت الذي تملك فيه المجموعة الأولى كل الثروة الاقتصادية والمالية للمغرب العربي، وتتحكم كليا في سلطة

¹ - عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص: 536.

² - خليفة الشاطر، المرجع السابق، ص: 164.

الإدارة ومعها النشاط الاجتماعي والتقدم الفكري، تقابلها المجموعة الثانية وتعدادها أكثر من 20 مليون مسلم حيث تعاني الفقر والتهميش والجهل والاحتقار، وتطالب بإستقلالها (1).

كما أن العديد من الشخصيات الفرنسية، المتأثرة بفشل سياسة القمع في الفيتنام، عبّرت عن إستحالة الوصول إلى حلّ في تونس تحت الضغط، ودون التفاوض مع الزعماء الوطنيين، ففي حوار له مع جريدة Jeune République، صرّح ألان سفاري Alain Savary في جانفي 1954: " لا يمكن إيجاد حلّ ضد أو دون بورقية والحزب الدستوري الجديد ". (2)

أما لويس بيريلي Louis Perillier فيقول بأن الانفراج لن يكون كاملا مادام بورقية تحت الإقامة الجبرية مع إستحالة الوصول إلى حلّ فعلي دون إنخراطه فيه (3).

في 10 مارس 1954 يتم تحويل الجنرال " قارباي " Garbay " قائد أركان الجيش الاستعماري في تونس والمسؤول عن جريمة " كاب بون " Cap Bon إلى " دكار " عاصمة السنغال، ويتم تعيين الجنرال " بيار بوير دولاتور " Pierre Boyer De Latour خلفا له.

مباشرة بعد تتصيب هذا الأخير إنطلقت مظاهرة طلابية ضخمة من الجامع الكبير قرب قصر " دار الحسين " مقر قيادة أركان الجيش الفرنسي، حيث تم قمعها من طرف الشرطة بإستعمال السلاح فقتل طالبين، وإصابة عدد من الجرحى من الجانبين، ومثلت هذه الحادثة السبب الرئيسي لتجدّد المقاومة المسلّحة، فقد جاء في جريدة Le Monde بتاريخ 25 مارس 1954 بأن هناك مجموعات من الفلاقة متنقلة يعملون على نشر اللأمن، وعددهم يتجاوز 400 مقاتل، مع إعادة تنظيم تلك المجموعات، وتجدّد العمليات المسلّحة، وهذا

¹ - GENEVIEVE GOUSSAUD FALGAS, « Français de Tunisie les dernières années du Protectorat », édition Alan Sultan, France, 2004, P : 23

² - Amor CHADLI, op.cit, P: 66.

³ - Ibid, P: 66.

يناقض تماما تصريحات المقيم العام Pierre Voizard " بيار فوازار " بأن المقاومة المسلحة ليس لها طابع سياسي (1).

لقد إنتقلت المقاومة المسلّحة في هذه الفترة من المدن، بسبب تشديد الحصار عليها إلى الريف وتحديدا إلى الجبال مع تضاعف العمليات ضد المستوطنين وقوات الأمن.

في 1 أبريل 1954م تقدم " الباي " بطلب إلى رئيس الجمهورية بإصدار عفو رئاسي على المحكوم عليهم سياسيا، إضافة لرفض هذا الطلب وكتحدي لمشاعر التونسيين تم تنفيذ حكم الإعدام في المناضلين المتهمين في أحداث "موقنين " Moknine " والتي تمثلت في الهجوم على حافلة وإغتيال مستوطن (2).

لابد من الإشارة إلى إزدواجية تعامل سلطات الاحتلال الفرنسي ومن ورائها رئيس الجمهورية والحكومة في التعامل مع القضية التونسية، فمن جهة فهي تضرب بيد من حديد بتنفيذ أحكام الإعدام بأقصى سرعة في حق كل مقاوم حمل السلاح في وجهها، مقابل هذا نلاحظ، الليونة والاكْتفاء بالنفي أو الإقامة الجبرية مع حسن معاملة المناضلين المعتقلين ودعاة التعاون التونسي الفرنسي والاستقلال الذاتي من التونسيين وعلى رأسهم " حبيب بورقيبة " (3).

رغم ذلك ضاعفت المقاومة المسلّحة من نشاطها خصوصا إتجاه المستوطنين وتخريب وإحراق مزارعهم، ففي ليلة 26 ماي 1954م تمت تصفية خمسة مستوطنين في ناحية الكاف، كما تم اغتيال مستوطن آخر في سوسة في 5 جويلية، مع التأكيد على شمولية تلك العمليات لكل التراب التونسي، ولم تكن مقتصرة على منطقة معينة، ومن أساليب المقاومة أيضا حرق العتاد والآلات، ومهاجمة قوات الأمن والجيش الاستعماري،

¹ – GENEVIEVE GOUSSAUD FALGAS, op.cit, P : 26.

² – Ibid, P : 26.

³ – عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص: 435.

حيث قتل دركيان وعريف من الجيش في المدينة " la Medina " في تونس ما بين 23 إلى 30 جوان، وفي 24 جويلية دائما في تونس تمت تصفية العقيد " لابايون " La Paillonne " قائد الإدارة العسكرية في تونس، وتم ذلك في وضوح النهار أثناء خروجه من مكتبه (1).

مع التأكيد أن تلك العمليات والتصفيات التي طالت المستوطنين شملت على الخصوص المعمّرين اللذين يمولون ويدعمون " منظمة اليد الحمراء الإرهابية " أو كانوا أعضاء فيها، وكان من نتائج تلك العمليات ترك هؤلاء المستوطنين لمزارعهم والانتقال إلى المدن، رغم إجراءات الاحتلال بتسليحهم، مع تواجد قوات الأمن ودوريات الجيش لحراستهم وطمأننتهم (2). كما تجددت المواجهات وعمليات الاغتيالات في المدن، مما دفع بأربع وزراء من حكومة " مزالي " إلى الاستقالة، كما نجا هذا الأخير من محاولة اغتيال إستهدفتها نهاية شهر ماي، كانت سببا كافيا لاستقالته في 16 جوان 1954، بعد ثلاثة أشهر ونصف على رأس الحكومة.

حاول المقيم العام " بيار فوازار " Pierre Voizard " إيجاد خليفة له دون جدوى مع رفض كل الشخصيات التونسية تولى هذا المنصب.

وسعيا منها للتحكم في الأوضاع قررت السلطات الاستعمارية تطبيق حظر التجوال Le Couvre Feu ابتداء من ليلة 2 إلى 3 جوان 1954 في كل من " مختار "، " الكاف"، " قصرين " " سيدي بوزيد " و " طبرسوق " (3).

ليتم توسيع حظر التجوال لكل من منطقة الساحل " وحول " سوسة " وحتى منطقة "القيروان " ابتداء من ليلة 13 جويلية، وتحت ضغط المعمّرين أعلن المقيم العام قدوم المدد العسكري من الجزائر، مع إرسال 48 فرقة عسكرية لحماية مراكز الاستعمار، ومزارع

¹ – GENEVIEVE GOUSSAUD FALGAS, op.cit, P : 27.

² – عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص: 536.

³ – Genevieve Goussaud FALGAS, op.cit, P : 27.

المستوطنين خاصّة في الشمال الغربي، مع تشكيل 3 فرق عسكرية متنقلة، إضافة لتوزيع السلاح على المستوطنين اللذين يقطنون المزارع المعزولة (1).

إستطاعت المقاومة المسلّحة في هذه الفترة الحساسة التي سبقت إعلان الحكم الذاتي من فرض وجودها وقدرتها على مواجهة الجيش الاستعماري، مدعماً بمنظمة اليد الحمراء الإرهابية، من خلال تبنيها أسلوب حرب العصابات، ومعرفتها الجيدة بتضاريس البلد، وإدراكا لإمكانياتها تمكنت من خلال عمليات نوعية ودقيقة من الرد على أسلوب التهريب الاستعماري، وأن تتغل شعور الخوف والإرباك للطرف الآخر، كما ساهمت في دعم العمل السياسي وتهيئة الظروف لبدء المفاوضات التي سوف تؤدي للحكم الذاتي .

وحسب الصحف التونسية الصادرة يوم 23 جويلية 1954، فإن المقاومة المسلّحة قامت بحوالي 150 عملية في الفترة الممتدة من 20 مارس إلى 20 جويلية 1954 (2).

¹ - خليفة الشاطر، المرجع السابق، ص: 165.

² - نفس المرجع، ص: 168.

الفصل الثاني:

القضية التونسية من الحكم الذاتي إلى الاستقلال التام

1954 – 1956م

1- إعلان الحكم الذاتي لتونس 31 جويلية 1954م:

هناك إرتباط وثيق بين الظروف الإقليمية والدولية التي دفعت بالسلطات الفرنسية آنذاك لإعلان الحكم الذاتي لصالح تونس، فأقليميا كل المؤشرات تؤكد احتمال انفجار الوضع في الجزائر بإندلاع مقاومة مسلحة إلى جانب مقاومتي تونس والمغرب، فعمدت السلطات الاستعمارية إلى سياسة " فرق تسد " وبعبارة أحد زعماء المقاومة التونسية " طاهر الأسود " عزل الجناحين عن القلب بمعنى عزل تونس والمغرب عن الجزائر (1).

أما دوليا فهناك هزيمة فرنسا المئوية في الفيتنام، وتحديدًا في معركة ديان بيان فو في 7 ماي 1954، على يد جبهة " الفيت منه " (جبهة إستقلال الفيتنام) بزعامة هوشي منه " Ho-chi-Minh " ، أما المعركة فقد قادها الجنرال " جياب Giap " حيث خسرت فرنسا 8 آلاف قتيل و 12 ألف أسير إثر معركة دامت 57 يوما كان وقعها وصدمتها كبيرة على فرنسا، عجلت بسقوط حكومة " جوزيف لانيال " " Joseph Laniel " يوم 12 جوان 1954 وتولى " بيار منديس فرانس " " Pierre Mandes France " (2) رئاسة الحكومة في 17 جوان 1954 (3). حيث سعى بكل جهده للتخلص من مشكل الهند الصينية بالإمضاء على إتفاقيات جينيف 20 جويلية 1954 م (4).

¹ - عمار السوفي، المرجع السابق، ص: 63.

² - قام "منديس فرانس " بزيارة تونس في 14 جانفي 1954م، بدعوة من المحامين " عبد الرحمان عبد النبي "، و " توفيق إبراهيم " للمرافعة في قضية مدنية باعتباره محامي، والتقى با " هادي نويرة " بنزل "الماجيستيك"، عن طريق البشير بوعلي. تولى رئاسة الحكومة الأولى من 17 جوان 1954 إلى فيفري 1955.

أنظر: عبد الرحمان عزيز، المرجع السابق، ص: 537.

³ - حول أسباب ودوافع سقوط حكومة " جوزيف لانيال " وتولى "منديس فرانس " الحكم.

أنظر: البصائر، العدد 275، ليوم 18 جوان 1954.

⁴ - معاهدة جنيف 20 جويلية 1954، نصّت على إعراف فرنسا بإستقلال كل الفيتنام، اللاوس وكمبوديا إثر ثورة مسلحة دامت أكثر من 7 سنوات (1946-1954)، خسرت فيها فرنسا 92 ألف قتيل منهم 30 ألف من إفريقيا - خصوصا جزائريين- و 28 ألف أسير منهم 8 آلاف من إفريقيا، و 114 ألف جريحا منهم 21 ألف من إفريقيا، كما كلفت خزنتها خسارة قدرت بثلاث آلاف مليار فرنك. أنظر: البصائر، العدد 281 ليوم 30 جويلية 1954م.

وحسب " جون لا كوتور Jean Lacauture " تعتبر تونس محطة مركزية في مسيرة " منديس فرانس " فعندما يتم تذكيره بدوره في إنهاء حرب الهند الصينية كان يجب: " الهند الصينية أعتقد بأنني أخرجت فرنسا من هذا الفخ الرهيب... لكن الدور الذي أعتز به كان في تونس، فشيء جميل أن تساهم في توقيف حرب، لكن الأجمل منه والأفضل هو تفادي إشعال حرب أخرى " (1).

منذ توليه الحكم إتبع " منديس فرانس " أسلوبا أكثر إنفتاحا في تعامله مع القضية التونسية من خلال تكثيف الاتصالات مع الأطراف المتشددة والشخصيات الليبرالية مثل المؤرخ "شارل أندري جوليان " الذي صرح بأن فكرة الحكم الذاتي، تم التحضير لها جيدا وبكل سرية في مكتب رئيس الحكومة، خوفا من ردّة فعل المعارضين والمستوطنين، وقد سبق هذه اللقاءات السرية، قيام 39 شخصية فرنسية بالإمضاء على عريضة يوم 9 جويلية تنبه إلى فشل سياسة القمع والقوة والاستبداد المتبعة في تونس، وطالبا بفتح حوار مع الوطنيين، وقد تولى شارل أندري جوليان " إبلاغ العريضة " لمنديس فرانس " الذي إستقبله، كما إستقبل أيضا ثلاث أعضاء من " هيئة فرنسا- المغرب "، وهم " فرانسو مورياك "، والمستشرق " شارل ماسينيون " بإضافة " لشارل أندري جوليان " (2). وفي رحلته إلى تونس كان برفقة "مانديس فرانس"، كل من المارشال " جوان Juin " (3) كما ضم الوفد الجنرال " بوير دولاتور Boyer De La tour " الذي عين في 30 جويلية 1954م مقيما عاما في تونس

¹ – Jean LACOUTURE, « **Pieere Mandes France et Indépendance de la Tunisie** » in Tunisie en mutation les cahiers de L orient, Troisième trimestre, N : 43, 1996, P : 25.
Cité par Abdelwahab HACHICHI, op.cit., P : 35.

² خليفة الشاطر، المرجع السابق، ص: 168.

³ – المارشال " جوان " : إشتهر بأسلوب الترهيب والقمع في مواجهة المطالب الوطنية ففي تونس كان وراء عزل " المنصف باي " ونفيه في 8 ماي 1943م. أما في المغرب الأقصى فكان وراء مجزرة الدار البيضاء بعد المظاهرات المنددة باغتيال " فروحات حشاد "، والذي لم يعلم بمحتوى النص الذي سيعلن عنه " مانديس فرانس " في تونس إلا داخل الطائرة المقلّة للوفد. أنظر: Jean LACOUTURE, Cinq homme, op.cit., P : 138، وأيضا:

Amor CHADLI, op.cit, P. 69.

خلفا " لبيار فوازار "، كما رافقه "كريستيان فوشي Christian Fouchet" ⁽¹⁾ كاتب الدولة للشؤون التونسية والمغربية، إضافة إلى " إيف بيروسال Yves Perussel "، الرئيس السابق للجمعية الشعبي الفرنسي R.P.F في تونس، وهذا لتهدئة المستوطنين وإمتصاص ردة فعلهم ⁽²⁾.

ولإعطاء كامل فرص النجاح لمشروع الحكم الذاتي، كان يجب موافقة الطرف التونسي وتحديدًا الحزب الدستوري الجديد، فقد تم الاتصال بممثليه في فرنسا " محمد مصمودي " وطلب منه إستشارة المجلس الوطني للحزب في قضية الحكم الذاتي مقابل وقف المقاومة المسلحة، ونظرا للحالة الاستعجالية للقضية طلب منه معرفة رأي بورقيبة، الذي أعطى موافقته على الفور، من إقامته الجديدة في قصر " دولايفري " Château de LA ferté " بعد نقله من منفاه في جزيرة " قوروا " Groix "، وربط إتصال مباشر معه عن طريق " ألان سفاري " المبعوث الخاص " لمنديس فرانس " إبقاء للروابط مع فرنسا ⁽³⁾. كما أن " ألان سفاري " كانت تربطه علاقات صداقة مع " كوهن حضرية Cohen Hadria - أحد ممثلي الجالية اليهودية في تونس - أشار عليه بضرورة إقناع " منديس فرانس " بقيادة تونس للحكم الذاتي ⁽⁴⁾.

مع التنبيه أن " منديس فرانس " هو من يهود فرنسا، وهو دافع هام ليسعى هذا الأخير للحفاظ على مصالح الجالية اليهودية في تونس، فحقوق هذه الأخيرة محفوظة سواء أثناء فترة الإحتلال، بقي الآن العمل على حماية مصالحها وتواجدها في تونس عند الانتقال للحكم الذاتي.

¹ - " كريستيان فوشي Christian Fouchet: دبلوماسي إلتحق بالجنرال " ديغول " في لندن، تولى عدة مناصب عيّن وزيراً للشؤون المغربية والتونسية كان من دعاة الحوار والتفاوض، شارك في مفاوضات إيفيان EVIAN:

أنظر: . Yvette KATTAN BENSAMON, op.cit, P: 327

² - Habib BOULARES, op.cit, P. 650.

³ - Yvette KATTAN BENSAMON, op.cit, P P: 326-327.

⁴ - Anissa HACHED EL MATERI op.cit, P: 248.

السؤال المطروح هو:

2- لماذا راهنت فرنسا منذ البداية على التفاوض مع " حبيب بورقيبة " دون غيره من زعماء الحركة الوطنية ؟ الجواب أنه يمثل رأس الطبقة السياسية الجديدة التي إعتلت الواجهة والتي تتقاسمه أفكاره ومبادئه إنها تمثل جيل تلقى تعليما عصريا فرنسيا في إطار إيديولوجية الجمهورية الفرنسية وترسّخت في الجامعات الفرنسية وهي مستعدة للإبقاء على هذا النظام الاستعماري الذي مكّنها من الرقي الاجتماعي (1).

أخطر من هذا فهذا التكوين والتوجيه بدأ في المدارس الابتدائية ثم الثانوي وأخيرا الجامعي، ففي حوار له مع الكاتب الفرنسي " جون لا كوتور Jean Lacauture " حول أهم شخص أثر فيه جاء جواب بورقيبة: " أنه السيّد " كولبير Collieres " أستاذ اللغة الفرنسية في مدرسة الصديقية.... هذا السيّد الطيّب لم يكن يدرك أنه يملك داخل قسمه حظ فرنسا في إفريقيا، وربما بفضل طبيئته ومرونته سيتمكن من إنقاذها " (2).

كما ساهمت الصحف الفرنسية في الدعاية له وتلميع صورته وإجراء حوارات معه وإبرازه في صورة الزعيم المعتدل والأمثل الذي تتوافق رؤياه مع مصالح فرنسا، وكلّما سُئل على أعمال العنف التي تشهدها تونس فكان يجيب بأن الحزب الدستوري الجديد بريء منها (3). وهذا حتى قبل مجيء " منديس فرانس ".

بطبيعة الحال خطّطت السلطات الاستعمارية لموضوع المفاوضات وأنها سوف تكون مع بورقيبة بالذات وليس غيره، مع إبعاد وحتى تصفية من تصفهم بالمتشددّين المطالبين بالاستقلال التام عن طريق الكفاح المسلّح وفي مقدمتهم " صالح بن يوسف ".

¹ – Pierre VERMEREN, « la fonction des élites marocaines et tunisienne des nationalistes aux islamistes 1920/2000 » La découverte, France, 2002, P : 225.

² – Jean LACOUTURE: cinq homes..., op.cit., P: 177.

³ – عمار السوفي، المصدر السابق، ص: 71.

Said MESTIRI, op.cit, P : 277.

كان وصول " بيار منديس فرانس " والوفد المرافق له إلى تونس يوم 1 جويلية 1954م، حيث توجّه مباشرة إلى قصر قرطاج، مقر إقامة " لمين باي " وصرّح له بما يلي: " إن فرنسا تعترف رسميا بالحكم الذاتي التونسي، وتتادي به على أعين الملأ، دون سوء ظن من طرف الحكومة الفرنسية، وتريد أن توفر له أسباب النجاح ذلك أن درجة التطوّر التي أدركها الشعب التونسي - خصوصا ونحن نشعر بالسعادة لمساهمتنا الواسعة في ذلك - وكذلك ما تمتاز به نخبته من قيمة عالية جعلتها موضوع إكبار عندنا كل ذلك يبرّر دعوتنا لهذا الشعب لتصرف شؤونه الخاصة بنفسه، وعليه فإن فرنسا على استعداد لنقل مقاليد السيادة الداخلية إلى التونسيين والمؤسسات التونسية " (1).

ليس هناك أدنى شك في أن إعلان " قرطاج " يأتي في سياق التعهد الذي قطعه " بيار منديس فرانس " في إجابته على سؤال البرلمان السنغالي الفرنسي " ليوبولد سيدار سنغور Léopold Sedar Senghor " حول مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، وعلى المصير الذي ينتظر إفريقيا، فكان جوابه في الخطاب الذي ألقاه أمام البرلمان الفرنسي مباشرة بعد توليه منصب رئيس الحكومة قائلا: " سوف نتفاوض مع الوطنيين الصادقين الأوفياء، وأن فرنسا الغد هي ما سوف تصبح عليه إفريقيا الفرنسية " (2).

وهي عبارة تهدف إلى طمأنة التونسيين والفرنسيين على السواء بما فيهم المستوطنين في الجزائر حيث أكدّ لهم بأن فرنسا سوف تفي بتعهداتها إتجاه مواطنينا الذين يتقنون فينا.

إن عبارة المواطنين الأوفياء سوف تزرع الشك في العقول، وتؤدي إلى ازدواجية خطيرة بين فئات الشعب التونسي، فهل يمكن إعتبار هؤلاء الأوفياء لفرنسا هم خونة بلدهم تونس، ألم تساهم هذه العبارة في الصراع والمواجهة العنيفة بين المحافظين والعصريين، بين

¹ - Yvette KATTAN BENSAMON, op.cit, P P: 326-327.

² - Mohamed Bachir HALAYEM, Hédi M 'HENNI, « **La Tunisie, et le Monde une nouvelle Histoire se construit 1954-2006**, Orbis éditions, Tunis, 2006, PP :22-23.

الزيتونيين والصدقين - نسبة لمدرسة الصديقية الفرنسية في تونس- وبين زعمي الحركة الوطنية " حبيب بورقيبة " و " صالح بن يوسف " (1).

3- مواقف الحركة الوطنية وزعمائها من الحكم الذاتي:

لقد إستقبل التونسيون ذلك الإعلان بالرضى والإرتياح، فيما عبّر المستوطنون وممثلوهم في التجمع الفرنسي التونسي عن سخطهم ورفضهم للفكرة، ووصل بهم الأمر إلى رفض مقابلة رئيس الحكومة.

أما " حبيب بورقيبة " فقد صرّح يوم 31 جويلية 1954م لجريدة فرانس تيرور France Tireur قائلا: " إن إعلان قرطاج له معنى كبير حيث تلتقي فيه المصلحة الفرنسية، مع المصلحة التونسية بصورة رائعة "، وفي تصريح آخر لوكالة الأنباء الفرنسية A.F.P قال فيه: " إن إعلان منديس فرانس " يعتبر خطوة هامة في طريق السيادة التونسية التامة، وإن الشيء الأمثل يبقى الاستقلال التام، والوصول إليه لن يكون بالكفاح بين الشعب التونسي وفرنسا، بل بالتفاوض وتقريب وجهات النظر بين الحكومة الفرنسية والحكومة التونسية في إطار الثقة المتبادلة والصداقة الجديدة " (2).

وأضاف قائلا : " إنه متأكد بإمكانية الوصول إلى إتفاق حول المبادئ، والذي سوف يحمي المصالح الشرعية لفرنسا وتونس بشرط أن لا يتم إفراغها من ثوابتها ولا أشك في ترحيب الشعب التونسي بهذه الاتفاقيات ... كما سوف يظهر جليا للجميع بأن التاريخ عبارة عن حركة أما الصداقة الفرنسية التونسية فهي دائمة " (3).

¹ -Mohamed Bachir HALAYEM et autre: op.cit., P : 23.

² - عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص: 539.

- أنظر الملحق الوثيقة (11)

³ -Alger Républicain, Mercredi 5 janvier 1955.

وفي تصريح له لجريدة " لوموند " Le Monde " يوم 23 أوت حول الوضع القانوني لفرنسي تونس مستقبلا قائلا: " إن تونس بلد ذو سيادة، وسوف يُعتبر فيه الفرنسيون أقلية قانونية تتمتع بإمتميازات محمية " (1).

أما " صالح بن يوسف " فقد صرح في ندوة صحفية من جينيف قائلا: لقد حان الوقت لرفع كل إلتباس، على فرنسا وعلى كل البلدان التي وضعت الثقة في السيد " بيار منديس فرانس " من أجل حل سلمي للمشكل الفرنسي التونسي أن تدرك بأن الشعب التونسي لن يقبل بحكم ذاتي شكلي والذي يغلق الباب على الاستقلال التام لتونس... إن العالم بأسره شاهد على الإرادة الحسنة للشعب التونسي لكن ذلك لا يعني الاستسلام، وإذا لم تقي الحكومة الفرنسية بوعودها كما يُظهره منعرج المفاوضات، فعل فرنسا أن تتحمل لوحدها أمام العالم مسؤولية العواقب الوخيمة التي سوف تتجر عن هذا الإنقلاب " (2).

كما صرّح بما يلي: " إنه لا يحب كثيرا كلمة إستقلال داخلي ويفضل كلمة حكم ذاتي Home Rule لأنها تعطي السيادة الوطنية شكل أوسع، وأنها لن تكون سوى مرحلة إنتقالية عن طريق تحقيق الاستقلال التام الذي كان ومازال دائما الهدف الأسمى لحزبنا، إن سرعة الإنجاز هي الشاهد على حسن نوايا فرنسا فعدد المتربصين بهذه المفاوضات ليس بالقليل ونخشى أن تفشل مثلما فشلت من قبل " (3).

وعقب هذه الندوة الصحفية أعلن الحزب الدستوري الجديد استعداداه للمساهمة في الحكومة الوطنية التي كُلف بتشكيلها السيد " طاهر بن عمار ".

¹ – Amor CHADLI, op.cit, P: 70.

² – Alger Républicain, Mercredi 5 janvier 1955.

³ – منصف الشابي، " صالح بن يوسف، حياة كفاح "، دار نقوش عربية، تونس، 2007م ص: 152.

أما الحزب الدستوري القديم فقد أعلن معارضته للحكم الذاتي بإعتباره موجود في معاهدة " باردو " فلا داعي لإنتظار 73 سنة لتمنحه لهم فرنسا (1).

أما موقف الحزب الشيوعي التونسي فورد في تصريح للمكتب السياسي الذي أشار إلى خطورة الأزمة والصعوبات التي تمر بها المفاوضات مشيراً أن الشعب التونسي لن يقبل بهذا الوضع إلى ملا نهاية خصوصاً مع تراجع فرنسا عن وعودها السابقة رغم تنازلات الحزب الدستوري الجديد الذي يحتكر المفاوضات، خصوصاً قضية تسليم سلاح المقاومة التي تمت دون أن يحصل الطرف التونسي على شيء، أكثر من هذا فقد ظهرت شروط فرنسية جديدة، فالحكومة التونسية تتحمل لوحدها المسؤولية... ففي الوقت الذي تتحالف فيه القوى الإمبريالية الفرنسية للضغط على سير المفاوضات لصالحهم، فسوف يكون هلاك الوطنيين التونسيين إذا أهملوا فكرة الوحدة بينهم " (2).

على أن هناك وجهة نظر تؤكد عدم تلقي الحزب الدستوري القديم، والحزب الشيوعي وبقية تشكيلات الجبهة الوطنية لأي إقتراح يسمح لها بإبداء رأيها حول الحكم الذاتي من طرف حكومة " طاهر بن عمار "، وأن هذا الأخير كان يردّد بأنه واجه رفضاً قاطعاً من الجانب الفرنسي بعدم إشراك بقية الأحزاب والتشكيلات التونسية (3).

4- المفاوضات التونسية الفرنسية حول الحكم الذاتي أوت 1954:

أعلن عن تشكيل الحكومة التونسية التي سوف تتولى المفاوضات في 4 أوت 1954 وعلى رأسها " طاهر بن عمار " الذي كان يشغل منصب رئيس غرفة الفلاحة للشمال، وهو من المستقلين، لكنه سياسي متمرس، فقد شغل منصب رئيس اللجنة التونسية في المجلس الكبير، ورغم الصعوبات التي واجهته فقد تمكن من تشكيل حكومته والتي ضمت أربع

¹ - عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص: 539.

² - Alger Républicain, Mercredi 5 janvier 1955.

³ - Moncef MESTERI, op.cit, P : 279.

شخصيات مستقلة وهم " طاهر بن عمار " وزير أول، " عزيز جلولي " وزير دولة،
" طاهر زاوش " وزير للصحة، " علي بلحاج " وزير للفلاحة، كما ضمت أربع وزراء من
الحزب الدستوري الجديد وهم "مونجي سليم" وزير الداخلية وهو محامي، "محمد مصمودي"
ممثل الحزب في فرنسا وزير دولة.

" هادي نويرة " وزير التجارة وهو محامي.

" صدوق مقدّم " وهو طبيب ووزيرا للعدل.

" ناصر بن سعيد "من الملاك الكبار وزيرا للعمران والبناء

" شاذلي رحيم " نقابي إشتراكي وزيرا للنقل.

إضافة للجنرال " بوير دي لا تور " Boyer De Latour المقيم العام عين وزيرا
للخارجية، أما وزارات المالية والتعليم والأشغال العمومية والبريد والمواصلات فبقيت تسيّر من
مدراء فرنسيين ⁽¹⁾.

مقابل هذا رفض " صالح بن يوسف " المتواجد في باريس الانضمام لها والمشاركة
في المفاوضات.

بدأت أولى اللقاءات حول الحكم الذاتي في باريس يوم 18 أوت 1954م، لتتوقف في
اليوم الموالي أي 19 أوت من طرف الوفد الفرنسي، وحجته في ذلك رفض التفاوض في
الوقت الذي تتلقى فيه القوات الفرنسية ضربات المقاومة المسلّحة التونسية في مختلف
المناطق، ولتجاوز تلك العقبة، تم لقاء سرّي بين رئيس الحكومة الفرنسية " بيار منديس
فرانس " و " حبيب بورقيبة " في منزل الصحفي "شارل قامبو Charles Gombauet " إنتهى

¹ – Habib BOULARES, op.cit, PP :652-654.

بوصول الطرفان إلى إتفاق تضمن توجيه بورقيبة نداء " للمقاومين بوضع السلاح، وتسليمه للجان مشتركة تونسية فرنسية مقابل صك أمان ممضي من المقيم العام ⁽¹⁾.

وفي هذا اللقاء كشف " بيار منديس فرانس " عن مشروعه " لبورقيبة " قائلا: " إننا مستعدون على جعل تونس ميدانا لتجربة رائدة للخروج من الاستعمار بطرق سلمية، سواء في مجال المؤسسات، أو المساعدة المالية، وسوف نكون إلى جانبكم في إمكانية تحقيق التحرر في إطار التعاون، ولذلك عليك البقاء في المقدمة في خطة نسعى من ورائها إلى إدماج المغرب والبلدان الإفريقية في مشروع فيدرالي واسع " ⁽²⁾. وبالعودة إلى قضية تسليم السلاح صرّح بورقيبة لجريدة Le Petit Matin يوم 21 نوفمبر 1954 قائلا: " من واجب كل تونسي أن يلقي سلاحه اليوم، وأني متأكد أن الجميع سوف يقبل بذلك، هذا الموضوع أنا أضمنه تمامًا، وأرجو أن يترك لي فالتزم به إلى النهاية " ⁽³⁾.

وفي الحقيقة هذه النقطة من أهم نقاط الخلاف مع " صالح بن يوسف "، الذي كان من المعارضين بشدة لقضية تسليم سلاح المقاومة، فبالنسبة له التفاوض من موقع قوة يكون بالسلاح في اليد، وهو الطريق الوحيد للحصول على كامل حقوقنا، وقد تبنى هذا الموقف حتى قبل بدأ المفاوضات، وهو ما دفع بالعديد من المقاومين إلى رفض تسليم سلاحهم وتشكيل خلايا ومجموعات مقاومة موالية لصالح بن يوسف ⁽⁴⁾.

عموما هذا الاتفاق المتضمن وضع سلاح المقاومة لم يطبق إلا في شهر نوفمبر بسبب تأخر صدور النصوص القانونية حسب التصريحات الرسمية الفرنسية، لكن في حقيقة الأمر إندلاع الثورة الجزائرية في 1 نوفمبر 1954 هو الدافع لتطبيقه، والدليل في ذلك مماطلتها واختلاق الحجج الواهية حتى نهاية أوت، ثم عادت إليها بشرط إلقاء سلاح

¹ – Amor CHADLI, op.cit, PP: 70-71.

² – Jean LACOUTURE, op.cit, P : 162.

³ – منصف الشابي، المرجع السابق، ص: 156.

⁴ – عمار السوفي، المرجع السابق، ص: 46.

المقاومة، كما رفضت مقترح تونس بوقف إطلاق النار أثناء المفاوضات، وبمجرد اشتعال الثورة الجزائرية وإمكانية التنسيق والتعاون مع مقاومتي المغرب وتونس، ورفع سقف المطالب من الحكم الذاتي إلى الإستقلال التام خصوصا بالنسبة لكل من المغرب وتونس، مع الدعم الكبير للدول العربية والآفرو آسيوية، سارعت فرنسا للموافقة على وقف إطلاق النار في المناطق التي تجري فيها إتصالات بين وفود الحزب الدستوري الجديد، ورجال المقاومة المسلحة التونسية لإقناعهم بوضع السلاح⁽¹⁾.

وحول عدد المقاومين اللذين إستجابوا لنداء وضع السلاح: فهناك إختلاف حسب المصادر فنجد عدد 2400 مقاوم و 1862 قطعة سلاح،⁽²⁾ أما حسب إحصاء رسمي لأركان الجيش الفرنسي فيذكر عدد 2713 مقاوم و 2505 قطعة سلاح؛ ومن بين أشهر المقاومين اللذين وضعوا السلاح الشهيدان "لزهر شريطي" و "ساسي لسود"، أما أخوه "طاهر لسود"، فرفض تسليم سلاحه مؤكدا على مواصلة المقاومة المسلحة، مستجيبا لنداء "صالح بن يوسف"، الذي حذر من الأهداف الخبيثة والعواقب الوخيمة على القضية التونسية إذا تم تجريد مقاتليها من سلاحهم، أكثر من ذلك فقد توجه هذا الأخير إلى مصر في ديسمبر 1954م، لإعادة تسليح المقاومة⁽³⁾.

نشاط "صالح بن يوسف" على مستوى الجامعة العربية:

حسب الوثيقة التي بين أيدينا والتي نشرتها وكالة الأنباء الفرنسية الخاصة بما وراء البحار في 13 جانفي 1954م تحت عنوان "مشكل إفريقيا الشمالية أمام اللجنة السياسية للجامعة العربية، تناولت فيه طلب الزعماء الوطنيين وهم "علال الفاسي" عن المغرب، و"صالح بن يوسف" عن تونس و"غازي المكي" عن الجزائر على طلب السماع لهم من

¹ - المنصف الشابي، المصدر السابق، ص ص: 156-157.

² - Habib BOULARES, op.cit, P. 655.

³ - المنصف الشابي، المصدر نفسه، ص: 158.

طرف اللجنة السياسية للجامعة العربية، لعرض الأوضاع الحالية للمغرب أثناء اجتماع هذه الأخيرة. وحسب الصحف المصرية فإن الزعماء الوطنيين قد قدموا عروضاً عن أوضاع بلدانهم للجنة السياسية للجامعة العربية.

ولقد لخصت جريدة "الأهرام" العرض الذي قدمه الوزير التونسي السابق "صالح بن يوسف" قائلاً: "بأن فرع تونس داخل مكتب المغرب يطلب من اللجنة السياسية للجامعة العربية" مايلي.

أولاً: تنظيم مؤتمر عام للبلدان العربية والآسيوية.

ثانياً: اعتبار كل القضايا العربية واحدة غير قابلة للتجزئة وتقديمها ككتلة واحدة للدول الغربية بشكل يضعها على نفس المستوى القضايا العربية الأخرى وقضايا تونس الجزائر والمغرب.

كما أشارت جريدة الأهرام بأن مجلس الجامعة يدرس قضية تخصيص ميزانية خاصة للجنة تحرير المغرب العربي، وأنه قد منح في ميزانيته الجديدة مبلغ 15 ألف جنيه لقضايا شمال إفريقيا⁽¹⁾.

وفي وثيقة ثانية لوكالة الأنباء الفرنسية بتاريخ 14 جانفي 1954م تحت رقم 2238 جاء فيها تكذيب رسمي من السلطات الفرنسية حول نيتها في اتخاذ إجراءات اقتصادية ردعية ضد "مصر" خصوصاً استيراد القطن، كرد فعل على الحملات الدعائية ضد فرنسا في الجرائد المصرية خاصة بإفريقيا الشمالية.

¹ - Archive d'outre mer, Aix-en-Provence, France, A.F.P Le Problème nord Africain devant le comité politique de la ligne Arabe, In AFF-POL. Carton 2131/3.

- أنظر الوثيقة (2) في الملحق.

في المقابل اكتفت الحكومة الفرنسية بتوجيه احتجاج لمصر، عن طريق سفير هذه الأخيرة في باريس بدل السفير الفرنسي في القاهرة⁽¹⁾.

وبالفعل فمُنذ أواخر 1955م، تشكلت خلايا المقاومة للأمانة العامة في " القلعة الكبرى " و " زرمدين " و " المقنين " و " سوسة " وحتى " المنستير"، وكل الجنوب الشرقي الذي ساند " صالح بن يوسف " فيما أطلق عليه إسم "الثورة الثانية" والتي تواصل نشاطها لما بعد الاستقلال، في إطار دعم هؤلاء المقاومين للثورة الجزائرية وحتى الإنخراط في صفوفها فقد جاء في الصفحة الأولى لجريدة " الجزائر الجمهورية Alger République " وبالبند العريض عن مواجهة عنيفة على الحدود الجزائرية التونسية في جبال " سيدي أحمد " و " العربة " بين مجموعة من الثوار من ضمنهم عدد من مجموعة " طاهر لسود " دخلت في معركة مع فرقة من الجيش الفرنسي أسفرت عن سقوط ضحايا من الطرفين⁽²⁾.

ورغم تشكيك الكثير من السياسيين والمؤرخين في جدوى هذه "الثورة الثانية"، فإنها يعود الفضل في إجبار السلطات الفرنسية على قبول مطلب الاستقلال التام، بعدما إستعملها " بورقيبة " كورقة ضغط على فرنسا أثناء المفاوضات بين الجانبين،⁽³⁾ والتي في بدايتها طرح الوفد التونسي مطلب غلق مراكز الاعتقال وإطلاق سراح المساجين السياسيين، ولم تستجب له السلطات الاستعمارية إلا في شهر سبتمبر 1954م، حيث إستفاد 200 مناضل من رفع الإقامة الجبرية عنهم، مع غلق معتقل " تطاوين " والموافقة على عودة نشاط الحزب الدستوري الجديد⁽⁴⁾.

ومن الأسباب التي ساهمت في إطالة عمر المفاوضات من سبتمبر 1954م حتى ماي 1955، مشكلة الفصل السادس والتي تخص كيفية تمثيل الفرنسيين في الدوائر البلدية،

¹ - أنظر الوثيقة (2) في الملحق.

² - Alger Républicaine, Mardi 4 janvier 1955.

³ - عادل يوسف، المرجع السابق، ص ص: 71-72.

⁴ - Habib BOULARES, op.cit, P : 655.

وهذا حسب ما صرّح به " منديس فرانس " قائلاً: " بضرورة توفير الضمانات المعترف بها لفرنسا وللفرنسيين "، وعلى إقرار: " النصيب الذي ينوب للفرنسيين في الحياة البلدية وفي النيابة والدفاع عن مصالحهم داخل مجالس خاصة بهم " بينما الدستور الجديد يعتبر من الثوابت المبدئية رفض إشراك الفرنسيين في الانتخابات التونسية، وكل ما يمكن أن يحصلوا عليه الإعراف لهم بالحقوق المكتسبة في ميادين الاقتصاد والثقافة (1).

وحول صعوبة المفاوضات، يروي الدكتور " محمد بن سالم " صهر الباي، أن "هادي نويرة " بعد عودته من باريس قابل " محمد لمين باي " يوم 5 ديسمبر 1954م مصرّحاً له بما يلي: " ليس هناك شيء مهم في مشروع الإصلاح، فكلاً طالبتنا بشيء أجبنا " منديس فرانس " لا تطلبوه مني فإنني أواجه ضغوطات كبيرة، وسوف أسأل أمام البرلمان في العاشر من هذا الشهر، وأخشى السقوط فلنكونوا لينين " (2).

5- تجدد المقاومة المسلحة :

معركة "برقو " 13 نوفمبر 1954:

من الأحداث التي تسببت في توقف المفاوضات معركة "برقو " سريانة، وشملت جبال "وسلات " و "كسرى " وجبل "دبوس"، وشمال غرب جبل " السرج " و " فكيرين"، شارك فيها قادة أمثال " لعروسي ابن سالم "، و "حمو بن سعيد"، و " عبد المجيد لعماري ".

حيث حاصرت القوات الاستعمارية المشكلة من آلاف الجنود الجبل الذي تحصّن فيه مجموعة من الثوار يقدر عددهم بأكثر من 80 مقاوم، واشتعلت المعركة بين الطرفين، سقط فيها من الجانبين عدد من القتلى والجرحى، وتم إلقاء القبض على خمسة جنود بينهم ضابط، وتم إعدام إثنان (2) منهم، ولم يكن الحزب الدستوري الجديد ولا حكومة " طاهر بن عمار "

¹ - Habib BOULARES, op.cit, P :655.

² - أحمد خالد، " الهادي نويرة...."، المرجع السابق، ص: 355.

على علم بذلك، وبمجرد وصول الخبر تم تكليف عضو الغرفة التجارية " عبد الحميد البرقاوي " بالإتصال حالا بالثوار لإطلاق سراح الجنود الفرنسيين، ولكن ذلك حصل بعد فوات الأوان أي بعد إعدامهما، مما دفع بالقوات الاستعمارية إلى تطويق منطقة " برقو " وارتكاب مجزرة شنيعة إنتقاما لجنودها، وكان لتلك المعركة تأثير على سير المفاوضات، لكنها في المقابل مثلت دعما وسندا للوفد التونسي المفاوض (1).

تجددت المفاوضات بين الطرفين الفرنسي والتونسي، رغم تباعد وجهات النظر، ووجود عراقيل أثرت على سيرها منها قضية إستمرار المقاومة المسلحة في مقارعتها للقوات الاستعمارية، مع إستمرار الإلتحاق بها من طرف التونسيين خصوصا المنجذبين لأطروحات " صالح بن يوسف " الرافض لفكرة الحكم الذاتي، هناك أيضا إنقسام مناضلي الحزب الدستور الجديد بين مؤيد ومعارض للكفاح المسلح حتى نهاية المفاوضات حيث إنتقل هذا الخلاف إلى الشارع، وإلى أعضاء الوفد الخارجي حيث صرح " صالح بن يوسف " في 31 ديسمبر 1954م قائلا: " إن المفاوضات الطويلة والعقيمة تؤكد أن فرنسا ليست مستعدة للوفاء بتعهداتها " (2). كما صرح أيضا " بأن فرنسا تستعمل كل وسائل الضغط والإبتزاز لإفشال تلك المفاوضات، وتحاول الآن منحنا حكم ذاتي شكلي يجعل منا مسيرين لنظام كلونيالي في تونس " (3).

ليأتي سقوط حكومة "بيار منديس فرانس" في 6 فيفري 1955م (4) وهذا تحت ضغط اليمين واليمين الوسط ومساندتهم لموقف المستوطنين الرافضين للحكم الذاتي من

¹ - عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص ص: 542-544.

² - Habib BOULARES, op.cit, PP :655-656.

³ - Alger Républicain, Mardi 4 janvier 1955

⁴ - تربط أغلب المصادر أسباب سقوط حكومة " منديس فرانس " بالصعوبات التي وجدتتها في الحصول على أغلبية برلمانية، فالمعتدلون يتهمونه بأن خطابه في قرطاج حول الحكم الذاتي، قد شجع الوطنيين في كل المغرب العربي، أما التجمع الشعبي الفرنسي فيتهم بإفشال مشروع المجموعة الأوروبية للدفاع . C.E.D .

Jean LACOUTURE, op.cit, P :162

أنظر:

خلال ممثليهما في باريس السيناتور أنطوان كلونا Antoine Colona و قابريال بويو Gabriel Puaux " (1). ولكن الحقيقة وراء سقوط حكومة حكومة "منديس فرانس" تتمثل في الثورة الجزائرية التي زعزعت استقرار فرنسا وسوف يتولى سقوط الحكومات الواحدة تلو الأخرى، إلى أن سقطت الجمهورية الرابعة وقيام الجمهورية الخامسة بوصولب الجنرال ديغول إلى الحكم 1958.

ليتولى " إدغار فور Edgar Faure " رئاسة الحكومة الفرنسية في 23 فيفري 1955م حيث صرح قائلاً: " من الممكن الوصول إلى إتفاق دون الإفراط في التنازل"، (2) وقد إستطاع هذا الأخير من الوصول بالمفاوضات إلى نهايتها بفضل خبرته في عمل الكواليس والمناورات السياسية، مستغلا سمعته الطيبة عند مناضلي الحزب الدستوري الجديد حيث دافع عنهم في المحاكم التونسية أثناء الحرب العالمية الثانية.

مع التنبيه إلى الضغط الدولي والذي ساهم في الوصول إلى إتفاق بين الطرفين خصوصا " مؤتمر باندونغ " في أندونيسيا من 18 إلى 24 أبريل 1955م تحت شعار تضامن آفرو آسيوي، وتبنيه لمبدأ تصفية الاستعمار وحق الشعوب في تقرير مصيرها. (3) وحسب إعلان لجنة تحرير المغربي المغربي " من القاهرة والذي أكد إرسال وفد للمشاركة في المؤتمر ضم كل من علال الفاسي عن المغرب الأقصى و " حسين آيت أحمد " و " محمد يزيد " عن الجزائر و " صالح بن يوسف " عن تونس (4).

بالعودة إلى بروتوكول إتفاقيات الحكم الذاتي لتونس فقد تم الإمضاء عليها في 22 أبريل 1955م حيث علق عليها " صالح بن يوسف " من باندونغ قائلاً: " إن الشعب العربي

¹ - ولا تجد إشارة لضغط الثورة الجزائرية وتأثيرها في سقوط الحكومات الفرنسية ومنها حكومة " منديس فرانس " هذا الأخير أجرى تعديلا عليها بتخليه عن منصب وزير الخارجية لصالح روبرت شومان " في جانفي 1955، وأن هذا الأخير هو صاحب رسالة 15 ديسمبر 1951م لباي تونس والتي يرفض فيها الحكم الذاتي للتونسيين ويسعى لإجبارهم على قبول السيادة المشتركة.

أنظر: Hedi BACOUCHÉ, op.cit, P :136 et Charles André Julien, op.cit, P :190

² - خليفة الشاطر، المرجع السابق، ص: 171.

³ - البصائر، العدد 312 ليوم 1 أبريل 1955م.

⁴ - البصائر، العدد 314 ليوم 15 أبريل 1955م.

في تونس برفض الاتفاقيات التي وقعها بورقيبة وجماعته مع فرنسا... إن الاتفاقيات تنص على أن لفرنسا الحق لوحدها التصرف في مصيرنا الخارجي والداخلي... إن الشعب التونسي يرفض تلك الاتفاقيات وهو عازم على إحباطها بجميع ما لديه من وسائل " (1).

أما إتفاقيات الحكم الذاتي فتم الإمضاء عليها يوم 3 جوان 1955م بين كل من "طاهر بن عمار" و" منجي سليم" ممثلا للحكومة التونسية، و" إدغار فور" و" بيار جولي" ممثلا للحكومة الفرنسية(2).

6- إتفاقيات الحكم الذاتي 3 جوان 1955 مضمونها والمواقف منها:

إن إتفاقيات الحكم الذاتي التي صادقت عليها الحكومتان التونسية والفرنسية يوم 3 جوان 1955م، قد منحت للتونسيين السيادة في مجالات مضبوطة بشروط تحددها هذه الاتفاقيات، والتي بدورها تحدّد ضمانات لفرنسا تمكنها من السيطرة على مجالات هامة وحيوية كقيلة ببسط نفوذها وتحقيق مصالح رعاياها، وضمان أمنهم.

*- وتشير المادة الأولى أن بنود هذه الاتفاقية كل لا يتجزأ أي لا يجوز أن يتم تطبيق جانب من الاتفاقيات، ورفض بعضها الآخر.

*- المادة الثانية تبقي العمل بما ورد في معاهدة " باردو " إلا أنها ألغت الفصل الأول من إتفاقية المرسى (10 نوفمبر 1884)، والذي يشل سلطة الباي، ويربط قراراته بمراقبة المقيم العام وموافقة(3).

ولئن ألغت هذه الاتفاقيات مهمة المقيم العام، فأنها عوضته بصورة غير مباشرة بخطة " المندوب السامي " الذي أوكلت له مهمة التنسيق بين الحكومة الفرنسية والسلطة

¹ - أحمد خالد، المرجع السابق، ص: 355.

² - أنظر ملحق الصورة (04).

³ - عمار السوفي، المرجع السابق، ص : 73.

التونسية، كما كلفته بمسؤولية الأمن؛ والدفاع وتسيير مصالح الملاحة الجوية والمدنية بتونس والتي تبقى تحت إشراف فرنسا مدة 25 سنة (1).

صادق المجلس الوطني الفرنسي على الاتفاقيات في 8 جويلية، ومجلس الدولة في 4 أوت، وأمضى عليها رئيس الجمهورية في 7 أوت، والباي في 27 أوت، ولم تدخل حيز التطبيق إلا في 01 سبتمبر 1955م (2).

وفي الحقيقة لم يطلع على نصوص الاتفاقيات إلا عدد قليل من الأشخاص، وهم المفاوضون ومساعدوهم، فمن جهة جاءت عودة " بورقية " إلى تونس في 01 جوان 1955م، ومباركته لنتائج المفاوضات، وإرتقاء التونسيين في نشوة الفرح والاحتفالات أبعدت أي تحليل وتمحيص ذكي لتلك النصوص (3).

من جهة ثانية بروز معارضة " صالح بن يوسف " جهرا لتلك الاتفاقيات، مع مواصلة مجموعات من المقاومين لنشاطهم المسلح، يقابله الأعمال الإرهابية لمنظمات المستوطنين مثل منظمة اليد الحمراء، وأوصلت الوضع العام للبلد أنه من جهة هناك مؤدي إتفاقيات الحكم الذاتي، وفي الجهة المقابلة هناك المعارضين لها سواء من التونسيين أو الفرنسيين، فكل طرف مقتنع بما يقوله زعماءه مع أو ضد الحكم الذاتي، دون محاولة فهم أسلوب تطبيقه (4).

إن الموقف الفرنسي من مستقبل العلاقات الفرنسية التونسية يرتكز على الفصل بين السيادة الداخلية والسيادة الخارجية، فعل المستوى الداخلي تحاول فرنسا التحكم في قضية نقل

¹ - عمار السوفي، المرجع السابق، ص ص: 73 - 75.

² - Archive national d'outre mer, Aix en Provence, France, b 26H/19. **Evolution de la situation politique en Tunisie du 1 juin 1955 au 15 Aout 1956, Le charge d'affaires de France en Tunisie, a Monsieur le secrétaire d'état au affaires étrangères. Direction général des affaires Marocaines et Tunisienne.**

أنظر الوثيقة رقم (03) في الملحق.

³ - Said MESTERI, op.cit, P : 286.

⁴ - Habib BOULARES, op.cit, P : 661.

السلطات للتونسيين مع إدراكها لمحدودية تطبيقه على أرض الواقع نظرا للشروط والحدود التي وضعتها أمام نشاط الحكومة التونسية، أما على المستوى الخارجي فهي تطالب بإبقاء رقابتها لهذا المجال وأيضا المجال العسكري أي الدفاع، ثم تقترح في مرحلة ثانية أن تتحول إلى مشتركة، التمسك بهاذين المجالين مرتبط بالتخوف الكبير لسياسة الجمهورية الفرنسية الرابعة من تطور الأوضاع في الجزائر والذي يمكن أن يؤدي إلى فقدانها، ولذا لم يكونوا مستعدين لنقل كافة مظاهر السيادة للتونسيين خصوصا مجالي الأمن والدفاع⁽¹⁾.

والبحث في جذور هذه الفكرة أي الإبقاء على الوضع القائم في تونس للحفاظ على الجزائر وكل المغرب العربي كملكيات فرنسية، ورد في مراسلات وتعليمات " جون فيري " Jules Fery " للإقامة العامة في تونس مذكرا بتعليمات وزير الخارجية " دروين ديليهوس Drouin De L'huys " سنة 1854م في عهد " نابليون الثالث " لممثل فرنسا لدى الباب العالي السيد "موستي Moustier": " بأن مصالح فرنسا العليا المرتبطة بإملاكنا للجزائر لا تسمح لنا بأن نتغاضى عن أي تهديد يمس بالوضع القائم في الإيالة والحفاظ عليه أصبح يمثل مبدأ أساسيا لسياستنا ... فهو يدافع عن الماضي والمستقبل الاستعماري من أجل مراقبة البحر المتوسط ومعه التواجد الفرنسي في شمال إفريقيا " (2).

وبالعودة إلى محتوى إتفاقيات الحكم الذاتي لتونس فقد أكد " أحمد بن مصطفى " وهو دبلوماسي تونسي سابق في حوار له مع جريدة " الصباح الأسبوعي " بأن هناك حوالي 90 صفحة من ملاحق الاتفاقيات الموقعة في 3 جوان 1955م، لم تنشر رسميا والقليل

¹ – Samia EL MECHAT, Les relations franco-Tunisiennes histoire d'une souveraineté arrachée 1955 – 1964, l'Harmattan, France, 2005, P : 11.

² – François METERAND, « La France était à Carthage » in présence Française et abandon Tribune Libre, Plou, Paris, 1957, P : 69. Cité par Abdelwaheb HCHACHI, P : 31.

من إطلع على فحواها وأن الصفحة الأولى فقط من الاتفاقيات التي تم نشرها في الرائد الرسمي في تلك الفترة⁽¹⁾.

كما أشار أن إتفاقيات الحكم الذاتي لا تشمل الاستقلال الاقتصادي والعسكري، بل بالعكس فتونس تعهدت لفرنسا بأن لا تؤمم الثروات النفطية والاستخراجية- وهو السبب الرئيسي لعجز جميع الحكومات التونسية المتعاقبة إلى يومنا هذا في إبطال نشاط الشركة الفرنسية لاستغلال وتصدير الملح التونسي- مؤكدا أن أخطر ما في الاتفاقيات هو عدم إلغائها لاتفاقية الحماية الموقعة بين تونس وفرنسا سنة 1881م، بل بالعكس أبقت عليها سارية المفعول إلى اليوم على الأقل في جانب منها. كما أبرز الدبلوماسي أن جل الاتفاقيات الموقعة مع فرنسا والاتحاد الأوروبي لاحقا بدءًا باتفاقية الحماية ووصولًا إلى إتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي غير منفصلة بل مترابطة وتهدف في مجملها إلى الحفاظ على مصالح فرنسا أولاً، ثم مصالح الدول الأوروبية ثانياً، والإبقاء على تونس بلدا تابعا لها وسوقا إستهلاكية، وعاجزا على النهوض تنمويا وإقتصاديا⁽²⁾.

7- الخلاف اليوسفي البورقيبي دوافعه مظاهره وانعكاساته:

من مؤتمر " باندونغ " في إندونيسيا مرورًا بالقاهرة، ثم عودته إلى تونس في 13 سبتمبر 1955م واصل " صالح بن يوسف " معارضته ونقده لإتفاقيات الحكم الذاتي، رغم عدم معارضته التفاوض مع فرنسا لكنه إشتراط لها حدًا أدنى عرف بمشروع " صالح بن يوسف " ويشمل خمسة نقاط وهي:

1-تحديد موعد لإنهاء العمل بكل إتفاق ينطوي على الحدّ من السيادة.

¹ - الصباح الأسبوعي، العدد 1580، الإثنين 4 جانفي 2016.

² - نفس المصدر.

2- إقامة حكومة تونسية متجانسة، مع نقل المسؤولية الكاملة عن صون الأمن العام إلى التونسيين بحيث لا تشترك في ذلك أي سلطة فرنسية عسكرية كانت أم مدنية.

3- إعادة جميع السلطات القضائية التي تتولاها الآن المحاكم الفرنسية إلى القضاء التونسي دون أي تفرقة سواء من ناحية الجنس أو الدين.

4- تولي الحكومة التونسية جميع شؤون المؤسسات التربوية ومعاهد التعليم مع السماح بوجود بعثة ثقافية فرنسية ولكن على ذات الأساس الذي يسمح به للبعثات الأجنبية الأخرى.

5- أن يكون للحكومة التونسية كامل الحرية في إنتهاج السياسة التي تراها في ميدان الاقتصاد والمسائل الجمركية على أن يراعى التوافق مع سياسة منطقة الفرنك الفرنسي (1).

هذه النقاط لم تؤخذ بعين الاعتبار عند الإمضاء على الاتفاقيات، وعملت السلطات الاستعمارية على إبعاد صاحبها ومنعه من الدخول إلى فرنسا والمشاركة في المفاوضات، فبينما نقل "بورقية" إلى فرنسا، كان "صالح بن يوسف" في "جنيف" قبل مغادرته سويسرا إلى "باندونغ" في 30 مارس 1955م، وكانت ترده معلومات حول سير المفاوضات من حين لآخر عن طريق "منجي سليم" (2).

فلما علم بتوقيع الاتفاقيات وهو في "إندونيسيا" صرّح بما يلي: "إن الشعب العربي في تونس يرفض المعاهدة التي وقّعها "بورقية" وجماعته مع فرنسا... إن الاتفاقيات تنص على أن فرنسا لها الحق وحدها في التصرف في مصيرنا الداخلي و الخارجي... إن الشعب

¹ - المنصف الشابي، المرجع السابق، ص: 162. أنظر أيضا Alger Républicaine, Mardi 4 janvier 1955

² - خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص: 173.

التونسي يرفض تلك الاتفاقيات وهو عازم على إحباطها بجميع ما لديه من وسائل " (1). كما صرّح بعد ذلك بأنها " خطوة إلى الوراء " (2).

وفي طريق عودته من " باندونغ " أكد من القاهرة على موقفه قائلاً: " إن الاتفاقيات نزعَت كل قيمة للحكم الذاتي " (3). أما " علال الفاسي " زعيم حزب الاستقلال المغربي فأعتبر أن الاتفاقيات هي أعظم خيانة وقعت في شمال إفريقيا منذ 250 سنة، كما عارضها أيضا " عبد الكريم الخطابي " في خطاباته، مع العلم أنه كان في خلاف كبير مع " بورقيبة " عندما كان معه في مكتب لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة 1949م، بسبب إتصالات هذا الأخير السريّة مع السفارة الفرنسية (4). وكرد فعل على تلك المواقف المعارضة للاتفاقيات حول الحكم الذاتي، صرّح بورقيبة لمبعوث جريدة لوفيجارو Le Figaro يوم 15 جوان بما يلي: " إننا قبل كل شيء واقعيون... أين سوف يقودنا رفض الاتفاقيات إن أمامنا عمل كبير ومشترك، ونحن في حاجة كبيرة لمساعدة- يقصد فرنسا- نعلم بأنها مضمونة " (5) وما إن أعلن " صالح بن يوسف " عن رغبته في العودة إلى تونس بعد غياب دام 42 شهرا حتى قرر " بورقيبة " إنهاء رحلته الاستجمامية في "لوشون Luchon" (6)، والعودة إلى تونس من أجل تحمل ثقل المسؤوليات المرتبطة بنظام الحكم الذاتي، وإعطاء الشعب التونسي الرفاهية والازدهار حسب قوله.

¹ - أحمد خالد، " الهادي نويّرة.... "، المرجع السابق، ص: 355.

² - Jean LACOUTURE, « cinq Hommes..... » op.cit, P : 166.

³ - Archive, N.O.M, B 26 H/ 19.

⁴ - عبد الكريم عزيز، " نضال شعب أبي.... "، المرجع السابق، ص: 547.

⁵ - Archive, N.O.M, B 26 H/ 19.

⁶ - غادر بورقيبة تونس في 28 جويلية لقضاء فترة نقاهة في فرنسا تدوم عدة أسابيع، نفس المصدر، Ibid

عاد " صالح بن يوسف " إلى تونس قادما من القاهرة في 13 سبتمبر 1955م، وكان في إستقباله بمطار " العوينة " حبيب بورقيبة "، وأعضاء الحكومة، وقادة الحزب الدستوري الجديد، وسط حضور جماهيري غفير وإحتفالية كبيرة (1).

القطيعة بين الرجلين أي رئيس الحزب والأمين العام، والتي أطلق عليها البعض الفتنة اليوسفية، (2) حدثت يوم 7 أكتوبر 1955م إثر خطاب شديد اللّهجة، أعلن فيه " صالح بن يوسف " من جامع الزيتونة إثر صلاة الجمعة قائلا: " إن حرّية شمال إفريقيا غير قابلة للتجزئة ولا يمكن لأي شعب من تلك الشعوب التمتع بالحرّية، مادام الشعبين الآخرين خاضعان للسيطرة الاستعمارية، ومنتقدا الاتفاقيات التي كرّست بكل وضوح ودون أي إلتباس النظام الاستعماري الموجود، والذي حاربه الشعب التونسي منذ فرض الحماية... والذي يحد حتى درجة العدم من مجالات نشاط الحكومة التونسية " (3).

كما وجه نداءا للشعب التونسي طالبا منه: " التصدي ومحاربة تلك الاتفاقيات، والتضامن مع كل الشعوب العربية والإسلامية التي تكافح وتقاوم الاستعمار، ومساندة المقاتلين في كل من الجزائر والمغرب " (4).

هناك من يرجع الخلاف بين الرجلين إلى قضية تسليم سلاح المقاومين والذي إشتراطته فرنسا قبل بدأ المفاوضات - وقد سبقت الإشارة له- فبينما وافق " بورقيبة " وطالب بتسليم السلاح والتخلي عن الكفاح المسلّح، رفض " صالح بن يوسف " فكرة تسليم سلاح المقاومين قبل معرفة مصير تونس بعد هذه المفاوضات (5). ورغم ما وصف به من تشدّد

¹ - GOUSSAUD FALGAS, « Français de Tunisie..... » op.cit, P : 43.

² - Anissa EL MATERI, op.cit, P : 252.

³ - Khalifa CHATER, « Tahar ben Ammar..... » op.cit, P : 248.

⁴ - Archive, N.O.M, B 26 H/ 19 voir aussi, Jean GANIAGE et Autre, « Histoire contemporaine.... » op.cit, P : 557.

⁵ - عادل يوسف، المرجع السابق، ص: 70.

في المواقف إلا أنه ساير أصحاب الخط المرن في مسألة تسليم السلاح، وتوجه إلى القاهرة ليقنع أعضاء مكتب المغرب العربي بهذه المسألة⁽¹⁾.

من جهته إختار " بورقيبة " مُهادنة فرنسا وعدم مجاببتها مستعملا أسلوب خذ وطالب أو ما أطلق عليه سياسة المراحل، مصرّحا مباشرة بعد عودته إلى تونس في 1 جوان 1955م بما يلي: " إن الاستقلال يبقى الهدف النهائي... وإن التطبيق الدقيق للاتفاقيات يتطلب منا إيجاد الصيغ التي تحقق الشراكة الحرة مع الصداقة والتضامن بين البلدين " ⁽²⁾.

كما أنه صرّح لمبحوث جريدة " لوموند Le Monde " قبل بدأ المفاوضات: " إن مصلحة فرنسا تقتضي أن نتفاوض مع حزب رجاله عصريون، لائكيون، كونتهم فرنسا، ويحيون بعبقريتها وثقافتها وبالبادئ التي علمتهم " ⁽³⁾.

أما فيما يخص موقفه من الثورة الجزائرية فقد صرّح قائلا: " أن الحكم الذاتي لتونس لن يدوم فهذا الوضع سيُمكن البلد وهو تحت قيادة حزب متحد من الحصول على إستقلاله التام وسيادته المعترف بها على المستوى الدولي، وسوف يكون أكثر نفعا وفعالية لتحرير الجزائر، بدل التجنّد إلى جانبها في مواجهة الجيش الفرنسي".⁽⁴⁾ وهو الموقف نفسه الذي عبّر عنه " أحمد بن صالح " الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل، الذي سعى إلى التوسط بين الرجلين مؤكدا أنه إضافة للخلاف حول إتفاقيات الحكم الذاتي بين الرجلين فهناك الخلاف حول الموقف من الثورة الجزائرية، فقبول الحكم الذاتي بالنسبة لصالح بن يوسف " يعني خيانة الثورة الجزائرية، على العكس من ذلك فقد صرّح أحمد بن صالح بما

¹ - عمار السوفي، المرجع السابق، ص: 77.

² - Jean LACOUTURE, op.cit, P : 164.

³ - عمار السوفي، المرجع السابق، ص: 78.

⁴ - Amor CHADLI, op.cit, P : 7.

يلي: " ما هو الأفضل للثورة الجزائرية، تونس تحت الحكم الذاتي يمكن لها أن تصبح قاعدة حيوية للثورة الجزائرية، أو إرسال آلاف التونسيين للمشاركة في الثورة " (1).

وحول الروابط والعلاقة بين الثورة الجزائرية وتطور الأوضاع في كل من تونس والمغرب فقد نقل الصحفي الفرنسي " بول بالطا Paul Balta " في حوار له مع الرئيس الراحل " هوارى بومدين " أكد له فيه هذا الأخير بأن جبهة التحرير الوطني أمضت على إتفاق سرّي بداية 1955م في إطار ميثاق القاهرة، مع كل من " علال الفاسي و " صالح بن يوسف " والذي نصّ على تعهد كل من المغرب وتونس في دخول الكفاح المسلّح إلى جانب الثورة الجزائرية ضدّ فرنسا، لكن هذا الاتفاق لم يُطبق فالزعيم المغربي عارضه قادة الحزب ونخبه أما " صالح بن يوسف " فوقف في وجهه " حبيب بورقيبة " (2).

دعم ومساندة صالح بن يوسف للثورة الجزائرية:

في وثيقة مصنفة "سري للغاية Secret, Confidentiel" موجهة للوزير الفرنسي لما وراء البحار وتحديدًا إلى السيد مدير الشؤون السياسية، بتاريخ 22 جانفي 1955م من طرف رئيس قسم التنسيق لأجهزة الأمنية العقيد "ترانكار Trancart"، تتضمن معلومات استخباراتية حول مشروع إنشاء "طابور خامس" "Cinquième Colonne" من طرف الوطنيين داخل الوحدات العسكرية لإفريقيا الشمالية في الجيش الفرنسي هذا نصها:

"من جنيف"، ومع بداية شهر ديسمبر، قام "صالح بن يوسف" بإعلام بعض أعضاء الحزب الدستوري الجديد بأن الزعماء الوطنيين الجزائريين بمختلف توجهاتهم سواء المعتدلين أو المتطرفين قد أصبحوا الآن متيقنين بأنه لن يمكن القيام بأي شيء في الجزائر دون مساندة العسكريين الجزائريين المنخرطين في الجيش الفرنسي.

¹ – Noura BORSALI, op.cit, P : 32.

² –Paul Balta, Le grand Maghreb des indépendance a l an 2000 »La découverte/Essai,Paris, 1990, P : 22.

وحسب "صالح بن يوسف"، فإن الوطنيين الجزائريين قرروا تركيز وتوجيه مجهودهم في عين المكان داخل الوحدات الجزائرية في الجيش الفرنسي على إنشاء "الطابور الخامس الجزائري" والذي سوف تكون مهمته في اليوم الذي يتقرر فيه إشعال الانتفاضة تصفية العسكريين وإطارات الجيش الفرنسي والاستيلاء على أسلحة الوحدات. كما أن الوطنيين الجزائريين ينتظرون الكثير من هذه الخطة لذا طلبوا من الشبان أداء الخدمة العسكرية بكل ضمير، حتى يحين الوقت للقيام بمهمتهم.

كما أكد "صالح بن يوسف" بأن تشكيل هذا الطابور الخامس تسير بوتيرة متسارعة، وأنه يفكر في تطبيقها في تونس داخل وحدات الأهالي للجيش الفرنسي⁽¹⁾.

وما يمكن استنتاجه من هذه الوثيقة أنها تكشف لنا جانبا من إستراتيجية الثورة الجزائرية في تجنيد وتوعية الشباب الجزائري على استغلال تجنيدهم العسكري في الجيش الفرنسي بما فيها السلاح، ثم الالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني الذي عانى في العامين الأولين من قلة المجاهدين والسلاح.

أما الاستنتاج الثاني والمرتبط بموضعنا، فيتمثل في الدعم اللامشروط للثورة الجزائرية من طرف الزعيم "صالح بن يوسف" وقربه وتواصله بالثورة الجزائرية وكيفية توحيد الجهود معها ومع المقاومة المغربية في مواجهة الاستعمار الفرنسي.

وبالعودة إلى موقف "أحمد بن صالح" فيمكن اعتباره تبريرا لمساندته "للحبيب بورقيبة" في مواجهة "صالح بن يوسف" خصوصا أثناء مؤتمر الحزب الدستوري الجديد المنعقد في

¹ - Archive d'outre mer, Aix-en-Provence, France, Ministère de France D'outre mer, à Mr le Directeur des affaires Politiques de la part du LT, Colonel Trancart, Note de renseignements, 1/ In AFF-POL. Carton 2131/3.

أنظر الوثيقة رقم (4) وتابعها في الملحق.

مدينة "صفاقس" - معقل أحمد بن صالح - والذي سوف يؤدي إلى إقصاء وطرده الأمين العام من الحزب (1).

وفي تقييمه للخلاف بين الرجلين يضيف " أحمد بن صالح " بأن هناك خصومات قديمة بين الرجلين غدتها الصحف ووسائل الإعلام والتي أدت للاستنتاج التالي، أن " بورقيبة " فرانكفوني، و " بن يوسف " يمثل العروبة والإسلام (2).

لابد من الإشارة أن إستراتيجية " بورقيبة " في مواجهة " صالح بن يوسف " تركز في السيطرة كليا على مفاصل الحزب الدستوري الجديد بتغيير قاداته وكذلك السعي لكسب تأييد النقابات العمالية، وفي هذا الإطار فقد بادر مباشرة بعد عودته من المهجر بزيارة الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة في 6 جويلية 1955م وإقناعه بأن الهدف من الاتفاقيات التونسية- الفرنسية هو الاستقلال التام (3).

وفي إجتماع للمكتب السياسي للحزب الدستوري الجديد المنعقد في 8 أكتوبر 1955م تحت رئاسة " حبيب بورقيبة "، تقرّر عزل " صالح بن يوسف " من منصب الأمين العام، وطرده من الحزب (4).

حاول الأمين العام للاتحاد التونسي للشغل التوسط بين الرجلين فتوجه إلى منزل " صالح بن يوسف " مع مجموعة من المناضلين لإقناعه بالحوار والتفاهم مع " بورقيبة " بعد

¹ - لم يشفع هذا الموقف لأحمد بن صالح " فأثناء التحضير للمؤتمر السادس للاتحاد العام التونسي للشغل في سبتمبر 1956م، حيث سلّم لبورقيبة نسخة عن البرنامج الاقتصادي والاجتماعي للاتحاد، فغضب هذا الأخير وقام برمييه وقال هذه شيوعية، وفجّر أزمة مع اتحاد الشغل مستغلا غياب " أحمد بن صالح " - المتواجد في المغرب - فضغط على المكتب التنفيذي لإبعاده وإقصائه وتعيين أحد أتباعه مكانه، ورغم فشل المحاولة الانقلابية إلا أنها دفعت بأحمد بن صالح " إلى تقديم إستقالته أكثر من هذا قرّر الابتعاد كليا عن أي نشاط نقابي أو سياسي. أنظر:

Kamel Chenoufi et Gilles Gallo, op.cit, P : 23.

² - Noura BORSALI, op.cit, P: 32.

³ - محمد لطفي الشابي، المرجع السابق، ص: 32.

⁴ - Archive, N.O.M, b 26H/ 19.

ما أخذ تعهد من هذا الأخير بعدم نشر قرار عزل وطرد بن يوسف من الحزب فلما طلب منه حضور المؤتمر وأن "بورقيبة" قبل تأجيل نشر القرار، ردّ عليه "صالح بن يوسف": " أنت نيّة، كنت في إتصال منذ لحظات مع هنري سماجة Henry Smadja - مؤسس جريدة "ربراس La Presse": وأخبرني بأن وكالة الأنباء الفرنسية A.F.P قد نشرت قرار عزله وطرده من الحزب"، وأضاف بأنه لا يمكن له حضور المؤتمر لأن حاشية " بورقيبة " المعروفة بالوردان تنتظرني لتصفيتي وقتلي " (1).

وبطبيعة الحال جاء ردّ فعل " صالح بن يوسف " بعدم الاعتراف بالمكتب السياسي، وأعلن عن إنشاء أمانة عامّة تحت رئاسته، ليقوم بجولة في المدن التونسية لتجنيد الشعب لصالحه (2).

كما شكلت خلايا موالية له وللأمانة العامّة في " القلعة الكبرى"، و " زرمدين " و " سوسة"، و " المنستير " وخاصة في الجنوب الشرقي، لتبرز مجموعات مقاومة أطلق عليها بعض المؤرخين الثورة الثانية إستمر نشاطها حتى أفريل 1956م، وهذا في مواجهة الجيش الفرنسي والقوات المساعدة من الحرس التونسي ولجان الرعاية (3).

في هذه الأجواء المضطربة كلّف " بورقيبة " أحد مقربيه وهو " عبد الله فرحات " (4) بتحضير مؤتمر الحزب الدستوري الجديد الذي إنعقد في مدينة " صفاقس " معقل " أحمد بن صالح - الأمين العام للاتحاد التونسي للشغل - وذلك بين 15 إلى 18 نوفمبر 1955 بحضور 1500 مندوب قدموا من كل أرجاء تونس (5).

¹ - Noura BORSALI, op.cit, P: 32.

² - Amor CHADLI, op.cit, P: 74.

³ - عادل يوسف، المرجع السابق، ص: 71.

⁴ - Habib BOULARES, op.cit, P: 671.

⁵ - Gaussaud FALGAS, op.cit, P: 44.

كما حضر المؤتمر ممثل عن الحكومة المصرية وهو الوزير " حسان الباكوري "، وكذلك ممثل عن الحكومة الليبية، وعدة شخصيات من الشرق الأوسط وحتى من الهند⁽¹⁾.

في نهاية المؤتمر عبّر المشاركون عن ثقتهم في " بورقيبة " وفي المكتب السياسي مطالبين بالتطبيق الفوري للاتفاقيات الفرنسية التونسية للحكم الذاتي دون أي تنازل وإجراء إنتخابات بلدية عامّة⁽²⁾.

إن هذا الإنتصار الذي حقّقه " بورقيبة " كان بفضل المساندة الحاسمة للاتحاد العام التونسي للشغل وأمينه العام " أحمد بن صالح " ⁽³⁾.

تزامن هذا المكسب السياسي لـ "بورقيبة " ، مع عودة "الملك محمد الخامس" إلى المغرب في 16 نوفمبر 1955م، إثر المفاوضات المغربية الفرنسية التي أدّت إلى إتفاقية سال سان كلو Celle Saint Cloud يوم 06 نوفمبر وبمقتضاها وافقت فرنسا على فتح مفاوضات مع المغرب الهدف منها إرتقاء البلد إلى نظام الدولة المستقلة. هذا التنازل من الحكومة الفرنسية برئاسة "أنطوان بيناي Antoine Pinay" إتجاه القضية المغربية، سيوظفها بورقيبة في الضغط على الحكومة الفرنسية لإجبارها على قبول مبدأ التفاوض حول الاستقلال التام⁽⁴⁾.

وبالعودة إلى الملف والصراع اليوسفي البورقيبي، وتوضيح الصورة أكثر يمكن القول أن الحركة الوطنية والنقابات العمالية إنقسمت إلى جبهتين الأولى تساند " صالح بن يوسف " وتشمل الحزب الدستوري القديم، والاتحاد العام للحرفيين التونسيين وطلبة جامعة الزيتونة. أما

¹ – –Archive, N.O.M, b 26H/ 19.

² – Gaussaud FALGAS, op.cit, P: 44.

³ – Jean LACOUTURE, op.cit, P: 166.

⁴ – محمد لطفي الشابي، المرجع السابق، ص ص: 33-34.

مؤيدو " بورقية " فنجد الحزب الدستوري الجديد، والاتحاد العام التونسي للشغل، والاتحاد التونسي للشغل، والحزب الشيوعي التونسي (1).

أما داخل بلاط الباي فكان في صف " صالح بن يوسف " كل من " محمد لمين باي " وابنه " شاذلي باي "، أما مساندي بورقية فهما إبنو الباي الآخرين " صلاح الدين " و " أمحمد "، ومراهنه " صالح بن يوسف " على الباي كانت عقيمة نظرا لضعف شخصية هذا الأخير، ووقوفه موقف المتفرج من الأحداث الخطيرة التي عاشتها تونس، وهو ما سهل مهمة الاستعمار في الضغط عليه وفتح الطريق أمام " بورقية " لتولي مقاليد السلطة في البلد (2).

نفس الانقسام نجده في موقف الصحافة، فالناطقة منها بالفرنسية أغلبها كان في صف بورقية منها جريدة " العمل " " L'Action "، أما الصحف الناطقة بالعربية والمؤيدة "لصالح بن يوسف" فهي " الصباح " و " البلاغ " و " اليقظة "، و " الزهرة " (3).

أما الصحف الفرنسية فكان لها دور فعال في دفع حكومتها للمراهنة على " بورقية " خصوصا أثناء المفاوضات، والعمل على تذليل العقبات التي تعترضها، كما حدث مع الصحفي "شارل صومان Charles Saumagne"، الذي ساهم في دفع المفاوضات عند توقفها، فهاتف " بورقية " يحثه للتدخل وتطوير الخلاف وإنقاذ الموقف (4).

8- إستجداد بوقبية بالقوات الفرنسية لتصفية المعارضة اليوسفية:

بعد مؤتمر صفاقس أصدر الديوان السياسي بلاغا بحل الأمانة العامة، وتكوين لجان ملاحقة ومطاردة أنصار " صالح بن يوسف " (5)، حيث إستجد بورقية بالقوات الفرنسية

¹ – Yves KATAN BENSAMOUN, op.cit, P: 328.

² – عمار السوفي، المرجع السابق، ص ص: 88-89.

³ – Archive, N.O.M, b 26 H/19

⁴ – عمار السوفي، المرجع السابق، ص: 81.

⁵ – عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص : 552.

التي تلقت أوامر للتعامل بصرامة مع المعارضة اليوسفية،⁽¹⁾ كما عبّرت الحكومة الفرنسية عن استعدادها لوضع قوات الشرطة تحت إشراف الحكومة التونسية في تصديها للأخطار التي يمثلها أنصار " صالح بن يوسف"،⁽²⁾ وهو ما تم فعلا في 8 ديسمبر 1955م حيث قامت سلطة الاحتلال بالتنازل عن قوات الأمن (الشرطة) لصالح الحكومة التونسية⁽³⁾ مع مواصلة دعمها ومساندتها وتوجيهها ميدانيا.

في هذه الفترة الحاسمة من أجل الاستقلال بدأت خطة " بورقيبة " في أبعاد وتصفية كل من يمثل تهديدا لطموحاته بالتعاون مع المخابرات الفرنسية أحيانا، فمن مجموع أول مكتب سياسي للحزب الدستوري الجديد، لم يبق إلا هو في السلطة وعلى قيد الحياة، وهذا ليس صدفة فهؤلاء الأعضاء إما أبعادوا أو تم إغتيالهم⁽⁴⁾.

في 29 ديسمبر 1955م قام الباي بالإمضاء، على قانون إنشاء الهيئة التأسيسية، وتم تقديم الانتخابات المقررة في 08 أبريل إلى 25 مارس 1956م حيث إنتخب بورقيبة رئيسا للمجلس التأسيسي بالأغلبية الساحقة⁽⁵⁾.

مقابل هذا تم رفض طلب " صالح بن يوسف " عن طريق حكومة " طاهر بن عمار " لإقامة تجمع شعبي في 18 ديسمبر 1955م بحجة الظروف الأمنية لكن هذا الأخير أصّر على إقامة تجمعهم فتدخلت قوات الأمن وأطلقت النار فسقط قتيل وثلاث جرحى وإثر هذه

¹ – Jean LQCOUTURE, op.cit, P: 164.

² – Khalifa CHATER, op.cit, P:

³ – Amor CHADLI, op.cit, P: 75.

⁴ – بدأت تصفية المنافسين السياسيين لبورقيبة " بإغتيال " المنصف باي " الملك الشهيد الوطني في فرنسا بوجوده لم يكن هناك مكان " لبورقيبة "، ثم تلاه اغتيال " فرحات حشاد " الذي عبدّ الطريق " لبورقيبة "، ثم يأتي إبعاد " صالح بن يوسف " من قيادة الحزب عن طريق مؤامرة داخلية، ثم يتم اغتياله في ألمانيا على يد رجال بورقيبة: أنظر: Kamel CHENOUFI et Gilles GALLO, op.cit, PP: 30-31

في: 15 ديسمبر 1973، في محاضرة أمام طلبة المعهد الوطني للصحافة وعلوم الإعلام قال بورقيبة: " لقد طلبت من "حسان بن عبد العزيز" أن يقدم لي المتطوعان اللذان قام باغتيال " صالح بن يوسف " في فندق في ألمانيا- من أجل تقليدهما وساما شرفيا والذي خلّص تونس من هذه الأفعى. أنظر: **Bourguiba Lépreuve de la démocratie 1956-1963**, Noura BORSALI, Sfax, Sauned éditions, 2008, P : 110, in Anissa EL MATERI HACHED, op.cit, P : 253.

⁵ – Samya EL MECHAT, op.cit, P: 11.

الأحداث الدامية صرّح " صالح بن يوسف " قائلا: " إن الحكومة الحالية لا تحمل من تونس إلا الاسم، والمسؤول الوحيد على بقائها في السلطة هو " حبيب بورقيبة".⁽¹⁾ كما إنتقد الديكتاتورية الفاشية التي تسيطر على البلاد مصرّحا: " سوف أدخل في حرب مع بورقيبة " الذي لم يعد المجاهد الأكبر وإنما الخائن الأكبر " ⁽²⁾.

في هذه الأثناء تأتي الحملة القمعية العنيفة والمفاجئة والواسعة من طرف الحكومة التونسية تساندها قوات فرنسية بتوجيه وقيادة " منجي سليم " وزير الداخلية – كان لمدة طويلة نائبا لصالح بن يوسف-⁽³⁾ ضد قادة ومؤيدي هذا الأخير، حيث بدأت الحملة في 28 جانفي 1956م، أما صالح بن يوسف " فتمكن من الفرار إلى ليبيا " بعدما علم بأمر إلقاء القبض عليه ممضى من " منجي سليم " ⁽⁴⁾.

وفي 29 جانفي قرّرت الحكومة التونسية إنشاء المحكمة العليا لمعاقبة كل من يقوم بعمليات تخريبية أو مهاجمة الخلايا الدستورية أو القيام بعمليات فدائية ضد القوات الفرنسية ⁽⁵⁾. كما خاطب آلان سفاري Alain Savary كاتب الدولة الفرنسي المكلف بالشؤون التونسية والمغربية البرلمان الفرنسي حول خطورة الأوضاع بتونس، وقضية فرار " صالح بن يوسف " إلى ليبيا، وبأنه سوف يكون عصابات فدائية مسلحة سوف تساهم في تأزم الأوضاع أكثر في تونس⁽⁶⁾.

¹ – Khalifa CHATER, op.cit, P: 263.

² – Jean GANIAGE et autre, op.cit, P: 557.

³ – Mohamed Bechir HALAYEM et autre, op.cit, P : 41.

⁴ – Archive, N.O.M, b 26 H/ 19.

⁵ – Amor CHADLI, op.cit, P: 76.

⁶ – عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص : 552.

هذا التهديد " اليوسفي " مثل ورقة ضغط في يد " بورقيبة " على الحكومة الفرنسية لمراجعة إتفاقيات الحكم الذاتي مستعملا في ذلك جريدة " الأمل " الموالية له، في حملة إعلامية لتحقيق ذلك الهدف (1).

هناك عامل آخر ساهم وعجل بفتح باب المفاوضات من جديد بين تونس وفرنسا، ويتمثل في توجه المغرب نحو الاستقلال التام، ففي شهر نوفمبر 1955م عندما كان " بورقيبة " يسعى بشتى الوسائل لإقناع مناضلي الحزب الدستوري الجديد والشعب التونسي بفكرة الاستقلال الداخلي، رضخت فرنسا للسلطان "محمد الخامس" حيث تم نقله من منفاه في مدغشقر إلى مقر إقامته في سال سان كلو Celle Saint Cloud بفرنسا، والدخول معه في مفاوضات من أجل عودته إلى المغرب فوجدته متمسك بالاستقلال التام فقبلت بهذا الشرط (2) وعلى أساسه تم تشكيل حكومة مغربية، ليس من أجل التفاوض على الحكم الذاتي كما حصل في تونس وإنما التفاوض على إجراءات تطبيق الاستقلال التام الذي أعلنه السلطان " محمد الخامس " إثر عودته إلى المغرب في 18 نوفمبر 1955م، وهو التاريخ الذي يحتفل فيه المغرب بإستقلاله إلى اليوم (3).

9- المفاوضات التونسية الفرنسية واستقلال تونس 20 مارس 1956:

قبل توجهه إلى فرنسا تلقى " بورقيبة " الدّعم من المجلس الوطني للحزب الدستوري، المجتمع في تونس، مؤكدين على ضرورة إختصار مراحل نقل المسؤوليات، وبأن الحزب لا يعتبر نفسه مقيداً بإتفاقيات الحكم الذاتي الممضاة في 3 جوان 1955م (4).

¹ – Archive, N.O.M. b 26H/ 19.

² – أشرف الملك محمد الخامس على المفاوضات مباشرة، وفتحت أول جلساتها يوم 22 فيفري 1956م، وترأس الوفد المغربي، السيد "مبارك البكاي" رئيس الوزراء وترأس الوفد الفرنسي وزير الخارجية م. بينو Pinaut. أنظر: البصائر، العدد 355 ليوم 24 فيفري 1956م.

³ – Habib BOULARES, op.cit, PP: 672-673.

⁴ – Samya EL MECHAT, op.cit, P: 10.

وما يلفت إنتباه في هذا الموضوع أن وسائل الإعلام في تلك الفترة سواء في تونس أو فرنسا، أكدت أن التوصيات النهائية لمؤتمر الحزب الدستوري الجديد والتي سوف تكون قاعدة التفاوض الجديدة مع فرنسا هي نقل حرفي لمشروع وشروط " صالح بن يوسف " للدخول في مفاوضات مع فرنسا، والأكيد أن " بورقيبة " وأنصاره سعوا بهذه المناورة إلى سحب البساط من تحت أرجل الأمين العام، كما كان هدفهم أيضا تكييف قضية تونس مع القضية المغربية، وردّا على إنتقادات دول المشرق العربي والتي حيّت فيها الكفاح المسلح في الجزائر. يضاف لها الإجابة على تساؤلات المجموعة الآفرو آسيوية الحاضرة في المؤتمر حول الموقف الذي يجب أن تتخذه في الأمم المتحدة ⁽¹⁾. وفي طريقه إلى فرنسا لم ينسى " بورقيبة " وعد " منديس فرانس " Mendes France له بأن تونس ستبقى في المقدمة En tête du Peloton، لكن رئيس الحكومة الجديد الاشتراكي " غي مولي Guy Mollet " ⁽²⁾ الذي تولى الحكم في 2 جانفي 1956م لم يكن موافقا ومؤيدا لرأي سلفه، لكن بتوجيه من " آلان سفاري Alain Savary " المحاور الرئيسي " لبورقيبة " في منفاه أثناء المفاوضات وبمساعدة قوية لوزير الخارجية " كريستيان بينو " Christiane Pineaux " تمكنا من تليين موقف رئيس الحكومة لقبول مبدأ التفاوض من جديد مع بورقيبة ⁽³⁾.

كما أعلن الحزب الاشتراكي الفرنسي مساندته لمسعى بورقيبة على لسان النائب " أورست روزنفلد " Oreste Rosenfeld في خطابه أثناء أشغال مؤتمر الحزب بين 14-15 جانفي 1956م قائلا: "إن المشكل التونسي مطروح بصفة حادة. أنتم تعلمون كيف يوظف " صالح بن يوسف " بذكاء حرب الجزائر ضد " بورقيبة "، إن تطوّر الوضع في تونس مرتبط بصفة كبيرة بحل المشكل الجزائري، وإذا أردنا أن لا نترك بورقيبة والحزب

¹ - Habib BOULARES, op.cit, PP: 676-677.

² - غي مولي Guy Mollet: 1905-1975، سياسي فرنسي تولى منصب وزير دولة في حكومة "بلوم" ثم حكومة "بلقن" ثم وزيرا أولا من جانفي 1956 إلى ماي 1957، اتخذ قرار المشاركة في العدوان الثلاثي على مصر لنشر دعم هذه الأخيرة للثورة الجزائرية، أنظر: .Michel Mourre, op.cit., P : 751.

³ - Jean LACOUTURE, op.cit, P : 167.

الدستوري الجديد يضعفان يجب علينا في الحين، الإعلان عن إلغاء معاهدة " باردو "، إن التمسك بها في الاتفاقيات التونسية- الفرنسية لسنة 1955م أصبح لا معنى لها من الناحية القانونية، وهو خطأ بسيكولوجي فادح، وإعتبارا أنه تم الإتفاق على بطلان معاهدة فاس، فإن إلغاء معاهدة " باردو " أصبح ضروريا، إن حكومة الجبهة الجمهورية ستدعم سلطة الحكومة التونسية وزعيم الحزب الدستوري الجديد إذا بادرت بإلغاء معاهدة الحماية وسعت إلى التوفيق المنتظر بين الاتفاقيات الحالية وما ستسفر عليه تراتيب المعاهدة التي سوف توقع مع المغرب الأقصى (1).

هذه الليونة من الحكومات الفرنسية والحزب الاشتراكي في تعاملها مع القضيتين التونسية والمغربية يقابلها أسلوب ترهيب وحرب شاملة للقضاء على الثورة الجزائرية (2). في بداية فيفري 1956م توجه " بورقيبة " إلى فرنسا حيث إلتقى كل من رئيس الحكومة " غي مولي " Guy Mollet ووزير خارجيته كريستيان بينو Christiane Pineaux وكاتب الدولة للشؤون التونسية والمغربية " ألان سفاري " Alain Savary و ارتكزت المحادثات على أربع نقاط وهي توسيع مجال الاتفاقيات من أجل دعم شخصية وسيادة الدولة التونسية، وإنشاء نواة جيش تونسي، والتمثيل الخارجي وأخيرا القضية الجزائرية، وخلال تلك المحادثات أكد بورقيبة على ضرورة الربط بين الاستقلال والشراكة مع فرنسا، كما أكد على خطر الحركة اليوسفية مطالبا الجانب الفرنسي إضافة مواد للاتفاقيات تؤدي إلى التعاون الميداني للقضاء على هذا التهديد (3).

¹ - محمد لطفي الشابي،.. المرجع السابق، ص ص: 34-35.

² - أغلبية المصادر والمراجع التي تناولت موضوع القضية التونسية، لا تشير إلى تأثير الثورة الجزائرية وما تسببت فيه من سقوط الحكومات الفرنسية بدءا بحكومة " ماندريس فرانس " إلى حكومة " غي مولي " الذي كان إهتمامه منصبا في القضاء على الثورة الجزائرية بإنتهاج أسلوب حرب إبادة مع رفع مدة الخدمة العسكرية من سنة إلى سنتين ونصف، مع ضرورة إمضاء لمجند لسنة في الجزائر، إقامة خط " مورييس " الملغم والمكهرب على الحدود الشرقية مع تونس لعزل الثورة، إقامة المحتشدات وإنشاء المناطق المحرمة وتطبيق سياسة الأرض المحروقة والقيام بعمليات تمشيط عسكرية واسعة. تنفيذ أحكام الإعدام في أكثر من 160 شهيد يتقدمهم أحمد زبانة جوان 1956 في عهد وزير العدل " فرانسو ميتران " دون أن ننسى القرصنة الجوية وإختطاف الطائرة المغربية المقلة للوفد الخارجي للثورة الجزائر في 22 أكتوبر 1956.

³ - Samya EL MECHAT, op.cit, P : 10.

تجدّدت المفاوضات في 27 فيفري 1956 بين الوفد التونسي المشكل من رئيس الحكومة " طاهر بن عمار" بمساعدة " باهي لدغم " الأمين العام الجديد للحزب الدستوري الجديد والذي عُين نائباً لرئيس الحكومة، وجرّت تلك المفاوضات في الوقت الذي عرفت فيه تونس تضاعفاً للعمليات الإرهابية من طرف المستوطنين الفرنسيين، يقابلها ضربات للمقاومة اليوسفية، تقابلها ليونة من طرف الشرطة إتجاه المتظاهرين الفرنسيين اللذين وصل بهم الأمر إلى حرق العلم الفرنسي أمام مقر الإقامة العامّة، ولم تقم بأي مجهود لإلقاء القبض على الفرنسيين المتورطين في عمليات تستهدف شخصيات تونسية، مقابل ذلك تتعامل الشرطة الفرنسية بكل حزم وشدة ضد التونسيين أثناء المظاهرات أو عندما يكون الضحايا فرنسيون حتى وإن لم تكن إدانتهم واضحة وأكيدة، مع إستمرار الجيش في مطاردة خلايا المقاومة خصوصاً في الجنوب (1).

عموماً إرتكزت مطالب الوفد التونسي على ضرورة تولية مسؤوليات الأمن والشؤون الخارجية والدفاع، وقد أبدى كل من وزير الخارجية وكاتب الدولة للشؤون المغربية والتونسية تفهماً لهذه المطالب (2).

أما رئيس الحكومة " غي مولي " فقد سعى للإبقاء على حق تدخل فرنسا في هذه المجالات وجعلها مسؤولية مشتركة (3).

في تلك أثناء وافقت الحكومة الفرنسية على إستقلال المغرب الذي أعلن عنه في 02 مارس 1956م مقابل ذلك حاولت فرض ما اسمته الاستقلال المرتبط بالتكافل L indépendance dans l interdépendance وكانت سببا في تعطل المفاوضات مرتين، وكادت تفشل بسبب شرط بقاء تونس في الاتحاد الفرنسي.

¹ – Habib BOULARES, op.cit, PP: 678-679.

² – عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص: 557.

³ – Sauraya EL MECHAT, op.cit, P. 11.

وفي هذا الموضوع صرح " باهي الأدغم " بأنه لا يمكن الحديث عن الاستقلال في إطار الاتحاد الفرنسي إلا بعد الحصول على الاستقلال ⁽¹⁾. لتتم عدة لقاءات بين " باهي الأدغم " و " آلان سفاري "، ثم لقاء بين " غي مولي " و " بورقيية " يوم 6 مارس الذي لم يفضي إلى أي نتيجة لكنه وجد إستجابة لدى وزير الخارجية " كريستيان بينو "، من جانبه تمكن " طاهر بن عمار " من لقاء " غي مولي " ⁽²⁾ كل هذه اللقاءات ساهمت في تقليص فجوة الخلافات بين الطرفين وأدت في الأخير إلى الإمضاء على بروتوكول " إتفاق تعترف فيه فرنسا رسميا بإستقلال تونس في 20 مارس 1956 ⁽³⁾.

وحول مضمون هذا الاتفاق أكد الدبلوماسي التونسي " أحمد بن مصطفى " أنه جاء في صفحة واحدة تضمّنت المبادئ العامة للإستقلال، ونصّت على أن إتفاقيات الحكم الذاتي الممضاة في 3 جوان 1955م ومعاهدة باردو 1881م، لم يعد مفعولها ساريا بالنسبة للجوانب التي تتعارض مع الاستقلال التام. كما نصّت إتفاقية الاستقلال على تحديد جولات تفاوض بين فرنسا وتونس تشمل جميع القطاعات الحيوية مثل الاقتصاد والتجارة والزراعة والأمن، وهو ما يُثبت نية فرنسا حينها إلى عدم التفريط في تونس كليا وجعلها تدور في فلكها السياسي والاقتصادي خاصّة ⁽⁴⁾.

¹ - عبد الكريم عزيز، نفس المرجع.

² - في شهر فيفري قام " غي مولي " Guy Mollet بزيارة للجزائر أصابته بصدمة نتيجة مظاهر العداوة التي إستقبله بها المستوطنون الفرنسيون في الجزائر. عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص: 557-558. والحقيقة الصادمة هي إتساع نطاق الثورة الجزائرية وإلتفاف كل فئات الشعب حولها وأصبح الوجود الاستعماري فيها مهددا، مما سوف يعجل بإستقلال كل من تونس والمغرب. المؤلف.

³ - Habib BOULARES, op.cit, P : 679.

⁴ - الصباح الأسبوعي، العدد 1580، الاثنين 4 جانفي 2016.

أما " بورقيبة " فستفتح الطريق أمامه، فبعد إنتخابه رئيسا للمجلس التأسيسي في 8 أبريل 1956م ثم وزيرا أولا 14 جويلية 1956م، وأخيرا رئيس الجمهورية 25 جويلية 1957م، وهو نفس تاريخ الإعلان عن قيام النظام الجمهوري في تونس وإلغاء الملكية ⁽¹⁾.

¹ - نفسه أيضا Archive, N.O.M. b 26H/19

الفصل الثالث

البصائر والقضية التونسية 1951 – 1953

1-التعريف بالبصائر:

تعد "البصائر" رابع صحيفة تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد كل من السنة، الشريعة، الصراط وهي من أهم الصحف العربية الجزائرية، صدرت لأول مرة في قسنطينة ثم إنتقلت إلى الجزائر العاصمة، والبصائر سلسلتان الأولى صدرت بين 1935م-1939م⁽¹⁾.

ويعود الفضل في تأسيسها إلى مجموعة من العلماء ممن هاجروا للمشرق العربي لطلب العلم، وفي مقدمتهم الشيخ العلامة " عبد الحميد بن باديس " الذي أدرك بفطنته أن مشروعه الإصلاحى لابد له من وسيلة لإيصاله للشعب فكان تأسيس الصحافة، ففي قسنطينة ظهرت جريدة " المنتقد " ثم " الشهاب "، وببكرة جريدة " صدّى الصحراء " ثم " الإصلاح ".⁽²⁾ ومن العوامل التي ساهمت في ظهور الصحافة الوطنية أيضا الاستفادة من تجربة بلدان المشرق العربي في هذا مجال بسبب الاحتكاك والتنقل مع بلاد المغرب العربي.

ظهر رواد مصلحين ومتقنين أدركوا بأن أفضل وسيلة في مواجهة الاستعمار، والدفاع عن مقوماتهم الدين الإسلامى واللغة العربية هي الصحافة المكتوبة.

تحدي الاستعمار لمشاعر شعوب المغرب العربي عموما والشعب الجزائري خصوصا من خلال إحتفالاته بالذكرى المئوية لإحتلال الجزائر.

ظهر صحافة كلونىالية في أقطار المغرب العربي، ودفاعها عن أطروحات الاستعمار، مما ساهم في التعجيل بظهور صحافة وطنية إصلاحية إستقلالية للرد عليها.

¹ - بن صالح ناصر محمد، " الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1954م "، دار ألفا، الطبعة الثانية 2006، ص: 212.

² - البصائر، العدد 317 ليوم 6 ماي 1955م.

ساهم نشاط تلك الصحافة وتلك الجرائد في التقاف الشعب حولها وخصوصا الشباب وذاع صيتها فثارت ثائرة الطرقيين في الجزائر وساندتهم بعض علماء فاس، وكان لسانهم جريدة " البلاغ " التي يصدرها " إخوان الطريقة العلوية " - وصل بهم الحد لمحاولة إغتيال ابن باديس - ليأتي على إثرها تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁽¹⁾.

وبالعودة إلى السلسلة الأولى من البصائر، فقد ظهر العدد الأول منها في 27 ديسمبر 1935م وكان رئيس تحريرها " الطيب العقبي " جاءت في 8 صفحات، وما تميزت به طيلة 180 عدد هو طابعها النضالي ومعاركها الفكرية ضد أعدائها من الموظفين الرسميين، ورجال الطريقة الذين كانوا في خدمة الاستعمار⁽²⁾.

وحسب بعض الكتاب والمؤرخين فإن " البصائر " أقل تعبيراً عن المواقف السياسية، وقد يعود هذا لعوامل داخلية بمعنى الخطة التي تنتهجها لنفسها الجريدة وهي الابتعاد عن السياسة والإلتزام بالوعظ والإرشاد، والجانب الثاني في هذا التوجه هو التأويل الذي كانت تقوم به السلطات الاستعمارية في تطبيق قانون حرية الصحافة الذي صدر في فرنسا 1881م، وكان هذا القانون يميز بين الصحف الفرنسية التي لا يمكن وقفها إلا بقرار قضائي، والصحف الأجنبية التي يكفي لوقفها قرار من وزير الداخلية، وبما أن اللغة العربية كانت تعتبر أجنبية في الجزائر فإن الصحافة العربية أصبحت تعتبر أجنبية ويكفي لوقفها طلب من الوالي العام في الجزائر، ووصل الأمر إلى وقف صدور جريدة عربية إنطلاقاً من برقية ترسل إلى الجزائر بهذا الشأن⁽³⁾.

¹ - تأسست جمعية العلماء المسلمين في 5 ماي 1931 بنادي الترقى في الجزائر العاصمة بحضور 72 من العلماء وطلبة العلم وعين الشيخ " أبا يعلى زواوي " رئيساً شرفياً - في غياب ابن باديس الذي عين رئيساً للجمعية - أما الأمين العمودي فعين كاتباً عاماً والذي تلى القانون الأساسي الذي حرره " أحمد توفيق المدني ". وكرّد فعل من الطرقيين وبدعم من الاستعمار قاموا بإنشاء جمعية السنة التي ترأسها الشيخ الحافظي. أنظر: البصائر، العدد 317 نفس المصدر.

² - بن صالح ناصر محمد، نفس المرجع، ص: 216.

³ - زهير إحدادن، " الصحافة المكتوبة في الجزائر "، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص: 95.

وبدأت هذه الإجراءات سنة 1925م عندما أوقفت جريدة " المنتقد " التي كان يصدرها " عبد الحميد ابن باديس " بسبب إهتمامها وتغطيتها للثورة الريفية في المغرب الأقصى بقيادة عبد الكريم الخطابي، وخصصت لها شروح وافية كان سببا كافيا لوقفها، وهكذا أخذت الصحف العربية صبغة دينية أو أدبية أكثر منها سياسية خلافا للصحف بالفرنسية (1).

وقد يكون هذا الحكم صائبا بالنسبة لسلسلة " البصائر " الأولى، أما الثانية فقد عرفت تحولا هاما بتغطيتها لكثير من الأحداث السياسية وإبداء الرأي فيها سواء كانت محليا مغاريا وحتى دوليا كما سوف نوضحه.

توقفت " البصائر " عن الصدور سنة 1939م، مع إندلاع الحرب العالمية الثانية حتى لا تكون وسيلة دعائية للاستعمار، ثم جاءت وفاة "ابن باديس" 16 أفريل 1940 رحمه الله في إقامته الجبرية في "قسنطينة"، وإبعاد ونفي "بشير الإبراهيمي" إلى أفلو في الجنوب الجزائري. وإشتد المرض بـ" مبارك الميلي " حتى توفي، وسجن "العربي التبسي" بالسجن العسكري، وباقي العلماء عانوا من السجن أو الإبعاد (2).

بعد الحرب العالمية الثانية وتحديدا 1947م عادت جريدة " البصائر " للصدور في سلسلة ثانية وإستمرت حتى 1956م بمجموع 361 عددا حيث توقفت عن الصدور (3).

لقد أبرزت " البصائر " في العديد من إفتتاحياتها النهج الذي سلكته وخط تحريرها فاهتمامها الأول يبقى النهوض بالشعب الجزائري وإعلاء كلمة الإسلام والعروبة ومحاربة

¹ - زهير إحدادن، المرجع السابق، ص: 96.

² - البصائر، العدد 317 ليوم 6 ماي 1955.

³ - حيث إلتحق أغلب العلماء العاملين فيها بالثورة التحريرية وتحديدا إلى تونس، حيث سيضعون خبراتهم في خدمة القضية الجزائرية، فأول جريدة ناطقة بالثورة وهي جريدة " المجاهد " باللغتين العربية والفرنسية كان رئيس تحريرها السيد " أحمد توفيق المدني ". المؤلف

الاستعمار الذي يجب أن يتلاشى ويضمحل وتحرير المساجد ومحاربة الطرقية ونشر التعليم في كل ربوع الوطن ⁽¹⁾.

أما فيما يخص بالتطورات السياسية في الأقطار المغاربية أي تونس المغرب وليبيا، فقد خصص لها جزء ثابت تحت عنوان بالشمال الإفريقي ⁽²⁾.

تولى تسيير شؤون جريدة " البصائر " في هذه المرحلة كل من الشيخين " محمد البشير الإبراهيمي " و " مبارك الملي "، وكانت تصدر بالجزائر العاصمة، وتطبع بالمطبعة العربية التي يمتلكها الشيخ " أبو اليقظان " ⁽³⁾، وصدر العدد الأول من " البصائر " السلسلة الثانية في 07 رمضان 1366هـ الموافق ليوم 25 نوفمبر 1947م، وما ميّز هذه السلسلة هو تعدد المواضيع التي شملتها بدءا بأوضاع الجزائر السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إضافة للتطورات التي تعرفها البلدان المغاربية والتأكيد على النضال المشترك لشعوبه ضد الاستعمار الفرنسي. كما إهتمت بالتطورات في العالم العربي والإسلامي خصوصا القضية الفلسطينية وتحالف الصهيونية مع الاستعمار. لتنتقل لمنبر السياسة العالمية بالتركيز على الحرب الباردة والصراع بين الشرق والغرب وإنعكاساته على المنطقة والسلم العالمي، مع إبداء الرأي والمواقف منها.

كما لم تخلو هذه السلسلة من تناول الأوضاع الفكرية والأدبية والشعر والنثر، والفقهاء الإسلاميين والمواظ والسيرة النبوية، مع عنايتها الفائقة باللغة العربية الفصحى، وكان

¹ - البصائر، العدد 271 ليوم 15 ماي 1954م.

² - كل ما يخص أقطار المغرب العربي أي تونس المغرب وليبيا كان يدرج ضمن صفحة منبر السياسة العالمية بدءا بعدد 181 ليوم 21 جانفي 1952م وذلك حتى العدد 195 ليوم 7 جويلية 1952م حيث نقلت إلى جزء في " الشمال الإفريقي " وهذا حتى عدد 279 ليوم 9 جويلية 1954م حيث أعيدت لصفحة منبر السياسة العالمية. المؤلف.

³ - في افتتاحية " البصائر " للسنة السابعة العدد 272 ليوم 15 ماي 1954م، بشرت الجريدة قرائها بإقتنائها لأحسن آلة طباعة وهي آلة الأنتريتيب لسبك الأحرف في أجمل صورة وفي أسرع وقت وفي مختلف الأشكال.

يشرف على هيئة تحريرها " أحمد توفيق المدني " الذي كان يوقع مقالاته أحيانا بإسم مستعار " أبو محمد " (1).

مع إندلاع ثورة 1 نوفمبر 1954م في الجزائر، خصّصت جريدة " البصائر " أكثر من صفحة ونصف لتغطية أهم تطوراتها عسكريا وسياسيا بعنوان " في يوميات الأزمة الجزائرية " (2).

وكان آخر عدد صدر لجريدة " البصائر " رقم 361 ليوم 6 أفريل 1956م، مع الإشارة أن جميع الصحف توقفت قبل شهر جوان 1956م منها " المغرب العربي " (3) 19ماي 1956 و " الجمهورية الجزائرية " جانفي 1956م، وكانت السلطات الاستعمارية أوقفت من قبل جرائد الحزب الشيوعي سبتمبر 1955م، وحتى جريدة " النجاح " التي كانت شيئا لا يذكر في ذلك الوقت توقفت في سنة 1956م.

في الأخير لابد من الإشارة إلى المكانة الخاصة التي يحتلها " عبد الحميد بن باديس " لدى الشعب التونسي لما بذله من ربط أواصر الأخوة بين الشعبين ومساهمته في النهضة الفكرية من خلال إلقاءه لدروس في جامع الزيتونة، حتى أن بعض المصادر الفرنسية تجعل منه إلى جانب " عبد العزيز الثعالبي " المؤسسان الحقيقيان لتنظيم طلبة الزيتونة (4). ثم ازدادت الروابط بين الشعبين بفضل الجرائد وخصوصا " البصائر ". وكلما حل بتونس هب لإستقباله رجال الحركة الوطنية والعلماء، كما أفاضت الصحف التونسية في نقل أخباره،

¹ - بن صالح ناصر محمد، المرجع السابق، ص: 268.

² - من عدد 298 ليوم 24 ديسمبر 1954 حتى عدد 361 ليوم 6 أفريل 1956م. وهو آخر عدد للبصائر " السلسلة الثانية ". المؤلف.

³ - صدر منها 7 أعداد الأول بتاريخ 17 مارس 1956م، حاول صاحبها " سعيد الزاهري "، رفع شعار الوحدة في صفوف الوطنيين أو بالأحرى الاعتراف بالنزعة الميصالية، وطلبت منه الجبهة أن يكف عن هذا الكلام وأن يوقف جريدته فلم يمثل فنفاذ فيه حكم الإعدام وتوقفت جريدته. أنظر: زهير إحدادن، المرجع السابق، ص: 109.

⁴ - Roger CASEMAJOR, op.cit, P : 218.

ولعل إحياء التونسيين لسبع مناسبات إحتفالية بين باديس بين سنوات 1946م-1955م خير دليل على ذلك (1).

ومن العوامل التي زادت من أواصر الأخوة بين الجزائر وتونس هو تنقل العديد من الجزائريين والتونسيين بين القطرين لممارسة العمل الصحفي في أحسن الظروف منذ مطلع القرن العشرين، فهذا " عمر بن قدور " الجزائري ينتقل إلى تونس، ليقوم بالتحريض في جريدة " الأخبار "، وهذا " محمد عز الدين القلاف "، وهو تونسي يلجأ إلى الجزائر ليصدر جريدة عربية بإسم " البريد الجزائري "، ليتواصل هذا التبادل بعد الحرب العالمية الأولى فنجد مثلاً الشيخ " أطفيش الجزائري " يصدر جريدة " الزهرة " في تونس ليتم توزيعها في الجزائر وتنتال شهرة في الأوساط العلمية، وهذا الشيخ " أحمد توفيق المدني " يسلك نوعاً ما الطريق الذي سلكه " عمر بن قدور " الجزائري فينتقل من تونس رغماً عنه إلى الجزائر ليتولى هيئة تحريره " البصائر " (2)، ثم يعود إلى تونس سنة 1956 ليتولى هيئة تحرير جريدة " المجاهد " لسان حال الثورة الجزائرية.

¹ - جمال يحيى، " القضية التونسية في الخمسينات في جريدة البصائر الجزائرية " ، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، العدد 13، أعمال الندوة الدولية الثالثة عشرة حول إستقلال تونس ومسيرة التحرر من الاستعمار، جامعة منوبة منشورات المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2010، ص: 242.

² - زهير إحدادن، المرجع السابق، ص: 101.

" البصائر " سنة 1951

إن المتتبع للصحف الجزائرية الصادرة في الخمسينات، وهي فترة حاسمة ومفصلية في تاريخ المغرب العربي وأقطاره المغرب الجزائر وتونس، يدرك أهمية ودور هذه الأخيرة في مواجهة إعلام استعماري كلونيالي سعى بشتى الوسائل لكسر الروابط التي تربط بين أبناء شعوب هذه المنطقة والتضامن فيما بينها، وتحطيم معنوياته من إستحالة تغيير الوضع القائم من احتلال وسيطرة إلى إستقلال وتحرر، وفي هذا المجال تعتبر جريدة " البصائر " لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رائدة ليس فقط في إستمرارية وجودها من 1947م-1956م والتي تمكن الباحث والقارئ من الإطلاع على تطوّر الأحداث خصوصا بالنسبة للمغرب وتونس حتى توقف صدورها 1956م، تزامنا مع استقلال القطرين الشقيقين وإنما في أسلوب تناولها لتلك الأحداث والتعليق عليها وإبداء الرأي فيها، وتوجيه النصح إن إقتضى الأمر ذلك.

ومن هنا جاء إختيارنا لهذه الجريدة لدراسة القضية التونسية في الفترة 1952م-1956م، ولأسباب منهجية مرتبطة بتطوّر الأحداث لزم علينا الرجوع إلى سنة 1951م خصوصا وأخرها لنتمكن من فهم خلفيات تلك الأحداث وإدراك أبعادها وتأثيراتها.

والملاحظ على جريدة " البصائر " في تغطيتها لأوضاع تونس إعتمادها بالدرجة الأولى على الصحف الصادرة في تلك الفترة سواء الصحف الفرنسية أو الصحف الكولونيالية الصادرة في الجزائر، إضافة للصحف التونسية سواء العربية أو الفرنسية.

أما المصدر الثاني فيتمثل في الأخبار التي ينقلها أو يرسلها الطلبة الجزائريون في جامع الزيتونة وإن كانت في أغلبها ترتكز على نشاط الجامع وأوضاع مدينة تونس.

أما صاحب المقالات المخصّصة ليس فقط لتونس وإنما لكل منطقة المغرب العربي والوطن العربي وحتى أوضاع العالم فهو رئيس تحريرها " أحمد توفيق المدني " الذي كان

يمضي بإسم " أبي محمد "، وقد خصّص لبلدان المغرب العربي صفحة كاملة تحت عنوان من " شمال إفريقيا " وأحيانا يضاف مقال أو خبر يخص تونس في صفحة من منبر السياسة العالمية.

2- البصائر والإصلاحات والمفاوضات بين الإقامة العامة والوزارة في تونس 1951

فبنسبة لسنة 1951م تراوحت الأخبار الخاصة بالقضية التونسية بين التصريحات والتصريحات المضادة، بين المسؤولين الفرنسيين وقادة و زعماء الحركة الوطنية التونسية، كما كثر الحديث عن فكرة الإصلاحات التي لم يتم الاتفاق عليها أصلا فما بالك تطبيقها ما يلاحظ أيضا التكرار الممل لمصطلح المفاوضات التي تراوحت مكانها دون نتيجة تذكر، دون أن ننسى الرحلات المكوكية للحبيب بورقيبة في الشرق والغرب، مع تمتّعه بحرية الحركة لم تمنعها السلطات الاستعمارية، وإن كانت لها ردود أفعال قوية أحيانا على تلك التصريحات من الزعيم.

ففي تناولها لزيارة " بورقيبة " إلى العاصمة البريطانية لندن في رحلته الطويلة إلى بلدان وعواصم الشرق والغرب للتعريف بالقضية التونسية نقلت هذه الأخيرة حوارا له مع محطة الإذاعة البريطانية اختارت منه سؤالين وجواب الزعيم⁽¹⁾.

السؤال الأول يخص الوضع الراهن في تونس، فكان الجواب: " أن البلاد التونسية قد استكملت اليوم وحدتها القومية، و متوجهة نحو الاستقلال الداخلي بتوجيه الحزب الدستوري الجديد الذي قبل بهذا الاستقلال على أنه المرحلة الأولى نحو الاستقلال المطلق والسيادة التامة للبلاد إلا أن بعض الأقليات من الجالية الفرنسية وقفت موقف المعارض من كل حل أو تغيير للوضع القائم وكان من نتيجة ذلك أنه لم يتغيّر شيء قط " ⁽²⁾.

¹ - أهم ما جاء في هذا التصريح هما موقع تونس من الصراع بين الشرق والغرب. أنظر:

Abdelwahed HACHICHI, op.cit, P : 29

² - البصائر، العدد 167، الاثنين 13 أوت 1951م، ص ص: 254-255.

أما السؤال الثاني فيخص عدد الجالية الفرنسية بتونس فكان الجواب: " يدعي زعماء تلك الجالية أن عددها 150 ألفاً، وهي أقلية ضئيلة جداً بالنسبة للشعب صاحب البلاد والذي يقدر تعداده بحوالي أربعة ملايين " (1).

ورغم هذا التباين الكبير في عدد السكان، فإن الأقلية الفرنسية في تونس تحاول فرض منطقها وتوجهاتها على سير المفاوضات بين الحكومة الفرنسية ممثلة بالإقامة العامة والحزب الدستوري الجديد، وقد حاول الأمين العام للحزب رفع اللبس عن هذه النقطة أثناء خطابه في " حمام الأنف " وتناولته بعض الصحف الاستعمارية في الجزائر والتي إنتهزت فرصة مجيء المقيم العام " لويس بريلي " Louis Perilier إلى العاصمة لتسأله حول ما يجري في تونس فكان جوابه أنها الإصلاحات والمفاوضات في إطار الشراكة.

أما ما قاله " صالح بن يوسف " في خطابه حول تلك المفاوضات: " ... لأول مرة أراد الحزب أن يقيم الدليل على أن الطرف المتفاوض معه لا يمكن أن يكون إلا فرنسا أو من يمثلها في تونس- يقصد الإقامة العامة- لا أصحاب الامتيازات في بلادنا، وهذا هو اللبس الذي أردنا أن نزيله، على أن هذا الطرف الثالث ليس له حق التصرف في الحظوظ التونسية، وقد أراد الحزب والوزارة باتفاق مع القسم التونسي بالمجلس الكبير أن يقيم الدليل على أن ما يقرره الفرنسيون يستحيل أن يصبح ماضياً في البلاد التونسية " (2).

أما ردّ "بورقيبة" على سؤال وكالة الأنباء الفرنسية بالقاهرة على فشل تلك المفاوضات جاء فيه: " إن إخفاق هذه التجربة التي واصلناها من جانبنا بمنتهى الإخلاص سيقوم الدليل للعالم على أن فرنسا عاجزة كل العجز عن تكييف سياستها الاستعمارية وفقاً لمقتضيات

¹ - البصائر، العدد 167، المصدر السابق.

² - البصائر، العدد 161، الاثنين 25 جوان 1951م، ص: 207.

الحياة الدولية الحاضرة، وأن التونسيون سيكونون معذورين حين يلتمسون وسائل أخرى لتحرير أنفسهم وبلادهم " (1).

وحول الوضع العام في تونس والأطراف الثلاثة الفاعلة فيه إنطلاقاً من نتائج الانتخابات الفرنسية، فنجد التجمع الفرنسي الذي يمثل المستوطنين وهو يسعى لدعم مركزه في الدفاع عن مصالحه، مقابل طموحات الشعب التونسي في التحرر والاستقلال، أما الطرف الثالث فهي الحكومة الفرنسية، فموقفها مازال سلبياً ويتخلص في مركزية القرار بتردد المقيم العام على باريس، ومراجعة وزارة الخارجية على كل التفاصيل، تتبعها تصريحات مكررة حول الإصلاحات، وموقف الوزارة من الميزانية التونسية، ورغبة الباي في تشكيل مجلس نيابي منتخب على طريقة المجالس القائمة في البلدان المتقدمة (2).

وجاء تعليق الجريدة أنه لا يمكن إنتظار الكثير من هذه الانتخابات في حلّ مشاكل تونس، ولا في غيرها من الأقطار الخاضعة للاستعمار الفرنسي، وأن قضية الشعب التونسي أصبحت تمثل أكبر تهديد تتخوف منه الأقلية الاستعمارية ومن يساندها (3).

3- البصائر وربطها بين قضيتي تونس والمغرب:

تسعى جريدة البصائر من خلال تغطيتها تطورات الأوضاع في كل من تونس والمغرب الأقصى أن تكون الجسر الرابط بينهما لتشابه أو حتى تطابق الأوضاع بينهما فكلاهما يخضع لنظام الحماية الفرنسية، أو في أساليب ووسائل الحركات الوطنية في البلدين والأحزاب المشكلة لها التي تميل لطرق الحوار والتفاوض، ومحاولة الربط بينهما يمثل ضغطاً على الإدارة الاستعمارية، وتحقيقاً لهذا التوجه تناول مقال هذا الأسبوع تصريحاً لزعيم المقاومة المغربية " عبد الكريم الخطابي " حول الأوضاع في تونس وأهم ما جاء فيه: " إن

¹ - البصائر، العدد 161، المصدر السابق.

² - البصائر، العدد 162، الاثنين 2 جويلية 1951م، ص ص: 214-214.

³ - نفسه.

الظروف الحرجة التي تجتازها قضايا المغرب العربي تجعل لزاما علينا أن نبين في جلاء وحزم موقفنا من الحالة الراهنة في تونس الناجمة عن مشاركة الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد في الوزارة القائمة وقبوله التفاوض مع الفرنسيين بقصد إدخال بعض التغيرات على وضعية البلاد السياسية من شأنها كما قيل أن تؤدي بعد قطع عدّة مراحل غير محدودة إلى الاستقلال الداخلي " (1).

وواصل الزعيم المغربي تصريحه قائلاً: " ففي 17 أغسطس من السنة الماضية تألفت الوزارة الحالية في تونس من ستة وزراء تونسيين وستة آخرين من الفرنسيين وشارك فيها الحزب الدستوري التونسي الجديد بوزير واحد". (2) وكان مفهوما عند الجميع حسب البيانات الرسمية، أن الوزارة قامت على أساس الوضعية الاستعمارية المفروضة على البلاد، وهذا ما أدخل الريبة في نفوس جميع الوطنيين لا في تونس وحدها بل في كافة أقطار المغرب العربي أوضاعا إستعمارية لا يجوز الاشتراك في الحكم على أساسها بل يعد نقضا لمبدأ الاستقلال الذي تتادي به هذه الأحزاب المشتركة في اللّجنة من عدم الدخول مع الفرنسيين في مفاوضات لأجل تحقيق بعض الإصلاحات الجزئية نظرا لما بينته التجربة في الأقطار الثلاثة من كل إصلاح لا يمكن أن يكون سليما إلا إذا كان موجها من قبل الوطنيين أنفسهم وفي ظل حريتهم وإستقلالهم " (3).

ونقلت جريدة " البصائر "، تعليق وتعقب جريدة " النهضة " التونسية على تصريح " عبد الكريم الخطابي " جاء فيه ما يلي: " لأول مرة يقف أسد الأطلس موقفا صريحا من

¹ - البصائر، العدد 165، الاثنين 30 جويلية 1951م، ص: 238.

² - تبني الحزب الدستوري الجديد لهذا الموقف، جاء بتوجيه من بورقيبة، ومشروعه الإصلاحي من 7 نقاط أثناء تنقله إلى فرنسا في أبريل 1950م، ونتج عنه تشكيل حكومة " محمد شنيق " في 17 أوت 1950م، وكان ضمن طاقمها من الحزب كل من " صالح بن يوسف " وزيرا للعدل، و " محمود الماطري "، وزيرا للداخلية.
أنظر: محمد لطفي الشابي، " الحزب الدستوري.....ص: 123.

Anissa EL MATERRI HACHED, op.cit, PP : 21-220.

³ - البصائر، العدد 165، المصدر السابق، ص: 238.

مشاركة الحزب الدستوري الجديد في حكم البلاد على أساس الوضعية الاستعمارية الراهنة موقف لا يدع أدنى مجال للشك والريبة في إستنكار ذلك الزعيم العربي الفذ لهذا الضرب الجديد من التعاون مع السلطات الاستعمارية الذي أطلق عليه من باب أسماء الأضداد لفظ الكفاح داخل أجهزة الحكم " (1).

وقد سبق أن إنتقدت جريدة " البصائر " ذلك الموقف واصفة إياه بالإنقلاب السياسي العظيم في تونس، وهو إنقلاب الحزب الدستوري الجديد من موقعه كأقوى حزب يدافع عن الاستقلال التام لتونس إلى حزب تعاون مع الحكومة، يشارك في الوزارة، ويقبل بالعمل ضمن نطاق معاهدة الحماية، ويرضى - عمليا - بالسيادة المشتركة ويجعل هدفه الأسمى الحصول على الاستقلال الداخلي، لتصدر " الإصلاحات " التونسية كذر للرماد في الأعين والتي تعتبر تأكيدا لنظام الحماية، ونبرة النقد الشديد لهذا الموقف أشارت الجريدة إلى إندفاع الحزب الدستوري الجديد للدعاية لتلك الإصلاحات والدفاع عنها مثل دفاعه عن الاستقلال التام لتونس سابقا (2).

4- ضغط المستوطنين الفرنسيين ورفضهم لتغيير الوضع القائم:

عاد الحديث من جديد حول قضية المفاوضات وذلك إثر تصريح " روبرت شومان " Robert Schuman وزير الخارجية الفرنسية إثر ندوة صحفية تناول فيها قضايا الشمال الإفريقي، فأبدى رغبته في إيجاد حل لها عن طريق المفاوضات مع ممثلي تلك الأقطار الشرعيين، وفي حال عرضت هذه القضايا على مجلس الأمن فإنه لن يتردد قط في المشاركة في المناقشات (3).

¹ - البصائر، العدد 165، المصدر السابق، ص: 238.

² - البصائر، العدد 145، الاثنين 5 مارس 1951م.

³ - البصائر، العدد 170، الاثنين 17 سبتمبر 1951م، ص: 279.

ليأتي الردّ عليه في إفتتاحية جريدة " الرسالة " التونسية التي تصدر بالّلغة الفرنسية فجاء فيها: " إن القضية التونسية لا يمكن الفصل فيها إلا عن طريق المفاوضات، وفي جو من التفاهم المتبادل إن ميل الجانب التونسي إلى السير في طريق المفاوضات حتى النهاية لا يقل عما أبداه الجانب الفرنسي في نفس الموضوع.

ولكن إذا كان المفاوض التونسي مخلصا عندما يستخلص من تصريحات وزير الخارجية، والمقيم العام الفرنسي في تونس، ما هو أساس لتحقيق إستقلال داخلي تام، فإن كبار الموظفين الفرنسيين لا يترددون في معارضته هذا التوجّه دفاعا عن الوضع القائم والإبقاء عليه إلى أجل غير مسمى (1).

وفي حقيقة الأمر أن هؤلاء الموظفين الفرنسيين هم أداة المستوطنين لترابط المصالح خصوصا عن طريق المصاهرة، لعرقلة أو منع أي تغيير للوضع القائم الذي جعل منهم أقلية منتفذة تتمتع بكل ثروات البلاد.

وقد سبق لرئيس بلدية تونس السيد " م. ديموتيتي Dimottité " في مقال له القيام بتحليل نفسية المستوطنين لتبرير مواقفه من المطالب الوطنية التونسية، ومما كتبه في الموضوع قوله: " إن قلق الفرنسيين المقيمين بتونس يرجع إلى أن الهجرة الفرنسية إلى هذا البلد إنما هي هجرة ذات قيمة، لأن أولئك المهاجرين الفرنسيين رجال ذوو كفاءة فهم النخبة التي هي التطور ونواة المدنية الحديثة....وهذه النخبة أقلية من الناحية العددية بالنسبة للجموع التونسية ولكنها أغلبية من حيث القيمة.... إن هذه الحقيقة موضوعة في كفة الميزان في الوقت الذي يوضع حق التونسيين في أن يكونوا سادة أنفسهم في الكفة الأخرى...."(2).

وإن كان هذا إعتراف صاحب المقال بحق التونسيين أن يكونوا سادة أنفسهم في بلادهم، ونجد هذا الاعتراف عند كثير من الكتاب الغربيين، لكن سرعان ما يناقضون أنفسهم

¹ - البصائر، العدد 170، الاثنين 17 سبتمبر 1951م، ص: 279.

² - البصائر، العدد 155، الاثنين 14 ماي 1951م، ص: 15.

ويجانبون الحقيقة والمنطق حيث لا يتورعون أن يضعوا ملايين من أبناء هذه الشعوب، وحقهم في الحرية والاستقلال والسيادة في كفة ميزان، مع أقلية من الأجانب المستعمرين في كفة أخرى بحجة استحوادهم على كل شيء في البلاد كما علّقت الجريدة (1).

وأضيف على ذلك إنها عقلية الاستعلاء والتكبر الراسخة في الأذهان، أصبحت تمثل أهم القيم لذلك الرجل الأوروبي المتفوق والذي يحمل رسالة تمدن لبقية شعوب العالم المتخلفة.

5- الأوضاع الإقليمية والدولية وتأثيرها على القضية التونسية:

عاد الحديث من جديد إلى قضية المفاوضات بين الوزارة الأولى التونسية والسلطات الاستعمارية الفرنسية والمعروف عن هذه الأخيرة أنها لا تؤمن بفكرة التفاوض أصلاً ولا القيام بأي إصلاحات، همها الوحيد ربح الوقت والإبقاء على الوضع القائم، فما الذي حرّك الأمور من جديد ودفع بالوزير الأول التونسي " محمد شنيق " التوجه إلى باريس لعله يحقق المهمة التي كلف بها ؟ (2).

تشير جريدة " البصائر " في مقالها أن التطورات الإقليمية والدولية هي التي دفعت الطرف الفرنسي للعودة إلى المفاوضات منها قضية إيران، (3) وقضية مصر (4)، وعرض

¹ - البصائر، العدد 155، الاثنين 14 ماي 1951م، ص: 15.

² - توجه وفد من الحكومة التونسية برئاسة " محمد شنيق " إلى باريس في 31 أكتوبر 1951 لإجراء مفاوضات على مجموعة من مطالب إقامة حكومة متجانسة- إنشاء برلمان تمثيلي تونسي- إصلاح الوظيفة العمومية، سلمت لوزير الخارجية " روبرت شومان ". أنظر: Khalifa CHATER, op.cit, P : 136.

³ - يمثل إنتخاب " محمد مصدّق " رئيساً لإيران، وقيامه بتأميم الثروة النفطية ضربة للمصالح البريطانية والغربية، وذلك من خلال إلغاء معاهدة 1914م المبرمة بينها وبين الشركة الأنجلو - إيرانية، تبعها إعلان قانون التأميم لصناعة البترول في 16 مارس 1951 ونفذ في 11 جوان من نفس السنة.

أنظر: البصائر، العدد 178-179، الاثنين 08 جانفي 1952، ص: 348.

⁴ - في يوم 8 أكتوبر 1952م قامت مصر بإلغاء معاهدة 1936م، وإتفاقية 1899م التي تربطها ببريطانيا، وأنه لم يعد لها أي بقاء " شرعي " في " قناة السويس "، ولا أي نفوذ قانوني في السودان. أنظر: البصائر: العدد 178-179، المصدر نفسه، ص: 348.

قضية المغرب على هيئة الأمم المتحدة، ثم تصريح الرئيس الأمريكي "أيزنهاور" بوجوب إعانة العالم الإسلامي على تحقيق رغباته في السيادة والحرية، كل ذلك يعتبر دافعا لفرنسا على مراجعة سياستها الاستعمارية.⁽¹⁾ يضاف لها إستقلال ليبيا المجاورة لتونس وتأثير ذلك على هذه الأخيرة.

على أن إمكانية نقل القضية التونسية لهيئة الأمم المتحدة أسوة بالمغرب يمثل هاجس للحكومة الفرنسية وإستباقا للأحداث تحاول هذه الأخيرة إظهار استعدادها لحل مشاكل بنفسها عن طريق التفاوض والتفاهم مع الشعوب الخاضعة لها.

6- تباين المواقف بين الطرفين الفرنسي والتونسي:

وعليه خلص صاحب المقال أن سير المفاوضات لا يبشر بنجاحها للفجوة الكبيرة بين الطرفين، فالجانب التونسي يطالب بحكومة وطنية خالصة لا تخضع لأي مسؤول فرنسي، وتكون مسؤولة أمام مجلس نيابي وطني منتخب إنتخابا حرّا لا يشارك فيه الفرنسيون، وهو ما ترفضه السلطات الاستعمارية المتمسكة بفكرة مشاركة المستوطنين وسياسة المراحل التي لا نهاية لها، وإمكانية تغيير فرنسا من أسلوبها يكمن في تأثير العوامل الخارجية خصوصا الولايات المتحدة الأمريكية وهيئة الأمم المتحدة⁽²⁾.

وما يؤكد هذا الطرح تصريح المقيم العام " لويس بيرلي " بأن المفاوضات الجارية في باريس لا بد أن تحافظ في المقام الأول على مصالح الجانب الفرنسي، ومع تمسك الطرف التونسي بمطالبه فإن نهاية المفاوضات ستكون الفشل لا محالة⁽³⁾.

¹ - البصائر، العدد 174، الاثنين 5 نوفمبر 1951م، ص: 311.

² - البصائر، العدد 174، الاثنين 5 نوفمبر 1951م، ص: 311.

³ - البصائر، العدد 175، الاثنين 26 نوفمبر 1951م، ص: 319.

مقابل هذا تحاول الدبلوماسية الفرنسية بقيادة وزير خارجيتها " روبرت شومان " المناورة من خلال خطابه في مجلس الأمن الذي حاول فيه الجمع بين الاستعمار والديمقراطية وميثاق الأمم المتحدة ⁽¹⁾.

ومحاولة من الإدارة الاستعمارية تغليب الرأي العام التونسي تجديد إصلاحاتها الإدعاء بأنه توصل إلى تفاهم مع الحكومة التونسية على أساس المحافظة على مصالح الطرفين، والجديد فيها هو رفع مقام الوزير الأكبر بأنه الرئيس الوحيد لمجلس الوزراء، لكنه في الحقيقة يخضع لما يسمى اللجنة العليا والتي تمثل الإقامة العامة الفرنسية، وهو ما وسّع وزاد في حجم المعارضة التونسية وانتقالها للمهملين والمطبّلين لتلك الإصلاحات رافعين مطلب لا تفاهم ولا تفاوض إلى على شرط إلغاء معاهدة الحماية ⁽²⁾.

وهو نفس الموقف الذي وصلت إليه المعارضة في القطر الشقيق المغرب، وأفقد الإقامة العامة صوابها فثارت وحرّضت عملائها ضد العرش وحزب الاستقلال لمطالبتهما بإنهاء الحماية والاستقلال مع التأكيد على إجماع أغلب الصحف التونسية على رفض تلك الإصلاحات إلا القليل منها ⁽³⁾.

على أنّ أثر تلك المعارضة لا تكثر له السلطة الاستعمارية لإنشغالها بتصريحات الزعماء وفي مقدمتهم "حبيب بورقيبة " لإعطاء الاعتقاد بأنه يمثل المعارضة الفعلية، رغم تناقضات تصريحاته، والتراجع في المطالب والأمثلة كثيرة نورد منها مثلا خطابه في المنستير نقلا عن جريدة " النهضة " حيث صرّح: " أن فرنسا إذا نكصت على أعقابها ولم تنجز ما وعدتنا به من استقلالنا وحرّيتنا ستكون عاقبتها وخيمة... إنني أوجه لكم جميعا

¹ - البصائر، العدد 175، الاثنين 26 نوفمبر 1951م، ص: 319.

² - " البصائر "، العدد 144، الاثنين 26 فيفري 1951م، ص: 56.

³ - " البصائر "، العدد 144، الاثنين 26 فيفري 1951م، ص: 56.

النداء التالي، أن تكونوا مستعدين ليوم ما، لأننا إذا لم نحصل على إستقلالنا في هذه الأطوار الأخيرة بحسن التفاهم على قاعدة سلمية لابد أن نحصل عليه بالدماء والحرب " (1).

جرأة وشجاعة " بورقيبة " في هذا الخطاب مرتبطة بحفاوة الاستقبال الشعبي، وبوجود شخصيات فرنسية معتدلة والمدافعة على حق الشعوب في الاستقلال والتحرر، وفي مقدمتهم

الصحفي الفرنسي الحرّ " جون روس " Jean Rous المناهض للاستعمار، والذي قال في كلمته " إننا نود أن نحرص على الصداقة التونسية الفرنسية تحت ظل الإستقلال وأن بفرنسا فرنسيين أحرار يريدون تونس مستقلة سائرة إلى الأمام نحو العزة والرفاهية " (2).

وبالرجوع إلى " بورقيبة " نذكر التصريح التالي الذي يمثل تراجعاً كبيراً و حتى إنقلاباً في موقف هذا الأخير من قضية إستقلال تونس حيث قال: "... ولمواجهة المستقبل بحزم يصحبه لين في سبيل فوز تونس المحمية بنظام الدولة المشاركة في الوحدة الفرنسية، تلك المشاركة التي تكون خير ضمان يقدّم تجاه الإصلاحات التي ستتجز فيما بعد على مراحل " (3).

وقد نجد أحد أسباب تراجع " بورقيبة " عن أقواله و مواقفه تهديد السلطة الاستعمارية فقد صرّح " لويس بيرلي " قائلاً: " لو أن بورقيبة كان هنا بين أيدينا لما تجرأ على مثل هذه الأقوال المهددة ، وأن التونسيين أعقل من أن يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة كما أن الذين يطلبون كل شيء لا يحصلون على شيء " (4).

وتأكيداً لإستحالة حل القضية التونسية عن طريق المفاوضات أشارت " البصائر " أن الجانب الاستعماري، بحكم مركزه وإستعلائه بالقوة على الشعوب يرى في فكرة التفاوض مع

1 - " البصائر "، العدد 139، الاثنين 29 جانفي 1951م، ص: 35.

2 - " البصائر "، العدد 138، الاثنين 22 جانفي 1951م، ص: 26.

3 - " البصائر "، العدد 160، الاثنين 18 جوان 1951م، ص: 199.

4 - " البصائر "، العدد 171، الاثنين 24 سبتمبر 1951، ص: 287.

تلك الشعوب المغلوبة حطا من كرامته، وما التظاهر بقبول مبدأ التفاوض إلا لخداع الطرف الآخر وريح الوقت، وهذا ما حصل مع الوفد التونسي والعريضة المقدّمة للحكومة الفرنسية التي سبقت الإشارة لها فما كان جواب هذه الأخيرة ؟ هو وقف المفاوضات، ثم إحتمال تكليف "م. نايجلان Naéglan" بالتوجه إلى تونس ودراسة الوضع العام فيها وتقديم تقرير إلى الحكومة الفرنسية بعد العودة إلى باريس، وبعدها يمكن الفصل في تلك المفاوضات (1).

وهو الطرح الذي أيدته الصحف الاستعمارية منوهاً بالانتخابات البرلمانية في الجزائر والتي أشرف عليها " نايجلان " أيام كان واليا عاما عليها يحكم فيها بأمره (2).

ومن مظاهر المماطلة وريح الوقت من طرف الحكومة الفرنسية الإدعاء بأن النظر في القضية التونسية مرتبط بعودة وزير الخارجية " روبرت شومان " من روما، ومع عودته لم يحدث أي تغيير، وتجدّد الحديث عن المفاوضات والإصلاحات في ظل مناورات إستعمارية كالقول بأن الأحزاب في تونس والمغرب لا تمثل شعوبها، وأن الممثل الحقيقي لها هو جلالة الباي في تونس وجلالة الملك في المغرب اللذان عبّرا عن مطالب شعوبها في التحرّر، فماذا ينتظر الاستعمار بعدها لتحقيق تلك الرغبة ؟ تساءلت " البصائر " في عددها لهذا الأسبوع، لتجيب بأن الاستعمار ليس عدو فقط للشعوب بل عدو لنفسه أيضا، لأن سياسته وعناده على الجمود يضاعف عداوة الشعوب له (3).

من جانبه صرّح الوزراء التونسيون لجريدة " العلم " عن رفضهم لأي جواب لا يستجيب لمطالبهم وكتبت الجريدة: " أن الوزراء التونسيين لم يقبلوا جوابا مبهما، ولن يقبلوا

¹ - " البصائر "، العدد 176، الاثنين 10 ديسمبر 1951م، ص: 326.

² - قام مارسال إدموند نايجلان " Marcel Edmand Naegelin " بتزوير انتخابات 1948م، لقطع الطريق أمام الأحزاب الوطنية في الجزائر أي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية واتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وأدى تشكيل برلمان موالي لفرنسا عرف ببرلمان بني وي وبي Beni oui oui. أنظر: , 14 Dim. Lindi, La dépêche quotidienne d'Algérie, 15 novembre 1954, n° 1788-1788

³ - " البصائر "، العدد 177، الاثنين 17 ديسمبر 1951م، ص: 334.

العودة إلى تونس دون أن يستفيدوا من العمل المنجز في باريس، وأنهم لم يجدوا من الجانب الفرنسي نفس الاستعداد ونفس النية الحسنة، وأن تطوّر الأحداث في تونس والاستعدادات جارية لمواجهة الموقف الناتج عن فشل المحادثات.⁽¹⁾ وهي فترة فيها نوع من الغضب والتهديد في الوقت نفسه.

ليزاید علیه " محمد شنيق " الوزير الأول التونسي من باريس قائلا: " لا نرضى عن الاستقلال الداخلي الكامل بديلا، ولا نبغي عنه حلولا أخرى " ⁽²⁾.

7- التهريب والقمع الاستعماري ومحاولة إضعاف وتحطيم جامع الزيتونة:

هناك ثوابت في تعامل الاستعمار مع الحركات الوطنية التي تسعى لتخليص شعوبها وبلدانها وتحقيق الاستقلال والتحرّر، تلك الثوابت تتمثل في أسلوب الإغراء والترغيب والمماطلة، موازنة معه نجد أسلوب التهريب والعنف والقوة في التعامل مع المؤسسات أو المنظمات والأحزاب والأشخاص اللذين يعتبرهم الاستعمار تهديدا حقيقيا لوجوده مع إستحالة إستمالتهم أو شراء ذمتهم فلا بدّ من تحطيمهم أو على الأقل إضعافهم، أو تصفيتهم بالنسبة للأشخاص كما حصل مع " منصف باي " و " فرحات حشاد " .

إثر مظاهرة لطلبة جامع الزيتونة، استغلته السلطات الاستعمارية، وشجعت مجموعات من الأشخاص موالين لها ليندسوا وسط جموع المتظاهرين مما أدّى إلى مواجهات بين الطرفين، استغلت الصحف الاستعمارية تلك الحادثة لتشويه صورة المعهد الزيتوني من خلال حملة إعلامية مركزة لتأليب الرأي العام عليه من جهة ودفع السلطات الاستعمارية لاتخاذ قرار بغلقه أو تشديد الخناق عليه.

¹ - " البصائر "، العدد 176، المصدر السابق، ص: 327.

² - " البصائر "، العدد 177، المصدر السابق، ص: 334.

وهذا ما دفع بعلماء وأساتذة المعهد الزيتوني إلى نشر بيان في الصحف التونسية هذا نصّه: " إن الهيئة التدريسية بالجامع الأعظم وفروعه الممضية أسفل هذا البيان ترى من الواجب عليها في هذه الظروف العصيبة أن تُعلن للأمة ما يلي:

- استنكارها الشديد واستيائها البالغ من الحالة التي أصبح عليها طلبة المعاهد الزيتونية بسبب الاضطهادات التي ينظمها بعض من لا ضمير لهم ضد هؤلاء الطلبة وضد كل من يمت للزيتونة بصلّة.

- دحضها القاطع لكل المفتريات التي تستخدمها طائفة من الأوباش الزاعمين أن الزيتونة ورجالها وأبنائها أصبحوا وسيلة مصخّرة بيد الاستعمار عدو الجميع يوجهها في خدمة مصالحه وأغراضه (1).

- تنبيه الشعب التونسي الإسلامي بصفة خاصّة إلى الأخطار والمهاوي التي أصبحت تهيأ لأكبر مؤسسة ثقافية بالشمال الإفريقية قامت ومازالت تقوم بأكبر الخدمات في سبيل العلم والقومية والدين (2).

- دعوة كافة العقلاء والمعتدلين من كل طبقات الأمّة إلى التمسك بالدين الحنيف والقومية الحقّة وخدمة الصالح العام والسعي إلى إطفاء نار الفتنة وضم الصفوف وإزالة الأحقاد وإحترام حرّية الرأي ومطالبة " (3).

وفي نشرها لهذا البيان توجه الجريدة شكرها لعلماء هذا المعهد في تصديّهم للأكاذيب والدعاية الاستعمارية، كما توجه شكرها لعلماء جامع " القرويين " على موقفهم المساند لجلالة السلطان في صراعه مع الإقامة العامّة (4). إن نشاط طلبة جامع الزيتونة مثل إزعاجا

1 - " البصائر "، العدد 157، الاثنين 28 ماي 1951، ص: 175.

2 - نفس المصدر.

3 - " البصائر "، العدد 157، المصدر السابق، ص: 175.

4 - نفسه.

للإقامة العامة وللوزارة الأولى التونسية منذ عهد "محمد شنيق"، حيث نظم الطلبة إضرابا لتحسين ظروف التمدريس وتوفير الإمكانيات⁽¹⁾.

وفي مقال لها أشارت جريدة " البصائر إلى تماطل الحكومة التونسية في الاستجابة لنداء هؤلاء الطلبة بأسلوب تساؤل حمل كثير من العتاب فقالت: "ولا ندري أيبادر المسؤولون هذه المرة إلى إجابة رغائب الطلبة ؟ أم يكتفون منها بإرسال مجموعة منهم إلى الخارج لإتمام دراستهم العلمية حتى إذا عادوا تم كل شيء على أيديهم ؟ أو يقومون بإرسال مجموعة منهم إلى السجن إثر المظاهرة الأخيرة ؟"⁽²⁾.

كما عبّرت الجريدة على ضم احتجاجها إلى احتجاج " لجنة الطالب الزيتوني " ⁽³⁾ الذي نشرته الجرائد التونسية.

وهذا نصّه: " إن لجنة صوت الطالب الزيتوني الممثلة لكافة الطلبة الزيتونيين تعلن احتجاجها الصارخ ضد التصرفات الاستعمارية التي ألقت القبض على الإخوان أعضاء هذه اللجنة وتؤكد من جديد عزمها الراسخ على متابعة الكفاح المضفر حتى تنفذ المطالب التي صدرت فيها الأوامر العلية وتعلن أيضا أن الطلبة الزيتونيين الذين خبروا الكفاح، ولا تؤثر فيهم أمثال هذه التنبّعات الذين هم بُراء من أسبابها، بل لن تزيدهم إلا إيمانا وتثبيثًا وإستماته حتى تُحقّق رغائبهم، هذا وأن اللّجنة ترفع هذه المظلمة إلى مولى البلاد مولانا محمد الأمين باشا باي الأول أبقاه الله.

¹ - يقصد به إضراب الجوع، الذي قامت به لجنة صوت الطالب الزيتوني من 19 إلى 22 أبريل 1950م.

أنظر: محمد قريمان، المرجع السابق، ص: 291.

² - إثر تظاهر طلبة الزيتونة يوم 29 جانفي 1951م، تم إعتقال " لجنة صوت الطالب الزيتوني " ولم يطلق سراحهم إلا يوم 31 جانفي 1951م.

أنظر: محمد قريمان، نفسه، ص: 291.

³ - تذكر المصادر الفرنسية أن تأسيس " صوت الطالب الزيتوني " يعود إلى الثلاثينات، في فترة كان يشرف على هيئة التدريس فيها كل من عبد العزيز الثعالبي، وعبد الحميد بن باديس وأنهما المؤسسان الحقيقيان لهذا التنظيم.

أنظر: Roger CASEMAJOR, op.cit, P : 218

كما تسجل هذا الاعتداء الفضيح لدى الشعب المغربي المسلم الوفي للزيتونة وللزيتونيين " (1).

8- استهداف الاستعمار للاتحاد العام التونسي للشغل U.G.T.T وسعي لتقييد نشاطه:

تزامن صدور عدد هذا الأسبوع من جريدة " البصائر " بإحتفال العمال بعيدهم العالمي للشغل، حيث إحتفلت الطبقة الشغيلة في تونس بإقامة مهرجان ألقى فيه " فرحات حشاد " الأمين العام للاتحاد التونسي للشغل خطابا أهم ما جاء فيه: " ...هذا التجمع هو دليل على أن الطبقة الشغيلة سائرة وراء الاتحاد، فعيد الشغل أصبح عيد الشعب... إنه عيد التضحية عبر الثورة الاجتماعية التي حرّرت الشعوب وهي في طريقها لتحرير بقية الشعوب من الأغلال... بهذا العيد يحتفل أيضا شعب الجزائر وشعب مراكش وشعب طرابلس لإقامة الدليل على أنها متحدة المرسى والاتجاه ومستعدة للقضاء على الاستعمار المشترك... أن لا تحرير لتونس ولا للجزائر أو مراكش مادام هذا المغرب الكبير يرزخ تحت أنقال الاستعمار... إن هذا العيد يفتح باب جديد للنضال حتى نقضي على قوى الرجعية وحتى نكسر القيود التي تغلنا " (2).

وجاء تعليق الجريدة بأن خطاب " فرحات حشاد " يبرر بكل وضوح موقف عمال تونس والمغرب والجزائر وطرابلس من حركة التحرير العامة في هذه الأقطار، بينما لا نجد أثر لهذه الصراحة والوضوح في مواقف الأحزاب السياسية وزعمائها من الحركة التحررية نفسها (3).

على أن أكبر تخوّف لدى السلطات الاستعمارية من نشاط الاتحاد بزعامة فرحات حشاد هو سعي هذا الأخير إلى تدويل القضية التونسية من خلال الانخراط والدعم الذي

¹ - البصائر، العدد 157، المصدر السابق.

² - " البصائر "، العدد 154، الاثنين 7 ماي 1951م، ص: 151.

³ - نفسه.

تلقاه من جامعة النقابات العالمية ⁽¹⁾ بتقديم شكاوى الهيئات النقابية التونسية والمغربية إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة في دورته الثالثة عشر التي سوف تعقد في " جنيف " في شهر أوت من التصرفات القمعية للسلطة الاستعمارية التي ما فتئت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية من التعدي بقسوة وفضاظة على الحقوق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للطبقة العاملة ⁽²⁾.

9- موقف "البصائر" من الصحف الكولونيالية:

سوف نتناول هذه النقطة في شقين، الأول يخص الدعم والمساندة والدعاية للاستعمار والدفاع عنه من طرف الجرائد الكولونيالية سواء الصادرة منها في تونس، أو فرنسا، فهي ملّة واحدة ولا إختلاف بينها في إشارة إلى مقال لجريدة Le Monde ، الذي خصّص لمطالب الوطنيين في تونس وشمال إفريقيا، والتي تركز في مطالبها على حق شعوب بلدانها في تقرير مصيرها، وهو الموقف الذي إنتقدته الصحيفة الفرنسية معتبرة أن في تلك الأقطار جاليات من شعوب وأمم أخرى يجب أن تتناول حظّها موفورا من هذا الحق الذي ينشدونه، وأضافت أن الإستعمار جاء إلى هذه البلاد ولم يكن فيها شيء يذكر فأصبحت بفضلها، بهذه المنزلة من العمران والنظام القائم، والأمن المستتب، منتقدا وشاتمة (الشتم والسب) الحركات الوطنية التي يفهم من مطالبتها بالحرية والاستقلال عدم اعترافها بالجميل ⁽³⁾.

وتلتقي في هذا مع الصحف الاستعمارية الصادرة في تونس وكأن تفكيرها واحد من "تونس فرنسا" "Tunis France"، حيث زعمت هذه الأخيرة أن الأرض كانت قاحلة مجذبة

¹ - في ديسمبر 1949 جاء إنسحاب الاتحاد العام التونسي للشغل بزعامة " فرحات حشاد " من جامعة النقابات العالمية F.S.M وانضمامها للكونفدرالية العالمية للنقابات الحرة C.I.S.L ، وتكون هذه الأخيرة من قدّمت تلك الشكاوى. أنظر: Noura BORSALI, op.cit, PP :20-21

² - " البصائر "، العدد 161، الاثنين 25 جوان 1951م، ص: 207.

³ - " البصائر "، العدد 153، الاثنين 30 أفريل 1951م، ص: 142.

قاسية الطبيعة، فجاءت فرنسا وحولتها إلى جنان غناء ونظمت شعبها وحضرته، وهي نفس النعمة التي ترددها الصحف الاستعمارية في الجزائر والمغرب.

يأتي تساؤل جريدة "البصائر" أن كل تلك المنجزات تمت بمشاركتنا وينفرد الاستعمار باستغلالها، وعلى تلك الشعوب أن تسكت عن حقها في الحياة والحرية وإدارة البلاد، لكن عهد السكوت قد إنقضى، وما دعاء المستعمرين إلا في ضلال (1).

وفي مقال آخر وردّا على إدعاءات الاستعمار الكاذبة بأنه " عبّد الطرق وبنى القصور، وأنجز قنوات صرف المياه، وفجّر الأرض ينابيع فأحالتها إلى جنات نعيم، فبدل أن نشكر تناسينا النعمة وعدّنا المساوي، ليأتي ردّ " البصائر " بأن الاستعمار يمنّ علينا، كلما طالبناه بحقوقنا المهضومة، وهو يعلم أنّ لاحظ لنا في هذه النعم، فأبناء الاستعمار هم المتقلبون بسياراتهم في هذه الطرق المعبّدة، هم النازلون في تلك القصور، وهم المتنعمون بتلك الجنان والثمار، وما نحن إلا خدم وتبع لهم نعيش في أكواخ ومدن القصدير، وهذا كلّه بسبب وباء الاستعمار الذي سلب أهل البلاد الأصليين حرّيتهم وحولهم إلى خدم " (2).

أما الشق الثاني فيتمثل في سياسة الزجر والمنع والقمع الذي تمارسه السلطات الاستعمارية على الصحف الوطنية باعتبارها الجسر الرابط بين أقطار المغرب العربي والفاضح لسياسته، وعامل تضامن بين شعوبه وبالتالي تمثل تهديد لوجوده فسعى بشتى الوسائل إلى منعها كحد أدنى أو القضاء عليها إن أمكن، ومن أمثلة ذلك منع دخول جريدة " الصباح " التونسية لكل من الجزائر والمغرب.

كما تأمر على جريدة " البصائر " ومنعها من الدخول إلى المغرب الشقيق، كما قام بمصادرة جريدة " الجزائر الحرة " عدّة مرات، وهذا الضغط على الصحف الوطنية الحرة لأنها تناقش سياسته وتبرز مساوئه وتفضحه أمام الرأي العام وتفند شعاراته الكاذبة (3).

1 - " البصائر "، العدد 153، الاثنين 30 أبريل 1951م، ص: 143.

2 - " البصائر "، العدد 147، الاثنين 19 مارس 1951م، ص: 95.

3 - " البصائر "، العدد 168، الاثنين 3 سبتمبر 1951م، ص: 262.

أما بالنسبة لتونس فقد تم تعطيل وتوقيف صدور جريدة " الحرية " من طرف الإقامة العامة، وهو يطابق قرار الإقامة العامة في المغرب بتعطيلها الصحف الناطقة بالعربية عقابا لها على فضح سياسة القمع والاضطهاد المطبقة في هذا القطر من طرف الجنرال "جوان Juin" (1).

وقد وجهت الجريدة تحية خاصة لمديري الصحف المجتمعين في تونس إثر تعطيل جريدة " الحرية " دفاعا عن حرية التعبير والصحافة والاحتجاج على هذا التعطيل، معلنة على تضامنها الكامل واستنكارها لتلك السياسة الغاشمة (2)، مع التأكيد على أن إصرار الاستعمار على تلك السياسة سوف يشحذ الأقدام، ويرفع قدرة تلك الصحافة، ويمكن لها في قلوب قرائها تمكينا (3).

تراوحت القضية التونسية طيلة سنة 1951م بين التصريحات والتصريحات المضادة، وبين فكرة الإصلاحات التي لم يتم الاتفاق عليها أصلا فما بالك تطبيقها. كما نجد التكرار الممل لمصطلح المفاوضات التي تراوحت مكانها، دون أن ننسى الرحلات المكوكية " لبورقيية " في الشرق والغرب، وتمتعه بحرية التنقل والمناورة، لم تمنعها السلطات الاستعمارية. مقابل هذا نجد أسلوب التشدد إزاء العناصر الوطنية والصحافة التي تسايروها والتي تمثل التهديد الحقيقي للاستعمار ووجوده.

1 - " البصائر "، العدد 147، المصدر السابق، ص: 95.

2 - نفسه.

3 - " البصائر "، العدد 168، المصدر السابق، ص: 262.

10- القضية التونسية في الأمم المتحدة وردود الفعل الفرنسية:

إبتداء من 1952م والعدد 181 تم نقل الأخبار التي تتعلق بتونس إلى صفحة منبر السياسة العالمية وبقلم "أبي محمد" الاسم المستعار " لأحمد توفيق المدني " وتحت عنوان المساومة الخائبة جاءت الإشارة إلى مكوث الوزارة التونسية شهرين كاملين في مدينة باريس لتذكير حكومة فرنسا بالوفاء بالوعد الذي قطعه وزير خارجيتها " روبرت شومان " بمنح تونس إستقلالها الداخلي، لكن طول الانتظار وخيبة الأمل لدى الشعب التونسي ستؤدي به إلى إنفجار عاصفة سياسية (1).

وفي تحليله لأسلوب المماثلة والتمسك بنفس الأفكار لدى الحكومة الفرنسية التي لا تشكل إمكانياتها المادية والعسكرية خطرا على طموح شعوب شمال إفريقيا في تحررها وإنعتاقها إنما الخطر و المصيبة هم هؤلاء المستوطنين الأوربيين اللذين استأثروا بالبلاد والعباد ويقفون بكل شراسة في وجه أي تغيير يعتقدون أنه يمس بمصالحهم، ونجد في مقدمتهم " التجمع الفرنسي في تونس " الذي سعى لدى الحكومة الفرنسية وأقنعها بوجهات نظره، وكانت النتيجة أن هذه الأخيرة راسلت وزارة و باي تونس برسالة ملخصها:

*- إن الحكومة الفرنسية ترفض الإصلاحات التي طالبت بها الوزارة التونسية وأهمها تشكيل حكومة تونسية صرفة وإنتخاب مجلس تونسي حرّ.

*- لا يمكن القيام بأي عمل في تونس دون إشراك الجالية الفرنسية.

*- إن الارتباط بين تونس وفرنسا أبدي، ولا يمكن التفكير في نقضه أو التخلي عنه في يوم من الأيام (2).

¹ - " البصائر "، العدد 181، الاثنين 21 جانفي 1952، ص: 08.

² - جاء جواب الحكومة الفرنسية على مذكرة " محمد شنيق " في شكل مراسلة من وزير الخارجية الفرنسي " روبرت شومان " في 15 ديسمبر 1951م سلّمت لحكومته وباي تونس.

أنظر: Hedi BACOUCH, op.cit, P : 63.

منطقيا أن تحدث ردود أفعال شعبية ومن الحركة الوطنية، ردّا على هذا الموقف، ومنها إجتماع اللجنة التنفيذية للحزب الحرّ الدستوري الجديد ومناضلين من الجبهة القومية الحرّة اللذين تكتّلوا حول ميثاق ليلة 27 رمضان ⁽¹⁾ رافعين مطلب الاستقلال التام، واللّجوء إلى هيئة الأمم المتحدّة لتدويل القضية التونسية أسوة بعرض قضية المغرب الأقصى على الهيئة الدّولية ⁽²⁾.

لقد وجدت حكومة " شنيق " نفسها أمام تحدي الاستجابة لضغط الشارع المطالب بنقل القضية إلى الأمم المتحدة أو الاستقالة، وبعد تردّد إنقّق الوزراء على تقديم القضية لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في شكل دعوى قيّدتها الحكومة التونسية ضد الحكومة الفرنسية، أمضاها جميع الوزراء وتكليف الوزير الأول " محمد شنيق " لتقديمها بإسمه، وكلف بنقلها إلى باريس كل من الوزيرين " صالح بن يوسف " وزير العدل، و " محمد بدرة " وزيرا لشؤون الإجتماعية بموافقة الباي ⁽³⁾.

وقبل توجههما إلى باريس حضر الوزيران التونسيان مع بقية أعضاء الحكومة حفل الاستقبال الذي أقامه الباي على شرف المقيم العام الفرنسي الجديد والذي خاطبه الباي قائلاً: " إنك الوزير المفوض الخامس الذي وليت هذا المنصب منذ جلوسي على العرش، وهذا يدلّ

¹ - يقصد به الإجتماع الذي إنعقد في ليلة 23 أوت 1946م، وعرف بمؤتمر ليلة القدر، ترأّسه القاضي " لعروسي حداد " بمشاركة كل مكوّنات الحركة الوطنية التونسية حيث تم رفع مطلب الاستقلال التام لأول مرّة.
Jean GARNIAGE, op.cit, P : 545-546.

² - " البصائر "، العدد 181، المصدر السابق.

³ - ساهم النشاط الدبلوماسي المكثف من " حبيب بورقيبة " وخصوصا " فرحات حشاد " في الولايات المتحدة الأمريكية، إضافة لدعم المجموعة العربية الآسيوية في نقل القضية التونسية إلى الأمم المتحدة. أنظر: التميمي عبد الجليل، " بعض الوثائق....المصدر السابق، ص: 351.
CH. André Julien, op.cit, P : 208

على أن حكومتك لا تزال تعتبر لمسألة مسألة أشخاص، فبلغها بإسمي وبصفة رسمية أننا لا نريد تغيير الأشخاص، بل نريد تغيير السياسة " (1).

وملخص العريضة أن حكومة جلالة الملك تتهم الدولة الفرنسية بأنها قد نقضت معاهدة 1881م: حيث تدّعي بأن الارتباط أبدي بين الجانبين، والحال أن الفصل الثاني من المعاهدة صريح في أنها مؤقتة، تزول متى إتفق الطرفان على زوالها، بزوال أسبابها، كما أن للجالية الفرنسية الحق في تولي السلطة في تونس بينما تؤكد المعاهدة بأن السيادة التونسية، كما عارضت فرنسا إنشاء نظام دستوري حرّ في البلاد رغم مطالبة الباي بذلك، فمن أجل كل هذا ترى الدولة التونسية أن فرنسا لم تحترم موثيقها وأنها استولت على السلطة في البلاد التونسية بصفة مباشرة على مدى السبعين عامًا، ولهذا فهي تطلب من مجلس الأمن أن يفض هذا الخلاف بصفة سلمية كيلا يتطور تطورًا غير محمود، وذلك بإعلان حق تونس في التمتع بمبدأ حق الشعوب في تقريرها مصيرها الذي تضمنه ميثاقها (2).

فجاء ردّ الحكومة الفرنسية عنيفًا، وسعت بكل أجهزتها ومؤسساتها لمنع وصول العريضة للمجلس، أما في تونس فقد توجه المقيم العام "دي هتكلوك" إلى باي، مهددًا إياه بسوء العاقبة، ومبديا اعتراضه، ثم راح أبعد من ذلك في لقاء ثاني مؤكدًا له أن الأزمة الحادة التي نشأت بين تونس وفرنسا لا يمكن أن تنتهي، وتسلم تونس ويسلم العرش من عواقبها، مطالبًا كمبرج لها إعفاء الوزارة، لكن "لمين باي" رفض هذه الضغوط وأكد على ثقته في حكومته.

¹ - "يقصد به "جون دي هوتكلوك" « Jean de Houteclocque » الذي وصل إلى تونس في 13 جانفي 1952، على

Habib BOURGUIBA Jr, op.cit., P : 117

متن سفينة حربية ولباس عسكري. أنظر:

² - "البصائر"، العدد 181، المصدر السابق.

وتطبيقا لتهديده منعت السلطات الاستعمارية عقد مؤتمر الحزب الدستوري الجديد المزمع في 18 جانفي 1952م⁽¹⁾.

مقابل هذا وموازة مع توجه وفد رسمي ممثلا للحكومة التونسية إلى باريس، إنتقل إليها وفد شعبي ضمّ كل من المحاميان " صالح فرحات " و " عبد القادر التعبوري "، والصحفي " محي الدين القليبي " والدكتور " أحمد بن ميلاد"، و " محمد الصالح حتاش " من الأعيان وهذا من أجل دعم ومساندة الوفد الرسمي في مهمته فسعى هؤلاء لدى وفود الدول العربية والإسلامية، وتوضيح الرؤيا لها لدفعها لدعم مقترح تدويل القضية التونسية في الأمم المتحدة⁽²⁾.

11- تضامن الشعب الجزائري وجريدة " البصائر " مع القضية التونسية:

تنفيذا لقرار " الجبهة الجزائرية للدّفاع عن الحرّيات " ⁽³⁾، قرّرت جريدة " البصائر " مع بقية الصحف التقدمية بتاريخ الجمعة 1 فيفري 1952م المشاركة في يوم التضامن مع الشعب التونسي المجاهد، ومن أجل هذا صدر عدد هذا الأسبوع إستثنائيا يوم الجمعة بدل يوم الاثنين، حيث تصدر إفتتاحية العدد بالبند العريض " اليوم الجزائري العظيم لإعلان التضامن والوئام مع الشقيقة العزيزة تونس المجاهدة "، مبرزتا أن تضامن ودعم وتأييد الشعب الجزائري للقضية التونسية إنما هو جزء من كفاح بلاد المغرب العربي ضد الاستعمار الفرنسي⁽⁴⁾.

¹ - في 16 جانفي 1952م، يصدر قرار بمنع إنعقاد المؤتمر المزمع في 17 جانفي أما في 18 جانفي فتم إلقاء القبض على 150 مناضلا من الحزب الدستوري الجديد على رأسهم " حبيب بورقيبة " ونقلهم إلى الإقامة الجبرية .

أنظر: Yvette KATAN BENSAMOUN, op.cit, P : 323.

² - " البصائر "، العدد 181، المصدر السابق، ص: 09.

³ - تأسست الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرّيات 5 أوت 1951م، وضمت جمعية العلماء المسلمين، الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري إثر إجتماع بقاعة سينما " دنيا زاد " بالجزائر العاصمة للتدبير بالانتخابات المزورة.

⁴ - نفس المصدر، أنظر: " البصائر "، العدد 182، الجمعة 1 فيفري 1952م، ص: 13. أنظر ملحق الصور (1).

وقد تضمن برنامج اليوم التضامني حسب ما سطرته " الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات " إضافة لإصدار الصحف الوطنية عدد خاص حول تونس، تقرّر إقامة تجمعات شعبية ولقاءات في أهم المدن الجزائرية يوم الاثنين 28 جانفي لتمكين أكبر عدد من الجزائريين من المشاركة، وفعلا فقد لبي هذا الأخير النداء، وانهقد تجمع شعبي ضخم لم تكفي قاعة " دنيا زاد " لإحتضانه واكتضت الشوارع المحيطة بالقاعة بالمتضامنين وترأس التجمع الأستاذ " أحمد توفيق المدني "، الكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكاتب اللجنة الدائمة " لجبهة الدفاع عن الحريات"، حيث لخص في تدخله مراحل تطوّر القضية التونسية، كاشفا فيه عن مكائد ومكر وخداع المستعمر، مقدّما صورة صادقة عن الجرائم التي إرتكبها الاستعمار في حق أبناء الشعب التونسي، مع سعيّه إلى تهريب وتخويف وخلق الفرقة بين "الباي" وحكومته وشعبه، مؤكدا على فشل هذا المسعى وأن نهاية الاستعمار قريبة ومعها تحرّر وإستقلال أقطار شمال إفريقيا (1).

ليتناول الكلمة الأستاذ " مصطفى فروخي " ممثل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية مبرزاً الدور التضامني للحركة الوطنية الجزائرية مع شقيقاتها في كل من تونس والمغرب الأقصى، مؤكدا أن كفاح تونس هو كفاح الجزائر وأن تحرّر وإستقلال سائر جهات المغرب العربي حتمي وأكيد، لأن عناصره متوفرة وهي التضحية والاتحاد والثبات (2).

ليأتي الدور على الأستاذ " قدور ساطور " ممثل الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وكانت خطبته باللغة الفرنسية - لكيلا يقع إلتباس في ذهن ممثلي السلطة الاستعمارية أي العملاء المنبثين بين الحضور، ولا في ذهن الجالية الأجنبية - ومما قاله: " ... نحن نؤيد تونس في كفاحها الجريء الشريّف تأييدا مطلقا، ونعلن أن كفاح تونس هو كفاحنا، وأننا نقف من القضية التونسية، نفس موقفنا من القضية الجزائرية...إن مكيدة الاستعمار في تونس

1 - " البصائر "، العدد 182، المصدر السابق، ص: 13.

2 - نفسه.

هي رغبة " الوصي " في الاستيلاء على نصف مال " الموصى عليه " حين بلغ رشده، مما يدعى في كل القوانين لصوصية و إختلاسا يعاقب عليها القانون، وهكذا سيخسر الاستعمار كل شيء لأنه أراد أن يستحوذ على كل شيء " (1).

أما ممثل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ " مصباح الحويذق "، فتكلم عن وحدة الشعور الإسلامي الذي تجعل من كل المسلمين جسداً واحداً، وذكر بفضل تونس في ميادين العلم والثقافة وفضل الزيتونة على هذه الأقطار (2)، وأسبغية تونس في الكفاح الإسلامي التحرري، ونادى بتوحيد النضال إلى جانب تونس، محذراً بأن جرائم الاستعمار ستفجر عليه حملة لا قبل له بها (3).

أما آخر من تناول الكلمة فهو السيد " العربي بوهالي " ممثل الحزب الشيوعي الجزائري، مركزا في كلمته على موقع القضية التونسية في الساحة الدولية حيث العالم مقسم إلى معسكرين، أحدهما استعماري، والآخر تحرري، فاستعمار نجده في تونس بأساليبه وآثامه، كما نجده في الهند الصينية، وفي كوريا، وفي مصر وغيرها والرأسمالية كلها تؤيده وتؤازره، لأنها كلّها تستغل البلاد المستعمرة، أما حركة الكفاح التحرري فهي اليوم تعمّر العالم إنطلاقا من الصين بقيادة " ماوتسي تونغ " (4)، وانتشرت في آسيا (5) وسوف تشمل كل العالم.

¹ - "البصائر"، العدد 182، المصدر السابق، ص: 13.

² - كان الشيخ " عبد الحميد بن باديس " من أساتذة الزيتونة، ومن المقرّبين من الشيخ " عبد العزيز الثعالبي " حيث أسّسا إتحاد الطالب الزيتوني. وكانت الجمعية ترسل تلامذتها لإتمام دراستهم في الزيتونة.

Roger CASEMAJOR, op.cit, P : 218

أنظر:

³ - " البصائر "، العدد 182، المصدر نفسه

⁴ - إشارة لنجاح الثورة الشيوعية في الصين في 1 أكتوبر 1949م. المؤلف.

⁵ - المقصود بها الثورة الفيتنامية بقيادة " هوشي منه " 1946م - 1954م وتعرف أيضا بالحركة التحررية في الهند الصينية. المؤلف

وفي ختام هذا اليوم التضامني، وقف رئيس الجلسة، ليشكر نيابة عن الأمة التونسية شعب الجزائر المكافح، على هذا الموقف الرائع إلى جانب إخوانه المستشهدين في سبيل الحرية والاستقلال. وبعد أن صادق المجتمعون على بلاغ الجبهة، رفع التجمع وخرجت جموع الجماهير بأناشيد وطنية هاتفة بحياة تونس، وملكها وحكومتها وقادتها منادية بسقوط الاستعمار ونهايته (1).

12- السياسة القمعية الاستعمارية لؤد القضية التونسية:

إهتمت جريدة " البصائر " بتغطية كامل جوانب القضية التونسية سياسيا أو عسكريا، وفي هذا المجال خصّصت جزء هام من منبرها في السياسة العالمية إلى الجرائم البشعة التي يقترفها الاستعمار الفرنسي في حق الشعب التونسي الأعزل، وأنه يستمد بقاؤه ووجوده بالقوة والبطش والقتل والسجن، وأنه لم يتعلّم شيئا من الحريين العالميتين، وسوف يأتي يوما سيحاسب فيه حسابا عسيرا على كل تلك الجرائم ومنها جريمة تمشيط الوطن القبلي Cap Bon فلاستعمار يتحمّل كامل المسؤولية عنها وعن إنعكاساتها وحسب الجريدة فإن انفجار الوضع جاء بعد الإجراءات القمعية ردّا على تقدّم الحكومة التونسية بشكواها لهيئة الأمم المتحدة، وإلى مجلس الأمن، وكانت بداية الاستفزازات من مدينة " باجة " حيث توجه إليها وفد من النساء المناضلات في الحزب الدستوري الجديد للإجتماع بمناضلات أخريات فألقي عليهنّ القبض بحجة تهديد الأمن العام، حيث تم إستتطاقهنّ ثم نقلن إلى مدينة " بنزرت " لمحاكمتهن، ليخرج سكان " باجة " في مظاهرة شعبية مطالبين بإطلاق سراح تلك المناضلات، أعقبتها مظاهرة أخرى في " بنزرت " يوم المحاكمة، فكان ردّ فعل الاستعمار إرتكاب مجزرة في حق الشعب التونسي الأعزل (2).

¹ - " البصائر "، العدد 182، المصدر السابق، ص: 13.

² - نفسه.

وما يلاحظ على تغطية " البصائر " للسياسة القمعية الفرنسية هو أسلوب التأثير على القارئ لتحويله إلى فاعل في دعم القضية التونسية وليس كقارئ محايد، الملاحظة الثانية تخص قلة أو إنعدام الأرقام والإحصائيات وهذا لقلة المصادر وعدم القدرة في الوصول إلى مواقع الحدث.

وبالعودة إلى الحدث فقد إنتقل الخبر إلى مدينة " القصيبة " على الساحل فخرج سكانها في مظاهرة سلمية حولها رجال الدرك إلى مجزرة ثانية سقط على إثرها عدد من المتظاهرين بين قتل وجريح، هذه الأحداث اتخذتها السلطات الاستعمارية ذريعة لإلقاء القبض على " حبيب بورقيبة " ومدير الحزب " منجي سليم " ومجموعة من قادة الحزب الدستوري الجديد ونفيهم إلى طبرقة (1).

كما قامت السلطات الاستعمارية بإلقاء القبض على زعماء الحزب الشيوعي التونسي ونفيهم إلى " الرمادة " في الجنوب وتحميلهم مسؤولية الاضطرابات، وكان الهدف من هذه الحملة القمعية على الشيوعيين التونسيين التأثير على الوفود المشاركة في إجتماع الأمم المتحدة وكلّها معادية للشيوعية لإقناعها بأن ما يحدث في تونس مؤامرة شيوعية بتخطيط وتنفيذ من الكومنفورم وتوجيه الاتحاد السوفياتي (2).

وما يلاحظ على أسلوب الاستعمار هو المفاضلة في التعامل مع مكونات الحركة الوطنية ففي الوقت الذي طبق فيه الإقامة الجبرية وفي أماكن تتوفر على شروط العيش ومناخ معتدل على " بورقيبة " وقادة ومناضلي الحزب الدستوري الجديد، نجد أن مناضلي

¹ - كان وراء أسلوب القمع المقيم العام الجديد " دي هوتكلوك " De Hauteclocque بمنعه إنعقاد مؤتمر الحزب الدستوري الجديد ليتم إعتقال " بورقيبة " و 150 مناضل من الحزب الدستوري الجديد.

Jean LA COUTURE, op.cit, P : 153.

Yvette KATAN BEN SAMOUN, op.cit, P : 323.

² - الكومنفورم ويعني مكتب الأخبار (الإعلام) الشيوعي تأسس في 6 أكتوبر 1947م كردّ فعل على سياسة الحصار الأمريكي له، فكان ظاهره مكتب إعلامي إخباري أما باطنه وحقيقته هي التجسس كل ذلك في إطار الحرب الباردة. المؤلف

الحزب الشيوعي ينقلون إلى محتشدات وإلى مناطق صحراوية لا تتوفر على أدنى شروط الحياة هذا الأسلوب سوف تجنى فرنسا ثماره لاحقا كما سوف نوضحه لاحقا.

وبالعودة إلى المظاهرات وسلميتها عكس ما تدعيه سلطة الاستعمار فتتم الإشارة إلى مظاهرة كبيرة عرفت بها مدينة " القيروان " وأخرى بمدينة " صفاقس"، وبتنسيق بين الحكومة التونسية وممثلي السلطة الفرنسية صدرت الأوامر لأجهزة الأمن بعدم التعرض لها، فجرت تلك المظاهرات سلميا وتفرقت بعد إبلاغ احتجاجها.

ولمواجهة تطوّر الأوضاع في تونس أرسلت فرنسا بقوات إضافية مع معداتها من الشمال والغرب لقمع الهبة الشعبية في القرى والمدن، فكان ردّ المتظاهرين على تلك السياسة القمعية تفجير المنشآت العسكرية والتركيز على السكك الحديدية، وقطع أعمدة الهاتف، أما الخسائر البشرية فكانت محدودة ووقعت مع بداية المواجهات ⁽¹⁾.

كما أن أخطر وأبشع جرائم الاستعمار جرت بجهتي "الساحل" و " الوطن القبلي"، حيث اعترف هذا الأخير باستعمال الطيران الحربي والمصفحات والمدفعية، كما استعان باللفيف الأجنبي من المشاة والزوج، ولم يعرف مدى هذه الكارثة وعدد ضحاياها حسب المقال ⁽²⁾.

¹ - " البصائر "، العدد 182، المصدر السابق، ص: 16.

² - يمكن اعتبار منتصف جانفي 1952م بداية المقاومة المسلحة في تونس ففي 22 جانفي تتم تصفية العقيد Durand قائد محمية " سوسة " وفي 28 جانفي يتم اغتيال الملازم الأول Vacher قائد وحدة الدرك في كاب بون Cap Bon، لينفجر الإنتقام الاستعماري بأمر من المقيم العام De Hauteclocque والجنرال Garbay للقيام بعمليات تمشيط عسكرية ما بين 20 إلى 31 جانفي 1952م.

CH. André. Julien, op.cit, P : 193

أنظر:

تلك الأحداث ساهمت في تلاحم الشعب التونسي وصموده، وإلتفاه حول حركته الوطنية، التي سعت إلى التكتل وتوحيد جهودها فجاء إنعقاد مؤتمر الحزب الدستوري في مكان ما (1). لم يحدده صاحب المقال، رغم محاولات الاستعمار منعه.

موازاة مع أسلوب القمع، عمد المقيم العام للضغط على الباي طالبا منه إقالة حكومته، واستبدالها بحكومة أكثر ليونة مهددا إياه بالعزل في حالة الرفض، إقتداءا بمحاولة الجنرال " جوان Juin " عزل الملك " محمد الخامس " في المغرب والتي باءت بالفشل (2).

ليأتي موقف الحكومة الفرنسية على تلك الأحداث التي عرفت تونس على لسان رئيسها الجديد " إدغار فور " Edgar Faure (3) قائلا: "... لا نسلك سياسة الشدة، ولا سياسة الضعف، ولا ننازع في سيادة سمو الباي، ولا نزال نيتنا متجهة لتحقيق " الاستقلال الذاتي " التونسي على مراحل.. ورغم الصعوبة فسوف نجد وسيلة لتحقيق رغائب التونسيين وفي الوقت نفسه السهر على حقوق فرنسيي البلاد". (4) وتحت ضغط المقيم العام إضطر " الباي " توجيه نداء للتهدة للشعب التونسي، ساهم ذلك ولو جزئيا في إنهاء الاعتصامات في المدن لتتنقل المقاومة المسلحة إلى الأرياف خصوصا في المناطق الجنوبية طيلة الفترة الممتدة 1952م حتى 1954م، ولو لفترات متقطعة.

كما حاولت السلطات الاستعمارية فرض تعقيم إعلامي وحصار عسكري على منطقة " الوطن القبلي " حيث إرتكبت إحدى أبشع جرائمها في تونس لكن الحقيقة إنكشفت بفضل الله سبحانه وتعالى، حيث كان صحفي أمريكي من وكالة أنباء " الأسوسياتدأبريس " متواجدا

¹ - إنعقد المؤتمر في 18 جانفي 1952م في " تونس " برئاسة الهادي شاكر. أنظر:

CH. André. Julien ; op.cit., P : 193

² - " البصائر "، العدد 182، المصدر نفسه، ص: 17.

³ - جاء سقوط حكومة روني بليفن René Pleven في 7 جانفي 1952م وأستمر في تسيير الشؤون العامة حتى 17 جانفي 1952م. حيث تم تعيين " إدغار فور " Edgar Faure رئيسا للجديد للحكومة. أنظر:

Habib Bourguiba, op.cit., P: 117

⁴ - البصائر "، العدد 182، المصدر السابق، ص: 17.

في عين المكان، ورأى رأي العين ما وقع فأرسل بذلك تقريراً صحفياً مدعماً بالصور لوكالاته، التي قامت بتوزيعه على أغلب الصحف في العالم الغربي، ونشرته أكثر من مائة جريدة في تلك الدول، مما تسبّب في ردود فعل منددة بتلك الجرائم وأكسبت القضية التونسية عطفاً وتأثيراً دولياً⁽¹⁾. أمام ردود الفعل التونسية فبدأت بإضراب عام لعدة أيام تنديداً بتلك الجرائم، أما رسمياً فقد قام " الباي " بالرد على مذكرة الحكومة الفرنسية حول فكرة السيادة المشتركة، وحسب التسريبات فإن جواب الباي تضمن احتجاجاً على فضائع جريمة الوطن القبلي " Cap Bon " وأنه " لا يمكن في هذا الجو الملتهب وعمليات القمع أن تعود المذكرات بين الجانبين، لإيجاد حل مرضي للعلاقات التونسية الفرنسية، فلترفع حالة الحصار، ولتتوقف أعمال الانتقام ويطلق سراح المبعدين المسجونين وتعويض المتضررين، وهو ما سوف يمكن من إستئناف المذاكرة على أسس تحدّد مسبقاً تمثل بالإعتراف بالسيادة التونسية كاملة، وفي تكوين وزارة تونسية صرفة، وانتخاب مجلس وطني تونسي⁽²⁾.

كما تابعت جريدة " البصائر " نشاط الدّول العربية والآسيوية العضوة في هيئة الأمم المتحدة، في دعمها ومساندتها للقضية التونسية، داعية الأمين العام لهذه الهيئة إلى التوسط بين الطرفين ودّياً لحلّ المشكل بالتفاوض والاعتراف بحقوق الشعب التونسي مع تنبيهه لما يرتكبه الاستعمار من فضائع وجرائم، لكن تعنّت الاستعمار الرافض لأيّ تدويل واعتبار القضية داخلية بحثة دفع بالمجموعة العربية الآسيوية إلى تشكيل لجنة برئاسة ممثل باكستان " ظفر الله خان " العضو في مجلس الأمن - كان يتزأس مجلس الأمن - لتقديم

¹ - البصائر "، العدد 183، الاثنين 18 فيفري 1952م، ص: 26.

صاحب تلك الصور هو صحفي هولندي يشتغل في وكالة " SOL Tass " إستطاع إخراجها من تونس، ويتم إيصالها إلى " أحمد بن صالح " عضو المكتب التنفيذي للنقابة العالية C.I.S.L بعد إعلامه من طرف " فرحات حشاد " بالجريمة طالبا منه إستعمال الصور والسعي لدى النقابة لإرسال لجنة تحقيق، وهو ما تم فعلاً وتشكلت من " أحمد بن صالح " والنقابي السويسري " بيار لينيجر Pierre Liniger " حيث أنجز تحقيقاً وتقريراً تضمن صور الصحفي الهولندي، مع تسليم نسخة منه إلى الوكالة العالمية (L'Associated Press) . أنظر: Noura BORSALI , opcit, P : 27

² - " البصائر "، العدد 183، المصدر السابق، ص: 28.

القضية والدفاع عنها في مجلس الأمن ليس في دورته المنعقدة في باريس تقاديا للضغوطات الفرنسية وإنما إنتظار الدورة القادمة التي سوف تنعقد في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، مقرّه الدائم (1).

13- " البصائر " ترد على الجرائد الكولونيالية:

المنتبع لجريدة " البصائر " يلاحظ في العديد من مقالاتها الردّ وفضح أكاذيب الصحف الكولونيالية فتحت عنوان " المسؤولون عن الأزمة التونسية الفرنسية " بقلم " باعزير بن عمر " وردّا على مقال لجريدة " لاديبيش كوتيديان La Dépêche Quotidienne " المعروفة بنزعتها الاستعمارية والتي تصدر في الجزائر العاصمة، وتناولت فيه الأطراف المسؤولة عن الأزمة التونسية الفرنسية بنسبة لها " الطرف الفرنسي مسؤول لجموده القديم ما ينافي كل تطوّر، مما سيجعله عرضة للتيارات الفكرية والاجتماعية التي تهدده بالزوال، أما الطرف التونسي فقد أظهر بدوره من التطوّر والاستعداد لخوض غمار الحياة الجديدة مما لا سبيل إلى نكرانه، فاصطدم الطرفان ولا سبيل للتوافق بينهما خصوصا أن ممثلي الشعب التونسي ليسوا من ذوي الخبرة في الحكم والإدارة، بل هم نخبة من أرباب الكلام وزعماء شعوبيين دورهم إثارة الجماهير ضد الأجانب، أما الجانب الفرنسي بفضل رقيه العلمي والتحكّم في النظم على مختلف أنواعها يسعى للاحتفاظ بمركزه، ليدخل طرف ثالث في هذه الأزمة الداخلية الفرنسية والمتمثل في كتلة الدول الإفريقية والآسيوية التي فتحت أعمالها في باريس بالدفاع عن قضيتي تونس والمغرب (2).

¹ - من دوافع إنتظار الدورة القادمة لمجلس الأمن في نيويورك محاولة الوفد العربي الآسيوي بالتنسيق مع الوفد التونسي كسب تأييد ودعم الولايات المتحدة الأمريكية لهذا المسعى، خصوصا أن النقابات العمالية الأمريكية والرأي العام متعاطف مع القضية التونسية بفضل نشاط " فرحات حشاد ".

أنظر: Noura BORSALI , op.cit, P : 20-21.

² - " البصائر "، العدد 183، المصدر السابق، ص: 07.

ليأتي ردّ " البصائر " بأنها تسجل إعتراف الصحيفة - وهي لسان حال جبابرة الاستعمار في هذه الدّيار-(1) بتطوّر الشعب التونسي ورقيه الاجتماعي، وعدم مسايرة الاستعمار لهذا التطوّر في كافة الميادين، مما أدى إلى مواجهة دموية بين شعب أعزل، وقوى عمياء من البطش والفتك والقمع، لكن ما يعاب على الجريدة هي إدعائها أن تلك النهضة والتطوّر تعود إلى الاستعمار، والغريب أن تلك النهضة ينقصها الفنيون والخبراء وذوو الاختصاص في الاقتصاد والأعمال الإدارية إذا من المسؤول عن ذلك ؟

يجيب صاحب المقال إنه الاستعمار الذي بنى سياسته على الاحتكار وإقصاء الأهالي عن المشاركة في إدارة شؤون بلدانهم، خوفا من أن هؤلاء يثبتون كفاءتهم فيبطل إدعائه القائل بتخلف هؤلاء وان الذين حلوا بتونس وغيرها من أقطار المغرب العربي هم غزاة مستعمرون تحكموا في البلاد بالقوة العسكرية وتحكمهم في الإدارة والنظام ما هو إلا سبب تهميش وإبعاد أبناء البلد الذين لو فتح لهم المجال لأثبتوا كفاءتهم وتفوقهم في العديد من الميادين (2). فالمسؤول الأول والأخير عن هذه الأزمة هي فرنسا، فالجانب التونسي الذي دعي إلى التفاوض قبل مضطرا مع علمه بالتفاوت بين الجانبين، والمكائد والمؤامرات، وبالرغم من ذلك لم ييأس من فتحها وانتظار نتائجها.

أما الحديث عن الكتلة الإفريقية الآسيوية التي تُتهم بمعاداة الغرب، فالحقيقة أن هذه الأخيرة لقيت الدّعم والسند من دول غربية ديمقراطية وأمريكا الجنوبية وهي دول مناهضة للاستعمار الفرنسي والإنجليزي وغيرها، ثم كيف يغيب على الجريدة الكولونيالية حقيقة بأن في مجلس الأمن نفسه لجنة خاصّة مهمتها النظر في طلب الشعوب الخاضعة للاستعمار،

¹ - يقصد بهم الناطق الرسمي للمستوطنين في الجزائر " روني ماير René Mayer " إضافة لـ " بروجو Borgeaud " و " بلاشت Blachette الذين يسيطرون على جهاز الحزب الراديكالي الاشتراكي، الذي يوجه سياسة الجبهة الشعبية في فرنسا، كما يتحكمون في الجرائد الصادرة في الجزائر، وبها يوجهون الرأي العام.

أنظر: Juliette BESSIS, Maghreb....., op.cit, PP : 97-98.

² - " البصائر "، العدد 183، المصدر السابق، ص: 07.

والعمل على الأخذ بيدها في طريق الحرية والاستقلال تطبيقا لميثاق هيئة الأمم المتحدة والداعي لحق الشعوب في تقرير مصيرها.

وخلاصة القول أن الاستعمار شر، وأن إجتماع الأمم والشعوب وإجماعها على محاربه وإستتكار جرائمه كفيل بتطهير العالم منه قريبا (1).

ومن مظاهر دعم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للقضية التونسية توجه وفد عنها إلى باريس، تزامنا مع إنعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن فيها أثناء تقديم الوفد التونسي لشكواه، وكان من بين نشاطات الوفد برئاسة الشيخ البشير الإبراهيمي الإجتماع بوفد من العمال الجزائريين ومشاركة مجموعة من إخوانهم المغاربة والتونسيين في هذا اللقاء. كما تم تشكيل المكتب الدائم لإتحاد الحركات التحررية لشمال إفريقيا، مع تخصيص لقاء لتدارس الأحداث الجديدة في المغرب الأقصى والبحث على تشكيل لجان إغاثة لمنكوبي حوادث تونس في كل أقطار المغرب العربي والعالم الإسلامي كله.

كما انعقد لقاء بين الشيخين " محي الدين القليبي " و " بشير الإبراهيمي " بنزل " النزل الكبير " "Grand Hôtel" مع الوزيرين " صالح بن يوسف " و " محمد بدرة "، حول توحيد الجهود وتنسيق الأعمال لفائدة تونس ولفائدة الشمال الإفريقي، وهذه تمثل بداية التنسيق بين الطرفين في تنفيذ ميثاق اتحاد الحركات التحررية لشمال إفريقيا (2).

تحت عنوان " الأزمة الهائلة بتونس " في منبر السياسة العالمية بقلم " أحمد توفيق المدني "، إحتوى على نقد لاذع لجمود الحكومات الفرنسية المتعاقبة إتجاه الحركة الوطنية التونسية ومطالبها العادلة.

¹ - " البصائر "، العدد 183، المصدر السابق، ص ص 07، 08.

² - " البصائر "، العدد 184، المصدر السابق، ص: 30.

فقد وصف صاحب المقال مراسلة 15 ديسمبر 1951م⁽¹⁾ للحكومة الفرنسية والذي تضمن نظام الشراكة كبديل على مطلب الاستقلال الداخلي للحكومة التونسية بالجواب الإجرامي، مما تسبّب في انفجار مظاهرات شعبية في تونس مطالبة بالاستقلال والتحرّر من الاستعمار، الذي لم يجد إلا القمع بالسلاح والقوّة والبطش للتصدي لها وإرتكاب أبشع الجرائم في القرى والمدن والبلوادي، هل أثنى ذلك التونسيون وتراجعوا عن مطالبهم ؟ الجواب كلاً بل زادهم عزيمة وإصرار على مواصلة الكفاح، مع مزيد من التضحيات لأنه السبيل الوحيد للتخلص من هذا الاستعمار.

لقد تطوّرت المظاهرات إلى عمل مسلّح بتخريب المنشآت، وقطع أعمدة الهاتف، وتفجير خطوط السكك الحديدية، ونسف الجسور وإتلاف السيارات، لتتطوّر إلى إلقاء القنابل اليدوية على مراكز الشرطة والجيش⁽²⁾.

14- " البصائر " تحت على تدويل القضية التونسية:

من مميزات مقالات " البصائر " حول الأوضاع في تونس ربطها ببقية ما يحدث في المستعمرات الفرنسية الأخرى، وأن نفس الأساليب تؤدي إلى نفس الانعكاسات، ومن بين تساؤلات الجريدة الموجهة للمسؤولين الفرنسيين انتظارهم أن تتقلب الأوضاع في تونس إلى حرب شاملة لترد عليها قواتها الاستعمارية بإعادة مذابح 8 ماي⁽³⁾ ومجازر مدغشقر⁽⁴⁾ أو

¹ - كانت من إمضاء وزير خارجية فرنسا " روبرت شومان Robert Schuman " سلم لحكومة " شنيق " وللباي وإعطاء صيغة قانونية تم إرسالها في شكل مراسلة رسمية.

Hedi BACOUCH, op.cit, P : 63

أنظر:

² - " البصائر "، العدد 185، الاثنين 24 مارس 1952، ص: 41.

³ - إشارة إلى مجازر فرنسا الاستعمارية في سطيف، قالمة، خراطة في 8 ماي 1945م، والتي راح ضحيتها 45 ألف شهيد.

⁴ - هي مجازر إرتكبها الجنرال " قارباي Garbay " في مدغشقر 1947م في حق المتظاهرين المطالبين بحق تقرير المصير والتي راح ضحيتها عشرات الآلاف من القتلى.

Habib BOURGUIBA, JR, op.cit, P : 117

أنظر:

تتحول تونس إلى هند صينية ثانية⁽¹⁾ ويتحول كل شمال إفريقيا إلى ميدان حرب إستعمارية ففرنسا ترفض حل القضية سلميا وبحكمة رغم تزيث الدول العربية والإسلامية والآسيوية في تقديم القضية التونسية إلى مجلس الأمن، ورغم ذلك فقد أصرت على عنادها وتجبرها ووصل بها الأمر إلى نزع جوازي سفر الوزيرين " صالح بن يوسف " و " محمد بدرة " لمنعهم من السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتوجه إلى مجلس الأمن⁽²⁾.

كما أعطت الجريدة إحصاءا حول عدد المعتقلين والمعتقلات في السجون والمحتشدات الفرنسية حيث يتراوح عددهم ما بين ثمانية آلاف وعشرة آلاف والرقم في إزدياد يوميا. كما غضت السلطات الاستعمارية الطرف على تحرشات المستوطنين ضد التونسيين وممتلكاتهم بما فيها إلقاء القنابل اليدوية على منازل ومتاجر التونسيين كما حصل في منزل الوزير الأول " محمد شنيق "، مما دفع بالتونسيين إلى إعلان إضراب عام.

كما عادت فرنسا من جديد لإقتراح " إصلاحات " لا جديد فيها ماعدا شرط الضغط على الباي لعزل الحكومة، هذه الأحداث تناولتها برقيات الصحف ومحطات إذاعية والتي ندّدت بالعدوان على منزل الوزير الأول التونسي محمّلتا الأقلية الكولونيالية مسؤولية تلك الأحداث وانعكاساتها.

آخر خبر تناولته " البصائر " حسب البرقية الواردة من مكتب تونس الحرّة بالقاهرة، حول وصول الزعيم التونسي الأستاذ " محي الدين القليبي " إليها قادما من باريس يوم الثلاثاء 11 مارس 1952 م⁽³⁾.

عادت " البصائر " هذا الأسبوع لسياسة الأرض المحروقة المتبعة من طرف المقيم العام " دي هوتكلوك "، موازاة مع تهديده " للباي " بعزله إذا لم يقل وزارة " محمد شنيق "

¹ - الهند الصينية أو الثورة الفيتنامية بقيادة هوشي منه ضد الاستعمار الفرنسي 1946م - 1954م تاريخ إستقلاله.

² - " البصائر "، العدد 185، المصدر السابق، ص: 41.

³ - نفسه، ص ص: 41-43.

المتّهمة بعصيان فرنسا، حاول الباي الاستجداء بالرئيس الفرنسي في الوقت نفسه الذي تلقى فيه المقيم العام تفويضا من الحكومة الفرنسية الجديدة.⁽¹⁾ وحتى ردّ رئيس الجمهورية على مراسلة الباي يمثل تأييدا مطلقا لإجراءات المقيم لعام ويتضمن تهديدا إضافيا حيث تم تذكيره بعزل " المنصف باي " ونهايته المأساوية⁽²⁾.

وتحت الضغط والإكراه أمضى " لمين باي " على نداء 26 مارس 1952م مستكراً أعمال العنف التي تقع في تونس، وإقالة وزارة " محمد شنيق"، وتعيين "صلاح الدين بكوش" وزيرا أولاً، الذي لم يجد من يستوزره ورفض كل أطيايف الشعب التونسي والأحزاب والمنظمات له وإعلان إضراب عام ليوم الثلاثاء 1 أفريل رفضا له⁽³⁾.

وبأسلوب عتاب موجّه للدول العربية والآسيوية لتأخرها في تقديم القضية التونسية لمجلس الأمن مما ساعد السلطات الاستعمارية على فرض حلولها بالقوة والعنف، زادها دعم الولايات المتحدة الأمريكية تشجيعا للمواصلة في نهجها هذا، لكن هذا الأمر لن يطول حتى تتمكن المجموعة العربية الآسيوية من تدويل القضية خصوصا مع إنتقال رئاسة مجلس الأمن لدولة " الباكستان " بداية من 1 أفريل وهي من أشد مؤيدي القضية التونسية⁽⁴⁾. على أن المعركة الدبلوماسية لن تكون سهلة لسببان الأول إشتراط الأغلبية المطلقة في مجلس الأمن والثاني إمتلاك القوى الكبرى لحق النقض الفيتو " Veto " خصوصا من جانب الولايات المتحدة الأمريكية المتحكم الفعلي في هذا الأخير.

¹ - " البصائر "، العدد 186، الاثنين 7 أفريل 1952م، ص: 48.

إستغل المقيم العام الفترة الزمنية الفاصلة بين سقوط حكومة " إدغار فور " وتولي " أنطوان بيني " الحكم لتنفيذ سياسته القمعية خصوصا أن هذا الأخير منح كل الصلاحيات لإنشغاله بأوضاع فرنسا الداخلية.

Kahalifa CHATER, op.cit, P : 202

أنظر:

² - تم عزله في 8 ماي 1943م وتم نفيه إلى الجزائر، ومنها إلى مدينة " بو Pou " في فرنسا حيث توفي فيها بعد مرض مفاجئ 1 سبتمبر 1948م، ونقل إلى تونس حيث دفن فيها 6 سبتمبر 1948م.

Roger CASEMAJOR, op.cit, P : 233

أنظر:

³ - " البصائر "، العدد 186، المصدر السابق.

⁴ - نفسه.

تعتبر القضية التونسية، قضية تصفية استعمار حسب ميثاق ومبادئ هيئة الأمم المتحدة، لكنها في الحقيقة وجدت نفسها وسط تجاذبات الصراع بين المعسكر الشيوعي بزعماء الاتحاد السوفياتي والمعسكر الرأسمالي بزعماء الولايات المتحدة الأمريكية، فقد استغلت فرنسا انعقاد إجتماع لدول " حلف الشمال الأطلسي " ⁽¹⁾ في عاصمة " البرتغال " لشبونة- قبل إجتماع مجلس الأمن - لكسب تأييد ودعم دوله لها من خلال الترويج لفكرة أن تونس والمغرب هم جزء من الحلف وأمنه وأمنهم، وأنها تسهر على راحة القوى الحليفة من خلال التكفل بالمطارات والقواعد العسكرية فيه، وهذا ما دفع بالولايات المتحدة الأمريكية بعدم التصويت في مجلس الأمن والذي إعتبر دعما للموقف الفرنسي ⁽²⁾ وبإيعاز منها أو إرضاء لها إمتنعت كل من اليونان وخصوصا تركيا عن التصويت مما دفع بجريدة " البصائر " إلى إنتقاد موقف هذه الأخيرة التي لم تراعي رابطة الإسلام، ولا مصلحة الجوار ولا مستقبل العلاقات في الشرق الأدنى، مذكرة بأنه سبق لتركيا أن صوتت ضد " مصر " وضد المغرب الأقصى حجتها في ذلك أنها تتقي خطر الشيوعية وكان بإمكان الساسة الأتراك أن يدركوا بأن أمريكا تحتاج إليهم أكثر مما هم في حاجة إليها، وأن موقعهم الجغرافي يسمح لهم بأن ينالوا من أمريكا كل ما يريدونه بما فيها دفعها لمساندة إخوانهم في الدين والشرق والمصلحة " ⁽³⁾.

على أن أغرب ما حدث في مجلس الأمن هو تصويت جزيرة " فورموزا " والتي أطلقت عليها الولايات المتحدة الأمريكية إسم الصين الوطنية - تايوان الحالية - وأدخلتها مجلس الأمن على حساب مكانة الصين الشعبية، وتلك الدولة إستقرت بفضل أمريكا ومالها وجيشها وأسطولها، هذه الأخيرة صوتت لصالح القضية التونسية وأعلن ممثلوها أنهم

¹ - حلف الشمال الأطلسي NATO أو OTAN، تأسس في 4 أبريل 1949 بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ويضم دول غرب أوروبا بما فيها فرنسا، وهو جزء من مجموعة أحلاف مهمتها إحتواء ومحاصرة المد الشيوعي ومعه نفوذ الاتحاد السوفياتي. المؤلف.

² - " البصائر "، العدد 312، المصدر السابق.

³ - " البصائر "، العدد 187، الاثنين 21 أبريل 1952م، ص: 56.

يتضامنون مع الشرق وأنهم ينصرون قضية الحرّية والتحرّر. وهكذا فالصين البوذية تصوّت مع تونس، وهي أحوج إلى أمريكا من تركيا المسلمة- شعبا- التي خذلت الحق ونصرت الباطل إرضاء للدولار⁽¹⁾.

تواصل جريدة " البصائر " في عدد هذا الأسبوع تناول تصويت الدول في مجلس الأمن فالموقف السوفيّاتي يعتبر معقول لبلد هدفه تحطيم النظام الرأسمالي ومعه أركان الاستعمار⁽²⁾.

أما الباكستان فبتقديمها للقضية التونسية استحققت فعلا زعامة العالم الإسلامي، مع الوقوف إجلالا واحتراما لموقف كل من البرازيل والشيلي ودعمها للقضية التونسية بإسم أمريكا الجنوبية. أما الخطوة المقبلة في المعركة الدبلوماسية تتمثل إما في طلب عقد إجتماع طارئ للجمعية العامة بطلب من 31 دولة من مجموع 60 دولة، أو إنتظار إنعقاد الدورة المقبلة⁽³⁾.

وجهت جريدة " البصائر " في مقالها هذا الأسبوع إنتقادا لاذعا لإجراءات السلطات الاستعمارية في عقابها الجماعي للشعب التونسي، مروراً بإنشاء وزارة " بكوش " الذي رفض كل التونسيين المشاركة فيها، ومنهم " هادي نويرة " أحد قيادات الحزب الدستوري الجديد⁽⁴⁾.

¹ - إشارة لاستفادة تركيا من مبلغ 150 مليون دولار، مقابل إقامة قاعدة جوية عسكرية أمريكية في إطار مساعدات قرّرها الرئيس الأمريكي " هاري ترومان " لكل من تركيا واليونان بقيمة 400 مليون دولار، حول الموقف التركي.

أنظر: TEMMIMI Abdeljalil : cinq, op.cit, PP : 286-287

² - كان إهتمام الاتحاد السوفيّاتي بكسب صداقة فرنسا، ومنع أن تأخذ الولايات المتحدة الأمريكية مكانتها في المغرب العربي أكثر من إهتمامه بنهاية الاستعمار. أنظر:

Abdillwahed HACHICHI, op.cit, P : 29

³ - " البصائر "، العدد 187، المصدر السابق، ص: 57.

⁴ - ألقى عليه القبض، ووضع في المحتشد بتهمة رفض منصب وزاري.

أنظر: أحمد صالح، الهادي نويرة.....المصدر السابق، ص: 326.

مع فقدانها لأي مصداقية، وعرفت بوزارة العملاء، حيث كان الأمر والنهي فيها السيد " بونس " Bones الكاتب العام للحكومة، أما بخصوص " لجنة الإصلاحات " فوجودها من عدمه لا يعني شيئاً (1).

نقلا عن جريدة " لوموند Le Monde " التي تناولت فيه تقرير سرّي حرره رئيس أركان البحرية الأمريكية " مستر فيشتلر Fischtlar " وحسب التسريبات التي تم التأكد من مصداقيتها حول احتمال اندلاع حرب عالمية ثالثة قبل سنة 1960م، نظرا لدرجة التسلّح الكبير في أوروبا، وبأن تلك المواجهة ستكون إنتصار كبير للإتحاد السوفياتي وللشيوعية، وأنه لن يبقى ملجأ تنسحب إليه الدول الغربية سوى جنوب البحر المتوسط، ومن هنا تكمن أهمية شمال إفريقيا للعالم الغربي عموما وللولايات المتحدة الأمريكية خصوصا (2).

بحيث أن هذه الأخيرة تصلح مركزا دفاعيا هائلا، تنسحب إليه سائر القوى التي يمكن إنقاذها من أوروبا والعالم الحرّ ومنه تتطلق لاستعادة ما فقدته، ولا يمكن تحقيق بناء إستراتيجية للحرب المقبلة إلا إذا كان أهل شمال إفريقيا راضين عن حالتهم أمنين على مستقبلهم، وهو ما ليس متوفر في الوقت الحالي فالإضطراب السياسي سائد، والأمني القومية لم تتحقّق فيها، والسبب حسب الجنرال هما السياستين الفرنسية والإنجليزية وجمودهما إتجاه الرغبة التحرّرية التي أعربت عنها تلك الأمم في جلاء ووضوح وبالتالي فهما المسؤولان عن الوضع الحالي والذي سوف يؤدي إلى فشل السياسة الأمريكية في المنطقة (3).

وبالعودة إلى إمتناع الولايات المتحدة الأمريكية عن التصويت في مجلس الأمن فقد جاء الضغط على هذا الموقف من الرأي العام الأمريكي متسائلا عن موقف حكومته مما إضطر وزير الخارجية " أتشنسون Atchenson " على إصدار تصريح يبرّر فيه موقف بلده "

1 - " البصائر "، العدد 188، الاثنين 5 ماي 1952م، ص: 64.

2 - " البصائر "، العدد 190، الاثنين 19 ماي 1952م، ص: 80.

3 - " البصائر "، العدد 191، الاثنين 26 ماي 1952م، ص: 80.

بأنها لا تريد أن تتصر فرنسا أو أن تخذل قضية تونس، إنّما أرادت أن تترك الوقت الكافي للطرفين لإيجاد حل للقضية وأن تدخل مجلس الأمن قد يعيق ذلك الحل⁽¹⁾.

والحقيقة أن الموقف الأمريكي تميز بإمساك العصا من الوسط بدعم فرنسا لتبقى قوية، مع التمسك بحق الشعوب في تقرير مصيرها، فيما يخص تونس والمغرب.

تسعى جريدة " البصائر " إلى الربط والتذكير بنضال الشعوب في كل من مصر والسودان والمغرب وتونس والجزائر من أجل حرّيتها وإستقلالها، وهذا ما تتخوّف منه الدوائر الاستعمارية مثل تصريح " روني ماير René Mayer " (2) نائب قسنطينة في المجلس الوطني الفرنسي الذي أعلن في مؤتمر الراديكاليين الأخير عن قلقه من نهضة الإسلام في ربوع هذا الشمال الإفريقي وهو ليس بشيء الجديد على هؤلاء المستوطنين⁽³⁾ وسعيهم للتأثير وتوجيه سياسة الحكومات الفرنسية بمزيد من التشدد والقوة حفاظا على مصالحهم وإمّتيازاتهم.

¹ - " البصائر "، العدد 191، الاثنين 26 ماي 1952م، ص: 88.

² - " روني ماير " René Mayer " هو الناطق الرسمي بإسم المستوطنين في الجزائر اللذين يسيطرون على جهاز الحزب الراديكالي المنتمي للجبهة الشعبية والموجه للسياسة الاستعمارية في المغرب العربي. أنظر: Juliette BESSIS ; Maghreb op.cit, PP : 97-98.

³ - " البصائر "، العدد 192، الاثنين 2 جوان 1952م، ص: 93.

15- التطوّرات الدولية والموقف الأمريكي من القضية التونسية:

عاد الحديث من جديد عن الموقف الأمريكي من قضايا شمال إفريقيا عموما وتونس خصوصا، إثر اللقاء الذي جمع السيّد " بوني Bonnet " سفير فرنسا بواشنطن بوزير خارجيتها " دين أتشيسون " الذي عبر عن إستياء الولايات المتحدة الأمريكية من حالة التوتر السائدة في تونس، وعن إحتمال تغيير خطّها في الأمم المتحدة في حال إنعقاد الدّورة المقبلة دون أن تتمكّن فرنسا من إيجاد حل معقول ومقبول لهذه القضية (1).

وحسب جريدة " البصائر " فهذا الموقف الأمريكي مرتبط بما ورد في تقرير الأميرال " فيتشتر " قائد أركان البحرية الأمريكية حول الأهمية الإستراتيجية لشمال إفريقيا في حالة مواجهة عسكرية مع المعسكر الشيوعي.

وبطبيعة الحال جاءت تعاليق الصحف في كلا البلدين، فالصحف الفرنسية إعتبرته تدخلا مباشرا في شؤون فرنسا الداخلية، أما صحف اليمين فتراه إهانة وشتم، وصحف اليسار إعتبرته حجة على إزدياد النفوذ الأمريكي داخل فرنسا، أما أكثر ردود الفعل قوّة فجاءت على لسان الوزير الفرنسي السابق ورجل الأعمال " بول رينو Paul RENO " مدّعا بأن فرنسا ستسحب من الأمم المتحدة في حالة إستمرار الضغط الأممي والأمريكي عليها في شأن الشمال إفريقي " (2).

وهذه التصريحات موجهة أكثر للإستهلاك الإعلامي، أو من أجل التأثير على توجّهات الموقف الحيادي للولايات المتحدة الأمريكية والتي خذلت به الشعب التونسي في عرض قضيته على مجلس الأمن.

¹ - " البصائر "، العدد 193، الاثنين 9 جوان 1952م، ص: 104.

² - المصدر نفسه.

ليفتح الجدل بين الطرفين وتلوح فرنسا برفض أي تسليح لألمانيا الغربية في إطار بناء جيش الدفاع الأوروبي بإعتباره تهديدا لها، وتقرر أخيرا أن تكون القضية التونسية موضوعا رسميا في جدول أعمال.

لقاء الطرفين في باريس أثناء زيارة وزير الخارجية الأمريكي لفرنسا، حيث لم يصل الطرفان إلى إتفاق مع تمسك فرنسا بأن القضية داخلية وتسعى لحلها، مدعية أن الاضطرابات في تونس هي أعمال إرهابية للشيوعيين أما وزير الخارجية الأمريكي فقد أكد أن حكومته لن تصمد أمام ضغط الرأي العام الأمريكي والانتخابات الرئاسية على الأبواب (1).

لكن واقع السياسة الدولية يؤكد بأن هناك معاهدة حلف الشمال الأطلسي التي تربط بين الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وأن هذه الأخيرة تعتبر نقطة إرتكاز للقوة الأمريكية التي تحتل كامل أوروبا " الحرة "، وأن سواحل فرنسا على المحيط الأطلسي هي اليوم نقطة الإتصال الوحيدة لهذا الجيش الأوروبي مع أمريكا، فالحكومة الأمريكية مع إحترامها للرأي العام لا تريد تصادما مع فرنسا أو إضعافا لها (2). فجاء التصريح النهائي بأن زمام الأمور في المغرب العربي تبقى في يد فرنسا، مع تعمد هذه الأخيرة بإجراء إصلاحات واسعة تجاوزها الزمن، والوضع الإقليمي والدولي والمحلي يحتم تبني مطلب الحكم الذاتي.

موازاتا مع هذا الجدل الأمريكي الفرنسي تم فتح نقاش في البرلمان الفرنسي حول القضية التونسية، يوم 5 جوان من طرف البرلمانين الكولونيين في الجزائر وهم الجنرال " أومران " و " كويليسي " و " شوفاليي " مرجعين أسباب الأزمة بتونس إلى تدخل أمريكا

¹ - " البصائر "، العدد 193، المصدر السابق ، ص: 104.

² - حول الموقف الأمريكي وتعاملها مع فرنسا وعلاقة ذلك بالقضية التونسية. أنظر:

Juliette BESSIS ; Maghreb op.cit, PP : 205-209.

والجامعة العربية، واعتبار إستقلال " ليبيا " مصدر الخطر الأكبر على النفوذ الفرنسي في أقطار الشمال الإفريقي (1).

ورغم هذا الضغط من البرلمانيين الكولوناليين يبقى إهتمام البرلمان الفرنسي بالقضية التونسية ثانويا مقارنة بالمشاكل الاقتصادية والمالية التي تعاني منها فرنسا، إضافة لقضية معاهدة الدفاع الأوروبي ومشروع تسليح ألمانيا الذي تتخوف منه فرنسا نظرا لحساسية العلاقات بين الطرفين والضغط الأمريكية في هذا الاتجاه.

كما أن إستمرار الإحتلال الفرنسي لتونس يسمح بحماية المصالح الاقتصادية لفرنسا أو ما يدعونه بالحقوق المكتسبة وفي مقدمتها الدفاع عن المركز الاستراتيجي، ويبقى ميل السلطات الفرنسية نحو إرضاء رغبات أقلية المستوطنين التي تتحكم في الاقتصاد والثروات وفي هذا الإطار يأتي عرض المقيم العام " دي هتكلوك " لبرنامج الإصلاحات على السيد " صالح بكوش " والذي نشره بدوره على الرأي العام فجاء ردّ الفعل برفض التونسيين شعبا وحركة وطنية الإنضمام إلى ما يسمى بلجنة " الإصلاحات " المزمع تشكيلها مناصفتا بين التونسيين و الفرنسيين (2).

خارجيا هناك الضغوط الأمريكية على الحكومة الفرنسية ولو بأسلوب دبلوماسي مرّن لإنهاء مشكلتي تونس والمغرب وإرضائهما كخطوة لضمّها إلى الحلف الغربي في مواجهة الحلف الشرقي، وإبراز أهمية شمال إفريقيا كنقطة إرتكاز في أي إستراتيجية لمواجهة الاتحاد السوفياتي (3).

¹ - " البصائر "، العدد 193، المصدر السابق، ص: 104.

² - " البصائر "، العدد 195، الاثنين 7 جويلية 1952م، ص: 120.

³ - منذ نزول الحلفاء في شمال إفريقيا في 8 نوفمبر 1942م، برزت الأهمية الإستراتيجية للمنطقة على مجرى الحرب أولا بإنتصار الحلفاء وعلى مستقبل العلاقات الدولية أي الصراع بين المعسكرين. أنظر: " البصائر "، العدد 312، المصدر السابق.

قد يتبادر للذهن بوجود موقفين متباينين الأول تمثله الحكومة الفرنسية وهي تحاول إيهام الأمريكيين بنجاعة إصلاحاتها في تونس، ومن جهة أخرى نجد المستوطنين في تونس والجزائر يصرخون بأن تلك التنازلات - الإصلاحات الشكلية - ستؤدي إلى زوال الوجود الفرنسي في المنطقة نهائياً، وأن ما يحرك الوطنيين هو الدعم الخارجي، فليقطع هذا الدعم فيضطرّ التونسيين إلى قبول ما قدّم لهم (1).

على مستوى الأمم المتحدة تقدّمت المجموعة العربية الآسيوية بطلب لعقد دورة طارئة للجمعية العامة لمناقشة القضية التونسية، وقد وافقت عليه 21 دولة من مجموع 60 دولة مع الإشارة أن النصاب القانوني لتحقيق ذلك هو 31 دولة (2).

عادت القضية التونسية إلى البرلمان الفرنسي، وتناوب ثلاثة برلمانيين من أشد المدافعين عن الاستعمار، وهم الجنرال "أومران" و"كوبيليسي" و"شوفالي" للتخفيف بزوال هذا الأخير، وأنها قضية حياة أو موت، كما إستنكر هؤلاء تدخل الولايات المتحدة الأمريكية، وأنهم المسؤولون عن هذا الهيجان في تونس فهم من شجعوا بورقية وأتباعه، كما حملوا الجامعة العربية التي يعتبرونها آلة في يد الإنجليز، رغم فشلها وعجزها في مواجهة إسرائيل فهي تسعى إلى تقديم فرنسا إلى محكمة الأمم المتحدة، وساندهم في ذلك الجنرال "جوان" المقيم العام في المغرب بقوله: "سنضطرّ إلى مغادرة مجلس الأمن غير آسفين إذا حاول أن يقرّر ما هو ضد مصالحنا الشرعية في تونس، وكذلك التضحية بصداقة الأمريكيين ومن على شاكلتهم من المخالفين لرغائبنا" (3).

نقلت جريدة "البصائر" هذا الأسبوع برقية وردت إليها من إدارة الأنباء و النشر التابعة للأمم المتحدة جاء فيها ما يلي: "أهاب المستر لي " Lee " الأمين العام للأمم

¹ - " البصائر "، العدد 195، المصدر السابق، ص: 120.

² - المصدر نفسه.

³ - " البصائر "، العدد 196، الاثنين 21 جويلية 1952م، ص: 130.

المتحدة في الخطاب الذي ألقاه في جامعة " أوصلو " OSLO لجميع الدول لان تدرك حقائق اليقظة الوطنية ونمو الشعور القومي الذي يجتاح العالمين الإسلامي والعربي، محذرا من مغبة عدم إعطاء هذه القضايا القدر الكافي من الاهتمام أمام رغبة شعوبها في الاستقلال والحرية، وأن إستمرار هذه الأوضاع على حالها من شأنه أن يشكل تهديدا صريحا للسلام في المستقبل مذكرا بقضيتي تونس والمغرب وأنها قد أدرجتا في جدول أعمال الجمعية العامة في دورتها القادمة " والمقرّر عقدها في 14 أكتوبر 1952م.⁽¹⁾

وقد سمحت المناورة التي قامت بها المجموعة العربية الآسيوية بدعوتها لعقد دورة طارئة، مما سمح لأعضاء الجمعية من دراستها والإلمام بجوانبها.

كما أن الموقف الأمريكي أصبح أكثر ليونة فممثلها الدائم في الأمم المتحدة صرّح أنه لا مناص من مناقشة القضية التونسية في حالة عدم تمكّن فرنسا وتونس من الوصول إلى إتفاق رسمي ينهي الخلاف بينهما، وهذا الموقف الأمريكي مرتبط بضغط الرأي العام خصوصا وأن الإنتخابات الرئاسية على الأبواب المقررة في شهر نوفمبر بين الحزبين الجمهوري و الديمقراطي⁽²⁾.

كما أن هناك عامل آخر قد يكون له تأثير على المعركة الدبلوماسية والمتمثل في موافقة البرازيل على تسجيل القضية التونسية وتأثيرها الكبير على دول أمريكا اللاتينية.

أما الموقف الفرنسي فتتجاذبه ثلاث توجهات:

الأول: يدافع بوجوب قبول المواجهة والدّفاع عن وجهة النظر الفرنسية وإنجازاتها في

تونس.

¹ - " البصائر "، العدد 199، الاثنين 1 سبتمبر 1952م ، ص: 156.

² - " البصائر "، العدد 200، الاثنين 8 سبتمبر 1952م ، ص: 160.

الثاني طالب برفض النقاش أصلاً وعدم المشاركة فيه والتهديد بالانسحاب من هيئة الأمم المتحدة إذا أصرت على التدخل في هذه القضية.

أما الاتجاه الثالث وهو الأقرب إلى الواقع دافع عن فكرة عدم الاختصاص، وإقناع مكتب المجلس بأن قانون هيئة الأمم لا يسمح بالنظر في مثل هذه القضايا الخاصة بين الدولة الفرنسية ومحمياتها تطبيقاً لمعاهدات مازالت سارية المفعول، وأن تدخل الهيئة قد يتسبب في عرقلة المفاوضات الجارية بين الطرفين حول " الإصلاحات " (1).

وتحت ضغط المقيم العام لفرض برنامج " الإصلاح " ورفض " الباي " لها لجأ هذا الأخير إلى مناورة ذكية باستدعاء أربعين (40) شخصية تونسية تشكل سائر الاتجاهات التونسية بما فيها الصحافة ماعدا الشيوعيين للإجتماع بها في قصر " قرطاج " وأكد " الباي " على رفضه تلك " الإصلاحات " التي تسعى الحكومة الفرنسية لفرضها على تونس، وسوف يسمح هذا اللقاء في اتخاذ موقف موحد منها، مع الإشارة أن هذا اللقاء تم في 1 أوت 1952م (2).

هذا الإجتماع لفت إنتباه الرأي العام الأمريكي نظراً لنقل الصحف تطورات القضية، ودفع بالممثل الدائم للولايات المتحدة الأمريكية في مجلس الأمن السيد " قورس " إلى القول " بأن جلالة الباي هو الناطق الرسمي بإسم الشعب التونسي، ومن حق هذا الأخير أن يبدي رأيه بكل حرية في هذا الموضوع " (3).

¹ - " البصائر "، العدد 200، المصدر السابق، ص: 160.

² - جاء إستدعاء مجلس الأربعين من طرف " لمين باي " بإقتراح من " فرحات حشاد " بمشاركة ممثلي الحزب الدستوري القديم والجديد، وإتحاد العمال، وممثلي منظمات الأطباء و المهندسين والصحافة. أنظر: خليفة شاطر: المرجع السابق، ص: 153.

³ - " البصائر "، المصدر نفسه، ص: 161.

بالعودة إلى إجتماع لجنة الأربعين مع " الباي " خلس هؤلاء إلى رفض برنامج الإصلاحات وبأنه لا يمثل طموحات الشعب التونسي، وإنما يهدف إلى تدعيم النفوذ الاستعماري بإعطاء الجالية الفرنسية حقوقا سياسية تصبح بها شريكة في البلاد، مع إمتلاكها للسيادة والنفوذ أصلا، مع تمسك المسؤولين الفرنسيين في باريس بأن القوة هي الوسيلة الوحيدة للقضاء على المشاكل الاستعمارية في كل شمال إفريقيا (1). أما فيما يخص موقف الدوائر الاستعمارية من تسجيل قضيتي تونس والمغرب في جدول أعمال الأمم المتحدة فتشير أن الدوائر الرسمية الفرنسية تميل إلى تسجيلهما، مع المرافعة القانونية بعدم إختصاص مجلس الأمن في النظر في نزاع داخلي مثلما هو الحال في النزاع الفرنسي التونسي أو المغربي، وهذا ما ذهب إليه تصريح المارشال "الفونسو جوان Juin" - المقيم العام السابق لفرنسا في المغرب - في مقال له في مجلة Le Monde et les Hommes " منتقدا في الوقت نفسه موقف الحركات الوطنية ونكرانها لجميل فرنسا (2).

أما " تجمع الشعب الفرنسي " فقد طالب بإنسحاب فرنسا من هيئة الأمم المتحدة نهائيا، وهو أفضل لها من أن تقف أمامها في قفص الإتهام.

أما الموقف الأمريكي فهو متردد وغير واضح بسبب الانتخابات الرئاسية، و إن كان على العموم يتميز بمحاولة إرضاء الطرفين من خلال قبول فكرة تسجيلها في جدول الأعمال، مع توصيته بإستئناف المفاوضات بين الطرفين خصوصا بعد اللقاءات التي تمت بواشنطن بين ممثلي كل من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا، هذا الموقف

¹ - " البصائر "، العدد 202، الاثنين 29 سبتمبر 1952م، ص: 178.

² - " البصائر "، العدد 203، الاثنين 6 أكتوبر 1952م، ص: 186.

الغربي تملّيه التطوّرات الحاصلة في الأقطار العربية وتحديدًا إنقلاب مصر⁽¹⁾ مما يعزز فكرة التمسك بالمفاوضات كحل للمشكل⁽²⁾.

تناولت جريدة " البصائر " هذا الأسبوع المعركة الدبلوماسية والتي سوف يكون مسرحها هيئة الأمم المتحدة في دورتها السابعة المنعقدة في 14 أكتوبر 1952م، مع التركيز على مواقف الدول الكبرى الغربية وهي فرنسا، الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا.

أما الحكومة الفرنسية فقد تبنت موقف متشدد ورفض لتسجيل القضية أصلا في جدول الأعمال، وإن تمسكت الهيئة بتسجيلهما فإنها سوف تقاطع الجلسات، مع مراجعة موقفها من الحلف الأطلسي⁽³⁾.

أما أسباب ودوافع تصلّب موقف باريس فيرجعه صاحب المقال لما يلي:

العامل الأول إقتصادي الذي يعتبر أولوية رئيس الحكومة الفرنسي الجديد أنطوان بيني Antoine Pinay⁽⁴⁾ والذي يسعى لتحسين معيشة الفرنسيين، وفي حالة فشله سيؤدي إلى فوضى مالية وإقتصادية والتي سوف تنعكس سلبا على النظام السياسي.

كما تواجه فرنسا معارضة شديدة من ألمانيا الغربية مدعّمة بالولايات المتحدة الأمريكية في سعيها لضم منطقة " الصار " الغنية بالفحم وخام الحديد، مع إستمرار نزيف حرب الهند الصينية سواء من حيث الخسائر البشرية أو المالية، ليزداد العبء على الحكومة

¹ - يشار للثورة المصرية بقيادة الضباط الأحرار التي حدثت في 23 جويلية 1952م " بإنقلاب مصر " من طرف جريدة " البصائر ". المصدر نفسه.

² - " البصائر "، العدد 203، المصدر السابق، ص: 187.

³ - هو وسيلة ضغط على الولايات المتحدة الأمريكية الي تسعى لتسليح ألمانيا لمواجهة الاتحاد السوفياتي في إطار معاهدة الدفاع الأوروبي وهي في حاجة إلى موافقة فرنسا لدفعها لمساندتها في قضيتي تونس والمغرب.

⁴ - تولى أنطوان بيني Antoine Pinay " الحكم إثر سقوط حكومة " إدغار فور Edgar Faure ". أنظر:

CH. ROB. AGERON, op.cit, P : 202

بضغط المعارضة اليمينية التي تتهمها بالضعف والتي هاجمت وزير الخارجية " روبرت شومان " هجوما عنيفا في افتتاح دورة البرلمان الفرنسي (1).

أما فيما يخص الموقف الأمريكي فهو مرتبط بمشاريع هذه الأخيرة في إعادة بناء أوروبا بعد لحرب العالمية الثانية من خلال مشروع " مارشال " الاقتصادي (2) الذي من بين أهدافه فرض الهيمنة الأمريكية على أوروبا خصوصا الدول التي قبلت بتلك المساعدات وهي تصنف إلى ثلاث فئات.

إنجلترا التي سددت ما عليها من قروض من خلال إجراءات تقشفية تحملها الشعب.

ألمانيا وإيطاليا التي أعادت بناء ما دمرته الحرب ودخلت في ميدان التصنيع خصوصا ألمانيا التي غزت منتجاتها الصناعية أسواق العالم ومنها الجزائر.

أما فرنسا التي نالت الحصّة الكبرى من المساعدات الأمريكية وصرفت في الإستهلاك والترف والتبذير، وهو سبب الخلاف مع الأمريكيين المعروفين بدقة حساباتهم، والبراغماتية التي يمتازون بها، واللذين يعيبون على فرنسا كثرة النفقات العسكرية في مواجهة إنتفاضات وثورات المستعمرات. وبإنهاء برنامج " مارشال "، أصبحت فرنسا مهدّدة بإنهيار إقتصادي، ولتقادي ذلك جاء الاتفاق بين الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا على أن تقوم هذه الأخيرة بصناعة أسلحة وعتاد للجيش الأوروبي داخل الحلف الأطلسي مقابل دفع الولايات المتحدة الأمريكية مبالغ تلك الأسلحة مسبقاً، وأمام عدم وفاء فرنسا بالتزاماتها وتذكير أمريكا لها بذلك اضطرت هذه الأخيرة إلى تقليص تلك المبالغ المالية، مما تسبب في إستياء فرنسا خصوصا مع مطالبة " واشنطن " بمراقبة وجهة تلك الأموال والمقدرة بـ

¹ - " البصائر "، العدد 204، الاثنان 20 أكتوبر 1952م، ص: 192. أهم ما يعاب عليه وزير الخارجية هو تصريحه بأنه يسعى لقيادة البلاد التونسية نحو الإستقلال. أنظر:

CH. André, Julien, op.cit, 166

² - نسبة لوزير الخارجية الأمريكي " جورج مارشال " والمعلن عنه في 5 جوان 1947م بقيمة حوالي 13 مليار دولار، وكان في مقدمة أهدافه التصدي للمد الشيوعي في غرب أوروبا وتنشيط الاقتصاد الأمريكي. المؤلف.

230 مليار فرنك، مع إتهام المؤسسات الصناعية والمالية الفرنسية بإهمال والفوضى، وتسبب ذلك في أزمة دبلوماسية في الوقت نفسه الذي تتجه فيه الأمم المتحدة لمناقشة قضيتي تونس والمغرب ⁽¹⁾. ومن هنا يأتي عتاب فرنسا للولايات المتحدة الأمريكية وللدول الغربية المنتمة " للحلف الأطلسي " على ضرورة التضامن معها في مواجهة المشاكل العالمية، خصوصا دعم موقفها في الأمم المتحدة.

أما الموقف الأمريكي فتتجاذبه عدّة اعتبارات، الانتخابات الرئاسية والمزايدة بين الديمقراطيين والجمهوريين، ومصالح أمريكا في شمال إفريقيا، ومستقبل علاقاتها في المنطقة، مع إهتمام الرأي العام الأمريكي بالقضية التونسية بسبب تغطية الصحف الأمريكية لها ⁽²⁾.

وهكذا تم إستدعاء السفير الأمريكي من طرف الخارجية الفرنسية، وأعيدت له المذكرة الأمريكية التي تطالب بمعرفة وجهة الأموال الأمريكية، وبأن فرنسا ترفض التدخل في شؤونها الداخلية، وهو ما علّقت عليه صحيفة " الواشنطن بوست " من خلال نشر صورة رمزية لهذا الموقف مع التعليق التالي: " العم سام (أمريكا) يزور خليلته " ماريا " فرنسا) ويحمل لها حقيبة من المال فتعرض عنه وتقول: لا يشيري، إن مبلغ 575 مليون دولار لا يرضيني، فإن أخذته فسوف أتصرّف فيه كما أشاء ! " ⁽³⁾.

أما إنجلترا فتبقى الحليف الدائم والوفي لفرنسا لإرتباط مصالحهما الاستعمارية، كما تسعى إنجلترا لاستغلال هذا الجفاء لصالحها لدى فرنسا على حساب الولايات المتحدة

¹ - " البصائر"، العدد 204، المصدر السابق، ص: 193.

² - كان للزيارات المتعددة للزعيم النقابي " فرحات حشاد " إلى الولايات المتحدة الأمريكية خصوصا أثناء المؤتمرات النقابية العمالية الأمريكية وإتصالاته بأعضاء الكونغرس والتغطية الصحفية لهذا النشاط أكبر الأثر في إنتشار صدى القضية التونسية وسط الرأي العام.
أنظر:

Noura BORSALI, op.cit, PP : 20-21.
Abdeljalil TEMMIMI , cinq op.cit, P : 298

³ - " البصائر"، العدد 204، المصدر السابق، ص: 193.

الأمريكية وتوجيه رسالة لهذه الأخيرة خصوصا بعد أن أصبحت ألمانيا ذات الحضوة لدى أمريكا على حسابها.

ومن مظاهر دعم " إنجلترا " لحليفها فرنسا، هو رفض " لندن " عبور الزعيم المغربي " علال الفاسي " لأراضيها في طريقه إلى الولايات المتحدة الأمريكية ويزايد وزير خارجيتها في خطاب له أمام مجلس العموم قائلا: " إذا كان السيد علال الفاسي يريد الذهاب إلى الولايات المتحدة الأمريكية فليقصدها من غير التراب الإنجليزي " (1).

مع التنبيه أن السفارة الأمريكية في القاهرة منحت تأشيرة الدخول للولايات المتحدة الأمريكية لوزير العدل التونسي " صالح بن يوسف " لحضور مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة (2).

ولفصح السياسة الاستعمارية البريطانية تناولت جريدة " البصائر " القمع الممارس في مستعمرة " كينيا " شرق إفريقيا التي تتعرض له حركة تحرر وطنية شعبية تلتف حول حزب " الاتحاد الإفريقي الكيني " بزعامة " جومو كينياوا "، والذي يطالب بإلغاء سياسة التمييز العنصري، وإنشاء حكومة وطنية تعتمد على دستور شعبي وتكون داخل ضمن منطقة " الكومنولث " الإنجليزية (3).

¹ - " البصائر"، العدد 205، الاثنين 27 أكتوبر 1952م، ص: 200.

² - وكان برفقته السيد " محمد بدرة "، وأنضمّا للوفد العراقي ليتمكنّا من حضور المناقشات، وهو ما إعتضت عليه فرنسا بشدة لدى الحكومة العراقية. أنظر:

Amor CHADLI, op.cit, P 65

³ - الكومنولث Commonwealth وتعني " الثروة المشتركة " أسستها بريطانيا في 20 مارس 1931م، وتعرف أيضا برابطة المستعمرات البريطانية، وتضم حاليا 54 دولة، هدفها إبقاء هيمنة بريطانيا وإستغلالها لتلك الدول.

كالهند وباكستان و"بورما" و"سيلان" لكن ردّ فعل السلطات الاستعمارية على تلك المطالب كان عنيفا بإعتقال الزعيم الإفريقي ومعه 150 من مناضليه والزّج بهم في السجون⁽¹⁾.

تزامن عرض قضيتي تونس والمغرب على هيئة الأمم المتحدة، مع مناقشة هذه الأخيرة للأزمة الكورية والحرب القائمة هناك بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي بالوكالة، وتحت ضغط المشكل قرّر الأمين العام السيد " تريقف لي " Triegf Lie " تقديم إستقالته من منصبه وأن بقاءه على رأس الهيئة يعيق التفاهم بين الغرب والشرق خصوصا وأن الاتحاد السوفياتي لا يعترف بسلطة الأمين العام ولا يتعامل معه. في هذا الجو المشحون إستغل " روبرت شومان " وزير الخارجية الفرنسي الفرصة ليدافع عن موقف بلده، مقابل هذا تم نشر رسالة " باي تونس " التي وجهّها للرئيس الفرنسي مدعما بعريضة الأربعين شخصية والمطالبة بالاستقلال، وهو نفس المطلب الذي نادى به ملك المغرب " محمد الخامس " في خطاب العرش يوم 18 نوفمبر 1952م⁽²⁾.

أما النقاش الدائر في أروقة الأمم المتحدة يتمحور حول مشروعان: الأول إقترحته المجموعة العربية الآسيوية، ويسعى إلى إنهاء الخلاف التونسي الفرنسي بعد إطلاق سراح المساجين والمبعدين بواسطة لجنة توفيقية تعيّنّها هيئة الأمم المتحدة، مع الإبقاء على القضية في جدول الأعمال حتى إنهاء اللّجنة لمهمتها.

أما المشروع الثاني فتقدّمت به البرازيل بتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية ودول أمريكا اللاتينية، فيكتفي بدّعوة الطرفين الفرنسي والتونسي إلى مفاوضات ثنائية مباشرة لإنهاء الخلاف بينهما حسب مبادئ الأمم المتحدة⁽³⁾.

¹ - " البصائر"، العدد 205، المصدر السابق، ص: 201.

² - " البصائر"، العدد 208، الاثنين 1 ديسمبر 1952م، ص ص: 224-227.

³ - " البصائر"، العدد 209، الاثنين 15 ديسمبر 1952م، ص: 232

في الأخير تبنت اللجنة السياسية لهيئة الأمم المتحدة المقترح " البرازيلي " على حساب المقترح العربي الآسيوي بأغلبية 45 صوتاً، من جانبها واصلت فرنسا سياستها في الهروب إلى الأمام بتهديدها " لباي تونس على ضرورة إستئناف المفاوضات حول الإصلاحات المزعومة، وهو ما صرّح به وزير خارجيتها أمام اللجنة السياسية (1).

أما على مستوى الأمم المتحدة فقد صادقت اللجنة السياسية على تسجيل قضيتي تونس والمغرب في جدول أشغال الجمعية مباشرة بعد قضية " كوريا "، مع مصادقة مندوب الولايات المتحدة الأمريكية " أقورس " على القرار وهو ما تفاجأت له الدوائر الرسمية والشعبية الفرنسية ممثلاً بزعماء الأحزاب، والصحفيين مندّدين بالموقف الأمريكي، ولتهدة خواطر الفرنسيين أعلن الناطق الرسمي لكتابة الدولة بأن السيد " قورس Gorsse " قد اجتهد برأيه في التصويت لتقديم القضية، دون أن يتلقى إذناً من وزير الخارجية الذي كان متغيباً أثناء التصويت (2).

وتسبقت الشخصيات الفرنسية في التنديد بالموقف الأمريكي، ومطالبين بإعادة النظر في العلاقات مع هذه الأخيرة فقد طالب " إدوارد هريو " Edward Heriot " رئيس الحزب الراديكالي الاشتراكي (3) ورئيس البرلمان الفرنسي بضرورة إلغاء معاهدة الدفاع الأوروبي لأنها مناقضة للدستور الفرنسي وتفرط في جزء من سيادة البلد، وقد ساندته في ذلك " الحزب الشيوعي ". ثم جاء خطاب رئيس الجمهورية " فنسان أوريول " Vincent Auriol " الموجه لأمريكا حكومة وشعباً مذكراً بفرنسا الحليف الدائم والمخلص وبتضحياته بشرياً ومالياً في

¹ - " البصائر"، العدد 210، الاثنين 22 ديسمبر 1952م، ص: 240.

² - " البصائر"، العدد 206، الاثنين 3 نوفمبر 1952م، ص: 208.

³ - يعتبر " الحزب الراديكالي الاشتراكي " من أشد المدافعين عن السياسة الاستعمارية لتحكم ممثلي المستوطنين فيه منهم " بورجو Borgeaud " و" بلاشت Blachette " و " روني ماير René Mayer " . أنظر:

Juliette BESSIS, Maghreb....op.cit, P P : 97-98

الهند الصينية في مواجهة الزحف الشيوعي في المنطقة مع التنديد بإهتمام المتزايد بتسليح ألمانيا من طرف الولايات المتحدة الأمريكية والتقارب بينهما على حساب فرنسا (1).

رغم هذا الضغط الفرنسي فقد سعى الوفد التونسي الذي تنقل إلى نيويورك ممثلاً بكل من " صالح بن يوسف " و " محمد بدرة " إلى إبراز الموقف التونسي والدفاع عن وجهة نظره وتقديم حججه، فأثناء ندوة صحفية بمركز الأمم المتحدة صرح " صالح بن يوسف ": "... إختار الفرنسيون القوة لحل هذه المشاكل فلجأوا إلى حل حكومتنا الشرعية وإعتقال رجالها وتأسيس حكومة أخرى تآتمر بأوامرهم الشرعية لأجل هذا أصبح من المستحيل الآن إجراء مفاوضات مباشرة مع فرنسا دون الحصول على الضمانات التي تحتاج إليها و التي لا يمكن أن تُمنع منها ولأجل هذا فإننا نطالب بهذه الضمانات من هيئة الأمم نفسها، وليس لنا أي أمل في الحصول على شيء بالمفاوضة رأساً مع فرنسا دون هذه الضمانات ولعله من المستحيل إجراء مفاوضات تحت النظام الاستثنائي الذي تعيش فيه تونس الآن، وهو نظام القمع والاضطهاد والعمليات العسكرية المتوالية، وأنتم تعلمون أنه منذ يناير 1952م تجري بتونس عمليات حربية، دون إعلان حرب، ولا يمكن أن يتغير هذا الوضع الرجعي الغير قانوني الذي يحدث في تونس منذ مارس 1952م دون تدخل جمعية الأمم للقضاء عليه ... إن أهم الشروط لاستئناف المحادثات هو الاعتراف للشعب التونسي بإستقلاله وبكامل سيادته دون لبس ولا غموض " (2).

16- إغتيال " فرحات حشاد " وردود الفعل عليه حسب " البصائر ":

تحت عنوان " الزلزال " جاء نقل خبر إغتيال " فرحات حشاد " زعيم الاتحاد العام التونسي للشغل وأحد أبرز الزعماء المدافعين عن القضية التونسية، على يد منظمة إرهابية

1 - " البصائر"، العدد 206، المصدر نفسه، ص: 208.

2 - " البصائر"، العدد 207، الاثنتين 17 نوفمبر 1952م، ص: 215.

أسسها بعض الغلاة المتطرفون الفرنسيون في تونس والمسماة بـ " اليد الحمراء"⁽¹⁾ فقد إختارت لهذه الجريمة توقيت مناقشة القضية التونسية في الأمم المتحدة، وإنفجار المواجهات بين الشعب التونسي والسلطات الاستعمارية.

وبعد أن نوّه صاحب المقال بمكانة الرجل الوطني السياسي، وقدرته على الصمود والتصدي دون كلل أو ملل رافضا لأي خضوع أو تنازلات، نقل عن جريدة " Le Monde " مقال يندّد بهذا الإغتيال جاء فيه: " لقد أصبحنا لا ندري بعد هذا الحادث هل أسست الجالية الفرنسية تشكيلة للدفاع عن نفسها، أم تشكيلة لتحطيم نفسها " ⁽²⁾. ليأتي نعي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " لإستشهاد فرحات حشاد " مؤكدة أن تضحيته ستخدم القضية التونسية وتفضح وتقضي على الاستعمار، كما أشارت إلى ردود الأفعال على هذا الاغتيال، ففي تونس تم الإعلان عن إضراب عام لثلاث أيام تخللته مواجهات وصدّامات بين المتظاهرين والقوات الاستعمارية والمستوطنين.

أما في الجزائر فقد عرفت العديد من المدن مظاهرات سلمية للتنديد بهذا الاغتيال، على العكس من ذلك قد عرفت المدن المغربية مواجهات عنيفة بين المتظاهرين والقوات الاستعمارية خصوصا في مدينة " الدار البيضاء " حيث تم إطلاق النار سقط على إثره خمسون (50) متظاهر مغربي وستة أوريبيين وثلاثة من القوات الاستعمارية وتم إعلان حالة حصار المدينة، مع توقيف صدور الصحف الوطنية والوضع مازال متأزما حتى لحظة كتابة هذا المقال حسب الجريدة ⁽³⁾.

¹ - قضية إغتيال " فرحات حشاد " تتعدى من حيث التخطيط والتنفيذ قدرة مجموعة من المتطرفين، فهي في الحقيقة مؤامرة دولة إستعمارية بمؤسساتها الإقامة العامة، الحكومة الفرنسية وأجهزة أمنها وعملاء تونسيون. أنظر:

Anisa MATERI HACHED, op.cit, P : 238.

Amor CHADLI, op.cit, P : 65

² - " البصائر"، العدد 209، المصدر السابق، ص: 232.

³ - المصدر نفسه، ص: 232، ص: 233.

إزدواجية المواقف الفرنسية برزت بين تعهدات والتزامات حكومة باريس الرسمية، وبين ترهيب وعنف حكومتها الموازية في تونس والتي يقودها المقيم العام " دي هتكلوك " الذي قام بمحاصرة قصر " الباي " بالدبابات والمصفحات، وقطع خيوط الهاتف، وإقتحام إقامة " الباي " وعزله عن محيطه وتحت الضغط والتهديد بالعزل أمضى " الباي " على وثيقة قبول مقترح التفاوض بواسطة لجنة مشتركة، على أن لا يصدر أي قانون إصلاحي إلا بعد المصادقة على أعمال تلك اللجنة (1).

وقام " الباي " بمراسلة رئيس الحكومة الفرنسية في هذا الشأن ومحاولة معرفة موقفها من خطوة المقيم العام فجاء ردّ حكومة " Pinay " مدعماً لهذا الأخير ومهددة " الباي " في حالة رفضه الإمضاء على تلك الأوامر بأنه سوف يتم إلقاء القبض على السيدة " زكية " ابنة " الباي " وزوجها الطبيب والوزير " بن سالم "، وأيضاً ولي العهد " الأمير شاذلي باي " ثم يتم تنصيب مجلس وصاية، وفي حالة ردود فعل شعبية فهناك تواجد القوات الاستعمارية والسجون والمعتقلات مفتوحة، مع الإشارة أن السفير " بواسزون " هو الذي نقل رسالة الحكومة الفرنسية إلى " الباي " في قصره (2).

تبقى الأمم المتحدة هي المنبر الوحيد لإيصال صوت الشعوب المستضعفة التي يسعى الاستعمار لخنقها وكبت صوتها، لكن تضامن شعوبها أوصل قضاياها للرأي العام الدولي فقد إزداد وتوسع نفوذ الكتلة العربية الآسيوية إلى إفريقيا وارتفع عدد أعضائها إلى 13 دولة وهي الهند والباكستان، أفغانستان، إيران واندونيسيا، وأثيوبيا مع مصر، سوريا، لبنان والعراق والأردن والعربية السعودية واليمن، وهذه المجموعة هي التي قدّمت قضيتي تونس والمغرب الأقصى لتدويلها من على منبر هيئة الأمم المتحدة وتولت الدفاع عنها وقامت بتوزيع بيانها والذي جاء فيه: " تعلن الكتلة الآسيوية الإفريقية عظيم عطفها على شعوب

¹ - " البصائر"، العدد 210، المصدر السابق، ص: 240.

² - " البصائر"، العدد 211، الاثنين 29 ديسمبر 1952م، ص: 248.

شمال إفريقيا من أجل أهدافها الوطنية المشروعة كما تبدي عميق ألمها للحوادث المؤلمة التي وقعت في تونس ومراكش والتي راح ضحيتها العديد من الأرواح والأموال وتأمل الكتلة أن تبادر فرنسا إلى حل المشكلة التونسية والمراكشية، وبالجملّة كافة قضايا شمال إفريقيا بما يقضي به ميثاق هيئة الأمم المتحدة مما يُعينُ على تعاون صادق بينها وبين الدول الأعضاء في هذه الكتلة التي قد يتعذّر عليها في المستقبل التعاون إذا إستمرت حالة الاضطراب السائدة الآن في شمال إفريقيا " (1).

¹ - " البصائر"، العدد 212، الاثنين 9 جانفي 1953م، ص ص: 256-257.

الفصل الرابع

البصائر من تدويل القضية التونسية إلى الحكم الذاتي
ثم الاستقلال التام 1956م

1- تناقضات الموقف التركي من قضيتي تونس والمغرب:

سبق لتركيا أن ساندت إقتراح " البرازيل " الذي عرض على اللّجنة السياسية التابعة للأمم المتحدة على حساب مقترح المجموعة العربية الآسيوية، هذا الموقف حاول الدفاع عنه وزير الخارجية التركي " فؤاد كوبرلو " أمام برلمان بلاده⁽¹⁾. لكن هذا الموقف تحوّل إلى دعم قضايا التحرّر منها قضايا شمال إفريقيا، وخروج الصحافة التركية علنا وتبنيها لموقف تأييد قضيتي تونس والمغرب منتقدة السياسة الاستعمارية الفرنسية ومحركا لمشاعر الشعب التركي حول معاناة إخوانهم لينتقل هذا التحوّل إلى الموقف الرسمي حيث صوّت ممثل تركيا في هيئة الأمم مع الأغلبية التي ساندت قضيتي تونس والمغرب بعد ما كان سابقا يقف على الحياد وهو تأييد لموقف فرنسا وهذا ما أغضب ساستها، فقاموا بإلغاء زيارة جماعة من الصحفيين الأتراك إلى شمال إفريقيا، كما تم منع العديد من الصحفيين منهم رئيس تحرير " جومهوريت " إحدى أكبر الصحف في تركيا وفي الشرق من زيارة المغرب العربي حيث علّق صاحبها " نجاتي " على ذلك قائلا: " إن فرنسا قد أحاطت شمال إفريقيا بجدار من حديد دونه الجدار الحديدي الروسي " ⁽²⁾.

2- الدعم الآسيوي لقضية تونس والمغرب: - مؤتمر رانغون " عاصمة برمانيا:

إنعقد مؤتمر الأحزاب الاشتراكية الآسيوية في مدينة رانغون Rangoon عاصمة " برمانيا " التي إستقلت عن الاستعمار البريطاني، وقد شاركت فيه أيضا الأحزاب الاشتراكية الأوروبية، وفي مقدمتها الحزب الاشتراكي الفرنسي وعلى رأسه " غي مولي " Guy Mollet وحزب العمال الإنجليزي الذي مثّله " آتلي Attlé " .

¹ - حول الموقف البرلمان التركي من تسجيل قضيتي تونس والمغرب. أنظر:

Abdeljalil TEMMIMI, cinq.....op.cit, PP : 286-287

² - " البصائر"، العدد 213، الجمعة 16 جانفي 1953م، ص: 272. الجدار الحديدي الروسي، والمعروف أكثر بالستار الحديدي حسب مقولة رئيس وزراء بريطانيا " ونستون تشرشل " إن الاتحاد السوفياتي قد أنزل ستارا حديديا، ولا ندري ما يحدث ورائه ". المؤلف.

كما حضر هذا المؤتمر ممثلين عن كل من تونس الجزائر والمغرب ولوحظ الاهتمام الكبير بقضايا شمال إفريقيا، وتجسّد ذلك في لائحة المؤتمرين بإعلان تضامنهم مع قضايا المغرب العربي وحق شعوبه في الحرية والعدل. ويبقى التساؤل حول موقف الحزب الاشتراكي الفرنسي من قرارات المؤتمر هل تساندها وبالتالي يتبنى فكرة تحرر شمال إفريقيا، أم أنه سوف يتبنى موقف وسط كما يفعل دائما، بالسعي لإرضاء التوجّهات الوطنية وفي الوقت نفسه إرضاء الرغبات الاستعمارية لكي يفوز برضى الجانبين كما يمكن أن يكتسب إستياء الجانبين⁽¹⁾.

تحت عنوان مؤتمران يلتقي فيهما الشرق والغرب بقلم " باعزیز بن عمر " المؤتمر الأول إنعقد في عاصمة النمسا " فيينا " تحت شعار مؤتمر السلام، والثاني هو مؤتمر الأحزاب الاشتراكية في " رانغون " عاصمة " برامانيا " والقاسم المشترك بينهما هو ضرورة تغيير أوروبا الاستعمارية لسياستها القديمة في معاملتها لشعوب إفريقيا وآسيا.

فمؤتمر " فيينا " ناقش قضية السلم والأمن وكان التركيز فيه على مشاكل الساعة وتحديد قضية الشمال الإفريقي وكان فرصة لتناول تاريخ المنطقة والتعرض لما آلت إليه الأوضاع في كل من تونس والمغرب من مآسي وأحداث دامية، واستخلص المؤتمر أن الاستعمار ظاهرة مهددة للسلام العام على الدوام⁽²⁾ وبطبيعة الحال جاءت ردة الفعل من الصحف الاستعمارية بإتهامها للمؤتمر والمؤتمرين بأنه شيوعي وبتوجيه من الاتحاد السوفياتي.

أما مؤتمر الأحزاب الاشتراكية في " رانغون " فقد كان موقف المؤتمرين واضح وصريح بأن فكرة الاستعمار الغربي تتعارض مع المذاهب الاشتراكية، وأن ما يقوم به ساسة أوروبا الاستعمارية، أعمال عدوانية وإضطهاد للحريات بإسم الديمقراطية، والتمدّن أمام أعين

¹ - " البصائر"، العدد 214، الجمعة 23 جانفي 1953م، ص: 277.

² - " البصائر"، العدد 215، الجمعة 30 جانفي 1953م، ص: 279.

الاشتراكيون هناك واللذين لا يحركون ساكنا كأن الأمر لا يعنيهم. أما الإشتراكيين الإنجليز
بزعامة رئيس حزب العمال " آتلي " فجاء تعقيبه حسب صحيفة Le Monde في مقال لها
عن المؤتمر " أن هذا المؤتمر يمثل حوار القيم بين الغربيين والشرقيين " (1).

أما المندوب الفرنسي فقد وقف للرد على منتقدي سياسة بلده الاستعمارية خصوصا
في شمال إفريقيا حيث قال: "إن الإشتراكيين الفرنسيين في تونس قد وجدوا أنفسهم بين
التونسيين والفرنسيين في نفس الموقف الذي يعبر عنها بين المطرقة والسندان " (2) أنها
سياسة إمساك العصي من الوسط.

عادت جريدة " البصائر " هذا الأسبوع في صفحتها من منبر السياسة العالمية إلى
المجزرة التي إرتكبتها القوات الفرنسية في مدينة " الدار البيضاء " المغربية والتي راح
ضحيّتها العشرات من المواطنين المغاربة و 6 أوروبين وذلك عقب المظاهرة والاعتصام
الذي تقرّر في يوم 7 ديسمبر 1952م، إثر إجتماع عمومي في دار جامعة النقابات بشارع
"الاسال " رقم 91 الدار البيضاء "، وحضره عدد كبير من المواطنين حيث قرّر الاتحاد العام
للنقابات المتحدة بالمغرب الأقصى، دعوة جميع العمال للقيام بإعتصام يدوم 24 ساعة
إبتداء من يوم الاثنين 8 ديسمبر 1952م، وذلك لإعلان التضامن مع الشعب التونسي
و الاحتجاج على اغتيال الزعيم " فرحات حشاد ". لتلتحق جموع الشعب المغربي وتشارك
في هذا التجمع لتعبر عن عواطف الاستنكار والاحتجاج ضد هذه الجريمة فتم غلق
المتاجر، لتتحول الحركة إلى صبغة مزدوجة تضامن مع الشعب التونسي وتأكيد الشعور
القومي المغربي لتقرّر السلطات الاستعمارية قمع هذه المظاهرة بمنع العمال من الإضراب،
وصد التجار على غلق متاجرهم، فكانت المجزرة (3).

1 - " البصائر "، العدد 215، المصدر السابق، ص 279.

2 - المصدر نفسه.

3 - " البصائر "، العدد 216، الجمعة 6 فيفري 1953م، ص: 288.

على أن أكثر ردود الفعل تأثيرًا جاءت من المؤرخ "شارل أندري جوليان" في رسالة نقلتها صحيفة Le Monde، إثر مشاركته في الاجتماع الذي عقد بالمركز الثقافي الكاثوليكي إثر مسعى حثيث من الكاتب "فرانسوا مورياك" François Mauriac - عضو المجمع العلمي الفرنسي-. وقد جاءت الرسالة تكذيبًا وتفنيدًا لإدعاءات السلطات الاستعمارية سواء وزارة الخارجية أو الحكومة الفرنسية بتوجيه وضغط من أقلية أوروبية مستوطنة عنصرية لا يهتمها إلا مصالحها الذاتية⁽¹⁾. وما يهمنا في هذا المقال الفقرة التي خصصت للأوضاع في تونس ومسؤولية الإقامة العامة على الاضطرابات الحاصلة فيها، وهي تتطابق مع ما حدث في الدار البيضاء المغربية، وقد كشف عنها التقرير الذي أنجزه "فرانسوا ميتران" عن المسألة التونسية بطلب من الحكومة الفرنسية ولم يؤخذ بعين الاعتبار⁽²⁾.

رغم إدعاءات الغرب بأنهم رواد الدفاع عن حقوق الإنسان والمبادئ الإنسانية إلا أن التعامل معها يختلف ولنقل يتناقض بحسب إنتماء هؤلاء الناس وقد تناولت جريدة "البصائر" في مقال مطوّل ازدواجية المعايير الإنسانية الغربية في تعامل هذه الأخيرة مع الفيضانات والكوارث الطبيعية التي ضربت سواحل شمال أوروبا وتحديدًا سواحل هولندا وإنجلترا، فتجنّدت كل أوروبا بحكامها وشعوبها للوقوف إلى جانب المنكوبين بإرسال المساعدات والمؤن وحضيت بتغطية إعلامية واسعة.

مقابل هذا نجد موقف الأوروبيين ينقلب رأسًا على عقب فيما يخص بقية الشعوب ويورد صاحب المقال قصة "باخرة" مصرية محمّلة بالحبوب أرسلتها الحكومة المصرية إلى تونس لإغاثة سكان مناطق الجنوب والساحل التي تضررت بسبب الجفاف وكادت تشرف

¹ - "البصائر"، العدد 217، الجمعة 13 فيفري 1953م، ص: 296.

² - جاء تكليف النائب البرلماني الاشتراكي "فرانسوا ميتران" من طرف الحكومة الفرنسية في عهد "إدغار فور"، بإعداد تقرير حول الأوضاع في تونس ليكون قاعدة للنقاش على مستوى مجلس الوزراء، ورغم إنجاز التقرير، وإعطاء نسخة منه لرئيس الجمهورية إلا أنه لم يؤخذ بعين الاعتبار بسبب سقوط الحكومة ومجيء حكومة أنطوان بيني. أنظر: CH. Rob. AGERON, op.cit, P : 202.

على المجاعة، فتصدت لها السلطات الاستعمارية الفرنسية وأبى القائمون على تمدين الشعب التونسي وتحضيره أن يسمحوا لها بإنزال ما عليها من الإغاثة والنجدة، وأنكروا أن الشعب التونسي يعاني الجوع والعري تحت ظل مدنيّتهم الاستعمارية⁽¹⁾.

3- تضامن الأحزاب السياسية المغربية والصحافة العربية مع قضيتي تونس والمغرب ونقلهما إلى الأمم المتحدة 1953.

نقلا عن صحيفة "الأهرام" تم التطرق للمؤتمر الصحفي الذي دعت إليه "اللجنة القومية للدفاع عن شمال إفريقيا" بدار نقابة الصحفيين المصريين برئاسة الدكتور "محمد صلاح الدين" بصفته رئيسا للجنة، وحضره كل من السادة "محمد بدرة" الوزير التونسي السابق و "علال الفاسي" رئيس حزب الاستقلال المغربي، و "محمد حسن الوزاني" رئيس حزب الشورى والاستقلال، و "مكي الناصري" رئيس حزب الوحدة وممثل عن الجزائر.

وتناول الكلمة رئيس اللجنة الذي حي الصحافة مبرزاً أهمية الصحف في الوقت الراهن لإنجاح القضايا الوطنية، ثم تلى بيان أشار فيه أن اللجنة التي يرأسها تكوّنت بقرار من مؤتمر الهيئات العربية الإسلامية الذي عقد في القاهرة في ديسمبر الماضي بمناسبة الحوادث الدامية التي تجري في هذه الأقطار، وأن دورهم هو الاتصال بالصحافة لإبراز معاناة شعوب المغرب العربي وكفاحها من أجل التحرر والاستقلال⁽²⁾.

كما أشار أيضاً أن دور اللجنة هو إعلام وإطلاع الرأي العام العربي على ماتلاقيه تلك الشعوب من ظلم المستعمرين وإرهابهم، وعليه فمن واجب الأقطار الشقيقة المبادرة إلى عمل مشترك لضغط على المستعمر لإنهاء تلك المعاناة، فاستعمار لم تقتصر سياسته القمعية على فرض حالة الطوارئ في جميع هذه البلاد وحل بعض أحزابها السياسية النشطة وتعطيل صحفها الوطنية، فقد عمدت تلك السلطات إلى اعتقال العلماء الوطنيين وتقديمهم

¹ - "البصائر"، العدد 221، الجمعة 13 مارس 1953م، ص: 325-327.

² - المصدر نفسه، ص: 332.

إلى المحاكم، بل تعداه هذه المرة إلى تهديد جلالة سلطان المغرب وباي تونس بالخلع إذا لم يرضخا لتوقيع مراسم الإصلاح المزعومة التي يريد الفرنسيون فرضها على البلاد.

أما بخصوص تونس فإن الفرنسيون قد ضاعفوا أعمال القمع والاضطهاد على إثر إنتهاء هيئة الأمم المتحدة من مناقشة القضية التونسية، وكلفوا القوات العسكرية بما يسمونه بعمليات التطهير، وأشار البيان إلى وقوف الدول العربية التي تساندها الدول الآسيوية الشقيقة في السعي إلى تدويل القضية التونسية والمغربية في الأمم المتحدة، وتطالب اللجنة بضرورة عرض القضية الجزائرية على الهيئة الأممية.

- قضيتي تونس والمغرب في الأمم المتحدة سنة 1953 م:

جاء الاتفاق هذه المرة بين الكتلة العربية الآسيوية الإفريقية تحت رئاسة ممثل "ليبيريا" حيث إتفقت المجموعة على تقديم قضايا الشمال الإفريقي إلى مجلس الأمن، وهذا بعد أربعة أشهر من إتخاذ الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة لقرارها فيما يتعلق بقضيتي تونس والمغرب⁽¹⁾.

ولم يحدث أي تغيير للسياسة الفرنسية في البلدين، بما فيها التفاوض مع الممثلين الحقيقيين للشعبيين التونسي والمغربي والملتفين حول العرشين في المملكتين أكثر من ذلك فهو يسعى بشتى الطرق والوسائل لقمع تلك المطالب والقضاء عليها⁽²⁾.

¹ - " البصائر " العدد 221، المصدر السابق، ص: 332.

² - أشارت اللائحة المصادق عليها من طرف اللجنة السياسية للأمم المتحدة في 17 ديسمبر 1952م، والتي حثت الطرفان الفرنسي والتونسي على إستئناف المفاوضات. أنظر:

CH. And. julien, op.cit, P P: 233-234.

4- القمع الاستعماري في عهد المقيم العام " دي هوتكلوك " ومهزلة الانتخابات البلدية والإدارية:

تحت عنوان التنكيل جاءت الإشارة إلى الأوضاع التعيسة والمؤلمة في تونس نتيجة سياسة القمع الممنهج المطبق من طرف المقيم العام " دي هوتكلوك " والتي تتميز بالقسوة والشدة والتنكيل، فأحرار تونس ورجالها وأصحاب الكلمة السياسية المسموعة فيها لايزالون في السجون أو في المحتشدات، والمحاكم العسكرية تواصل إصدار أحكامها بإعدام أو الأشغال الشاقة على كل التونسيين اللذين خرجوا في مظاهرات أو قاموا بأعمال مقاومة ضد المحتل.

كما تم توقيف الصحف ومصادرتها ومنعت الاجتماعات وإنهارت الحياة الاقتصادية وركدت الأسواق وساءت الأوضاع الاجتماعية كل ذلك من أجل الحفاظ على نظام الحماية الفاني وصون أموال وإمميزات رجال الاحتكار وأصحاب الشركات الكبرى وغلاة الاستعمار.

أمنيا تضاعفت حوادث اعتداء العصابات التابعة لمنظمة اليد الحمراء الإرهابية على منازل ومتاجر التونسيين وتخريبها، يقابله ردّ فعل من التونسيين بالوسائل المتاحة.

أما العدالة التي توصف بالعوراء فهي تتعامل بمكيالين فهي تطارد التونسيين وتصدر في حقهم أحكام قاسية بينما وقفت عاجزة تتفرج على ما يرتكبه غلاة الاستعمار من تخريب وعدوان، فحتى من إغتالوا " فرحات حشاد " مازالوا طلقاء أمام مرأى تلك العدالة⁽¹⁾.

أما محاولة السلطة الفرنسية فرض وتنفيذ ما أسمته " بالإصلاحات " ورفض الباي والشعب التونسي لها، فبدلا من فتح مفاوضات حقيقية مع الممثلين الشرعيين للشعب التونسي تُصر تلك السلطة بتعنّت وغباوة على إجراء الانتخابات البلدية في 26 أفريل 1953 أي في نفس اليوم الذي سوف تجري فيه في فرنسا وفي الجزائر⁽²⁾.

¹ - " البصائر " العدد 226، الجمعة 17 أفريل 1953م، ص: 08.

² - تعرف تلك الانتخابات أيضا بإنتخابات الإصلاح البلدي Caidales . انظر :

وقد تعرض " الباي " إلى ضغط رهيب من المقيم العام للإمضاء على مراسيم تلك الانتخابات وتهديده بالعزل في حالة رفضه لها. فقد كانت هناك طائرة أمريكية قدمت خصيصا من فرنسا جاثمة في مطار " العوينة " لنقل الباي وعائلته إلى المنفى في حال رفض شروط فرنسا ⁽¹⁾.

– الانتخابات البلدية والمجالس الإدارية Caidales مهزلة الحكومة الفرنسية:

وفي مقاربة مع ما حصل في الجزائر أشارت " البصائر " أن الانتخابات في تونس سيتم تزويرها على طريقة تزوير الانتخابات في الجزائر على يد الحاكم العام " نايجلان " ⁽²⁾.

مؤكدة بأن الشعب التونسي وممثليه الحقيقيين سيقاطعون تلك الانتخابات، وما يؤخذ على هذه الأخيرة أنها نتيجة ضغط وإكراه على الباي، وأنها تجعل من المستوطنين الذين احتلوا البلاد واستولوا على ثرواتها مواطنين تونسيين مما سوف يمنحهم الحق في دخول المجلس التشريعي المقبل وبالتالي الشراكة في الحكم.

الأمر الآخر أنها ساوت في التمثيل من خلال تشريع قانون خاص يساوي بين أقلية فرنسية وأغلبية تونسية في كامل مناطق البلد، وأخيرا أن الشعب التونسي بعد كل هذه التضحيات لن يرضى بإصلاحات جزئية لا تحقق طموحه ألا وهو الاستقلال و التحرر ⁽³⁾.

مع الإشارة أن نفس الأسلوب المطبق في تونس من تهديد وترهيب بعزل المقيم العام للباي نجده في المغرب الأقصى في إيجاد الذرائع للتخلص من الملك محمد الخامس بعدما تم عزله وحصاره في قصره.

¹ – " البصائر "، العدد 226، المصدر السابق.

² – إشتهر " نايجلان " الحاكم العام الفرنسي في الجزائر بتزوير الانتخابات البرلمانية لسنة 1948م والتي أدت إلى تشكيل برلمان أغلب عناصره موالون لفرنسا وعرف بإسم برلمان بني وي وي Beni oui oui . المؤلف.

³ – " البصائر"، العدد 226، المصدر نفسه.

باشرت الإدارة الاستعمارية إجراء إنتخابات مجالس الأعمال (المجالس الإدارية) قبل أن تباشر تجربة إنتخاب المجالس البلدية، والذي حدث أنها كانت مهزلة في كل مناطق تونس فقد إختارت يوم إجماع الناس للسوق فخرج رجالها على إختلاف رتبهم الإدارية وبدعم من أجهزة الأمن في دفع الناس وتوجيههم إلى مراكز الاقتراع بالقوة ليتم ملأ الصناديق بالأوراق الحكومية المعدة لتلك المهزلة، ثم بعدها تعلن الإدارة الاستعمارية على نسبة نجاح الانتخابات با 90% تزيد أو تقل بنسبة قليلة.

هذا الأسلوب الاستعماري في التزوير يجب أن يعمّم ويُلقن لمنظمي إنتخابات " نايجلان " في الجزائر، وضرورة تعميمها على بقية البلدان المستعمرة ⁽¹⁾.

على أن ردة الفعل القوية على هذه المهزلة جاءت من " الباي محمد الأمين " الذي فضح تلك الأساليب الخبيثة واستنكرها في رسالة مُوجهة إلى الوزير الأول التونسي " بكوش " الذي شاهد تلك المهزلة وهو قابع في بيته لا يحرك ساكنا، كما تضمنت تلك الرسالة شكاوي العديد من الوفود التي قدّمت من مناطق تونس مستنكرة تلك العملية.

كما وجه " الباي " رسالة ثانية لوزير الأول يستنكر فيها على الوزارة ما عمدت إليه من إجراء تغيير في السلك الإداري، دون أن يصدر بذلك أمر ملكي حسب النظم والتقاليد، ودون أن يقع الإعلان عن ذلك وإشهاره بالطرق القانونية وطالب بإلغاء تلك الانتخابات.

أما الوزير الأول فقد ادعى بأنه قام بذلك العمل تحت ضغط الإقامة العامة الفرنسية ⁽²⁾.

وحسب رئيس تحرير " البصائر " لُو صَح هذا الاحتمال على الأقل كان على الوزير أن يحتج ويستنكر تلك الضغوط مع إلغاء كل ما ترتبت عليه تلك المهزلة الانتخابية، وإذا

¹ - " البصائر"، العدد 227، الجمعة 24 أبريل 1953م، ص: 16.

² - المصدر نفسه.

كان لابد فما عليه إلا الاستقالة كما يحدث في البلدان التي يسودها القانون عكس ما يحدث في البلدان المستعمرة (1).

جرى تقييم شامل لموضوع الانتخابات البلدية الذي فرضته السلطات الاستعمارية في عهد الحاكم العام " دي هوتكلوك " على الشعب التونسي، وأدّعت بنجاحه، على أن الحقيقة الناصعة أثبتت خيبة كبيرة تعدّت الحدود التي رسمها أكبر المتشائمين حسب تعبير جريدة " لوموند Le Monde " الفرنسية (2).

وحسب الإدارة الاستعمارية فنتائج تلك الانتخابات يمكن تقسيمها إلى أربع مناطق:

المنطقة الأولى وهي الجهات الداخلية والمدن والقرى النائية حيث استطاعت السلطة أن تحشر فيها الجنود وقدماء المحاربين والبعض من ذوي الأطماع والغايات، فقالوا أن معدل الانتخابات تجاوز 53%.

المنطقة الثانية هي المدن والقرى التي لم تستطع الإدارة أن تلعب فيها ألأعبيها بصفة مكشوفة واكتفت بإرسال قدماء المحاربين والمجندين للتصويت فبلغت نسبة المشاركة 7% كمدينتي تونس وسوسة.

المنطقة الثالثة هي التي ترك فيها الناس أحرارا فكان فيها مترشح واحد وفي الوقت نفسه هو الناخب الوحيد (3).

المنطقة الرابعة فتشمل بعض مدن الساحل التونسي التي أعلنت الإدارة عدم إجراء إنتخابات فيها خشية وقوع حوادث مؤلمة وإرهاق دماء غزيرة، فأجل أمر المهزلة إلى ما بعد.

¹ - " البصائر "، العدد 227، المصدر السابق، ص: 16.

² - " البصائر "، العدد 229، الجمعة 15 ماي 1953م، ص: 32.

³ - المصدر نفسه.

كلها حجج تؤكد فشل برنامج الإصلاحات المرفوض ومعها فشل سياسة السيادة المشتركة كل هذه الأحداث جرت ورجال الأمة قد وضعوا في السجون أو المحتشدات والمعتقلات النائية، وقد استغلت السلطة الاستعمارية فرصة إغتيال بعض العملاء من التونسيين منهم " غشام " بالساحل و " شاذلي القسطلّي " ⁽¹⁾ صاحب جريدة " النهضة " بتونس لإعتقال وسجن ونفي الفئة القليلة الباقية من رجال السياسة.

كما استغلت الإدارة الاستعمارية تلك الحوادث للضغط على " محمد لمين باي " لإصدار أمر للشعب التونسي لدفعه للمشاركة في تلك الانتخابات لكنه رفض، وتحت ضغط كبير قام بإصدار بيان مختصر يستنكر فيه اللجوء للقوة مهما كان مصدرها وداعيا الأمة إلى الهدوء والسكينة.

- دعم الجامعة العربية ودور من صالح بن يوسف في ذلك:

على المستوى الخارجي طالب "صالح بن يوسف" بإدراج القضية التونسية في جدول أعمال إجتماع وزراء الخارجية للدول العربية المنعقد في القاهرة في 7 ماي، وكان السيد " كميل شمعون " رئيس جمهورية لبنان أثناء زيارته للقاهرة قد وعد الزعيم التونسي بتحقيق تلك الرغبة، فمنحت له الفرصة بإستدعائه للمشاركة في الإجتماع وتقديم عرض مفصل عن الأوضاع في تونس وفضح السياسة الاستعمارية كما طالب بإجتماع للدول العربية الأسبوية التي إحتضنت القضية التونسية لتتخذ موقفا صريحا منها في هذا الظرف العصيب ⁽²⁾.

واصلت السلطة الاستعمارية سياستها القمعية وأطلقت تسمية " جمعية المفسدين " على المجموعة القليلة من المناضلين التونسيين الذين بقوا خارج السجون والمعتقلات، فألقت

¹ - تمت تصفية المحاميان " طيب غشام " و شاذلي قسطلّي " وهو رئيس قائمة بلدية تونس أثناء الانتخابات البلدية وذلك في يوم 2 ماي 1953م، لأنهم لم يستجيبوا لطلب مقاطعة تلك الانتخابات. أنظر:

Anisa EL MATERI HACHED, op.cit, P : 541

² - " البصائر "، العدد 229، المصدر السابق، ص: 32.

القبض عليهم تكملة لحملة قمعية واسعة جاءت في أعقاب إعلان " نجاح " الانتخابات البلدية، وكرد فعل على تصفية " شاذلي قسطلبي "، وشملت الاعتقالات " مصمودي " ممثل الحزب الدستوري الجديد في باريس وفي تونس ألقى القبض على رئيس الحزب الدستوري الجديد بالنيابة " هادي نويرة " والجديد فيها أنها جاءت استجابة لطلب المدعي العام وتنفيذا لبرنامج قمع قضائي واسع انعكست سلبا على الأوضاع العامة في تونس، مما يستوجب تحرك الضمانات الحية في العالم لإنقاذ هذا الشعب من مخالب الطغيان الاستعماري⁽¹⁾.

في إطار مساعي كسب التأييد الدولي للقضية التونسية إستغل وزراء خارجية الدول العربية، زيارة كاتب الدولة للشؤون الخارجية " فوستر دالاس Foster Dallas " للقاهرة في إطار جولته للشرق الأوسط والأدنى للقاء به، وسعيا لكسب دعم الولايات المتحدة الأمريكية على مستوى الأمم المتحدة خصوصا أن المجموعة العربية الآسيوية الإفريقية من المحتمل أن تدعو لعقد دورة طارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة أو مجلس الأمن لتسجيل القضية التونسية للنقاش، يقابلها تعنت وتصلب فرنسا وإستمرار سياسة الهروب إلى الأمام بتبني أسلوب التهريب والقوة للقضاء على المطالب الوطنية في سائر بلاد المغرب العربي.

مع الإشارة أن هناك فئة قليلة من الفرنسيين رفعوا صوت التنديد والاحتجاج وفضح أساليب أقلية استعمارية تدعى إمتلاكها حق الحل والربط في تونس على حساب سلطة وشرعية الحكومة الفرنسية وأطلق عليها إسم " الطائفة الانفصالية " ⁽²⁾.

هناك تطابق في أسلوب تسيير قضيتي تونس والمغرب من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية ففي مشروع هذه الأخيرة إجبار الملك " محمد الخامس " على قبول إجراء إنتخابات بلدية بمشاركة الفرنسيين لمنحهم صفة المواطنة وما يترتب عنه من تحكّم كلي في مفاصل الحكم في البلد كما حدث في تونس بإرغام " الباوي " على المصادقة

¹ - " البصائر"، العدد 230، الجمعة 22 ماي 1953م، ص: 40.

² - المصدر نفسه.

على مراسيمها وإلا سوف يعزل، على أن الجديد هو إعتراف وزير الخارجية الفرنسي السابق بعجزه عن القيام بأي إجراء سواء تعلق الأمر بوزارته أو الحكومة أو حتى الدولة الفرنسية التي وقفت عاجزة أمام سلطة ونفوذ المقيم العام الذي ينفذ أوامر الأقلية الفرنسية التي تتحكم في البلد، وأهم ما صرّح به " روبرت شومان Robert Schuman " لجريدة " لانوف La Neuf " مايلي: " إن الفرنسيين المقيمين ببلاد المحميات هم الذين يتولون أكبر الحوادث التي تقع في تلك البلاد، وهم الذين يسيرون سياستها، ويبتكرون فيها الأساليب الجديدة لتمكين نفوذهم وتوطيد أركان سلطانهم ويضعن الوزارة الفرنسية في أغلب الأحيان أمام الأمر المقضي

فهي لا تستطيع أن تنفذ هنالك إرادتها، إنّما هي تنفذ إرادة المستعمرين الذين يؤثرون التأثير الفعال على الإقامة العامة فلا يسعها أمام الحرية الواسعة التي يتمتع بها المقيم العام، إلا تنفيذ إرادتهم، والخضوع لمقرراتهم ⁽¹⁾.

5- عدم الاستقرار السياسي في فرنسا وتأثيره في إيجاد حلول لقضيتي تونس والمغرب:

ما يلاحظ طيلة فترة الخمسينات في فرنسا هو انعدام الاستقرار السياسي وتوالي سقوط الحكومات وتناقضات الأحزاب السياسية سواء من اليسار كالحزب الراديكالي أو الحزب الاشتراكي الراديكالي أو من اليمين كالتجمع الجمهوري الفرنسي يضاف لها الشيوعيون في بلد ما يزال يتخبط في مشاكل مخلفات الحرب العالمية الثانية، وإنهيار الاقتصاد وتبعية شبه مطلقة للمساعدات الأمريكية وما يرتبط من تبعية لهذه الأخيرة في التوجهات العامة لسياستها الأوروبية خصوصا معاهدة الدفاع الأوروبي، مع ضرورة تسليح ألمانيا لجعلها حاجزا أمام التوسع الشيوعي وحساسية فرنسا من ذلك، كلها عوامل ساهمت في قصر مدة تولى الحكم للعديد من الساسة الفرنسيين.

¹ - " البصائر"، العدد 232، الجمعة 5 جان 1953م، ص: 56.

ففرنسا جمعت كل المتناقضات وأسباب فشلها، والتي تتمثل في الأزمة السياسية والاقتصادية، وقضيتي التعامل مع الحرب في الهند الصينية، ومشكلتي تونس والمغرب كل المتناقضات إجمعت للحكومة الائتلافية برئاسة جوزيف لانيال Joseph LANIEL⁽¹⁾ فعليه مواجهة تلك المشاكل وفي مقدمتها القضية التونسية التي شغلت الرأي العام الفرنسي والدولي والتي تستوجب حلاً سريعاً، لكن رئيس الحكومة الجديد لم يخرج عن الإطار العام لسياسة فرنسا الاستعمارية فقد صرّح: " بأن فرنسا لن ترجع فيما وعدت به من تحقيق الاستقلال الداخلي لتونس على مراحل معينة، بحيث يتمكن التونسيون بعد اجتياز تلك المراحل من إدارة شؤون بلادهم الداخلية، مع إحترام الوجود الفرنسي، ومع الاعتراف بالحقوق الفرنسية و بامتيازات الفرنسيين في البلاد ومع تقدير الظروف والملابسات الإستراتيجية التي تجعل الشمال الإفريقي والقطر التونسي بصفة خاصة مركزاً من أهم مراكز الدفاع الغربي⁽²⁾ .

ويواصل " لانيال " تصريحه قائلاً: " ولا يتحقق ذلك إلا في جو من الثقة المتبادلة، والعودة إلى المفاوضات عندما تهدأ الحالة ويزول الإضطراب الذي ساد تونس طيلة سنة ونصف " ⁽³⁾ وتبقى تصريحات الحكومة الفرنسية مجرد أماني لا تتبعها قرارات فعلية يمكن لها أن تحرك الوضع العام نحو تحقيق تلك الأهداف على أرض الواقع .

¹ - " جوزيف لانيال " جاء خلفاً لـ " روني ماير " الذي سقطت حكومته يوم 21 ماي 1953م. أنظر: خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص: 161.

² - " البصائر"، العدد 236، الجمعة 10 جويلية 1953م، ص: 88. حول الأهمية الإستراتيجية لشمال إفريقيا عموماً وتونس خصوصاً.

انظر: " البصائر"، العدد 312، المصدر السابق.

³ - " البصائر"، العدد 236، المصدر السابق، ص: 56.

6- العودة إلى الأمم المتحدة:

عاد من جديد الحديث عن تحرك الكتلة العربية الآسيوية الإفريقية على مستوى الأمم المتحدة ومجلس الأمن لتجديد طلب مناقشة قضية تونس والمغرب، ويعود الحديث حول عجز الأمم المتحدة في تنفيذ قراراتها على اعتبار أن الدول الكبرى المسيطرة على مجلس الأمن خصوصا وهي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لن تسيء لحليفتهما فرنسا،

وبالتالي فالقرار الأخير لهذه الهيئة الخاص بقضيتي تونس والمغرب بقي حبرا على ورق ⁽¹⁾ ورغم هذا فالكتلة الآفرو آسيوية سوف تواصل مسعاها لتدويل القضيتين وهي متأكدة من إنتصار شعوبها وتحررها ⁽²⁾.

وتحت عنوان " نهرو " ⁽³⁾ وقضية الشمال الإفريقي صرح هذا الأخير معلقا على عزم فرنسا منح الهند الصينية استقلالها التام من خلال مذكرة قدمت إلى مسؤولي تلك البلاد قائلا: " إذا كان هناك حقيقة عزم من طرف فرنسا على حل مشكلة الحرب في الهند الصينية عن طريق التفاهم معها حول إستقلالها التام فقد وجب أن يشمل هذا العزم قضية تونس والمغرب إذ المشكلة واحدة وهي مشكلة الاستعمار الذي لايزال يقف في وجه الشعوب المطالبة بحريتها وحق تقرير مصيرها ويُعرض كل سلام عام للخطر والحرب من قبل ومن بعد " ⁽⁴⁾.

¹ - لم تصوّت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا على اللائحة التي تدعو لطرح قضيتي تونس والمغرب في الأمم المتحدة في الدورة السابعة 1951 والثامنة 1952 والتاسعة 1953م سواء تعلق الأمر بالجمهوريين أو الديمقراطيين. أنظر: Juliette BESSIS op.cit, P : 209

² - " البصائر"، العدد 237، الجمعة 17 جويلية 1953م، ص: 98.

³ - " جواهر لال نهرو 1889-1964" أول رئيس للجمهورية الهندية بعد إستقلالها، وأحد مؤسسي حركة عدم الإنحياز إثر مؤتمر " باندونغ " في إندونيسيا تحت شعار تضامن آفرو آسيوي 18-24 أفريل 1955م، والداعين لتصفية الاستعمار ومساندة حركات التحرر. وهو والد أنديراغاندي. انظر:

Michel MOURRE: op.cit., P: 780

⁴ - " البصائر"، العدد 237، المصدر السابق.

تناولت جريدة " البصائر " هذا الأسبوع قضية مشاركة ممثلين عن تونس والمغرب في المؤتمر الاشتراكي المنعقد في عاصمة السويد " ستوكهولم " وهم " صالح بن يوسف " الأمين العام للحزب الدستوري التونسي الجديد و " أحمد بلفرج " الأمين العام لحزب الاستقلال المغربي وكلاهما دافع عن قضية بلده وفضح المناورات الاستعمارية الفرنسية، أما الجديد في هذا المؤتمر فهي الشروط التي وضعها " صالح بن يوسف " قبل العودة إلى المفاوضات مع الحكومة الفرنسية وهي رفع فرنسا لحالة الحصار المفروضة على تونس، وإعادة الحريات العامة فيها، وإطلاق سراح المساجين والمبعدين وأن تعترف مسبقا بإنهاء عهد الحماية وإعلان استقلال تونس، وعندئذ يمكن التفاهم على كيفية الخروج من عهد الحماية إلى عهد الاستقلال، على قاعدة ضمان مصالح الطرفين (1).

مع الإشارة أن جريدة " البصائر " خصصت العدد 239 بكامله للقضية المغربية وخصوصا تتحية السلطان محمد الخامس عن العرش وإنعكاسات ذلك داخليا وخارجيا (2).

عادت القضية التونسية والمغربية إلى جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة لمناقشتها والجديد هو عدم إعتراض مندوب فرنسا السيد " كيلايمني " على القرار، مع بقاء التشاؤم بعجز الهيئة عن تنفيذ قراراتها أمام هيمنة القوى الكبرى على الهيئة ومؤسساتها.

أما بالنسبة لتونس فالمواجهات بين الشعب التونسي والقوات الاستعمارية يومية، من عمليات تخريب للمنشآت واغتيالات عناصر الأمن والعملاء، والتفجيرات، وبطبيعة الحال يقابله سياسة قمعية من اغتيالات للوطنيين واعتقالات وسجن ونفي وهي الأساليب التي تعودت عليها الأجهزة الاستعمارية، فبعد اغتيال " فرحات حشاد " جاء الدور على زعيم وطني آخر وهو " هادي شاكر " (3) حيث تم إختطافه من بيته أمام مرأى الشرطة وتم إقتياده

1 - " البصائر "، العدد 238، الجمعة 31 جويلية 1953م، ص: 104.

2 - " البصائر "، العدد 239، الجمعة 4 سبتمبر 1953م.

3 - تم إغتيال القيادي في الحزب الدستوري الجديد " هادي شاكر " في 13 سبتمبر 1953م في مدينة صفاقس. أنظر:

Mohamed CHARFI, op.cit, P : 39

لتنتم تصنيفه بوابل من الرصاص ووضع القنلة على جثته ورقة كتب عليها " ليعلم الناس أننا نقابل أي إعتداء في أي جهة، بقتل ثلاثة من زعماء الدستور " (1).

فالوضع العام في تونس يشبه الحرب الأهلية ويؤكد فشل السياسة الاستعمارية ومن ورائها المقيم العام " دي هوتكلوك " بتوجيه وأمر من " موريس شومان " وسادته من غلاة الاستعمار.

تلك السياسة التي دفعت بسلطات باريس إلى تتحية " دي هوتكلوك "، وتعيين مقيم عام جديد وهو " بيار فوازير Pierre Voizard " الذي سبق له العمل في تونس أيام المقيم العام " لوسيان سان Lucien Saint " (2).

كما عمل في المغرب أيام الجنرال " جوان Juin " وإدارة فرنسا أيام الاحتلال الألماني وحكومة بيتان " Pétain ". فماذا يمكن أن يقدمه المقيم العام الجديد، لقد لخص الكاتب الفرنسي الحر " كلود بوردي Claude Bordé " الوضع العام في تونس بما يلي: " إن التونسيين يطلبون اليوم الاستقلال الذاتي فهل ترى سيضطروهم المستعمرين إلى التحصيل على الاستقلال التام ". (3) على فرنسا إختيار أحد الأمرين ولا مجال للتردد.

على المستوى العربي جرى نقاش في مقر اللجنة السياسية للجامعة العربية، نقلا عن جريدة " الأهرام " عدد السبت 5 سبتمبر 1953 حول قضايا التحرر في المغرب العربي واستمعت اللجنة لكل من السادة " صالح بن يوسف " و " محمد بدرة " و " محي الدين القليبي " وتحديثا عن الوضع في تونس، وأن فرنسا لم تنفذ قرارات الأمم المتحدة في الدورة الماضية بالدخول في مفاوضات لتحقيق الحكم الذاتي لتونس، بل بالعكس من ذلك استعملت وسائل العنف والضغط وتشريد الوطنيين، وطالبوا من الجامعة العربية اتخاذ قرارات عملية لتأييد

¹ - " البصائر "، العدد 238، المصدر السابق، ص: 104.

² - " بيار فوازير " عيّن خلفا لـ " دي هوتكلوك " في 8 ديسمبر 1953م. أنظر:

Jean GARNIAGE, op.cit, PP : 550-551

³ - " البصائر "، العدد 241، الجمعة 25 سبتمبر 1953م، ص: 129.

القضية التونسية⁽¹⁾. على مستوى فرنسا إنعقد مؤتمر الراديكاليين واحتوى بيانه النهائي عن إرتياح الحضور ورضاهم عن سياسة " الإصلاحات المزعومة " والرجوع إلى الوراء في كل من تونس والمغرب مادامت تحمي مراكزهم وتزيد من نفوذهم، وقمع أي صوت يمكن أن يهدد مكانتهم في تلك البلاد.

أما فيما يخص التفاؤل الذي صاحب وصول المقيم العام الجديد " بيار فوازير "، والنداء الذي أذاعه الباي قبيل وصول هذا الأخير يدعو فيه إلى الهدوء والسكينة ويحذر من أعمال العنف، رغبة في الوصول إلى حل عادل للقضية التونسية، قابله تشاؤم من الصحف الديمقراطية عن إستحالة الوصول إلى حل ما دامت السياسة الاستعمارية نفسها مازالت قائمة ولم تتغير ولن تتأثر بتغيير الرجال⁽²⁾.

عادت جريدة " البصائر " في آخر أعداد سنة 1953 لتغطية تطورات القضية المغربية خصوصا بعد عزل الملك محمد الخامس، لكنها تخصص من حين لآخر حيزا للقضية التونسية فتحت عنوان " اتحاد النقابات العمالية العالمية الحرّة " يطالب الأمم المتحدة بالتدخل لحل مشكلتي المغرب وتونس حلا عادلا يلبي رغبات الشعبين في البلدين حسب ميثاق الأمم المتحدة منعا لتأزم الأوضاع أكثر مخاطر أكبر.

أما بالنسبة لتونس فقد شرع المقيم العام في إتصالات ومحادثة سرّية لا يعرف عنها شيء، وأن الحكومة الفرنسية تنتظر من " بيار فوازير " أن يوافيها بدراسة معمّقة عن الأوضاع في تونس، كل ما صدر عن المقيم العام الجديد حتى الآن هو إستكراه للعنف والعدوان من أي طرف في إنتظار أن يحدث تغيير فعلي على أرض الواقع⁽³⁾.

¹ - " البصائر "، العدد 242، الجمعة 2 أكتوبر 1953م، ص: 138.

² - " البصائر "، العدد 243، الجمعة 9 أكتوبر 1953م، ص: 146.

³ - " البصائر "، العدد 244، الجمعة 23 أكتوبر 1953م، ص: 154.

مع الإشارة أن " بيار فوزار " اتخذ إجراءات تهدئة منها إلغاء الرقابة على الصحف التونسية، وإطلاق سراح عدد من السجناء السياسيين، تمهيدا للوصول إلى تفاهم يؤدي إلى حل عادل للقضية التونسية حسب بعض الصحف المتفائلة ⁽¹⁾.

بالنسبة لسنة 1953م أنهتها جريدة " البصائر " بخبر مقتضب في صفحة " الشمال الإفريقية " التي خصصت لتطور الأوضاع في المغرب الأقصى بعد عزل الملك " محمد الخامس " ورفض إسبانيا الاعتراف لخليفته الذي نصّبته السلطات الاستعمارية مع التذكير أن إسبانيا تقسم مع فرنسا النفوذ في المغرب في إطار نظام الحماية فهي تسيطر على منطقة الريف حتى الساحل المتوسطي وتحديدًا مدينتي " سبتة و مليلة " وباقي المغرب لفرنسا.

كما تناول المقال الأوضاع السائدة في تونس والتي يميّزها الهدوء والاستقرار، فماذا ينتظر الاستعمار لإنهاء المشكل، أو ينتظر إنفجار الوضع من جديد لتأجيل أي حل ⁽²⁾.

جاء في أول عدد من جريدة " البصائر " لسنة 1954م خبر إضراب طلبة جامع الزيتونة والذي تخلّله إضراب الجوع، مع اعتكاف الطلبة داخل الجامع الأعظم والسبب هو عدم وفاء الحكومة بوعودها وتنفيذ القرارات صدرت عنها لصالح رغبات الزيتونيين، ليتدخل " الباي " أخيرا فوعد الطلبة بأنه سوف يتولى قضيتهم بنفسه ويقف على تنفيذ القرارات التي تخصهم، فتم توقيف الإضراب والعودة إلى الدراسة في إنتظار تحقيق تلك الوعود ⁽³⁾.

من جانبها استغلت السلطات الاستعمارية وعلى رأسها المقيم العام " بيار فوزار " مناسبة حلول أعياد رأس السنة الميلادية وأصدرت قرار بإطلاق سراح 41 مناضل من زعماء الحركة الوطنية كانوا في معتقلات " تطاوين " بالجنوب ومن بينهم " منجي سليم "

¹ - " البصائر "، العدد 245، الجمعة 26 نوفمبر 1953م، ص: 166.

² - " البصائر "، العدد 249، الجمعة 4 ديسمبر 1953م، ص: 190.

³ - " البصائر "، العدد 252، الجمعة 1 جانفي 1953م، ص: 213.

مدير الحزب الدستوري الجديد و " عبد الصمد " محرّر صحيفة الحرّية، أما الزعيم " حبيب بورقيبة " فلا يزال مريضاً بمعتقله بجزيرة " جالطة " كما بقي خمسة من مسؤولي الحزب الدستوري الجديد والشيوعيين في المعتقلات (1).

7- الصحافة الإنجليزية وقضايا شمال إفريقيا:

تحت عنوان " المأساة الفرنسية ببلاد شمال إفريقيا "، والذي تصدر الصفحة الأولى لعدد هذا الأسبوع من جريدة " البصائر " وهو عبارة عن تحقيق قام به الكاتب والصحفي الإنجليزي فيليب داين Philippe Déan بتكليف من جريدة " الأوبزرفر Observer " وهي من الجرائد الكبرى الإنجليزية في بلاد الشمال الإفريقي وقد دام التحقيق شهران، ونقلته مجلة إسلاميك ريفيو Islamic Revio، كما قامت أيضا الجريدة الأسبوعية " الإكسبريس L express " بترجمته إلى الفرنسية.

فبعد تناول الصحفي الإنجليزي الوضع العام في المغرب وتونس والجزائر، أشار بأن الفرنسيون عندما يسألون لماذا لا يقومون بانتخابات نزيهة في تلك البلدان يأتي الجواب بأن الجزائريين والمغاربة لم يبلغوا درجة من الرقي تسمح لهم بالمشاركة بكل حرّية، في الانتخابات، على العكس من ذلك توجد في تونس نخبة حقيقية يمكن لها إيجاد حلول، وهذا سوف يفتح الطريق أمام القطر الجزائري، مع العلم أن كل الحلول والتجارب التي طبقت في تونس قد فشلت (2).

كما تناول الصحفي الإنجليزي مجازر 8 ماي 1945 في الجزائر بالتحليل وذكر النتائج.

كما أشار " فيليب داين " إلى ما وصل إليه الوضع العام في الجزائر من بؤس وشقاء وتخلّف نتيجة السياسة الاستعمارية، وعرج الكاتب على مجازر 8 ماي 1945م من جديد

¹ - " البصائر"، العدد 253، الجمعة 83 جانفي 1953م، ص: 224.

² - " البصائر"، العدد 255، الجمعة 22 جانفي 1954م، ص: 239.

وقال أن فرنسا إذا واصلت سياستها بنفس الأسلوب فسوف يؤدي ذلك إلى إنفجار عام في البلاد، مع التركيز على ذكر تزوير الانتخابات كما حدث في الانتخابات البلدية في 20 سبتمبر 1953م وهذا بشهادة أحد الموظفين الفرنسيين الكبار تطبيقا لبرقية رسمية من وزارة الداخلية⁽¹⁾. أما بالنسبة لتونس فيقول الكاتب الإنجليزي أنه ليس باستطاعة الفرنسيين وصف أهل تونس بما وصفوا به أهل الجزائر من أنهم ليس لهم أدنى شعور وطني⁽²⁾ ذلك أن التونسيون قد تركوا البداوة إلى الحضارة، واستقر أغلبهم في المدن والقرى من قبل أن تقرر فرنسا حمايتها 1881م.

من أجل كل هذا كان التونسيون يحسنون المناورة والمقاومة أكثر من الجزائريين والمغاربة، في الاعتراض على محاولات الفرنسيين الاستحواذ على كامل الوظائف العامة، وأن عدد التونسيين الذين درسوا في الجامعات يفوق عدد أقرانهم في الجزائر والمغرب، ومن بين هذه الطبقة الثرية يوجد رجال السياسة أصحاب المهارة والمقدرة الذين يوجهون الحركة الوطنية التونسية، كما تمكنوا من إنشاء حركة عمالية قوية مثلث السند المعين للحركة الوطنية عندما تعمل في الخفاء.

وهكذا شكل التونسيون كتلة واحدة في مواجهة فرنسا بمطالب معتدلة ولم يشفع لهم ذلك الاعتدال، ونالتهم موجة رهيبة من العنف والترهيب والتقتيل والسجن دون محاكمة في أغلب الأحيان، ورغم ذلك لم يغيروا من نهجهم وبقيت مطالبهم معتدلة. ويقول الكاتب أنه حاول لقاء " حبيب بورقيبة " لكنه لم يتمكن من ذلك، في المقابل استطاع الاتصال بأحد القادة الدستوريين وهو " هادي نويرة ".

¹ - " البصائر"، العدد 256، الجمعة 29 جانفي 1954م، ص ص: 241-242.

² - لا ندري على أي أساس بنى الكاتب الإنجليزي حكمه هذا لفترة الخمسينات شهدت إعادة هيكلة وتأسيس التيارات السياسية في الحركة الوطنية كحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين و الحزب الشيوعي، ثم لا يمكن مقارنة نظام الحماية في تونس بإستعمار إستيطاني طبق سياسة الأرض المحروقة في الجزائر منذ 1830م. المؤلف

ويقول عنه بأنه يملك ثقافة فرنسية عالية، وله علاقات وطيدة مع كثير من الساسة الفرنسيين وأهم ما قاله للكاتب الإنجليزي أن حربه لا يرغب في مغادرة الفرنسيين للبلاد التونسية، وأن تبقى بين أيديهم الشؤون العسكرية والسياسة الخارجية، مقابل هذا يريد التونسيون أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم على مراحل يتم تحديدها، مع ضمان التونسيين مصالح فرنسا الاقتصادية بواسطة معاهدة تعترف بحق اللجوء إلى تحكيم مجلس شورى الدولة بفرنسا (1).

كما يقبل التونسيون حصول الفرنسيين المقيمين بتونس على الجنسية التونسية مع إحتفاظهم بالجنسية الفرنسية ويقبلون أن يكون لهم نوع من الحكم الذاتي - إستقلالية - في أمورهم القضائية والبلدية. كما يقبل الحزب الدستوري الجديد بإحتفاظ الموظفين الفرنسيين بمناصبهم حتى تقاعدهم، وتضمن الدولة التونسية دفع أموال تقاعدهم، وما لا يقبله التونسيون هو أن يرث أبناء الفرنسيين الوظائف العامة عن آبائهم مثلما يطلبون الآن (2).

في الميدان الإجتماعي أشار الكاتب أن هناك فقط 200 ألف تونسي يستطيعون أن يجدوا عملا خارج الميدان الفلاحي، وبذلك يكون عدد العاطلين عن العمل نصف مليون،

كما أن أسعار المواد الغذائية تضاعفت أربعين (40) مرة عما كانت عليه عام 1938م، بينما لم ترتفع أجور العمال التونسيين إلا خمسة وعشرون (25) ضعفا فقط، عما كانت عليه خلال تلك السنوات.

كما أن هناك 500 ألف تونسي يملكون 2.5 مليون هكتار، بينما نجد 6 آلاف من المستوطنين يملكون 500 ألف هكتار من أخصب الأراضي وتقوم قيمتها بكثير ما يملكه التونسيون.

¹ - " البصائر"، العدد 257، الجمعة 5 فيفري 1954، ص: 249.

² - المصدر نفسه.

أما النفقات العسكرية والأمن التي تنفق على راحة وحماية الجالية الفرنسية في تونس فهي تفوق بثلاثة أضعاف النفقات التي تصرفها الحكومة لحماية التونسيين من الآفات والأمراض⁽¹⁾. أما فيما يخص تطبيق الديمقراطية وضماناتها في تونس فيكفي أن يعرف القارئ بأن وزارة كاملة - يقصد وزارة محمد شنيق - أسست حسب القانون يلقي عليها القبض، ويتم نفيها إلى الجنوب، ويمكن أن يلقي القبض على أي تونسي، ويسجن دون أن يعرف سبب ذلك، ورغم هذه السياسة القمعية وخنق الحريات تمكّنت الحركتين السياسية والنقابية التونسية من تحقيق مبتغاها سنة 1951م إثر تصريح " روبرت شومان " بقيادة تونس إلى الإستقلال⁽²⁾.

ويوم 17 أوت 1950م تشكلت حكومة محمد شنيق، وحسب البلاغ الرسمي للسلطة الفرنسية، أنها تشكلت لكي تتفاوض بإسم جلالة الباي في شأن التغييرات الأصولية التي تمكن البلاد التونسية تدريجيا من الاستقلال الداخلي⁽³⁾.

لكن هذه المحاولة باءت بالفشل ففي شهر مارس 1952م أُلقي القبض على الوزارة التونسية وتم نفي وزرائها وأعلنت حالة الحصار.⁽⁴⁾ مما تسبب في موجة غضب وإستتكار من الشعب التونسي شمل إضراب عام، وإستعمال المتفجرات والاعتقالات، ردّ عليها الفرنسيون بحملة من التهريب والتكيل بلغت من الشدّة مبلغا رهيبا، ورغم تراجعها فمازالت مستمرة إلى الآن.

¹ - " البصائر"، العدد 257، المصدر السابق، ص: 250.

² - تصريح " روبرت شومان " كان في 10 جوان 1950م في حفل تتصيب المقيم العام الجديد " لوييس بيريلي ". أنظر: Charle André Julien, L'Afrique du Nord.....op.cit, P : 166

³ - " البصائر"، العدد 257، المصدر نفسه.

⁴ - في ليلة 25 إلى 26 مارس 1952م تم إلقاء القبض على كل الوزراء في الحكومة التونسية، بما فيها الوزير الأول " محمد شنيق " وتم نفيهم إلى منطقة " القبلي " بالجنوب التونسي بأمر من المقيم العام. أنظر: Anisa EL MATERI HACHED, op.cit, PP : 229-231.

كما أن تونس تمرّ بأزمة إقتصادية عنيفة تكلف الخزينة الفرنسية مبالغ باهضة، وهكذا تزداد الحالة سوءا في كل شمال إفريقيا فالمواد الغذائية تقل، وعدد السكان يزداد ومعه إرتفاع نسبة البطالة قد يؤدي الوضع إلى الانفجار في أية لحظة. ولإبراز درجة الجمود إثر فشل تجربة " محمد شنيق " إجتمع البرلمان الفرنسي وفتح نقاشا لعدّة أيام لم يخرج بأي قرار لأن الأغلبية لم تصادق على أي نص من النصوص التي عرضت عليها، أما حجة المستوطنين لإبقاء الوضع على حاله فهم يقولون هناك فعلا خطر لكنه ليس بالقرب، ويمكننا الاحتفاظ بمراكزنا ونفوذنا لعدّة سنوات مادما على قيد الحياة فإضافة للأصوات التي يمتلكونها داخل البرلمان الفرنسي، فهم يقومون بشراء ضمائر الكثير من الصحف الفرنسية، ويمولون الأحزاب الفرنسية و يزوّجون بناتهم من الموظفين الفرنسيين الذين ترسلهم باريس إلى شمال إفريقيا⁽¹⁾.

وفي الأخير يطرح "فيليب داين" السؤال التالي من المسؤول عن هذا الوضع؟ ويجب أنه بعد اجتماعه بعدّة شخصيات سياسية فرنسية في باريس وصل إلى الاستنتاج التالي بأن الحكومة الفرنسية هي المسؤولة عن ذلك الوضع إلى جانب المستعمرين.

فالبرنامج الإنتخابي لكل السياسيين والموجّه للناخبين يركز على نقطة أساسية أن دولة فرنسا إذا ما خسرت بلاد شمال إفريقيا، فلن يبقى لها من النفوذ أكثر من دولة البرتغال، ولا يوجد الكثير من الفرنسيين حتى ولو كانوا تقدميون سوف يقبلون بهذه الحالة، كما أن فرنسا إذا ما أضاعت الشمال الإفريقي فإنها تفقد كذلك خطوط مواصلاتها مع مستعمراتها في القارة الإفريقية.

لكن مفتاح الموقف وخلاصة المقال حسب الكاتب أنه لا يوجد حلّ صحيح لمشاكل الشمال الإفريقي، فإما أن يعمل الفرنسيون شيئا إيجابيا وإلا فسوف يخسرون شمال إفريقيا،

¹ - " البصائر"، العدد 257، المصدر السابق، ص: 250.

وإذا لم تسارع فرنسا في القيام بالأعمال الواجب القيام بها سوف تخسر شمال إفريقيا بأكثر سرعة لأن أهل تلك البلاد يلحون على تحقيق كل أهدافهم.

ويبقى الفرنسيون متمسكون بسياسة الجمود ولا يجيدون سلوك سياسة التجارب⁽¹⁾.

8- الإصلاحات الفرنسية في تونس وردود الفعل عليها:

وبطبيعة الحال عدم بروز مستجدات في القضية التونسية، إنعكس على قلة الأحداث التي يمكن أن تهتم بها الصحافة والرأي العام وقد تمر أسابيع دون أن يحدث شيء يذكر، وحتى تغيير الوزارات لم يعد يثير الاهتمام لأن ذلك لا يغير من الوضع في شيء وأن تلك الحكومات الجديدة لا صلاحيات لها بل هي فقط مجرد واجهة لسياسة إستعمارية غير قابلة للتغيير، فقد جاء تشكيل وزارة " محمد صالح مزالي " وتولي محمد سعد الله منصب وزير الداخلية، من جهته توجه المقيم العام " بيار فوازار " إلى باريس للحصول على موافقة وزارة الخارجية على دفعة أخرى من " الإصلاحات " التي لا تصلح لشيء، ولا يقصد منها إلا ذر الرماد في الأعين⁽²⁾.

أما " طاهر بن عمار " ⁽³⁾ فقد صرح إثر عودته من باريس إثر لقائه بعدد من المسؤولين وعلى رأسهم "موريس شومان" حيث أكدوا له ضرورة منح التونسيين شيء ما يضاف لإصلاحات المقيم العام التي لا تتعدى تكريس الواقع الذي فرضه الاستعمار على الشعب التونسي⁽⁴⁾.

¹ - " البصائر"، العدد 257، المصدر السابق.

² - " البصائر"، العدد 260، الجمعة 26 فيفري 1954، ص: 277.

³ - حكومة " طاهر بن عمار "، تم تشكيلها في 4 أوت 1954م، لتتولى التفاوض حول مقترح الحكم الذاتي مع فرنسا. أنظر: Habib BOULARES, op.cit , PP : 652-654.

⁴ - " البصائر"، العدد 260، المصدر السابق، ص: 279.

مباشرتا بعد نشر الصحف الفرنسية لبرنامج الإصلاحات التي تتوي الحكومة تطبيقها في تونس، حتى تشكلت في تونس جبهة مضادة لها ورافضة لها شملت الأحزاب السياسية والنقابات والشخصيات الوطنية منهم " منجي سليم " عضو الحزب الدستوري الجديد، و " محمد المسعدي " أمين مال الاتحاد العام التونسي للشغل، وقد وجهوا رسالة احتجاج لرئيس الحكومة الفرنسية ووزير الخارجية والمقيم العام في تونس عبروا فيها عن رفض الشعب التونسي لتلك الإصلاحات التي تمس بالسيادة التونسية (1).

أما فيما يخص ردود الفعل حول تشكيل وزارة " طاهر بن عمار " التفاوضية فقد حذر زعيم المستعمرين " أنطوان كلونا " من قيام وزارة تونسية يشترك فيها بعض من وافقوا على رفع القضية التونسية إلى هيئة الأمم المتحدة أو ساهموا في مجلس الأربعين (2) أو كان لهم دور في الحركة الوطنية التونسية. ليأتي تعليق جريدة " البصائر " أنه لم يبق أمام " كلونا " من يصلح للمشاركة في هذه الوزارة إلا أعضاء حزب ظهر في تونس من صنع الإدارة الاستعمارية تحت إسم " الحزب القومي "، وأنه لا يوجد في هذا الحزب من الأعضاء إلا رئيسه، فهو نظير الحزب، الذي ظهر في المغرب تحت إسم " الحزب الديمقراطي " من غير أن يكون فيه من الديمقراطيين إلا رئيسه (3).

9- نشاط المقاومة المسلّحة:

لقد إستطاع المقيم العام " بيار فوازير " من إقناع الباي بالموافقة على " إصلاحاته " التي لا تتعدى تغيير مظاهر المجالس النيابية وهي لا تخرج عن ما تضمنه تصريح الحكومة الفرنسية في 15 ديسمبر 1951م والذي يدعو للشراكة الفرنسية التونسية.

¹ - " البصائر"، العدد 261، الجمعة 5 مارس 1954م، ص: 286.

² - مجلس الأربعين تشكل يوم 1 أوت 1952م بإقتراح من " فرحت حشاد " وموافقة " أمين باي " وضم شخصيات من جميع الاتجاهات السياسية والنقابية والمهنية التونسية، حيث رفضوا فيها إصلاحات " روبرت شومان ". أنظر: خليفة شاطر، ص: 153.

³ - " البصائر"، العدد 261، المصدر السابق.

من جهتها ضمت الحكومة التونسية الجديدة ثمانى وزراء تونسيين، ويشارك فيها أربعة من مديري الإدارة الفرنسيين مع إعطاء إسم مجلس الوزراء، والكاتب العام لرئاسة مجلس الوزراء تقترحه فرنسا لهذا المنصب وبيده كل السلطة الإدارية الداخلية⁽¹⁾.

أما المجلس الكبير القديم، فقد تغير شكله وبقيت صلاحياته، الجديد أنه أصبح مجلسا تونسيا مستقلا بصفة صورية تستشير الحكومة في كل ما يتعلق بالمشاريع الاقتصادية والمالية والتشريعية، لكنه لا يملك أية سلطة، والحكومة ليست مسؤولة أمامه عن أعمالها، إلى جانبه تم إستحداث مجلس فرنسي ينتخبه الفرنسيون بالإقتراع العام من الدرجة الأولى، وله نفس حقوق المجلس التونسي ولا يحق للباي أو الحكومة إصدار أي تشريع دون المرور عليه، كما يعرض على المجلس التونسي، وعند النظر في الميزانية يجتمع المجلسان، وبإنضمام أعضاء الغرف الاقتصادية يكون العدد متساوي بين الشقيين، وتتم دراسة الميزانية في هذا المجلس الذي هو عبارة عن صورة من المجلس الكبير القديم.

أما البلديات ومجالس الأعمال التي أسفرت عنها الانتخابات المزورة في عهد المقيم العام " دي هتكلوك " سوف يتم الإبقاء عليها، مع رفع مدة صلاحياتها إلى تسعة أعوام، كالمجلسين السابقين، على أن يتجدد الثلث من جميعهما كل ثلاثة أعوام، وقد وافق كل من " الباي " ووزارة " محمد صالح مزالي " عليها إلى جانب الحكومة الفرنسية.

جاءت ردود الفعل الشعبية والوطنية سريعة ورافضة لتلك الإصلاحات الزائفة، مع القيام بإضراب عام يوم الجمعة، كما أعلن الطلبة مشاركة الشعب رفضه للإصلاحات بإضراب مدته أربعة أيام⁽²⁾.

وقد شارك طلبة الزيتونة في مظاهرة ضد الإصلاحات مطالبين بتحسين ظروف تدرّسهم، بإنجاز قاعات دراسة عصرية، وتوجهت المظاهرة نحو مقر الحكومة لتقديم

¹ - " البصائر"، العدد 262، الجمعة 12 مارس 1954م، ص: 293.

² - " البصائر"، العدد 262، المصدر السابق.

عريضة تتضمن تلك المطالب فتصدى لها البوليس في ساحة القصبه وتم إطلاق النار فسقط شهيدان من الطلبة وعدد من الجرحى أدت إلى إضراب عام في تونس تضامنا مع الطلبة⁽¹⁾.

أقدمت السلطات الاستعمارية هذا الأسبوع على إعدام ثلاثة من الوطنيين التونسيين المتهمين في حوادث الشغب، مقابل هذا مازال قتلة الشهيدين " فرحات حشاد " و "هادي شاکر" طلقاء أحرار.

أما فيما يخص نشاط المقاومة المسلّحة، فقد وقع هجوم على القوات الفرنسية بين مدينتي " المكاسي " و " سيدي بوزيد "، هذه الأخيرة فرضت تطويقاً وخناقاً على سكان المدن والقرى في تلك الناحية بدعوى إلقاء القبض على المهاجمين، ووقعت أثناءها تجاوزات واعتداءات على السكان الأمنيين⁽²⁾.

وفي خبر مختصر من صفحة " العالم في أسبوع " جاء فيه أن المجلس الوطني للحزب الدستوري الجديد قرّر رفض الإصلاحات الجديدة وعدم الثقة بوزارة " محمد صالح مزالي "، وجاء التلميح بإمكانية المشاركة في الانتخابات القادمة في حال توفّر جو من الحرّية وتقديم الضمانات الكافية لنزاهتها، كما طالب المجلس بضرورة إنهاء وضعية " حبيب بورقيبة " الذي لا يزال معتقلا في جزيرة " جالطة " الموحشة⁽³⁾.

أما فيما يخص المقاومة فقد تضاعف نشاطها في الأيام الماضية وشمل العديد من المناطق كان آخرها الهجوم على قرية في منطقة " الجريد " نهارا وإلقاء القبض على ثلاثة من أعيانها إتهموا بالخيانة ثم إقتيدوا إلى خارج القرية وأعدموا رميا بالرصاص، وهو مصير كل من يتعاون مع الاستعمار⁽⁴⁾.

1 - " البصائر "، العدد 263، الجمعة 19 مارس 1954م، ص: 300.

2 - " البصائر "، العدد 264، الجمعة 2 أبريل 1954م، ص: 319.

3 - " البصائر "، العدد 266، الجمعة 9 أبريل 1954م، ص: 232.

4 - " البصائر "، العدد 268، الجمعة 23 فيفري 1954م، ص: 340.

وفي إطار الحرب الإعلامية حول نشاط المقاومة المسلّحة التونسية التي تطلق عليها الصحف الفرنسية إسم " الفلاقة " أي قطاع الطرق، فإن الصحف التونسية تسميها بالكتائب الوطنية وتؤكد أنها منظمة ومسلّحة تسليحًا عصريًا، ويشرف عليها ضباط برتب عسكرية، وأن عدد أفرادها يزداد يوما بعد يوم.

وحول المطالبة بتغيير مكان إقامة " حبيب بورقيبة " بإلحاح من " الباي " الذي راسل رئيس الجمهورية الفرنسية فقد صرّح المقيم العام "بيار فوازار" إثر عودته من باريس أنه لم يقع شيء جديد في هذه القضية وأن بورقيبة نفي إلى جزيرة " جالطة " حيث الرطوبة مرتفعة وتسببت في تدهور حالته الصحيّة (1).

وبالعودة إلى المقاومة المسلحة فالمصادر الفرنسية تقدّر عدد أفرادها بسبعمئة عنصر، وبضعة آلاف حسب المصادر التونسية، المهم أن هذه الكتائب كثفت من نشاطها خلال هذا الأسبوع في كل مناطق البلاد، فقد أعدمت شيخ قرية نسبية وقرية تلبلة، وأغتالت أحد رجال الحرس العسكري المتنقل، ونظمت مظاهرة في قرية " تالة " في وسط البلاد وهذا أمام أعين رجال الدرك الذين لم يجرؤ التعرض لها (2).

قام المقيم العام " بيار فوازار " بتهنئة الشعب التونسي بمناسبة حلول شهر رمضان، مع تقديم وعود بإنجاز إصلاحات هامة خصوصا في المجال الاقتصادي، وحسب الجريدة تبقى الوعود الحقيقية هي إطلاق سراح الزعماء التونسيين وتمكين البلد من إستقلاله وحرّيته (3).

شهدت تونس هذا الأسبوع إحتفال القصر الملكي يوم 15 ماي 1954م بعيد العرش لأول مرة منذ سنة 1951 وتلقى خلالها الباي التهانى من الوزراء والأعيان وأيضا من المقيم

¹ - " البصائر"، العدد 269، الجمعة 30 أبريل 1954م، ص: 348.

² - " البصائر"، العدد 271، الجمعة 15 ماي 1954م، ص: 07 حول نشاط المقاومة المسلحة. أنظر: عبد الكريم

عزيز، ص ص: 428-433. عادل يوسف، ص: 65.

³ - " البصائر"، العدد 271، المصدر السابق، ص: 10.

العام الذي أعلن للباي أن رئيس الجمهورية قد أصدر عفوا على 250 معتقل سياسي. مقابل هذا تضاعفت أعمال المقاومة الوطنية التي أصبحت بتسليح جيد وثياب عسكرية، وهي تنتزع على كامل مناطق البلد، ورغم مطاردة القوات الاستعمارية لها إلا أن هذه الأخيرة لم تحقق نتائج تذكر، في المقابل تسببت سياستها القمعية في إصابة العديد من المدنيين العزل وإعتقال العشرات منهم بحجة دعم الثوار (1).

عموما تسعى السلطات الاستعمارية لمراوغة ومخادعة الشعب التونسي بإجراءات تهدئة عوضت بها سياسة العنف والقوة، وذلك بتصريحات ووعود وإطلاق سراح بعض المعتقلين من رجال الحركة الوطنية أو التخفيف عن الزعيم " بورقيبة " بنقله إلى مكان آخر به ظروف إقامة أحسن.

وأخيرا إستجابت السلطات الفرنسية فقامت بنقل بورقيبة من جزيرة " جالطة " إلى جزيرة " لأكروا " La Croix التي تقع على سواحل مقاطعة بروتانيا La Bretagne في فرنسا، وقد إستاء التونسيون للمعاملة الشاذة التي يعامل بها زعيمهم، الذي لم يقدم لا للمحاكمة، ولم تصدر ضده أي أحكام مما دفع بالشعب التونسي ومن ورائه الصحافة الوطنية للمطالبة بإطلاق سراحه، وتم الإعلان عن إضراب عام في كامل التراب التونسي للضغط على السلطات الاستعمارية في هذا الاتجاه والتي تعتقد أن ما قامت به يعتبر عمل إنساني ومظهر تسامح من جانبها وإستجابة لرغبة الأمة (2).

¹ - " البصائر"، العدد 272، الجمعة 26 ماي 1954م، ص: 15. في 2 مارس 1954 أعلنت السلطات الاستعمارية عن العفو العام على المحكوم عليهم سياسيا، لكن القرار بقي حبرا على ورق مع بقاء المعتقلات والمحتشدات خصوصا في الجنوب، أكثر من هذا سوف يتم تنفيذ حكم الإعدام في المناضلين المتهمين بأحداث موقنين. أنظر: GOUSS AUD. FALGAS, op.cit, P : 26

² - " البصائر"، العدد 273، الجمعة 28 ماي 1954م، ص: 25.

تبقى السياسة الاستعمارية نفسها دون تغيير فهي تساهم في الإبقاء وإستمرار الاضطرابات التي تعرفها تونس من خلال التمسك بنفس الأهداف وفي مقدمتها الإبقاء على سيطرة أقلية فرنسية مستوطنة على حقوق شعب وبلد بكامله، وهي تحاول إيهام الرأي العام بتغيير أساليبها ووسائلها، وهي تتحمل كامل المسؤولية على ما يحدث منذ أن تراجعت عن وعودها على لسان وزير خارجيتها " روبرت شومان " في خطابه الشهير في مدينة تنونفيل⁽¹⁾. ثم يتم التراجع عن تلك الوعود برسالة " مورييس شومان " بتاريخ 15 ديسمبر 1951م⁽²⁾.

فكما إزدادت السياسة الاستعمارية قسوة وعنفا تزداد المقاومة التونسية صلابة ومتانة. فسياسة التنكيل والترهيب التي أتبعها " دي هوتكلوك " والتي تسببت في تحوّل المقاومة من سلمية إلى مقاومة مسلحة وأدت إلى إنتشار كتائب " الفلاقة " في الشرق والغرب والجنوب وتبنيها لحرب العصابات التي عجزت القوات الاستعمارية على مجابهتها. من هنا حاول الاستعمار إدخال إصلاحات هامشية بتغيير المقيمين العاميين، فتم تعيين " فوزار " بدل " دي هوتكلوك " دون أن يغيّر من سياسته التي تركز على تمكين الأقلية الفرنسية المقيمة في تونس من حق التشريع بواسطة مجلس منتخب من الدرجة الأولى يخضع له المقيم العام مباشرة⁽³⁾.

أن فقدان الشباب التونسي للأمل في التحرّر ومستقبل يحقّق فيه طموحاته أمام تعنّت وترهيب سياسة إستعمارية دفعه إلى الإلتحاق بالرجال و فرق وكتائب المقاومة الوطنية المسلحة فكان جواب الاستعمار والمستعمرين العودة إلى أساليب الاغتيالات كما حدث مع الشهيدين " فرحات حشاد " و " هادي شاكر "، فقد قام غلاة الاستعمار بإغتيال الأخوين

¹ - جاء هذا التصريح من وزير الخارجية الفرنسي "روبرت شومان " في 10 جون 1950م، والذي تعهد فيه بأن فرنسا سوف تقود البلاد التونسية إلى الاستقلال. أنظر: Charles André Julien, op.cit, P : 166

² - هي عبارة عن رسالة للحكومة التونسية في شكل مراسلة رسمية لإعطائها الصبغة القانونية وذلك في 15 ديسمبر 1951م. أنظر: Hedi BACOUCH, op.cit, P : 63

³ - " البصائر"، العدد 274، الجمعة 11 جوان 1954م، ص: 29.

" إِبني حفوز " في وسط تونس لمجرد التهريب، ولم يتعرض القتلة لأي إزعاج من طرف الإدارة العملية، فجاء الرد من فرق " الفلاقة " بإغتيال ثلاث مستوطنين إنتقاما للأخوين، فيزداد هيجان المستوطنين ويحملون حكومتهم مسؤولية عجزها في الدفاع عنهم من خلال القيام بمظاهرات عارمة ضاغطين على الحكومة لمزيد من العنف والقوة. فإستجابت هذه الأخيرة بإرسال المزيد من الدّعم العسكري سواءا من فرنسا، أو الجزائر، وتشكلت " فرق الدفاع الذاتي " وتم تسليحها، لتتحول تونس إلى ميدان للحرب، ويتم التنسيق مع غلاة الاستعمار في الجزائر فعامل عمالة قسنطينة يعقد مجلسا حربيا في تونس مع رجال السلطتين المدنية والعسكرية لتشديد الخناق على الحدود الجزائرية خصوصا من جهتي تبسة وسوق أهراس (1).

وختمت " البصائر " مقالها بتوجيه رسالة نصح مفادها أن هذا الوضع لايزيد البلاد إلا تأزما، ما لم تبادر فرنسا بإلغاء " إصلاحات " 4 مارس الاندماجية، وإلغاء مرسوم 15 ديسمبر والرجوع إلى خطاب " تيوفيل "، وضرورة التفاوض مع الممثلين الحقيقيين للشعب التونسي، وما لم يرجع الباي إلى سياسة الشورى ومجلس الأربعين، وخطاب 15 ماي منذ ثلاث أعوام الذي وقف فيه الباي وساند مطالب الحركة الوطنية، كل ذلك سوف يزيد من صمود الشعب التونسي الذي لن يتنازل عن حقوقه في التحرّر والإعتاق مثله مثل جميع شعوب المغرب العربي، أسوة بشعوب آسيا التي تحرّرت أغلب بلدانها بينما تقف فرنسا في وجه عجلة التاريخ الذي لن يرحمها (2).

10- إنعكاسات الاضطرابات في كل من تونس وفرنسا على القضية التونسية:

تستمر سلسلة سقوط الحكومات وقيام أخرى في فرنسا، فبعد وزارة " جوزيف لاينال " قامت وزارة بيار منديس فرانس Pierre Mandes France وجاء في أول تصريح لهذا الأخير

¹ - " البصائر"، العدد 274، المصدر السابق، ص: 32.

² - المصدر نفسه، ص: 32.

رؤيته لحل قضيتي المغرب وتونس، دون أن يشير أو يولي أي إهتمام للقضية الجزائرية وعدم ربطها بجيرانها.

أما في تونس فقد جاءت إستقالة وزارة " محمد مزالي " ⁽¹⁾ التي سايرت المقيم العام الجديد في إصلاحاته، لكن رفض الشعب التونسي لها ومعه القوى الوطنية أربك هذا الأخير، فهل سوف يواصل تنفيذ إجراءاته العسكرية لمواجهة نشاط المقاومة المسلّحة، وماهي التدابير التي سوف يتخذها في حق أعضاء الوزارة المُستقيلة ⁽²⁾.

مع الإشارة أن أول المستقيلين هو السيد " محمد سعد الله " وزير المؤسسات الإسلامية وبرّر إستقالته برفض الشعب التونسي لتلك الإصلاحات وأن البلد في شبه حرب، ليأتي بعدها إستقالة الوزارة بكاملها. موازاة مع ذلك زاد إتساع نشاط المقاومة المسلّحة في كامل أرجاء الوطن، مع نقل خبر سقوط 10 شهداء من جانب الثوار في منطقة الكاف، وإستيلاء الجنود الفرنسيين على مكن لهم وجدت فيه بعض الأسلحة، كما تم العثور على علم تونسي وضعه الثوار وهو عبارة عن شريطين أحمرين يتوسطهما شريط أخضر في وسطه هلال ونجمة أبيضان، ولقد وصل جماعة من الثوار إلى " جبل بوقرنين " المشرف على مدينة تونس من ناحية " حمام الأنف "، لكن الجيش الاستعماري لم يعثر لهم على أثر، كما كثرت المنشورات والمعلقات التي تحمل إمضاء " ساسي الأسود " أحد زعماء المقاومة المسلّحة ⁽³⁾.

نشاط المقاومة المسلحة وتضاعف عمليات الإغتيالات في جهات عدّة من تونس، يقابله مزيد من القمع والترهيب الاستعماري بإعتقال آلاف المواطنين الأبرياء والزّج بهم

¹ - جاءت إستقالة حكومة " محمد مزالي " في 16 جوان 1954م إثر تعرضه لمحاولة إغتيال بعد ثلاثة أشهر ونصف على رأس الحكومة. أنظر: GOUSS AUD FALGAS, op.cit, P : 27

² - " البصائر"، العدد 276، الجمعة 25 جوان 1954م، ص: 50.

³ - " البصائر"، العدد 276، المصدر السابق، ص: 50.

في المعتقلات، مع فرض الإقامة الجبرية على أعضاء الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد.

أما المقيم العام " بيار فوازار " فقد توجه إلى باريس للتشاور وتلقي التعليمات من حكومة " منديس فرانس " التي وعدت التونسيين من تمكينهم من الحكم الذاتي ⁽¹⁾.

ودعما لهذا التوجه جاء تصريح السيد " أندري فيليب André Philipe "، وهو من زعماء الحزب الاشتراكي منتقدا تعامل الحكومة الفرنسية ⁽²⁾ مع قضيتي تونس والمغرب في 21 جوان 1954م بمدينة "أفيون " Avion " أمام الرابطة الاشتراكية قائلا: " يجب أن لا يتكرر في تونس والمغرب ما وقع لنا من أخطاء في الهند الصينية، وأني على يقين أن الطرق التي سلكتها منذ سنتين لم تؤدي إلاّ للهلاك والدمار، فمشكلة تونس كانت سهلة الحل، ولكن سياسة القمع والزجر، التي سرنا عليها فيها كانت سياسة مجنونة تخالف تماما أسس الثورة الفرنسية، ومبدأ حقوق الإنسان وإذا أردنا أن لا يقع في الشمال الإفريقية ما وقع لنا في الهند الصينية مما نشكوه اليوم من الكوارث وإرتباك الأحوال، فعلينا بالمبادرة إلى البحث عن سياسة أخرى " ⁽³⁾.

مع الإشارة أن هذا التصريح جاء أيام قليلة بعد سقوط حكومة " لاينال " وتولي رئاسة المجلس "منديس فرانس"، الذي أعلن بأنه لا يرى رجال الحركات الوطنية في أقطار ما وراء

¹ - " البصائر"، العدد 277، الجمعة 2 جويلية 1954م، ص: 58

² - يقصد بها حكومة " جوزيف لاينال " Josèphe Laniel وزير خارجيته " بيدو " Bidault ".

³ - " البصائر"، العدد 2277، المصدر نفسه.

برزت العديد من الشخصيات والكتاب الفرنسيين الذين نددوا بسياسة القمع وفشلها خصوصا إثر هزيمة فرنسا في الهند الصينية، ونادوا بضرورة الحوار والتفاوض، منهم المؤرخ " شارل أندري جوليان " " ألان سفاري "، " كلود بوردي "، ولويس بيريلي . أنظر:

Amor CHADLI, op.cit, P : 66

البحار أعداء لفرنسا إلى حد أن نرفض كل تفاهم معهم بل هم الخصوم الذي يجب حل المشاكل القائمة معهم عن طريق التفاهم (1).

لتستمر سياسة الاغتيالات وعمليات الانتقام، فبعد سقوط العديد من القتلى التونسيين في مقهى " الوطن القبلي " إثر إطلاق النار عليهم، جاء ردّ الفعل والانتقام من المقاومة بإطلاق نار رشاشاتهم على حافلة أوروبية في مدينة " بنزرت " وهي معقل البحرية الفرنسية، وكذلك إطلاق النار على مقهى رواده فرنسيون سقط منهم ثمانية قتلى و 18 جريح، مع تزايد نشاط " الفلاقة " أو الثوار التونسيين في شتى المناطق، وحسب الناطق الرسمي للسفارة فقد سقط من هؤلاء المقاومين خمسين قتيلا، وأن عدد الذين يلبسون اللباس العسكري النظامي يبلغ خمسمائة رجل (2).

أما في الجانب السياسي فقد قبل " الباي " إستقالة حكومة " مزالي " نهائيا، وتم الاتفاق مع حاشيته على عدم تشكيل حكومة جديدة حتى تتوضح النوايا الفرنسية ومدى إستجابتها لرغائب الشعب التونسي (3).

11- تفاؤل " البصائر " بوصول " منديس فرانس " للحكم وحل القضية التونسية:

لقد أبدت جريدة " البصائر " تفاؤلا بحل القضية التونسية منذ تولي " منديس فرانس " رئاسة الحكومة خصوصا بعد فراغه من قضية الهند الصينية إثر الإمضاء على معاهدة جنيف 20 جويلية 1954م وانتهت بإعتراف فرنسا بإستقلال بلدان المنطقة وإنسحابها نهائيا. تبعه حصول الحكومة على ثقة البرلمان الفرنسي، ليجعل من أولوياته الوصول إلى حل بتحقيق الحكم الذاتي لتونس مع الإبقاء على تحكّم الفرنسيين في المجالات الاقتصادية

1 - " البصائر"، العدد 277، المصدر السابق.

2 - " البصائر"، العدد 279، الجمعة 16 جويلية 1954م، ص: 73.

3 - هناك سبب آخر في عدم تشكيل حكومة تونسية جديدة، رغم محاولات المقيم العام " بيار فوازار " تحقيق ذلك وهو رفض كل الشخصيات التونسية التي عرض عليها تولي هذا المنصب. أنظر: عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص: 536.

والعسكرية. لتتواصل في تلك أثناء عمليات الاغتيالات منها إغتيال الدكتور " عبد الرحمان مامي " في مدينة " المرسى " وهو طبيب الباي، فرد عليها التونسيون بإغتيال طبيب فرنسي في سوسة. (1)

وقد أوردت صحيفة " البصائر " في هذا العدد نقلا عن الناطق بإسم السفارة الفرنسية إحصاء لضحايا المواجهات في تونس في الفترة الممتدة من 19 مارس إلى 23 جويلية 1954 كما يلي:

- ضحايا الاغتيالات من التونسيين والفرنسيين 74 ضحية.

- الجرحى 87.

- أعوان السلطة الذين قتلوا 21- الجرحى 52.

- عدد المفقودين 5.

- الثوار الذين إستشهدوا 60- عدد الجرحى اللذين أُلقي عليهم القبض 2 (2).

جاء التصريح الذي أدلى به " منديس فرانس " من قصر الباي، في 31 جويلية 1954م (3) حول قبول فرنسا بالحكم الذاتي لتونس، وقد رحبت به الجريدة وإعتبرته خطوة هامة في طريق حل القضية التونسية التي عانت من الجمود بسبب عدم وفاء الحكومات الفرنسية المتعاقبة بتعهداتها، ويأتي تفاؤل الجريدة بإمكانية الوصول إلى حلّ أن ورقة العمل والبرنامج السياسي الذي حدّده "منديس فرانس " في خطابه يوم 31 جويلية، يعتبر إستجابة للحدّ الأدنى للبرنامج الذي حدّده الحزب الدستوري الجديد، وصرّح به زعيمه "حبيب بورقيبة" في العديد من المناسبات والذي يركز على ثلاث نقاط هي:

¹ - " البصائر"، العدد 281، الجمعة 30 جويلية 1954م، ص: 88.

² - المصدر نفسه، حول نشاط المقاومة المسلحة وإحصاءات المعارك والمواجهات ونتائجها. أنظر: عبد الكريم عزيز، ص ص: 428-433. عادل يوسف، ص: 65.

³ - حول ملابسات التحضير لخطاب "منديس فرانس " ومحتواه في قصر قرطاج 31 جويلية 1954م. أنظر: Jean LACOUTURE, op.cit , P : 25.

أولها: وحدة السياسة التونسية وإلغاء فكرة السيادة المزدوجة التي وردت في رسالة 15 مارس 1951م، ثانيا: إستقلال التونسيين داخليا وتسيير شؤونهم العامة بإشراف مجلس وزاري تونسي بحت لا أجنبي فيه ويشرّع لها مجلس وطني تونسي منتخب، ثالثها: الإبقاء على الشؤون العسكرية والسياسية الخارجية بيد فرنسا واحتفاظ الفرنسيين المقيمين في تونس بحقوقهم إقتصاديا وقضائيا (1).

12- تشكيل حكومة طاهر بن عمار التفاوضية حول الحكم الذاتي:

وجاء تشكيل حكومة " طاهر بن عمار " التفاوضية للوصول إلى إتفاق ليس سهلا أمام العقبات والصعوبات التي تقف في طريقه وفي مُقدمتها حسن النية، الطرف الفرنسي الذي عودنا على عدم الوفاء بوعوده والمراوغة كما أنّ الوفد التونسي يتحمّل عبء مسؤولية كبيرة في عدم التفريط في حقوق الشعب التونسي الذي منحهم الثقة للتفاوض بإسمه، فلا يمكن الإفراط في التفاوض فعملية صعبة، مع الإشارة أنّه حدّد شهر سبتمبر المقبل بداية تلك المفاوضات والتي سوف تشمل سبعة إتفاقيات إن تمّ التوافق عليها وقبلها الشعب التونسي وصادق عليها البرلمان الفرنسي وبعدها يمكن القول بأن القضية التونسية وجدت حلا معقولا (2).

ورد خبر مختصر في منبر السياسة العالمية حول إنعقاد مؤتمر في تونس يوم الاثنين 4 أوت 1954م تحت رئاسة الباي الأمين بمشاركة وزراء الحكومتين التونسية والفرنسية والخبراء الفنيين من الجانبين، من أجل التحضير لأولى جولات التفاوض حول الحكم الذاتي لتونس وقد أشار رئيس الوزراء " طاهر بن عمار " بأهمية هذا اللقاء (3).

¹ - " البصائر"، العدد 282، الجمعة 27 أوت 1954م، ص: 96.

² - جاء تشكيل حكومة " الطاهر بن عمار " التفاوضية في 4 أوت 1954م، حول شخصية رئيس الحكومة الجديدة وظروف تشكيل حكومته والوزراء المشكلة منهم. أنظر: Habib BOULARES ; op.cit., PP : 652-654.

³ - " البصائر"، العدد 283، الجمعة 3 سبتمبر 1954م، ص: 112.

على أنّ أهمّ ما ورد في هذا العدد هو التصريح الذي أدلى به الأستاذ فضيل الورتلاني، لجريدة " صوت العرب " الصادرة في 8 أوت 1954م، وجاء تحت عنوان سياسة فرنسا الاستعمارية في المغرب العربي وسوف أنقل أهمّ ما ورد فيه والذي له علاقة بالقضية التونسية، والذي جاء في شكل أسئلة وأجوبة. فحول سؤال عن موقف الرأي العام نحو مستقبل مستعمراتهم، جاء الجواب بأنه رغم وجود عشرات الأحزاب والهيئات من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار مروراً بالوسط واختلاف مواقفهم في الشؤون الداخلية والخارجية، إلا أنّ موقف المسؤولين من مستقبل المستعمرات يكاد يكون واحداً، أو على الأقل متقارباً في الرأي على ضرورة المحافظة على ملكيتها والتمسك بخيراتها والموت على الخروج منها⁽¹⁾.

والكلّ واقع تحت تأثير فئات ثلاث:

الفئة الأولى: الاستغلاليون من أرباب رؤوس الأموال الصناعيين من أجل المواد الخام، وتصريف منتجاتهم.

الفئة الثانية: هم المستوطنون المقيمون في المستعمرات نفسها، لأنهم أصبحوا بمرور الزمن ملوكاً من غير تيجان.

الفئة الثالثة: هم العسكريون فكبار الجنرالات الذين نشأوا وعاشوا طول حياتهم في أودية من الدماء لا يطيقون حياة من غير تلك الخراف في المستعمرات. وبعد أن استثنى الحزب الشيوعي الذي أعلن رأيه مراراً في إستقلال المستعمرات، يأت بعده الحزب الاشتراكي المتروك بين المبادئ والمصالح، أما رجل الشارع الفرنسي فرغم طابع الطيبة المتغلب عليه فإنه منشغل بالمشاكل اليومية والحياتية على حساب المستعمرات⁽²⁾.

¹ - " البصائر"، العدد 283، المصدر السابق، ص: 112.

² - المصدر نفسه، ص: 116.

أما حول سؤال دوافع خروج فرنسا من سوريا ولبنان والهند الصينية، فكان الجواب أنها إخراج وليس خروج فقد أجبروا تحت ضربات مقاومات شعوب تلك البلدان والخسائر العسكرية والبشرية والمالية التي لحقت بهم، ليأتي السؤال عن أهم شيء أرادت الصحيفة التعرّف عليه وهو موقف " الورتلاني " من الاتفاقية المعروضة على تونس اليوم وهل فيها تطوّر ما من جانب فرنسا، فكان الجواب أن خطوة " منديس فرانس " فيها شيء من التطوّر في الشكل دون المضمون والجوهر، ويتمثل في تنقله شخصيا إلى تونس ليعرض على رئيس البلد إقتراحا يراه هو على الأقل صالحا ليكون أساسا للتفاهم والتسوية وهذا هو التطور أو الجديد.

ففكرة التكبر و الاستعلاء هي ما يجمع الساسة الفرنسيين من صغيّريهم إلى كبيرهم، وقد يكون هذا التطرف نتيجة خلق شخصي للسيد " منديس فرانس "، أما التطوّر الجوهرى فغير ملموس وحتى يكون الغرض جادا لا بدأن يشمل على النقاط التالية:

أولاً: إطلاق سراح جميع المسجونين والمعتقلين السياسيين وعلى رأسهم " حبيب بورقيبة " والوزراء المنفيين والمشردين " صالح بن يوسف " و " محمد بدرة " وإطلاق جميع الحريّات بما فيها الصحافة والتجمعات، وإصدار عفو عام عن المتهمين في جميع حركات المقاومة.

ثانياً: عدم إجبار التونسيين على قبول عرض فرنسا وأنهم في حالة الرفض يتعرّضون لأشد أنواع التنكيل⁽¹⁾.

ثالثاً: أن يعلن الوزير المكلف بتونس والمغرب - يقصد به كريستيان فوشي Christian Fouchet - مباشرة بعد تصريح " منديس فرانس " برفع القوات الفرنسية المربطة في تونس من 17 ألف إلى 30 ألف من الجنود للفتك والتنكيل⁽²⁾.

¹ - " البصائر"، العدد 283، المصدر السابق، ص: 116.

² - المصدر نفسه.

رابعاً: أن التطور الحقيقي يفضي بأن يفهم الفرنسيون أن بلاد المغرب العربي وطن واحد وأن قضاياها واحدة وأن الأمة واحدة وأمالها كذلك وأن المعتدي عليهم واحد فكان يجب أن يكون العرض قد تنبه إلى هذا المعنى العميق فشمله بلغته هي إعادة السلطان الشرعي سيدي " محمد بن يوسف " لمراكش حالاً.

أما الإشارة فكان يكفي أن يقول أن العاقبة العاجلة للجزائر ومراكش، لو فعل رئيس فرنسا هذا لاعتبر عمله خطوة جوهريّة في تطور العقلية الفرنسية بحق⁽¹⁾.

عادت جريدة " البصائر " هذا الأسبوع من منبر " السياسة العالمية " بتخصيص مقال " لتونس " تحت عنوان " فلسطين جديدة " بقلم "أبي محمد" كانت بداية الإشارة إلى إستمرار المباحثات في باريس حول الحكم الذاتي بين ممثلي الوزارة التونسية والفرنسية وهذا الطرف الأخير وضع قيوداً أو عراقيل أثقلها هو الاعتراف " بالحقوق " للجالية الفرنسية أو ما يعرف بالسيادة المشتركة⁽²⁾ Le Cosouvrèinté وهي أخطر من قيود معاهدة باردو 1882م وينبه صاحب المقال الطرف التونسي إلى خطورة هذه المؤامرة الفرنسية وضرورة تجنّبها، والتي تجعل من حق مغتصب حقاً شرعياً.

كما أشار صاحب المقال إلى خطر آخر يهدد تونس حالياً ولا يهتم به الكثير ويقصد به الجالية الفرنسية في تونس فنسبتها حالياً 8% من مجموع سكان تونس يتحكمون في جميع منابع الثروة وأجود الأراضي والسلطة المطلقة في الإدارة، لكن عددهم يمكن أن يتضاعف بسبب مغادرة إخوانهم الهند الصينية - إثر هزيمة فرنسا - نحو المغرب العربي وقد كان للجزائر النصيب الأوفر منهم، ولكن لتونس نصيبها أيضاً حيث تصبح وطناً لهم،

¹ - البصائر"، العدد 283، المصدر السابق، ص: 116.

² - قضية فرض فرنسا الشراكة الفرنسية التونسية La Cosouvreainté تعود إلى بداية 1953م ، والانتخابات البلدية المعروفة Caidales التي حاول المقيم العام الفرنسي فرضها على الشعب التونسي. أنظر: Abdelljalil TEMMEMI, cinq ... op.cit., PP : 287-289.

كما أصبحت فرنسا وطنًا للتونسيين ويقصد به الاندماج والذوبان، فعلى التونسيين أن يتعضّوا بمأساة فلسطين، وعلى الوفد التونسي المفاوض أن تجعل من قضية غلق أبواب " الهجرة " الفرنسية والأوروبية إلى تونس شرطًا أساسيًا لعقد أي إتفاق مع فرنسا ⁽¹⁾.

إضافة للنشاطات السياسية وتحديدًا تطور القضية التونسية التي نالت الحيّز الأكبر من إهتمامات جريدة " البصائر " سعت هذه الأخيرة إلى إعلام قرائها بالنشاطات التعليمية الدينية والثقافية، وهذا بتخصيص مقال مطوّل في عدد هذا الأسبوع تحت عنوان " إنتصار الزيتونيين وتحقيق آمالهم تناول الموضوع إحتفالية كبيرة جرت في تونس أبطالها طلبة جامع الزيتونة بإشراف لجنة " صوت الطالب الزيتوني " بتوجيه من الإمام العلامة " طاهر ابن عاشور "، ومشاركة " لمين باي " ورئيس الحكومة " طاهر بن عمار " وأعضاء وزارته حيث وضع " الباي " حجر الأساس لبناء الجناح الأول من أربعة أجنحة لكلية الزيتونة ويمكن لها إستقبال 4 آلاف طالب وهي الخطوة الأولى في بناء جامع الزيتونة العصرية ⁽²⁾.

في آخر صفحة عدد هذا الأسبوع خصّص مقال مطوّل بعنوان " سير الحركة العلمية والثقافية بتونس " لصاحبه " علي الجندوبي " الذي خصّصه لإفتتاح الموسم الدراسي للجامعة الزيتونية بعد إضراب دام لأشهر وأدى إلى وضع حجز الأساس للكلية العصرية الزيتونية، مع الإشارة إلى الإقبال الكبير على التسجيل فيها خصوصًا الإناث الذي تجاوز عددهن 300 طالبة. كما يطالب صاحب المقال بتطبيق القانون خصوصًا القانون الملكي الصادر في جوان 1947 الذي أعطى للزيتونة شخصيتها المدنية وساوى بين موظفيها وأساتذتها مع

¹ - " البصائر"، العدد 287، الجمعة 1 أكتوبر 1954م، ص: 163.

² - " البصائر"، العدد 290، الجمعة 22 أكتوبر 1954م، ص: 162-163 حول جامعة الزيتونة وتطوّر التعليم فيها ودورها في النضال الوطني التونسي. أنظر: محمد قريمان، المرجع السابق، ص: 291.

هيئة موظفي وأساتذة النظام التعليمي العام ومع الأسف لم يلاقي الزيتونيين من مختلف المراجع الحكومية معاملة تمييزية تباعدتهم عن الوضعية الذي أقرّها التشريع التونسي لهم (1).

كما أشار صاحب المقال إلى نشاط الطلبة الجزائريين في جامع الزيتونة، منها مهرجان أقامه هؤلاء من على منبر معهد "ابن خلدون" تكريما للشاعر الأديب "منور صمادح" وتحدث فيها نخبة من الأدباء ذكرت الحاضرين برابطة القلم التي أسسها رجال سابقون مروا على جامع الزيتونة أمثال الأساتذة: أحمد توفيق المدني، طاهر الجواد، زين العابدين السنوسي.

بلغ عدد طلبته في إفتتاح أبواب الحي الزيتوني 650 طالبا في نظام داخلي من إيواء وأكل، وتسيير عصري ومراقبة أبوية لمدير الحي الشيخ "شاذلي ابن القاضي" ويطالب المشرفون على جامع الزيتونة وعلى رأسهم الشيخ "عبد العزيز جعيط" من رئاسة الوزارة بإستقلال ميزانية الحي الزيتوني مثل بقية المعاهد الأخرى.

كما توجه أربع طلبة من الجزائر إلى الشرق وهم الناجحون في مناظرة الإرساليات الزيتونية وكان من المقرر إرسال 20 طالبا في كل سنة حسب مجلس الإصلاح، وأصبح في الزيتونة 60 طالبا بين أحرار ورسميين في الشرق ينالون الإعانة من الدولة التونسية والمعهد الخلدوني ومجموع هؤلاء سيتخصصون في العلوم العصرية، ليعودوا بعد ذلك ليلتحقوا بالكلية الزيتونية العصرية وغيرها من المعاهد (2).

¹ - " البصائر"، العدد 294، الجمعة 5 نوفمبر 1954م، ص: 196.

² - نفس المصدر.

نقلا عن الصحف ووكالات الأخبار أن أهم الأحداث التي تخص تونس، الأول هو الإعلان في باريس عن مشروع إتفاق بين الحكومتين التونسية والفرنسية حول إيجاد حل لمشكلة " الفلاقة " في التراب التونسي (1).

الحدث الثاني هو البيان الذي أذاعه الحزب الحر الدستوري الجديد إثر إجتماعه المنعقد في تونس وعبر فيه عن موقفه من " الفلاقة " بإعتبارهم وطنيين مقاومين لا عصابات لصوص أو قطاع طرق، وهو ما أثار ضجة في الأوساط المسؤولة بباريس ، وقد يكون ذلك وسيلة ضغط من الوفد المفاوض حول الحكم الذاتي، وإن كان هذا الموقف غير ثابت فقد أثبتت الأحداث أن بورقيبة وجماعته خصوصا وزير الداخلية قد ضربوا بيد من حديد على هؤلاء المقاومين ووصل الأمر إلى إعدام عدد منهم إثر رفضهم إتفاقيات الحكم الذاتي ومواصلتهم الكفاح المسلح ملبيين نداء " صالح بن يوسف " (2).

13- قضية تسليم سلاح المقاومة وموقف البصائر منها:

أمّا حول قضية تسليم سلاح " الفلاقة " حسب المصطلح السياسي المستعمل آنذاك أو المقاومين أو الثوار حسب التعريف الوطني حيث اعتبرته الجريدة إنتصارا وفوز حقيقي للحكومة التونسية مَعْبَرَة أن وقف القتال بسليباته يفيد الحكومة أكثر من إيجابياته لو إستمرت المقاومة المسلحة (3).

وبعد أن أشارت الجريدة إلى بدايات المقاومة المسلحة منذ ثلاث سنوات، وتغلغها في كامل جهات البلاد، فقد رفض الثوار إلقاء سلاحهم وعرض " الأمان " المقدم لهم إثر المفاوضات التونسية الفرنسية عن طريق ممثل فرنسا الجنرال " لا تور " La Tour " المقيم

¹ - حول ملابسات وظروف وضع سلاح المقاومة مقابل حصول أعضائها على العفو وموقف الأطراف التونسية. أنظر: Jean LACOUTURE, op.cit., P : 162.

² - " البصائر"، العدد 295، الجمعة 3 ديسمبر 1954م، ص: 203.

³ - " البصائر"، العدد 297، الجمعة 17 ديسمبر 1954م، ص: 216.

العام، وكانت سبباً في تآزم الوضع باتهام فرنسا للطرف التونسي بأنه يلعب لعبة مزدوجة، فهي تفاوض في باريس وتشجّع الفلاقة في تونس على المقاومة والثبات⁽¹⁾.

وكاد يعصف بالمفاوضات نهائياً خصوصاً في غياب " منديس فرانس " المتواجد في الولايات المتحدة الأمريكية وقد إستغل رجال المال والسياسة وهم أعداء رئيس الحكومة الفرنسية وأعداء الحرية التونسية هذه الفرصة لقطع خيط الأمل الرقيق.

ودائماً حسب الجريدة فإن حنكة المفاوضين التونسيين هي التي أنقضت الموقف بحيث إقترحوا أن تتولى الحكومة التونسية التفاهم مع الثائرين وأن يكون عرض الأمان بإسم الباي وأن يكون شاملاً، مع وقف العمليات العسكرية الفرنسية والتي جندت لها خمسين ألف (50) ألف جندي فوافق عليه الباي وكذلك منديس فرانس وحدد أجل للعملية بيوم 10 ديسمبر⁽²⁾.

وكللت العملية بالنجاح بإشراف لجان مشتركة فرنسية فرنسية، ومجموع من سلّموا أسلحتهم بلغ 2713 رجلاً⁽³⁾ وحسب الجريدة فقد إنتهى أمر الفلاقة والحقيقة أن المقاومة المسلحة إستمرت بعد ذلك من طرف من رفضوا وضع السلاح ومعه مشروع الحكم الذاتي وأعلنوا ولائهم لصالح بن يوسف وتشكيل خلايا الأمانة العامة⁽⁴⁾.

¹ - هذا الموقف يتناقض مع تصريحات "حبيب بورقيبة" وموقف الحزب الدستوري الجديد للصحافة بأن لا علاقة لهم بأحداث العنف التي تقع في تونس وهذا حتى قبل مجيء " منديس فرانس " وإقتراحه للحكم الذاتي. أنظر: منصف الشابي، المرجع السابق، ص: 156.

² - في الحقيقة قضية وضع سلاح المقاومة طرحها الوفد الفرنسي في ثاني يوم لبدأ المفاوضات أي 19 أوت وتم تجاوزها إثر لقاء سرّي تم في منزل الصحفي " شارل قامبو " Charles Gambault " بين الحبيب بورقيبة ومنديس فرانس. أنظر: Amor CHADLI, op.cit ; PP : 70-71.

أمّا السبب الرئيسي الذي أطال المفاوضات فيخص الفصل السادس من الاتفاقيات والذي يخص كيفية تمثيل الفرنسيين في الدوائر البلدية. أنظر: Habib BOULARES, op.cit., P : 655.

³ - وهو نفس العدد الذي ورد في إحصاء رسمي لأركان الجيش الفرنسي. أنظر: المنصف الشابي، ص: 158 .

⁴ - حول قضية رفض بعض المقاومين وضع السلاح وإستمرار المقاومة وتشكيل خلايا الأمانة العامة. أنظر: Alger républicaine, Mardi 4 janvier 1955.

عموما يصل صاحب المقال إلى ثلاث فوائد حققتها هذه العملية لصالح القضية التونسية أنّ هذه الأخيرة برهنت بأن باستطاعتها تبني أسلوب القوة والسلاح في وجه العدو. ثانيا أن هؤلاء المقاومين يمثلون حقّا جيشاً نظامياً مدرباً ومسلحاً يدافع عن قضية وليسوا لصوص أو قطاع الطرق وثالثاً أن هؤلاء الثوار لا يعترفون إلا بسلطة ملكهم "الباي" الشرعية وحكومته ولا يتلقون الأوامر إلاّ من عنده (1).

وفي نفس المقال وتحت عنوان لدى هيئة الأمم المتحدة وردت معلومة هامة حول إنقلاب وقع في الدوائر العربية، جعل القضية التونسية تؤجل بطلب نفس تلك الدول، إلى الدورة الموالية والسبب أن " منديس فرانس " إستطاع إقناع السيّد "شارل مالك " مندوب لبنان بأفكاره ومشروعه بالشمال الإفريقي وطلب من الدول العربية أن تثق به وتمنحه الوقت الكافي لتحقيق برنامجه فكان له ما أراد، وهذا يعتبر دليل على نفوذ فرنسا داخل الأنظمة العربية خصوصا لبنان وسوريا كما سبقت الإشارة له (2).

ليُختم المقال بعنوان المؤامرة الخائبة أبطالها خصوم الحرّية وأعداء التحرير داخل مجلس الأمة الفرنسي، وهاجموا حكومة " منديس فرانس " هجوما عنيفاً، وأعتبروا وضع سلاح " الفلاقة " وصمة عار في جبين فرنسا وجيشها، وقالوا أننا خسرنا تونس اليوم، وسنخسر المغرب غداً والجزائر بعد غدٍ وإفريقية السوداء ستتبع ذلك حتماً، وإستطاع " منديس فرانس " الصمود والحصول على ثقة البرلمان ولو بأغلبية 29 صوتاً فقط وهي أضعف نسبة تحصل عليها الحكومة منذ قيامها (3).

¹ - " البصائر "، العدد 297، المصدر السابق.

² - سبق وأن وقفت سوريا على الحياد أثناء التصويت على تسجيل القضية التونسية في الأمم المتحدة سنة 1952م. أنظر: Juliette BESSIS : op.cit., P : 208.

³ - " البصائر "، العدد 297، المصدر السابق، ص: 216.

حول الضغوطات التي تعرض لها " منديس فرانس " وحكومة من البرلمان الفرنسي. أنظر: أحمد خالد، المرجع السابق، ص: 335.

من صفحة يوميات الأزمة الجزائرية وهي في الحقيقة يوميات الثورة الجزائرية جاء ذكر هذا الخبر يوم الخميس 16 ديسمبر من الأوراس تأكّد وجود " تونسيان من الفلاقة حسب الجريدة بين من سقطوا قتلًا في الميدان يوم 15 ديسمبر (1).

ما يمكن إستنتاجه أنّ العديد من التونسيين إلتحقوا بصفوف الثورة التحريرية ومنهم من سقط في ميدان الشرف وأن جريدة " البصائر " تتبنى موقف محايد من الثورة الجزائرية وتسميها بالأزمة الجزائرية وإن كانت تحمّل الاستعمار مسؤولية تلك الأزمة.

من يوميات الأزمة الجزائرية ورد خبر يؤكد إلتحاق العديد من المقاومين التونسيين بالثورة الجزائرية حيث تم إكتشاف جثة مقاتل رابع في جبل " خرابة " على الحدود التونسية إثر المعركة التي دارت رحاها يوم الاثنين 10 جانفي 1955م أما الأسرى فكانوا ستة، منهم تونسيان سُلّمَا للسلطة العسكرية بمدينة "الكاف" (2).

14- استمرارية المقاومة التونسية والتحامها بالثورة الجزائرية:

وفي خبر آخر حول وقوع معركة عنيفة على مقربة من الحدود التونسية في مكان يبعد 70 كلم عن منجم "الونزة"، وأسفرت المعركة عن مقتل ثلاثة من الثائرين من مجموع 14 مقاتل وعن جرح خمسة منهم وعن أسر أربعة، ويقال أن بعض التونسيين التابعيين لفرقة "طاهر الأسود" كانوا بين الجماعة (3) مع التذكير أنّ "طاهر الأسود" من قادة المقاومة التونسية الذين رفضوا وضع السلاح وإتفاقيات الحكم الذاتي واعتبرها خيانة لتونس والثورة الجزائرية (4).

1 - " البصائر"، العدد 298، الجمعة 24 ديسمبر 1954م، ص: 228.

2 - " البصائر"، العدد 301، اليوم 14 جانفي 1955م، ص: 251.

3 - المصدر نفسه، ص: 252

4 - Alger Républicaine, mardi 4 janvier 1955، أيضا عمار السوفي، المرجع السابق، ص: 63.

في إفتتاحية هذا العدد وتحت عنوان إلى أين؟ تناولت فيه البصائر الأزمة السياسية في المغرب العربي وإنفجار الوضع في كل من المغرب والجزائر أمام سياسة الهروب إلى الأمام والقمع الذي تمارسه السلطات الاستعمارية على الشعبين، بدل البحث عن حلول سلمية تفاوضية.

أما في الشأن التونسي فإنّ السلطات الفرنسية تسعى بشتّى وسائل الضغط والمماطلة إلى فرض وجهة نظرها في مشروع الحكم الذاتي الذي أفرغته من محتواه ولم يبق للوفد التونسي شيئا وكادت المفاوضات تنقطع في العديد من المرات ويمكن أن يتأزم الوضع وينفجر في أي لحظة (1).

نشرت جريدة البصائر بيانا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتأكيد موقفها الداعم للثورة التحريرية والتتديد بالأعمال الوحشية التي قامت بها السلطات الاستعمارية إتجاه الشعب الجزائري وشاركت بقلمها في التعريف بالثورة شرقا وغربا.

نقلا عن إحدى الصحف الباريسية ورد خبر عزم غلاة الإستعمار القيام بأعمال إستفزازية في كل من الجزائر وتونس ستؤدي إلى تفجير الوضع ممّا يؤثر على سير المناقشات في البرلمان وإحراج الحكومة وفي الوقت نفسه إفشال المفاوضات التونسية الفرنسية.

في إجتماع للحزب الراديكالي صاح "روني ماير René Meyer " في وجه الكاتب "فرانسوا مورياك François Mauriac " (2) المدافع عن قضايا الشمال الإفريقي قائلا له:

¹ - " البصائر"، العدد 302، الموافق لـ 21 جانفي 1955م، ص: 253.

² - "فرانسوا مورياك " أحد أعضاء هيئة فرنسا المغرب الذين إستشارهم " منديس فرانس " في قضية الحكم الذاتي لتونس. أنظر: خليفة الشاطر. المرجع السابق، ص: 168.

" أتحدّك أن تذهب معي لزيارة النخبين الفرنسيين بالقطر الجزائري ". فأجابه مورياك ببرقية جاء فيها: " وأنا أتحدّك أن تذهب معي لزيارة عائلات المسجونين من ضحايا الحوادث الأخيرة في القطر الجزائري " (1).

في إفتاحية هذا العدد تحت عنوان " المستقبل لنا " خصّص المقال لأسباب ودوافع سقوط حكومة " بيار منديس فرانس"، (2) فتؤكد الجريدة أنّ هذا السقوط لم يكن من أجل سياسته التونسية فقد صادقوا عليها من قبل ولم يسقطوه من أجل سياسته الأوروبية فقد جندوا مشروعه الذي يسلّح ألمانيا ويدخلها ضمن " منطقة الدفاع الغربي " ولم يُسقطوه من أجل سياسته الغربية فهو لم يحرك ساكنا وقابلها بجمود مميت ولم يسقطوه من أجل مشاريعه المالية والاقتصادية بالمصادقة عليها وأدخلوها حيّز التنفيذ ولو بأقلية الأصوات والسبب حسب الجريدة هي الزلزال الذي حدث في الجزائر أي ثورة 1 نوفمبر التي فجّرت غيظ المستعمرين ورأت في مشروع " منديس فرانس" الإصلاحي في الجزائر والذي لا يتعدّى تنفيذ قانون 1947م الذي يمنح بعض الحقوق للجزائريين، إعتبروه تعدياً على جزائريهم وفقدان لسلطتهم وإمّيازاتهم ومساواتهم بالأهالي ذلك العنصر التافه الحقيّر في نظرهم طبعاً، فكان إسقاط الحكومة حتى لا تتفدّ هذا البرنامج الإصلاحي وكان سقوط الحكومة بعدم منحها الثقة بـ 319 صوت ضد 273 بنعم في البرلمان الفرنسي (3).

وقد نقلت جريدة " البصائر " خطاب " منديس فرانس " قبل التصويت في البرلمان وقد نقلنا بعض مقتطفاته لأهميتها. قائلاً: "لأنه بعد هذا الهجوم الواقع ضد الحكومة لم يقع أي

¹ - " البصائر"، العدد 304، ليوم 4 فيفري 1955م، ص: 275.

² - كان سقوط حكومة " بيار منديس فرانس " في 6 فيفري 1955م ليتولى رئاسة الحكومة بعده " إدغار فور " في 23 فيفري 1955م.

وحول أسباب ودوافع سقوط الحكومة. أنظر:

- Jean LACOUTURE ; op.cit ;, P : 162

- Ch. Aud JULIEN ; op.cit., P : 190

³ - " البصائر"، العدد 305، الموافق ليوم 11 فيفري 1955م، ص: 277 ص: 01.

أمر جديد منذ مناقشتنا خلال شهر ديسمبر، إنّ الحالة في البلاد الشمال الإفريقي خطيرة، وهي لا تتناسب مع الكلمات النابية التي قيلت لنا... أن السيد "روني مايير"⁽¹⁾ الذي يسلك اليوم معنا سياسة "رفس الحمار" ويعلن عدم الثقة بالحكومة، مسؤول معنا عن كلّ أعمالنا لأنه كان قد صادق عليها فيما سبق، إنّنا نسلك سياسة تعتمد في أن واحد على القوة والكرم.. إنّنا طلبنا إلى القاهرة بإلحاح أن تقلع عن إذاعة "صوت العرب" فيما يتعلق بالهيجان في الجزائر وقد لبّت القاهرة طلبنا وأقلعت منذ شهرين عن مقارعتها... إنّ لنا الآن ببلاد شمال إفريقيا 175 ألف رجل، فهل كنا نستطيع ذلك لولا أننا عقدنا الهدنة في الهند الصينية؟

إنّ سيد "مايير" قد هاجم كاتبنا من أعظم الكتّاب الذين تفخر بهم فرنسا "موريك" لأنه فضح تلك الأساليب الفظيعة يجب أن تنتهي سريعا وفي كلّ مكان إنني أنتقد الذين يقولون بوجوب الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي ويرون تأخير الإصلاح السياسي، فالإصلاح يجب أن يشمل كلّ الميادين في وقت واحد ويجب أن ينفذ ذلك سريعا بدون إنتظار أي شيء"⁽²⁾.

ورد خبر هام جدّا في عدد هذا الأسبوع في صفحة من يوميات الأزمة الجزائرية، ومضمونه إلقاء القبض في الجنوب التونسي على السيد "مصطفى بن بولعيد" يوم السبت 12 فيفري 1955م نقلا عن المصادر الرسمية الفرنسية فإنّ هذا الأخير من أهم وكبار قادة الثورة في جبال الأوراس، ورفيق له يدعى السيد "عمار بن محمّد الفرشيشي" وقد كانا يحاولان اجتياز الحدود التونسية في جهة "بن قردان" ومنها إلى ليبيا وقد حاول أحد المخازنية أن يلقي القبض عليهما لكن أحدهما أرادته قتيلا، فلحقت بهما شردمة من الجند

¹ - "روني مايير" ينتمي للجبهة الشعبية التي ينتمي إليها "منديس فرانس".

أنظر: "البصائر"، العدد 312، الموافق لـ 1 أبريل 1955م، ص: 333.

² - "البصائر"، العدد 305، المصدر السابق، ص: 283

وألقت القبض عليهما، ويقول الرسمىون أن القبض على السيّد " بن بولعيد " هو أهمّ حدث منذ إندلاع ثورة غرّة نوفمبر (1).

من بين أسس السياسة الاستعمارية الفرنسية رجالها التناقض بين الأقوال والأفعال فهذا " إدغار فور Edgar Faure " رئيس حكومة فرنسا الجديد يقف أمام المجلس الوطني الفرنسي يوم الأربعاء 23 فيفري قائلاً: " يجب علينا أن نفتح أبواب الأمل في وجه الشعوب التي تشترك معنا في مصيرنا، إنني تعرفت فوق مقاعد الجامعة كما تعرفتم أنتم، إلى كثير من الشبان التونسيين والمغاربة وينالون الشهادات العليا، ثم يرجعون إلى أوطانهم فلا يجدون أي مستقبل ينتظرهم كما أنّهم لا يجدون ذلك المستقبل في فرنسا... أننا لا نستطيع أن نبقي هؤلاء الناس حولنا بواسطة القوة، فليست هذه عقليتنا....إنّه يجب لإرغام شعب كامل وإخضاعه فتح عدد كبير من المعتقلات وإيصاد أبوابها على الجموع العظيمة على أن لا يخرجوا منها أبداً فقد وقفت سابقا ضد سياسة إلقاء القبض جزافا على الناس في الشمال الإفريقي ولم أكن في ذلك الوقت خاضعا لعاطفة إنسانية فحسب، بل كنت إلى جانب ذلك خاضعا لواقعية عملية(2).

فلماذا يبقى الناس في غيابات السجون ؟ وما هي النتيجة التي نتحصل عليها عندما ننشئ بأنفسنا ضمن السجون الإفريقية مشاتل عديدة من الثورة والبغضاء ؟ إنّما الواجب هو أن نظهر بغاية الجلاء والوضوح لشعوب الشمال الإفريقي أن مستقبلهم إنّما هو هاهنا، معنا فإنّما أن نفتح في وجوههم أبواب الأمل، وإلاّ فإن غيركم سيفتح لا محالة في وجوههم تلك الأبواب"(3).

1 - " البصائر "، العدد 306، ليوم 18 فيفري 1955م، ص: 291.

2 - المصدر نفسه.

3 - نفسه.

وتتساءل الجريدة أنّ هذا الخطاب عبارة عن وثيقة يمكن لأبناء المغرب العربي الاستشهاد بها فالكلام شيء والعمل شيء آخر والكلام بسيط والعمل صعب، والكلام بيد المتكلم والعمل بيد قوم آخرين، وتتساءل الجريدة: هل تفتح أبواب المعتقلات في المغرب وتونس والجزائر على عشرات الآلاف من الشباب والكهول ورجال الرأي والوطنيين ؟⁽¹⁾.

وللمقارنة مع هذا الخطاب نقلت الجريدة جزء من إجابة " إدغار فور " على نواب البرلمان الفرنسي حول ما سوف يقوم به في تونس حيث قال: " سأعمل على إنجاز الاتفاقيات سريعاً " أمّا ما تمّ منها فلا نرجع إليه وأمّا المسائل التي بقيت موقوفة فنعتقد أنه يمكن حلّها دون تنازل مجحف وسنتمكّن بواسطة ذلك من إستمرار الحضور الفرنسي بالبلاد هذا الحضور الذي سوف يستمرّ في التحكّم والسيطرة على تونس وبقيّة بلدان المغرب العربي⁽²⁾.

في يوميات الأزمة الجزائرية ورد خبر عن إنعقاد مجلس الوزراء الفرنسي لتدارس قضايا الشمال الإفريقي، وخصص الجزء الأكبر منها لدراسة الوضعية في تونس وفي المغرب الأقصى حيث إشتدت حركة المقاومة المسلّحة وأصبحت البلاد في شبه حرب داخلية أما الوضع في الجزائر فقد تم تهميشه كلياً والسكوت عنه⁽³⁾.

الملاحظ أن أغلب مصادر الأخبار التي تنقل على صفحات جريدة البصائر من السلطة الاستعمارية سواء تعلّق الأمر بالثورة الجزائرية أو القضية التونسية، واللافت للانتباه أن كلّ تلك الأخبار توصل إلى نتيجة واحدة أنّ السلطات الاستعمارية وأجهزتها المختلفة قد أفشلت كلّ المحاولات الرامية لتوحيد صفوف المقاومة المسلحة في البلدين، أو قضت على جميع العناصر المتسللة عبر الحدود بين البلدين، وفي هذا السياق ورد الخبر التالي في ركن

¹ - البصائر، العدد 308، ليوم 4 مارس 1955م، ص: 301.

² - البصائر، العدد 308، المصدر السابق، ص: 308.

³ - البصائر، العدد 310، السنة السابعة الموافق لـ 18 مارس 1955م، ص: 324.

من يوميات الأزمة الجزائرية مختصرة بأنّه في يوم الجمعة 1 أفريل تمكنت السلطة الفرنسية بتونس من إكتشاف مؤامرة في العاصمة تونس إثر مقتل السيّد " محمد الجزيري اليعقوبي " وهو أحد " الفلاقة " المشهورين الذي عادوا إلى ديارهم، لكنه في الحقيقة كان يعمل على إمداد الثورة الجزائرية بالسلاح والرجال وتدعي السلطة أنّ المؤامرة التي تمّ إكتشافها تهدف إلى إعادة الاضطرابات والمواجهات من خلال تصفية عدد من الشخصيات التونسية وتعطيل المفاوضات بين تونس وفرنسا، والقيام بالتنسيق مع الثوار بالقطر الجزائري وتؤكد سلطة الاحتلال أنّ هذا النشاط يلقي الدّعم من أعداء فرنسا في كلّ من ليبيا ومصر (1).

أعلنت لجنة تحرير المغرب العربي، بمدينة القاهرة أنّها قد وجهت لمؤتمر " باندونغ " وفداً مؤلفاً من السادة " علال الفاسي " عن المغرب الأقصى و " صالح بن يوسف " وزير العدل الأسبق عن تونس و " حسين آيت أحمد " و " محمد يزيد " عن الجزائر (2).

الاثنين 11 أفريل 1955 أصدر المؤتمر التمهيدي الأفرو آسيوي الذي إنعقد بمدينة " دلهي " عاصمة الهند وحضره رؤساء الحكومات ووزراء الخارجية الذين سيشاركون في مؤتمر " باندونغ " بلاغا يحتوي على عدّة نقاط ومما جاء في النقطة التاسعة من ذلك البلاغ: أنّ المؤتمر يبعث بتحية وعواطف ولائه لشعوب (كينيا، والمغرب الأقصى، والقطر الجزائري والبلاد التونسية) ويقرّر المؤتمر المطالبة بالحرية التامة لشعوب الشمال الإفريقي (3).

دائماً من صفحة " يوميات الأزمة الجزائرية " الخميس 21 أفريل 1955م قرّر مؤتمر " باندونغ " الذي جمع رؤساء حكومات ووزراء خارجية، 29 دولة من دول آسيا وإفريقيا المصادقة على القرار التالي، نظراً إلى الحالة الغير مستقرّة في بلاد الشمال الإفريقي والتي هي نتيجة عدم الاعتراف لسكان هذا الشمال الإفريقي بحقّهم في تقرير مصيرهم فالمؤتمر

¹ - البصائر، العدد 313، ليوم 8 أفريل 1955م، ص: 347.

² - البصائر، العدد 314، ليوم 15 أفريل 1955م، ص: 355.

³ - البصائر، العدد 315، ليوم 22 أفريل 1955م، ص: 364.

الأسوي الإفريقي يعلن تأييده لشعوب الجزائر والمغرب الأقصى وتونس بالإحراز على حقهم لتقرير مصيرهم والتمتع بالإستقلال والمؤتمر يلح على الحكومة الفرنسية لكي يجد بسرعة حلاً سلمياً لهذا المشكل (1).

يوميات الأزمة الجزائرية، الأربعاء 20 أبريل 1955م جاء الخبر التالي:

عقدت السلطة العسكرية والمدنية الفرنسية إجتماعاً كبيراً في مدينة تبسة، جمع سائر المسؤولين عن جهتي الحدود بين المملكة التونسية والبلاد الجزائرية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب وكان المقصد من هذا الاجتماع حسبما يظهر دراسة الوسائل الناجعة التي تمنع تسرب مهربي السلاح والمتطوعين من البلاد التونسية إلى البلاد الجزائرية، وتسرب المقاتلين في البلاد الجزائرية إلى البلاد التونسية. وقد دام هذا الاجتماع ما يزيد عن الأربع ساعات (2).

في افتتاحية هذا العدد لهذا الأسبوع ونقلنا عن جريدة " الأكسبريس " L' express ذات الاتصال الوثيق بالدوائر الحكومية فإنّ غلاة المستعمرين في الجزائر قد جمعوا مائتي مليون فرنك، ووضعوها تحت تصرف رجال لهم وعلى رأسهم " روني ماير " René Mayer لإنفاقها في حملة صحفية واسعة وإستفزاز رجال البرلمان، وإستفزاز الأحزاب الوسطى واليمينية وهذا لإسقاط حكومة " إدغار فور Edgar Faure " التي فشلت في القضاء على الثورة الجزائرية.

لكن ما يهم في هذا الخبر أن ضغط هؤلاء الاستعماريين إنتقل إلى تونس من خلال تنديدهم واعتراضهم على سياسة الحكومة الفرنسية في هذا البلد خصوصاً على الاتفاقيات

¹ - " البصائر "، العدد 316، ليوم 29 أبريل 1955م، ص: 371.

² - " البصائر "، العدد 316، المصدر السابق، ص: 372.

الحكم الذاتي، مطالبين ومعلنين تضامنهم مع الاستعماريين الفرنسيين بتونس الذين رأوا في تلك الاتفاقيات نهاية سيطرتهم وإمّيازاتهم (1).

من منبر السياسة العالمية وفي مقال حول الاحتفال بالذكرى العاشرة لإنعقاد قمة " سان فرانسيسكو " والتي بموجبها كان ظهور هيئة الأمم المتحدة جاءت في جزئه المخصّص لدور الهيئة في الوطن العربي والذي كان سلبيا إلى أقصى حدّ تمت الإشارة إلى دور الهيئة في إدراجها قضيتي تونس والمغرب الأقصى ضمن جدول أعمالها رغم إعتراض الوفد الفرنسي ودعم الوفود الاستعمارية له، لكنها في المقابل لم تتخذ في القضيتين إلاّ مقررات فاترة، توصى بالتفاوض والتفاهم وتلمح تلميحا بمقررات " سان فرانسيسكو " التحررية دون أن تتخذ موقفا صريحا في ذلك (2).

في هذا العدد ومن منبر السياسة العالمية جاءت إفتتاحية المقال أنّ المملكة التونسية تنتظر في إطمئنان ظاهر وجدل واسع، مصادقة المجلس الوطني الفرنسي على الاتفاقيات التي تم إمضاؤها بين الجانبين (3) والتي نصّت على إعتراف فرنسا بإستقلال تونس الداخلي، وإعتراف تونس بحقوق...الفرنسيين السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية.

وعلى العكس من ذلك فإنّ المغرب الأقصى لايزال يعاني أزمة فائقة وكلّ الدلائل تشير أنّ الأمر لم ينته بعد. (4) مع الإشارة أنّ بقية المقال خصص لما يحدث في هذا البلد مع إستمرار المقاومة المسلحة يقابلها قمع وترهيب إستعماري.

¹ - " البصائر "، العدد 320، ليوم 27 ماي 1955م، ص: 29.

² - " البصائر "، العدد 325، ليوم 1 جويلية 1955م، ص: 72.

³ - يقصد بها إتفاقيات الحكم الذاتي الممضاة من طرف الحكومة التونسية والفرنسية في 3 جوان 1955.

أنظر: Archive d'autre mer, France, b 26H/19.

⁴ - " البصائر "، العدد 327، ليوم 15 جويلية 1955م، ص: 92.

من صفحة يوميات الأزمة الجزائرية جاء هذا الخبر. قرّرت السلطان الاستعماريّتان بتونس والجزائر غلق الحدود التونسية الجزائرية ابتداءً من 16 جويلية 1955م وذلك للحيلولة دون تسرّب الأسلحة والذخيرة من البلاد التونسية إلى البلاد الجزائرية (1).

يبقى المسؤول الأول عن الاضطرابات في بلدان المغرب العربي الاستعمار وسياسته إثر الحوادث الرهيبة التي عرفها المغرب الأقصى، وما يهمنها هو ما يخص القضية التونسية وسير المفاوضات والإمضاء على إتفاقيات الحكم الذاتي في 3 جوان 1955م، والتي لا يمكن شرحها والحكم عليها في الوقت الحالي، ورغم أنها بعيدة عن تحقيق مطامح الشعب التونسي، إلا أنها لم ترضي الجالية الاستعمارية في تونس فسعت إلى إلغائها بشتى الوسائل ومنها الاحتجاجات (2). وإهتماماً منها بالأخبار الخاصة بالصحافة نقلت " البصائر " خبر أن الولاية العامة في الجزائر سمحت بعودة الجريدة التونسية الكبرى " الصباح "، فأصبحت تروج من جديد في الجزائر، وأن هذه الأخيرة تبحث عن متعهدين أمناء بالقطر الجزائري فعل من يهيمه الأمر مراسلة الصحيفة، وفي الأخير رحبت الجريدة بعودة " الصباح " وتتمنى لها الذبوع والإنتشار (3).

في هذا الأسبوع طغت أخبار المقاومة المسلحة، فقد ورد خبر عن وقوع معركة كبيرة في ناحية " قفصة " بتونس بين مجموعة من الثوار الجزائريين يقدر عددهم بـ 300 ثائر، وفيلق من الجنود الفرنسيين، وقد أكد هؤلاء بوجود حوالي 100 مقاوم " الفلاقة " التونسيين في صفوف الجزائريين. وحسب شهادة الجنود الفرنسيين دائماً فقد أثبت الثوار الجزائريون خبرة كبيرة في القتال وتسليحهم كان جيداً، والدليل على إستمرار المعركة لأكثر من 24 ساعة، أما حصيلة المعركة دائماً حسب المصدر الفرنسي تتمثل في سقوط 12 شهيد ومن الجانب الفرنسي مقتل 11 جندي ونحو 20 جريحاً منهم سبعة في حالة خطيرة وينتهي

¹ - " البصائر "، العدد 327، ليوم 15 جويلية 1955م، ص: 92.

² - " البصائر "، العدد 329، الجمعة 29 جويلية 1955م، ص: 101.

³ - " البصائر "، العدد 330، الجمعة 26 أوت 1955م، ص: 115.

الخبر بهذا التساؤل ما هي دوافع الثوار الجزائريين التسرّب إلى الجنوب التونسي بمثل هذه القوة (1).

وقد نقلت جريدة "ليكو دالجي L'Echo D'Alger" عن طريق مراسلها بعض تفاصيل المعركة السالفة الذكر الجديد فيه أن الثوار الجزائريون والتونسيون تحصّنوا بالجبال واستفادوا من مواقعهم، وأن المعركة مازالت مستمرة لأكثر من نصف شهر، ويتم تداول أخبار وسط الفرنسيين في تونس منها صعوبة إجلاء الجرحى لفقدان البنزين، وأن القتلى من الجانب الفرنسي يفوق بكثير العدد الذي تناقلته وكالات الأنباء الرسمية (2).

وإجابة على تساؤل دوافع تغلغل الثوار الجزائريين إلى تونس أولا التنسيق مع مجموعات الثوار التونسيين الذين رفضوا إتفاقيات الحكم الذاتي ووضع السلاح وأعلنوا وفائهم لـ "صالح بن يوسف" لمواصلة الكفاح المسلح، ثانيا تأمين إمدادات السلاح التي كانت ترد من مصر ودول المشرق ثالثا إيجاد قاعدة خلفية لهم في التراب التونسي تكون نقطة إنطلاق لهجوماتهم واللجوء إليها وأيضا كسر الحصار الذي تحاول القوات الاستعمارية فرضه على الثورة الجزائرية عن جيرانها.

15- القمع الاستعماري للصحافة الجزائرية:

تحت عنوان "ما الفائدة من مصادرة الآراء" تناولت فيه الجريدة قيام السلطات الاستعمارية بالحجز على عدد "البصائر" 333 وقامت بتعطيم قوالب المطبعة. وعمدت سلطة الاحتلال قبل ذلك على حجز ومنع جريدة "الجمهورية الجزائرية"، كما شمل الإجراء القمعي أيضا الحجز على جريدة "الجزائر قبل كل شيء" فقامت بإتلاف عددها الرابع، كما أتلّفت من قبل العدد الثالث.

¹ - "البصائر"، العدد 332، الجمعة 9 سبتمبر 1955م، ص: 128.

² - المصدر نفسه، ص: 126.

أما جريدة " الجزائر الجمهورية " و " جريدة الحرية "، فقد وضعت الأختام الاستعمارية على أبوابها كإمتداد لحل الحزب الشيوعي الجزائري.

أما جريدة l'Observateur المقدمة حسب وصف " البصائر " وجريدة L'Expresse الصادقة لا يدخل من أعدادها إلى الجزائر إلا ما تم تسريبه بين أيدي الرقابة الشديدة، أنه تطبيق الحالة الطوارئ على الصحافة ⁽¹⁾.

وللتسيق مع سلطات الإحتلال في الجزائر فقد حلّ بقسنطينة المندوب السامي بتونس السيد " سيدو Saidou " بصحبة الجنرال ' بايليف Bailef " القائد الأعلى للجيش الفرنسي بتونس برفقة مجموعة من الخبراء المدنيين والعسكريين لإجراء مفاوضات مع " جاك سوستيل Jack Soustelle " حول التدابير الممكن اتخاذها لحماية الحدود الجزائرية التونسية بسبب إختراقها من طرف الثوار الجزائريين وتنسيقهم مع الثوار التونسيين. ⁽²⁾

كما إجتمعت لجنة تنسيق شؤون شمال إفريقيا تحت رئاسة رئيس الحكومة " إدغار فور Edgar Faure " ورغم عدم تسرب أي معلومات عن الإجتماع فمن المحتمل جدا أن تكون المباحثات قد دارت حول الحالة في تونس والمغرب، وخاصة التطورات الأخيرة في هذا البلد، أما ما يخص الجزائر فإن حظّها من هذا الإجتماع هو النظر في وضع مشروع تنسيق أعمال السلطتين العسكرية والمدنية ⁽³⁾.

في 2 جانفي 1956م إنتهت الانتخابات البرلمانية الفرنسية بفوز عدد كبير من النواب الشيوعيين (إرتفاع عددهم في البرلمان) مقابل هذا لم تستطيع أي تشكيلة سياسية الحصول على الأغلبية البرلمانية.

¹ - " البصائر "، العدد 334، الجمعة 23 سبتمبر 1955م، ص: 129.

² - " البصائر "، العدد 342، الجمعة 25 نوفمبر 1955م، ص: 185.

³ - " البصائر "، العدد 347، الجمعة 30 ديسمبر 1955م، ص: 223.

أما منصب رئيس الحكومة فيتنافس عليه كل من " منديس فرانس " الذي يتزعم الراديكاليين الاشتراكيين، و"إدغار فور" على رأس تكتل يضم خليط من الراديكاليين وحلفائهم الذين يتأرجحون بين اليسار واليمين، وأخيرا " أنطوان بيني " على رأس جماعات المحلين والمستقلين أي أصحاب اليمين. كما أن هناك الجبهة الشعبية التي تضم الاشتراكيين والشيوعيين (1).

كما تناولت الجريدة نقلا عن الصحف الصادرة آنذاك أهم ما ورد في خطابين إنتخابيين الأول " إدغار فور " رئيس الحكومة بباريس والثاني لـ " منديس فرانس " في مدينة مارسيليا، وكلاهما تعرض لقضايا شمال إفريقيا بصفة عامة ولقضية الجزائر بصفة خاصة.

ومما صرّح به " إدغار فور " بهذا الصدد، أن عصر الاستعمار قد إنتهى، وعلى فرنسا وضع نظام إتحادي لأقطار ما وراء البحار، ثم أشار إلى إستغلال الدعاية الانتخابية لقضية الجزائر إستغلالا ملموسا، وعليه فالحكومة قررت رفع قوة الجيش في شمال إفريقيا إلى 325 ألف جندي يكون نصيب الجزائر وحدها 200 ألف.

في الجانب السياسي دعى إلى سن دستور جزائري جديد يحقق التعايش وحسن الجوار بين مليون أوروبي و 8 ملايين مسلم.

أما " منديس فرانس " فقد ساير نفس التوجه مع بعض الاختلافات نلخصها فيما يلي:

* - أن تكون الحكومة المقبلة ذات نفوذ واسع.

* - إجراء إنتخابات تشريعية حرّة في الجزائر بعد ستة أشهر من تشكيل الحكومة.

* - حل المجلس الجزائري وإعادة إنتخابه في مدة لا تتجاوز 6 أشهر.

* - حل المجالس البلدية كلها وتحديد إنتخابها في ظرف ثلاثة أشهر.

¹ - " البصائر "، العدد 348، الجمعة 6 جانفي 1956م، ص: 225.

* - إجراء إصلاح زراعي واسع.

* - يجب أن يخوّل لرئيس الحكومة المقبلة السلطة التامة ليباشر بنفسه إيجاد حل للقضية الجزائرية، وعليه أن ينتقل شخصيا إلى الجزائر، حتى يتغلب هناك على المقاومة الإدارية، ويحطم الإقطاعية العسكرية والرأسمالية التي تضع وتشرع ما تشاء من قوانين.

* - على الحكومة في الأخير أن تختار بين طريقين الهند الصينية وتونس⁽¹⁾.

تناولت جريدة " البصائر " في هذا المقال تدخّل بورقيبة في القضية الجزائرية، والذي تضمن فقرة خصصت للقضية الجزائرية من بين مقررات المجلس المحلي للحزب الحر الدستوري التونسي الجديد وهي لـ " نظرا للعلاقات المتينة بين أقطار الشمال الإفريقي، والإرتباط التاريخي العريق !. ونظرا لضرورة العمل على إيقاف أعمال القتال في القطر الجزائري قصد التمكن من إحداث مفاوضات مع الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري لفصل القضية الجزائرية.

وبناء على ثقته في أن حكومة فرنسا وشعبها يستطيعان بعد هذه الولايات العظيمة، إيجاد حلول لهذا المشكل، يسودها إتساع النظر وروح المسؤولية والإعتراف بمبدأ حق تقرير المصير، وبذلك تحصل النتائج المثمرة الدائمة في مجموع الشمال الإفريقي.

فالمجلس يطلب من الديوان السياسي أن يسعى بكل قواه لوقف سفك الدماء بالقطر الجزائري، حتى يتمكّن من فض مشاكله مع فرنسا بواسطة المذكرات الحرّة⁽²⁾.

وذلّت الجريدة هذا الخبر بالتعليق التالي بأن المجلس الحزبي الدستوري يقرّر قراره هذا في نفس الوقت الذي ثار فيه قسم عظيم من الأمة التونسية ضد سياسته وضد الاتفاقيات التي عقدها مع فرنسا، وأخذت فرق المقاومة تنتظم من جديد في أقسام عدة من

¹ - " البصائر "، العدد 348، الجمعة 6 جانفي 1956م، ص: 230.

² - البصائر"، العدد 352، الموافق ليوم 3 فيفري 1956م، ص: 257، (ص: 01).

البلاد التونسية، بتفاهم أمرها شيئاً فشيئاً، دفع بحكومة تونس لتشكيل محكمة زجر إستثنائية، وإلقاء القبض على أغلب زعماء المعارضة (1).

أما في صفحة منبر السياسة العالمية نجد توضيح أكبر من الجريدة حول موقف " بورقية " ومعه الحزب الدستوري من الثورة الجزائرية، وكذلك موقفها من إتفاقيات الحكم الذاتي فهي لم تكن في مستوى تضحيات الشعب التونسي، فقد أعطت لتونس مظهر الدولة المستقلة في داخلها، وأبقتها في منطقة الحماية الفرنسية بتحكم هذه الأخيرة في التمثيل الخارجي والسيطرة الاقتصادية، مما تسبب في ردّة فعل قطاعات واسعة من الشعب التونسي ضدها، وعلى رأس هؤلاء المعارضين المقاومين الأمين العام للحزب مع توسع الجريدة في إبراز مواقف هذا الأخير (2).

كما إنتقدت الجريدة قضية فصل وطرد " الصالح بن يوسف " كأمين عام للحزب من طرف قيادة الحزب الدستوري الحر الجديد (3).

وأشارت إلى رفض العديد من الأطراف لهذا السلوك، وأيدت مقترح هؤلاء بترك " صالح بن يوسف " في منصبه وعرض محتوى الاتفاقيات على مؤتمر دستوري عام يمثل سائر جهات تونس ورجالها، لتعطى فرصة لكلا الرجلين بالدفاع عن موقفه، مع خضوع الجميع للأغلبية التي تظهر في ذلك المؤتمر، لكن " بورقية " وحلفاؤه تقادوا هذا السيناريو

¹ - من أبرز المعارضين لها " صالح بن يوسف " والذي تشكلت حوله مجموعات من المقاومين رافضين لاتفاقيات الحكم الذاتي، مما دفع بـ " بورقية " إلى التعاون مع السلطات الاستعمارية والقيام بعمليات قمعية ومطاردة وإلقاء القبض وإعدام لهؤلاء المعارضين حملة قادها وزير الداخلية " منجي سليم " و التي دفعت بـ " صالح بن يوسف " إلى الفرار إلى ليبيا ومنها إلى مصر. أنظر: عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص: 5521. أيضا:

Jean LACOUTURE, op.cit., P : 164.

Khalifa CHATER, op.cit., P : 263.

² - " البصائر "، المصدر السابق، ص: 260.

³ - جاءت عملية إقصاء وطرد " صالح بن يوسف " في إجتماع للمكتب السياسي للحزب الدستوري الجديد المنعقد في 8 أكتوبر 1955م برئاسة الحبيب بورقية.

A.O.M. 26H19

أنظر:

خوفا من تحوّل الحزب إلى حزب مقاومة من جديد بعد أن أصبح حزب حكومة يؤيد الاتفاقيات ويعمل على تطبيقها مما أخرج القضية إلى الشارع، وأصبح الرصاص هو الوسيلة الوحيدة بين أنصار الجانبين، ولم تنفع نداءات التهدئة.

كما أشارت الجريدة إلى عزم الحكومة التونسية على جمع مجلس تأسيسي يشرّع لتونس دستورها المقبل، مع وضع شروط وقيود الهدف منها إبعاد المعارضة عن المجلس وجعله منبرا لـ " بورقيية " لوحده، فتسبب في إشتداد الخصومة ضده وعودة المجموعات المسلحة خصوصا في المناطق الجبلية وإتصال الكثير منهم بالثورة الجزائرية لتوحيد الجهود وأبرز هؤلاء المقاومين " طاهر الأسود " الذي أصبح بطلا جديدا للثورة التونسية الجديدة⁽¹⁾.

هنا تحالفت الحكومتان التونسية بتوجيه من بورقيية، والفرنسية من خلال جنودها وشرطتها على تصفية رموز تلك المقاومة والتي تتمثل في مراكز الأمانة العامة الموالية لـ " صالح بن يوسف " وهاجمت منزله محاولتا إلقاء القبض عليه بتهمة " مؤامرة ضد أمن الدولة " لكن هذا الأخير أفلت من قبضها، والقي القبض على حوالي 100 من أنصاره⁽²⁾.

أكثر من هذا فقد أنشأت الحكومة التونسية محكمة زجر (قمع) إستثنائية لمحكمة زعماء المعارضة، دون أن يكون لهم الحق في الاستئناف لينهي أبو محمد (أحمد توفيق المدني) مقاله بهذا السؤال هل يعتقد بورقيية- وهو الناموس الأكبر لهذه العمليات - أن سياسة البطش والإرهاب والمحاكم الزاجرة هي التي سوف تمكنه من تنفيذ الاتفاقيات بإخلاص، كما يقول؟ أننا لا نعتقد ذلك وسنرى⁽³⁾.

¹ - " البصائر "، العدد 352، ص: 260 .

² - حول قضية إستتجاد بورقيية بالسلطات الاستعمارية ووضع شرطتها تحت تصرفه، مع توفير القوة العسكرية والتوجيه والتدريب له مع تشكيل لجان ملاحقة ومطاردة أنصار " صالح بن يوسف " .

انظر: Amor CHADLI, op.cit., P : 75 أيضا Noura BORSALI, op.cit., P : 74

³ - " البصائر "، العدد 352، المصدر السابق، ص 261.

16- من الحكم الذاتي إلى الاستقلال التام لكل من تونس والمغرب:

في إفتتاحية هذا العدد وتحت عنوان " تطوّر مع الحوادث " نقلت الجريدة خبر تنقل الأستاذ "حبيب بورقيبة" إلى باريس، قصد الاتصال بحكومتها الجديدة للتفاوض معها حول تعديل الاتفاقيات التونسية الفرنسية⁽¹⁾.

وحسب الجريدة فالسبب في هذا التحرك يعود إلى ردّ الفعل العنيفة من الشعب التونسي ضد الاتفاقيات والإنقسام الذي حدث داخل الحزب الدستوري الجديد من جراء موقف الأمين العام " صالح بن يوسف ".

وتطوّر الأحداث التي كادت تتحوّل إلى حرب أهلية، كما أقنع قادة الحزب بأن إلقاء القبض على 120 من رجال المقاومة لا يكفي لكبح جماح الأمة التونسية التي تريد حقّها كاملا. وأن الواجب المفروض اليوم إنّما هو تلبية دعوة الوطن لقتل وسجن وتشريد من يرفع صوته برغبة الوطن، ولهذا جاءت مطالب " بورقيبة " كما يلي:

1- تكوين جيش تونسي.

2- تسليم الدولة التونسية زمام أمر البوليس في البلاد.

3- منح تونس حق التمثيل الخارجي.

4- إلغاء الاتفاقيات الاقتصادية التي جعلتها أشبه شيء بمستعمرة.

وستسير هذه المفاوضات موازاة مع المفاوضات المغربية الفرنسية، أمّا المفاوضات الجزائرية الفرنسية لتحقيق السيادة القومية والحكم الوطني في البلاد.... فكلّ آت قريب⁽²⁾.

¹ - كان تنقل بورقيبة إلى فرنسا بداية فيفري 1956 مباشرة بعد تشكيل حكومة فرنسية جديدة برئاسة " قي مولي " Guy Mollet . أنظر: Jean LACOUTURE, op.cit., P : 167.

² - " البصائر "، العدد 353، الموافق ليوم 10 فيفري 1956م، ص: 265.

من منبر السياسة العالمية والذي خصص لاستقلال "اندونيسيا" نهائيا عن " هولندا " وإستقلال " ملايو " عن " إنجلترا " والتي قارن فيها صاحب المقال - أبو محمد- وضعها بتونس من حيث تطوّر الأحداث وإنتهت بإعتراف إنجلترا بالإستقلال التام لهذا البلد ليأتي التساؤل في شبه عنوان كالاتي:في ماذا يكون مآل قضية تونس ؟ ليجيب أنّ السيّد " طاهر بن عمار" بدأ التفاوض مع الحكومة الفرنسية على أساس تحقيق الأهداف الأربعة التالية:

أولّها إلغاء معاهدة الحماية المفروضة عام 1881م بقوة السلاح، ثانيها الاعتراف لتونس في تكوين جيشها وشرطتها، ثالثها: حصول تونس على حق التمثيل الخارجي، رابعها: التخلّص من قيود المعاهدات الاقتصادية التي فرضتها إتفاقيات جوان 1955م⁽¹⁾.

وبأنّ الشعب التونسي لن يرضى بديلا عن الاستقلال التام وأنّ تضحياته لن تذهب سدى. كما أشار المقال إلى إستمرار المفاوضات المغربية الفرنسية، وهل سوف تسير فرنسا في نفس طريق إنجلترا مع مستعمراتها فتعترف بالحق طوعاً، قبل أن تضطر للإعتراف به قسراً وجبراً.

بدأت الأحداث تتسارع في أقطار المغرب العربي مع حلول سنة 1956م خصوصا بالنسبة للقطرين الشقيقين. بالنسبة للمغرب الأقصى فقد عنونت " البصائر " محمد الخامس " نصر من الله وفتح قريب خصوصا بعد صدور البيان المشترك للحكومتين المغربية والفرنسية في 3 مارس بالإعتراف بإستقلال المغرب إستقالاتا تاما وإلغاء معاهدة الحماية المفروضة بقوة السلاح يوم 30 مارس 1912م، ولم يبق إلا عودة الملك "محمد الخامس" إلى وطنه محققا هذا النصر العظيم⁽²⁾.

¹ - " البصائر "، العدد 356، الموافق ليوم 2 مارس 1956م، ص: 292.

² - " البصائر "، العدد 357، الجمعة 9 مارس 1956م، ص: 300.

وتتسارع الأحداث ويأتي إستقلال تونس في 20 مارس 1956م، وكتبت البصائر تحت عنوان ما بعد إستقلال " المغرب وتونس " سيأتي إستقلال الجزائر أهمّ ما جاء فيه أنّ الأمة الجزائرية قاطبة إستبشرت بإستقلال القطرين الشقيقين المغرب وتونس ولولا المآسي التي يعيشها الشعب

الجزائري من تقتيل واعتقالات وملاً المحتشدات بالرجال المطالبين بالحرية وإذاقة بنبيهم وذويهم لباس الجوع والخوف لكان لزاما على الأمة الجزائرية أن تتخذ من هذا اليوم عرسا، لأنه يعتبر إيذانا بإستقلالها. على أنّ أهم ضمان لاستقلال القطرين تونس والمغرب هو إستقلال الجزائر وإن بقيت هذه الأخيرة ترزخ تحت نير الاستعمار فالخطر سوف يبقى يهدد هاذين القطرين بإحتمال تدخّل وعودة الاستعمار إليهما متى سنحت له الفرصة لذلك وعليه فإستقلال المغرب العربي وحدة لا يمكن تجزئتها وهذه الفكرة هي القاسم المشترك بين أبناء وأحرار ومفكري القطرين تونس والمغرب وإنّ إستقلال القطرين الشقيقين خير بشير لاستقلال الجزائر وليفرح المؤمنون بنصر الله (1).

في إفتتاحية هذا العدد وبالبند العريض وجهت جمعية العلماء المسلمين لجلالة "باي" تونس برقية جاء فيها: صاحب الجلالة باي تونس الشعب الجزائري يبارك لتونس في إستقلالها في عهدكم الكثير من البركات ونسأل الله أن يجعل من إستقلال القطرين الشقيقين لشمال إفريقيا مستقبلا للحرية ولإنهاء عهد إهراق الدماء وتعذيب الأبرياء إنّه المسؤول لجلائل النعم إمضاء نائب الرئيس العربي التبسي (2).

ومن بين مجموعة برقيات لأخبار متفرقة ورد خبر حول مظاهرة قام بها الجزائريون المقيمون في تونس شاركت فيها عدّة هيئات ومنظمات سارت في شوارع تونس رافعة الأعلام

¹ - " البصائر "، العدد 359، الجمعة 23 مارس 1956م، ص: 313.

² - " البصائر "، العدد 360، الجمعة 30 مارس 1956م، ص: 321.

الجزائرية وتنادي بحياة الجزائر وإصطدم المتظاهرون الذين كان منهم من ينادي ويهتف بحياة " ابن يوسف " بقوة البوليس فاستعملت القنابل المسيلة للدموع لتفريقهم⁽¹⁾.

وقد أدلى " بورقيبة " بتصريح لمراسل جريدة " تايميز " اللندنية قبل مغادرته باريس ومما جاء فيه:

" يجب على فرنسا أن تعترف بالقومية الجزائرية وأن تتفاوض مع الثوار لإقامة دولة جزائرية على غرار دولتي تونس والمغرب.

أما الفرنسيون المقيمون في الجزائر وعددهم مليون ومائتي ألف نسمة فبإمكانهم مواصلة حياتهم كمواطنين جزائريين، كما أن الفرنسيين قد عاملوا المسلمين معاملة مجحفة بحقوقهم فكان لزاما عليهم الآن أن يتحملوا عواقب ذلك.

في يوم الأربعاء 22 مارس 1956 تزينت فيها المدن التونسية لإقامة الاحتفالات والمهرجانات الشعبية إحتفالا بإستقلال البلد، ورفعت فيها أعلام الدول العربية وكان من بينها العلم الجزائري، الذي رفعه الطلبة الجزائريون اللذين دعوا للمشاركة في عيد الشباب والاستقلال التونسي، وأبى الطلبة الجزائريون إلا أن يرفعوا علم بلادهم مرددين أناشيد وطنية منها " شعب الجزائر مسلم " ونشيد " فداء الجزائر " ونشيد " من جبالنا طلع " وسط تجاوب المتظاهرين وزغاريد النساء، فما أن دخل الطلبة الجزائريون وسط المدينة، وقاربوا مركز محافظة الشرطة، حتى إندفع البوليس نحوهم محاولا إفتكاك العلم من أيديهم قائلاً: علم الفلاحة ينزل، لتنتعال أصوات الطلبة والجماهير المصطفة على حافتي الطريق والمطلة على الشرفات، منادية بحياة الجزائر حرة مستقلة، وسقوط الاستعمار، وتصدي الطلبة لهجوم الشرطة، وانقلبت المسيرة إلى مظاهرة عظيمة، وقعت أثنائها مشادات عنيفة بين الطلبة والشرطة، وحاصرت القوات الاستعمارية المكان، فأنقسم الطلبة والمتظاهرون إلى مجموعات

¹ - " البصائر "، العدد 360، المصدر السابق، ص: 321.

تجوب شوارع العاصمة تونس. أما أكبر مواجهة وقعت أمام مقر " الإقامة العامة " سابقا وأثناء هذه المشادة جرح أحد الطلبة، وألقي القبض على ثلاثة آخرين تم إطلاق سراحهم، فيما بعد واستعمل الجنود فيها القنابل المسيلة للدموع، ورشهم بالمياه، وضربهم بمؤخر البنادق. ثم توجه المتظاهرون إلى الوزارة التونسية ورددوا أمامها الأناشيد الوطنية، وأخيرا توجهوا إلى حجر تذكّار الشهيد " فرحات حشاد " وامتزجت فيه المشاعر، ونادى الشعب التونسي بحياة الجزائر حرّة مستقلة، كما هنا الطلبة الجزائريون الشعب التونسي بإستقلاله لتتفرق الجموع حوالي الساعة الواحدة زوالا (1).

¹ - " البصائر "، العدد 361، الموافق ليوم 6 أفريل 1956م، ص ص: 330-334.

الفصل الخامس

الصحافة الكولونيالية والقضية التونسية من تعيين دي
هوتكلوك مقيما عاما على تونس إلى نهاية 1954 واستمرار
المقاومة المسلحة

1- الصحافة والصحفيين الفرنسيين والقضية التونسية بقلم "آلان ريسكيو" Alain

Ruscio باحث فرنسي⁽¹⁾.

لا يمكن فصل الصحافة والجرائد الكولونيالية عن مثيلاتها في فرنسا من حيث التوجه الإيديولوجي وتحديد الدفاع عن مصالح الاستعمار، ولذا فإن الخط الافتتاحي لأغلب تلك الجرائد يتميز بالنظرة العنصرية واحتقار شعوب المستعمرات والحق من قيمتها، وأن مطالباتها بالاستقلال والتحرر يعني الفوضى والانحيار لما أنجزته فرنسا الحضارة، وليس أفضل دليل على هذا التوجه من شهادة الصحفي الفرنسي "آلان ريسكيو" Alain Ruscio الذي قام بدراسة حول مجموعة من الصحف والجرائد الفرنسية حول نظرتها للقضية التونسية في الخمسينات ولأهمية هذه الدراسة وارتباطها بموضوع الرسالة ارتأينا أن ندرجها في سياق موضوعنا لإثبات أن الاستعمار ملة واحدة وأن الكولونيالية ماهي إلا نتاج للفكر الاستعماري بمختلف مؤسساته بما فيها الصحافة، مع التنبيه أن عدد من تلك الجرائد وأقلامها الرئيسية راجعت مواقفها وصححت توجهاتها مسايرة تطور الأوضاع ميدانيا فتخلت على ما كانت تعتقده ثوابت ومسلمات بحكم الزمن فاعترفت بأخطائها - وهذا يحسب لها - وساندت حق الشعوب في تقرير مصيرها والدفاع عن قضاياها العادلة ومنها القضية التونسية فدافعت عن حق الشعب التونسي في الاستقلال والتحرر، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة في توضيح الفارق الشاسع بين صحافة الميتروبول وصحافة كونيالية بقيت متمسكة بتوجهاتها وأفكارها العنصرية الضيقة مدافعتا عن مصالح أقلية أوروبية استأثرت وتحكمت وتمتعت لعقود من الزمن بتونس وشعبها وثرواتها حتى كان الانفجار وفقدت كل شيء في النهاية.

¹ Alain Ruscio : La presse Française et la décolonisation de la Tunisie dans les années 1950, actes du XIIIème Colloque international sur la thèse : L'indépendance de la Tunisie et les processus de libération dans le monde colonial, publication l'Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, série Histoire du mouvement National, n° 13, Tunis, 2006.

منذ البداية تتشكل لدينا فكرة عن المواقف الأولية لفرنسا الرسمية من خلال تبادل الحوار المباشر والجدي المغلفُ باللباقة ما بين "الباي" والمقيم العام الجديد " Louis Périllier، مباشرة بعد وصول هذا الأخير إلى تونس في جوان 1950م، وفي كلمة الترحيب من الباي أشار هذا الأخير أن " إخوته بالتبني " قد كبروا جدًّا، وسوف يندهش لدرجة نضجهم، وهذا ما يفسّر تأكيدنا على تطبيق الإصلاحات المعلن عنها بأسرع ما يمكن"(1).

لكن إجابة "بيرلي" جاءت مخالفة لهذا التوجه وتحمل الكثير من الأبوية قائلاً: " في الحقيقة تونس البلد الصغير لا يمكن له أن يفترّط في مساهمة فرنسا " (2).

هذه الأبوية الزائدة هي القاسم المشترك الذي يسيطر على العقلية الاستعمارية وكان فرنسا تقول للتونسيين كونوا عقلاء تريدون السير لوحدهم، هذا إنساني لكن تنقصكم كثير من التجربة والنضج، وهذا ما ذهب إليه أحد صحفيي جريدة " Le Figaro " Yves Lejeune حيث صرّح بأنه لو ترك للوزراء التونسيين تسيير بلدهم، فإن الكهرباء و الماء لن يصلوا إلا من حين لآخر وسوف تعاني الطرق من الإهمال وعدم العناية.(3) أما أحد زملائه فراح أبعد من ذلك قائلاً بأن ذهاب فرنسا " سوف يرمي بأكثر من ثلاث ملايين منهم في بؤس وشقاء أشبه بما يحدث في إيران ومصر " (4).

إن الكاتب والصحفي Gérard de Villiers الذي عمل كمبعوث خاص لجريدة " Paris Presse " في تونس يصل إلى درجة العنصرية كتب يقول: " إن على العرب أن يتخلّصوا من ذهنيّتهم الموروثة وعدم مبالاتهم وقصر نظرهم بأن يروا بلدهم تتحول إلى أكثر

¹ – Le Figaro, 14 juin 1950.

² – Cité par Le Monde, 15 juin 1950.

³ – Cité par Le Monde, 24 Mai 1952.

⁴ – Le Figaro, 14 janvier 1952.

من " خزانة للتونسيين " على شكل محتشد " بوشوالد " Buchenwald - النازي ... أليس التونسيون الحاليين هو من سلالة اللذين منذ سبع سنوات يقودون البلد إلى الهاوية ؟ البدوي الذي يرفض أن يبني له سكن إنما يتبع غريزة تعود إلى بداية البشرية. ولا يمكن أن ننسى بأن تونس هي بلد الأقل جهد: العربي الذي يكون لديه ما يكفيه من الغذاء ليوم يتوقف عن العمل ! " (1). ويواصل حديثه: " لهذا السبب تجد غالبية الشعب التونسي متمسك بالوجود الفرنسي سواء كان ذلك إرتباطا أو واقعية من جانبه. ويشرح Yves Lejeune بأن هناك فقط 2% من التونسيين مع يسعون للاستقلال (2) (دون أن يعطينا مصدر هذه النسبة)

هناك صحفي آخر من جريدة L' Aurore كتب: " أنه مسموح بكل موضوعية من القول أن الشعب التونسي هو اقل تسرعا من حكومة "شنيق"... والمتقفين الإقطاعيين للحزبين الدستوريين القديم والجديد، فقد قال أحد الفلاحين منذ أيام لأحد المستوطنين لا تذهب، فلو ذهبت سوف يأكلون كل شيء حتى القمل الذي في رأسي " (3).

فما يطلب هؤلاء الزعماء ؟ هل يعرفون فعلا معنى الاستقلال ؟ " لا يوجد هناك وطنية عربية وإنما رغبات الفوضى " هذا ما صرّح به النائب François Quilici ونقلته جريدة Le Monde (4) . لسنا ضد الحوار تقول مجلة Paris Match : ولكن ليس من أجل مناقشة الاستقلال وإنما فقط " تغيير عادات، وإنجاز إصلاحات وطمأنة أمير وجعله يثق فينا توفير حاجيات الأهالي، طمأنة وطنين معتدلين، وترويض المتطرفين " (5).

¹ - Le Figaro, 24 Mars 1952.

² - Le Figaro, 14 janvier 1952.

³ - Le Figaro, 2Avril 1952.

مقال غير ممضي

⁴ - Le Monde, 6 juin 1952.

⁵ - Paris Match 12 septembre 1953.

وحسب نمط تفكيري إستعماري كلونيالي فالمتهم في حدوث الاضطرابات هم مجموعة قليلة من المشوّشين ، الغير مسؤولين والشيء المدهش هو قدرتهم في التأثير وتوجيه غالبية المجتمع.

على رأس قائمة هؤلاء " حبيب بورقيبة " الذي يمثل الهدف الرئيسي لتلك الصحافة: " لا يحق "لبورقيبة" التكلم بإسم الشعب التونسي، لم يكلفه أحد بمهمة رسمية، لقد ترك تونس 1943م، ولم يعد إليها إلا منذ أشهر تقريبا، أنه لا يعلم العديد من التفاصيل حول العلاقات الفرنسية التونسية، كما يجهل المشاكل الدولية التي تؤثر عليها " (1) وفي نفس عدد Le Figaro يسعى الصحفي Roger Massif إلى تنوير قرائه في تتبع "مسار المشوش " مركزًا على مروره القصير في روما أثناء الحرب العالمية الثانية، واصفا إياه بأنه رجل لا أخلاق له مستعدا أن يبيع نفسه لأي عدو لفرنسا بالأمس الفاشيين واليوم الشيوعيين (2).

أما رئيس تحرير اليومية " لويس قابريال روبيني Louis Gabriel Robinet " لم يجد كلمات أقوى لمهاجمة " الاقتراحات الثورية البحتة للوطنيين التونسيين الأعداء العلنيين لفرنسا " (3) .

ومن صدف التاريخ أن أثقل هجوم ضد الحزب الدستوري الجديد سوف يكون ربّما كتب من طرف من سوف يكلف سنتين من بعد في تطبيق سياسة الاستجداء والإصلاحات " كريستيان فوشي Christian Fouchet "، برلماني ديغولي سنة 1952 قائلا: " ليُسمح لي بمثال: الحزب الدستوري، أنني جد مقتنع أنّ هذه المنظمة هي إستتساخ للحركة الفاشية الهتلرية: وأن وصولها إلى السلطة يعني الاستقلال لتونس، لكنه إستقلال شبيه بالإقطاعيات الصغيرة للعصور الوسطى بربرية والموجودة حاليا في الشرق وأن قادتها اللذين ينقلون أموال

¹ – Le Figaro, 15 Avril 1950..

² – Le Figaro, 19 janvier 1952.

³ – Le Figaro, 03 juin 1950.

طائلة إلى الخارج يتركون شعوبهم في بؤس وشقاء وجهل، ومنهم من يحافظ على العبودية- ويتجراً على إعطاء نصائح لفرنسا ! بالنسبة لي وصول الحزب الدستوري إلى السلطة يعني كل هذا: وقد يعني في الأخير نهاية الديمقراطية " (1).

هذه المقاربة بين الحزب الدستوري الجديد والحزب النازي والفاشي وهذا الوصف لـ"بورقية": موسيليني الجديد أو هتلر الجديد تملأ صفحات وصفحات جريدة Le Figaro في 23 و 28 أبريل 1952م.

في بعض الأحيان يُعترفُ " لبورقية " باعتداله، ولكن ليضاف بعدها بأنها حيلة من هذا الأخير وهنا تكمن خطورتها يقول " إيريك أوليفييه Eric Ollivier ": " لم يعد بمقدورنا الاحتفاظ بأفكارنا واضحة. إن عاصمة الإيالة - يقصد تونس - هي مركز الإشاعات، والمؤامرات، وتدخلات مستمرة، قدرة المناورة والذكاء اللذان بواسطتهما يدافع الوطنيون عن مواقفهم الغريبة تجعل من مخاطبيهم في خطر إنجذاب دائم، كلما كانت مطالبهم متشددة كلما قدموها في شكل معتدل مراوغين متجاوزين للحجج التي سوف نقترحها عليهم ... إننا لا نعرف التحايل " (2).

هذه المقاومة تجاوزت مراكز المدن مع بداية 1952م ظهر في الصحافة الفرنسية مصطلح جديد " الفلاقة "، وفي غياب دراسة دقيقة أول مرة استعملت فيه هذه الكلمة في مقال لهنري ماسال Henry Massals المبعوث الخاص لجريدة Le Monde إلى Cap Bon " الوطن القبلي "، في 3 فيفري 1952م، وكان من المستحيل لهذه الفئة من عالم السياسة والصحافة أن تعترف بأقل مصادقية لهذه العناصر (الفلاقة).

¹ - خطاب أمام المجلس الوطني، مارس 1952، نقلا عن Le Rassemblement لسان حال التجمع الشعبي الفرنسي، 4 أبريل 1952م.

² - Le Figaro, 25 Décembre 1952.

الأسبوعية الشعبية Noir et Blanc نقدم لقراءها الوضعية كما يلي:

" ثلاثة آلاف يرهبون ثلاثة ملايين تونسي، يوجد بين صفوفهم - خارج قطاع الطرق المحترفين الذين ازدادوا سعادة بالإرتواء على ذريعة ثورية لتغطية جرائمهم - الفارين من الخدمة العسكرية وعناصر مشوشة تطاردهم العدالة بسبب نشاطهم السابق وقدماء المحاربين المسلمين في حرب إسرائيل " والذين كان خطأهم عبور الحدود دون ترخيص، كما نجد أيضا عدد من المرتزقة "(1).

أما جريدة Le monde التي تعرف برزانتها تقدم ما حدث في " الوطن القبلي " حيث إرتكبت مجزرة، كمركز تقليدي للاضطرابات وسكانها متعودون على الانتفاضات والنهب..." هم جنس من القراصنة، ممزوجين بكل ما لفضته (رتمته) السواحل من ناهبي السفن " (2).

لكن المخطط الكلاسيكي أي جموع الأنديجينا الأوفياء يقابله أقلية من المشوشين، لم تعد كافية لتفسير استمرار الاضطرابات، كيف يمكن لأقلية من المشوشين باستعمال قواهم فقط مواجهة القوة الاستعمارية؟ كان يجب أن يضاف لها العامل الخارجي الذي يوجه ويدعم ويتم الاقتداء به - هنا أيضا نجد إحدى الحجج الكلاسيكية للاستعمار.

أول المتهمين هم الشيوعيين، لا يمكن أن ننسى أن إستقلال تونس وقع في نفس الفترة التي شهدت أدق مرحلة في الحرب الباردة. وفي هذه الفترة كان اليمين الفرنسي يرى الشيوعيين في كل مكان، في بعض الحالات كان ذلك صحيحا مثلا الفيتنام، لكن أقل ما يمكن قوله أن تغلغل الحزب الشيوعي التونسي داخل الحركة الوطنية التونسية كان محدودًا.

¹ - Noir et Blanc, 3 février 1952.

² - Le Monde 3 Février 1952.

عندما قام المقيم العام " دي هتكلوك " بإعتقال وسجن " بورقيبة " وبقية الزعماء الوطنيين جاء ذلك كرد فعل على " التحرشات الدموية للفوضويين التونسيين ومستشاريهم الشيوعيين " كما عنوانته L'Aurore بالبند العريض في الصفحة الأولى ليوم 20 جانفي 1952 وبالنسبة لجريدة Le Parisien Libère لنفس اليوم، المبادرة الفرنسية ليست هجوما، ولكنها جواب " لأول تطبيق في برنامج الحرب الأهلية " من إنجاز الحزب الدستوري والحزب الشيوعي التونسي. نفس الأسلوب في افتتاحية Pierre Dubard، في اليوم الموالي في جريدة Le Figaro .

في مارس "Yves Lejeune" المبعوث الخاص لنفس الجريدة كتب يقول: " الشيوعيون ليسوا غرباء عن الاضطرابات وعمليات التخريب الحاصلة في تونس ". ويشير إلى عربة عسكرية غريبة على متنها أربعة أوروبيين شوهدت في العديد من المرات على هامش المظاهرات⁽¹⁾.

ويتهم بوجود لجنة سرّية للمقاومة تابعة للحزب الشيوعي التونسي.⁽²⁾ حتى جريدة Le Monde لم تتمالك في إعطاء تخمينات، أثناء إنتفاضة " الوطن القبلي " المبعوث الخاص لنفس الجريدة Henry Massals في نقله لخبر حرق فيلة ملك لرئيس كونفيدرالية الباترونا يعلّق قائلا: " من المحتمل أن نجد يد الشيوعيين " ⁽³⁾.

إضافة للتأثير الذي يعتقد أنه للشيوعية العالمية، نجد لدى عصابة المحافظين ردة فعل قديمة معادية للإنجليز، وهذه أيضا من التفكير الكلاسيكي للكلونيالية. تنقل Le Monde أقوال برلماني ينتمي للتجمع الشعبي الفرنسي وهو السيد Halleguen الذي يقول: " لا أعتقد

¹ – Le Figaro, 5 Mars 1952.

² – Le Figaro, 14 Mars 1952.

³ – Le Monde 3 Février 1952.

أن بريطانيا العظمى قد فهمت الإهانة التي ألحقتها بفرنسا بدعوتها "بورقية" للحديث في قناة B.B.C ؟ لماذا تحتفظ بريطانيا في أقصى جنوب " ليبيا " و " تونس " بثكنة من الموظفين مُدربين في الشرق على تقنيات خلق الاضطرابات المعادية لفرنسا ؟ لماذا سمحت بإنشاء لجنة في لندن تسهر على تحقيق هدف إستقلال شمال إفريقيا بكل الوسائل ! " (1).

ومادام الشعب التونسي في عمومهِ وفي لنا، ومادام هناك مجموعة خارجة عن القطيع تسعى إلى جرّه إلى طريق مسدود، وما دام هناك شيوعيون وأجانب أو (الاثنين معا) يمارسون تأثير سلبي، من الطبيعي توجيه ضربة، الحزم (عبارة القمع لا تستعمل نهائياً) ويتم تقديمها دائماً على أنها إجابة أو إن أردتم حق الدفاع عن النفس.

الجميع يعرف أن فترة المقيم العام " دي هوتكلوك " ستبلغ قمة القمع: عزل حكومة شنيق، إلقاء القبض على بورقية ومئات من المناضلين، إضراب عام، إنتفاضة، ثم قمع الوطن القبلي.

هناك طريقة أولى للتعليق على الأحداث، وهي سرد الحوار مع الباي، في مجلة " Paris Match " تحت عنوان " في تونس فرنسا تقول لا للمخربين " أنه قطعة من الأدب الكولونيالي الذي تمنح الأبوية والتهديد. لا ينقص شيء: الشرقي البليد، والفرنسي المليء بحسن النية، ثم يغضب لأن الآخرين ضنوا بأنه الأطيش Nigaud، هناك حتى إشارة...لقصة المروحة " كل يوم نفس الشيء، أصبح من المستحيل رؤية الباي، وهو دائماً محاط بمستشارين تشتكي منهم فرنسا، على ملامحهم بسمة جامدة، غمزات في أقصى العين، عبارات صغيرة مثل ضربات السكين في النقاش، حرفي المخادعة لا يقبلون سماع شيء وإذا إحتك الباي بهم أصبح أصم " إقبل بالتفاوض يقول " دي هوتكلوك " لبرنامج الإصلاحات الذي إقترحه، مهمتي محدودة على هذا المخطط. بعدها يمكن لي أن أذهب

¹ – Le Monde, 12 Aout 1954.

لأغرس الملفوف Mes Choux . سكون تام. ليضيف المقيم العام: " أليس هذا ما تريده بعض الدوائر الوطنية ؟ " الباي " يمسح جبينه كأنه لم يفهم شيء، ثم ينفجر: " ما الذي يقوله بالعربية وهو يلوح بيديه وينظر إلى اليمين واليسار، يريد أن يغرس الملفوف هذا لا يعنيني ؟ ليذهب فليغرس ملفوفه، جزره وحتى خياره". هذا الموقف استغله "دي هوتكلوك" متخذًا قراره في المساء: "يجب أخذ زمام الأمور وهو يخاطب مساعديه " (1).

بنفس الأسلوب تم التقليل من خطورة قرار وضع "بورقيية"، في الإقامة الجبرية. الأسبوعية الشعبية " France Dimanche " وضعت صورة " لبورقيية " وهو يمارس لعبة الكرة الحديدية، وعلقت قائلة: " يخصص جزء هام من فترة الترفيه لإتقان علم التصويب "ويظهر أنه غير منزعج من الوضع الذي هو عليه " (2).

بعيدا عن هذه الصور الكاريكاتورية يجب التنبيه أن الدماء تسيل في تونس أثناء الأسبوعين الأكثر اضطرابا، سوف تقوم الصحافة المحافظة الفرنسية بتشويه الحقائق.

هناك المكيالين ومقياسين في تناول الأحداث. إغتيال العقيد Durand - الذي يمثل الفرنسي المتوسط ويمكن أن يؤثر على القراء في فرنسا - استغلت لحملة إعلامية حقيقة. مجلة Paris Match خصصت له الصفحة الأولى تحت عنوان " العقيد Durand مات كبطل سلم، سقط قتيلًا وهو أعزل من السلاح في مواجهة المتظاهرين " (3).

وسارت على منوالها جريدة Le Figaro: " جريمة بشعة في سوسة، متظاهرون يغتالون بطريقة وحشية العقيد Durand قائد الفرقة العسكرية، وهو يحاول التفاوض معهم، القوات تستعمل أسلحتها، تسعة قتلى وثلاثون جريح". (4) بعد هذا لا نجد ذكر للقتلى

¹ - Paris Match 5 Avril 1952.

² - France Dimanche 3 Février 1952.

³ - Paris Match 9 Février 1952.

⁴ - Le Figaro 23 Janvier 1952.

التونسيين في عناوين الصحف وفي تعاليقها. ليس هناك إلا عملية تنظيف واسعة النطاق⁽¹⁾.

الجريدة سوف تقدم إحصاء بالأرقام يوم 14 فيفري: 1483 شخص تم اعتقالهم، إبعاد 710 آخرين تحويل 320 إلى المحاكم العسكرية. لا يوجد ذكر لعدد القتلى والجرحى؟ إحصاء تقريبي وحيد ظهر في هذه الفترة أي 21 قتيل⁽²⁾، لكنهم قتلوا فرنسيين⁽³⁾.

لابد من القراءة بتمعن، وما بين السطور لهذا الجزء من الصحافة، حتى يمكن لنا رؤية الحقيقة بعدما إنتقد تجاوزات " الفلاقة " نجد المبعوث الخاص لـ Le Monde Henry Massals لا يخفي نشوته وفرحته: " ردّ الفعل لم يتأخر طويلا "، طائرات " Vampire " قامت بتفريق المتظاهرين، ناقلات الجند قامت بتمشيط الوطن القبلي: " لقد أنجزت العملية بحزم: تم تفجير منزلين حيث وجدت داخلهما أسلحة، " تمت تصفية أحد الفارين الذي كان يمسك مسدسا، يقال أنه تم الاعتداء جنسيا على النساء، أحد عناصر اللّيف الأجنبي فوجئ وهو يسرق صوّار، تم توقيفه مباشرة وتقديمه لمجلس الحرب (....) رغم أن " دي هوتكلوك " قد أعطى أوامر حازمة بعدم القيام بأعمال إنتقامية " ربما أن هذه الأوامر تم التغافل عنها أحيانا، لكن ليس هناك شيء من الأسطورة البشعة التي يحاول بعض محترفي الخرافات بنائها في تونس و باريس " ⁽⁴⁾. قمة النرجسية وإنعدام الضمير يمكن منحها للصحفي بيار دوبار Pierre Dubard من Le Figaro الذي كان حاضرا في الوطن القبلي Cap Bon، حيث كتب في 27 جانفي بأنه يكفي إبراز " وجه حازم وأسلحة " سيعيد النظام، ثم يمدح في 30 جانفي " برودة الدم " و " حسن التمييز " لقواتنا ويختتم في

¹ – Le Figaro 29 Janvier 1952.

² – 12 مدني و 9 عسكريين.

³ – ندوة صحفية لـ " رايموند مارسولان Raymond Marcellin "، الناطق الرسمي للحكومة والذي سوف يصبح وزير الداخلية 1968.

⁴ – Le Monde 3 Février 1952.

5 فيفري سلسلة تحقيقاته بهذه العبارة: " يظهر بأن النظام قد عاد إلى تونس، السكان في عمومهم يبدون رضاهم: الوجوه منشرحة: الحياة عادت إلى مجاريها....عملية التنظيف الضرورية ...لم تتسبب في سقوط ضحايا، فرنسا أظهرت إنسانيتها " .

لو إستمر في إخفاء الحقيقة لم يعد له مصداقية، العديد من الشهود المحايدون بدأوا في الحديث عن قمع واسع للأهالي. الإقامة العامة رأت من واجبها تكذيب مراسلة جد موثقة وبها تهم عديدة للصحفي Carter Davidson من وكالة " Associated Press " ، شاهد التجاوزات (1).

أسبوعين من بعد صحفي آخر وهو André Sévry من جريدة Le Monde يتحدث عن الأصدقاء المؤكدة لاغتيالات وإعتداءات جنسية، ويطالب بتشكيل لجنة تحقيق مستقلة (2).

كان لابد من إنتظار 2 أفريل لنرى جريدة Le Figaro تنقل هذه التساؤلات على لسان البرلماني للحركة الجمهورية الشعبية Foulupt- Esperaber .

جزء آخر من الصحافة يحمل متطرفي الجهتين مسؤولية ما حدث: " المستوطنون والمتشدّدون الفرنسيون الرافضين لأي تغيير للوضع السائد والوطنيين (3) الحل في نظر هؤلاء مواصلة سياسة وسطية، القيام بإصلاحات بسيطة وبالتدرج وبتأني.

أكثر راديكالية الطريق المسدود السياسة الرسمية الفرنسية والتي أشارت إليها جرائد اليسار. " شارل أندري جوليان " - وهذا لا يستغربه أحد هنا - الأكثر رؤية ووضوح يقول: " أخشى أن تاريخ علاقاتنا ما بعد الحرب، مع بلدان ما وراء البحار إنما يكون تاريخ الفرص

¹ - Le Monde 3 Février 1952.

² - Le Monde 23 Février 1952.

³ - Le Figaro 3-4 Juin 1950.
Le Monde 15 Juillet 1950.

الضائعة لابد من إتخاذ مبادرات وليس إعطاء صورة أننا نتنازل دائما للظروف. خصوصا وأن بورقيية " رجل معتدل " والذي يجب إعادة الاتصال معه ⁽¹⁾.

القمع الذي حدث بداية 1952م ردّ فعل حازم ورافض من طرف صحافة اليسار الغير شيوعية.

في 20 جانفي 1952م يكتب الصحفي Robert Verdier إفتتاحية في هذا التوجه في جريدة " Le Populaire " ، ثم بعدها في 27 مارس في مقال بعنوان: " وكأن القوة يمكن لها أن تحلّ المشكل ! وكتب يقول: " إننا نقف مندهشين أمام قلة البصيرة هذه، بإعتقادنا أنه يمكن حل المشاكل فقط باستعمال القوة، وذلك ما سوف يؤدي إلى تعقيدها أكثر، وجعل الحلول أكثر صعوبة مما عليه ". أما صحيفة " France Tireur " .

فأشارت أنه من المبالغة المفضوحة جعل " بورقيية " الفوضوي الستاليني " ومن الحزب الشيوعي التونسي " عديم الوجود " شبح مخيف ⁽²⁾.

في 22 جانفي 1952م، كتب Pierre Frederix في جريدة Le Monde مجموعة مقالات للقاءاته مع الزعيم التونسي، معطيا صورة رجل متفتح على الحوار، ورافض لإستعمال العنف ضد فرنسا.

هذه الصحافة اليسارية الغير شيوعية سوف تقدم لقرائها الحقائق الأولى على مجازر الوطن القبلي Cap Bon. وكما هو الحال دائما بالنسبة للحملات الاستعمارية، من يريد أن يعرف ما حدث من فرنسا فيمكنه ذلك، لكن هذه الحرية النسبية للصحافة سيتم خنقها باستعمال وسائل الإعلام الكبيرة.

¹ – Le Monde 19 Avril 1950.

² – France- Tireur 20 Janvier 1952.

ستقوم كل من " France Tireur " يوم 3 فيفري و Témoignage في اليوم الموالي بمنح الكلمة للسيد Pierre Corval مستشار التجمع الجمهوري الشعبي، للاتحاد الفرنسي، إثر عودته من تونس هذا الأخير أكد التمشيط والتجاوزات والاعتداءات على النساء، والسرقة والنهب والعنف وتخريب المنازل...مقدّما رقم 200 قتل تونس، وهذا حسب اعتقادنا التقدير الأولي الأكثر شفافية محطما جدار الصمت الذي ظهر في الصحافة الفرنسية.

في 16 فيفري وفي نفس الصحيفة " France Tireur " تنشر شهادة أخرى هذه المرة لشخصية تونسية وهو " طاهر بن عمار " رئيس الغرفة الفلاحية. في الأخير هناك منتخب عن الحركة الجمهورية الشعبية، والعائد أيضا من تونس، البرلماني Jacques Foulupt Esperaber، والذي سبق ذكره يقدم شهادة مطابقة في مجلة L'Observateur ليوم 10 أفريل.

هذه القوى سوف تجتمع لتنظيم تجمع يوم 2 فيفري 1952م في قاعة الودادية La Mutualité في باريس، وسيأخذ الكلمة كل من "شارل أندري جوليان" و"ألير كاهن" "Kahin Albert" عن لجنة حقوق الإنسان و"أندري دنييس" "André Denis" برلماني عن الحركة الجمهورية الشعبية، وأيضا "مارسو بيفرت" "Marceau Pivet" و"جورج ألتمان" "Georges Altman" (جريدة Combat)، و"جون روس" "Jean Rous" (اليسار)، و"جورج مونتارو" "Georges Montarou" عن جريدة Témoignage Chrétienne⁽¹⁾.

كما عبّر الشيوعيون عن تنديدهم بما حدث، في 23 جانفي جريدة L' Humanité تندد في الصفحة الأولى: " 16 قتل آخر في تونس و 25 جريح، 35 إغتيال، مئات الجرحى في أسبوع، هذه هي النتائج المرعبة لأوامر Edgar Faure شريك دي هوتكلوك

¹ – Le Monde 3 Février 1952.

"الشبيبة الشيوعية التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي تنظم تجمع في قاعة الودادية، الخطيب الوحيد هو "جون دراش" Jean Dresch" (1).

في يوم 5 أفريل كتب "Léon Feix" في جريدة L'Humanité: "الوطنيون التونسيون متفقون على المطالبة بجمعية تونسية، وحكومة تونسية، وإدارة تونسية للتونسيين لا يوجد عامل ولا ديمقراطي فرنسي لا يتفق ويقبل بهذه المطالب. عشرات الآلاف من الباريسيين عبروا أمس عن هذا المطلب مرددين عبارة " تونس للتونسيين لنجمع كل جهدنا وإرادتنا حتى يتحول تضامننا مع الشعب التونسي إلى واقع فعال وليتجسد شعار هذا التجمع ويصبح شعار كل الفرنسيين: تونس للتونسيين ".

في ديسمبر 1952م، المفكر Aragon يرمي بثقله وسمعته في الميزان: " إغتيال فرحات حشاد " يوضح جلّيا إلى أي نظام ووسائل نلجأ اليوم لدعم سيطرة حكم عليها التاريخ، لنا اليوم الاختيار بين هذه الوسائل أو إستقلال الشعوب " (2).

هل إبعاد المقيم العام " دي هوتكلوك " يمثل إشارة من باريس ؟ كل ما يمكن قوله عن الأوضاع بعد تعيين " بيار فوازار " Pierre Voizard " تميّزت بالجمود، الوضع يتميز بأقصى مراحل العنف، المقيم الجديد لا يريد أن يغيّر من الوضع القائم، ولذا فالوضع إزداد سوءاً، " حدود تعقل الحزب الدستوري الجديد وصلت إلى أقصاها ويمكن تجاوزها " حسب مجلة L'Observateur .

مشروع " فوازار " هو " العودة إلى أصعب أخطاء دي هوتكلوك " ، لا وجود لحكومة تونسية متجانسة، لا وجود لنظام برلماني مؤسس على مجلس سياسي، متى يمكن للفرنسيين أن يفهموا بأنه يجب التخلي نهائيا على فكرة التسيير المباشر (3).

¹ – L'Humanité 15 Février 1952.

² – L'Humanité 19 Décembre 1952.

³ – L'observateur 4 Février 1954.

لكن ما يشغل الصحافة أكثر هو تضاعف اللّامن في الأرياف، أصبح نشاط " الفلاقة " مكثف وأكثر خطورة. الصحفي Gustave De jeanne من Le Monde إنتقد من يعتقد بأن هذا النشاط مجرد نهب وسرقة: " فلاق 1954م " هو قبل كل شيء ثائر " ويستفيد من " دعم الأهالي " حسب تصريحه (1).

ما يمكن قوله أن هذه التصريحات تعتبر نادرة في Le Monde. على العكس من ذلك مجلة L'Observateur هي أكثر صراحة وتأكيدا: عبارة "الحرب التونسية " إستعملت مرتين في مقالات Roger Stéphane المبعوث إلى عين المكان: "الحرب بدأت في تونس" (2) ثم "الحرب تتطور في تونس" (3)، في هذا المقال الأخير كتب Stéphane يقول: " حول سؤال: أين هم الفلاقة ؟ " يجيبونني: " إنهم في كل مكان ! لقد قاموا ليلة أمس بإغتيال دركيين في "تونس"، وتم الإشارة لوجودهم في "بنزرت"، إنك تتلقى بهم عدّة مرات في الشوارع دون أن تنتبه لذلك: لا يمكن التمييز بين " الفلاقة " والتونسي العادي... تقريبا كل التونسيين شركاء لهم أو يمّولونهم، مثلما كان الحال في فرنسا عندما كان المزارعون يمولون المقاومين حتى ولو لم يكونوا منخرطين رسميا في المقاومة. عددهم يتضاعف بإستمرار بتجنيد أعداد كبيرة منهم".

مناطق بكاملها دخلت تحت سيطرتهم، فالفلاقة هم أناس يتميّزون بتنظيم جيد وليسوا قطاع طرق.

حسب أساليب كلونيلية معروفة سيتم القيام بعمليات تمشيط جديدة ردّا على نشاط المقاومة في 8 جويلية 1954، نشرت صحيفة Les lettres française نداء ضد القمع في تونس من إمضاء Paul Rivet، Gourhain، André Le roi، Paul Chombart

¹ – Le Monde 28Mai 1954

² – L'observateur 3 Juin 1954.

³ – L'observateur 1 Juillet 1954.

Théodore ، André Houdricourt ، Joseph Tubiana ، Michel Leiris ، de Lauwe ، Mouod ، إلّتحق بهم مثقفون وسياسيون ، François Mauriac ، Pierre Olivier Papie ، Léo Armon ، Louis Vallon .

هذا الوضع لا يمكن أن يدوم في تونس - مثل الهند الصينية- فشل سياسة العنف مكّنت بيار منديس فرانس Pierre Mendes France في التفكير في وضع إستراتيجية ميدانية جديدة ليبرالية وواقعية، الجميع يعلم بالطابع المميز للأسابيع الأولى لعهدة " مانديس فرانس": " كلّف في 20 جوان 1954م يعطي لنفسه شهر لكي يبدأ مفاوضات حقيقية حول الهند الصينية وتحقيق السّلم إثر معاهدة جنيف 20 جويلية 1954م: ومنذ نجاح هذه الخطوة، ينتقل إلى الملف الصعب الثاني الخاص بتونس، الذي يبدأ في تطبيقه مع خطاب " قرطاج " .

إن تأثير خسارة حرب الهند الصينية أثر سلبا على الفئة الأكثر محافظة في المجال الكولونيالي، ولن تقبل بصدور رحب المبادرة الجديدة لرئيس المجلس، تفاجأت مثل الجميع برحلة وخطاب " قرطاج " ، Pierre Brisson رئيس تحرير Le Figaro يعرف عن دعمه لـ "منديس فرانس". لكنه يرى في المبادرة نهاية مشروع وليس خطوة نحول الاستقلال: " الخطر الذي على منديس فرانس مواجهته هو تداخل المصالح، لقد وضع حدودًا " لا بد من الصمود: يجب أن تصبح غير قابلة للإختراق... وإلا فإن كل إفريقيا الشمالية ستميل بما فيها الجزائر " (1).

أما جريدة L'Aurore فهي أكثر قساوة، هذه المبادرة تعتبر "تخلي في النهاية" : دون إستشارة للممثلين الوطنيين علقت الجريدة (2).

¹ - Le Figaro 2 Aout 1954.

² - L'Aurore 2 Aout 1954.

البرلماني Roger Duchet، في أسبوعية حركته France Indépendante كتب غاضبا: "الحزب الدستوري الجديد أشعل حرب أهلية، ها هو الآن في السلطة. الإرهاب نجح" (1).

في الأخير فرنسيي تونس على لسان Antoine Colonna يسعون للضغط، مضاعفين رسائل التهديد، يتخللها توجيه اللوم معبرين عن خيبتهم ومهتدين، وعكس المراحل السابقة فإن الصحافة الفرنسية المحافظة رغم تغطيتها لهذه التصريحات إلا أنها بدأت تتعد عن هذه المجموعة.

أغلبية الصحافة تؤيد بأقل تحفظ واقعية "مانديس فرانس Georges Altshuler، ذكر في جريدة Combat أن رئيس المجلس ورث "مخلفات ثقيلة"، وكان عليه إصلاح أخطاء إرتكبها غيره "مثل ما حدث في الهند الصينية". (2) نفس الشيء كتبه محرر le Monde: "لم يكن باستطاعتنا التحرك في تونس بغير هذا الأسلوب، إنعدام الأمن تضاعف بسبب نشاط "الفلاقة"، فرنسا كانت في الخطوط الأمامية في مواجهة الوطنية العربية والذي يجسد بالنشاط المكثف في كل المغرب العربي، إضافة أنه عكس ما حدث في الهند الصينية لم يكن بوسعها الإتكال على حليفها الكبير الولايات المتحدة الأمريكية بل بالعكس، كان عليها أن تنتصر في هذه "المسابقة الجديدة ضد الساعة"، "مانديس فرانس" أضاف لها الشكل "بفضل جرأته وسرعته يتشابه مع أحسن تقاليد "تشرشل" لم يبق عليه إلا مقاومته "الأقليتين" عرب وفرنسيين (3).

¹ – France Indépendante, 10 Aout 1954..

² – Combat 1 Aout 1954.

³ – Le Monde 1 Aout 1954.

دون تردّد أيدت صحافة اليسار خطوة "مانديس فرانس" فرنسا ستخرج أكثر قوة من هذا الفعل " كتب محرّر جريدة France Tireur.⁽¹⁾ في اليوم الموالي وفي نفس الجريدة طالب Jean Rous بأن يتم إكمال مبادرة " منديس فرانس " بقرار عفو واسع وإعتماد الحزب الدستوري الجديد، وختمها بالقول يجب منح " بورقية " وسائل تحقيق سياسته للتعاون

لكن أكثر عنوان تأثير فهو لـ " Roger Stéphane من France Observateur: " صدمة كهربائية في تونس " لقد " عادت الثقة " علقت الأسبوعية: " رغم التمشيط، ورغم إعدام الرهائن، ورغم الاعتقالات والتعذيب، فرنسا تحتفظ هنا بكل الفرص. " منديس فرانس " قام فقط بفتح الأبواب والنوافذ " حتى الشيوعيين الذين لا يحبون " منديس فرانس " أيدوا خطاب " قرطاج " عشرة أيام بعد تحقيق السلام في جنيف " - الهند الصينية- إذا تأكدت الإجراءات المعلن عنها علقت جريدة L'Humanité ليوم 1 أوت، سوف تكون خطوة إلى الأمام وتدعمها.

إبتداء من صيف 1954م هناك فصل واضح بين العمليات الموجهة ضد " الفلاقة " والتي تضاعفت والحوار الذي تجدد مع " حبيب بورقية " وبقية الزعماء الوطنيين.

في الميدان إنعدام الأمن لم يتوقف بخطاب " قرطاج " والوضع الجديد كما أشار إليه عدد من المراسلين Marcel Servier في L'Humanité في أوت⁽²⁾، ثم في أكتوبر Gustave Déjeane⁽³⁾ في Le Monde و Roger Paret في France Observateur⁽⁴⁾ في هذه التحقيقات المصوّرة عن الحرب التي تنصدر إفتتاحيات الصّحف تبدو متناقضة مع الوضع في الجزائر، أين يسود " سلم فرنسا"، أننا في شهر أكتوبر ...

¹ - France Tireur 1 Aout 1954.

² - L'Humanité 9 Aout 1954.

³ - Le Monde 12 octobre 1954.

⁴ - France Observateur 14 Octobre 1954.

نداء وضع السلاح الموجّه " للفلاقة " في نوفمبر، ديسمبر، سيؤدي إلى تخفيف الضغط . الأكثر رجعية في فرنسا وخصوصا المتشدّدين في تونس إعتبروها خيانة. كيف يمكن العفو عن هؤلاء المجرمين قطاع الطرق ! لكن الغريب أن حتى Le Figaro يؤيد هذا إفتتاحية ليوم 10 ديسمبر 1954م تظهر الحرج الذي تعانيه السلطات الفرنسية: " هل يوجد حل آخر ؟ نعم حل وحيد: تقليص عدد الثوار بقوة السلاح. لماذا لم نقم في الجبال بتمشيط مثل تمشيط الوطن القبلي Cap Bon في 1952م ؟ يتسائل بعض الفرنسيين. أولا نعرف كم تكلف عملية من هذا النوع والانعكاسات التي تتجم عليها والفجوة التي سوف تحدثها بين الفرنسيين والتونسيين. كما أن جبال الغرب والجنوب ليست سهول شمال تونس: نتقدم فيها بصعوبة كبيرة، كل الملاحظين الذين يعرفون المنطقة يؤكدون بأنها كانت سوف تتطلب شهورا ووسائل هامة للسيطرة على الجبال وتقليص الميسيطرين عليها.

كما أن الأمر كان يتطلب تضحيات كبيرة - أحد الضباط الذي شارك في العديد من العمليات ضد الفلاقة قال: " مقابل القضاء على 6 ثوار كنت أخسر جنديا ". هذه العمليات الطويلة تتلف وتؤثر إضافة للدّعاية داخل الشباب الدستوري، آلاف العاطلين عن العمل، ومشردي وجياع المدن والأرياف، أسطورة "الفلاقة" تشجع على تجنيد الثوار.... في الأخير كان بإمكان هذا المعقل من حرب العصابات أن يزيد من إشتعال الإنتفاضة في الأوراس الجزائري .

في المقابل فإن بورقيبة " وهو في الإقامة الجبرية يجري مقابلات مع الصحف الفرنسية فمثلا مع جريدة Le Monde ⁽¹⁾ مع France Observateur ⁽²⁾ مظهرا إعتدالا كبيرا: " الاستقلال والشراكة هما مصطلحات كانا دائما مترابطان في ذهني، المشكل الذي سوف يطرح في القريب العاجل سيتمثل في تعويض حدود السيادة التي فرضت علينا على

¹ - Le Monde 4 Aout 1954.

² - France Observateur 9 Septembre 1954.

تحديد حدود سيادة بكل حرّية بسبب التضامن وترايط محسوس وواقعي "، يضمن في الوقت نفسه حقوق فرنسيي تونس " Le Monde .

في مثل هذه الظروف كان من الصعب الاحتفاظ بـ " بورقيّة " في الإقامة الجبرية. عودته إلى تونس نهاية ماي 1955 م رافقتها العديد من التعاليق. حتى أكثر المعارضين يعترفون بالحماس الشعبي الذي رافق هذه العودة. André Le veuf من Le Monde أضاف التعليق التالي: " إنضباط شعب مبتهج الذي أدهش الأقلية الفرنسية في الإيالة " (1).

لجنة الاتحاد الفرنسي للحزب الراديكالي آخر معاقل " الحزب الكلونيالي " حاولت أن تحتج. (2) أكثر المحافظين Pierre Brisson محرّر Le Figaro حاول إستخراج المخطط الكلونيالي القديم أقلية موجهة لأغلبية تابعة: " إنها أقلية مقتنعة جدا نتاج مخابر ومكتبات والتي تمنح الجموع، إطارات، قانون وقائد " (3).

كتابة هذا وكل الشعب التونسي في الشارع يعتبر جرأة زائدة.

إبتداء من صيف 1955م، بدأنا نحس بأن الغالبية من الصحف، حتى المعارضة منها لأي تطوّر ليبرالي إقتنعت بأن الإبقاء على الوجود الفرنسي كما هو عليه الحال مستحيل.

Raymond Aron، مع الواقعية التي تميّز أفكاره يعطي تصوّر كان بالإمكان أن تسيّر عليه الطبقة الحاكمة الفرنسية قبل هذا: " التجربة التونسية حدّدت الطريق الذي يفرض نفسه لا محالة في مناطق أخرى. يجب التقليل قدر الإمكان من الإدارة المباشرة، ولنترك لمن قمنّا بتأهيلهم وتكوينهم أمر تسيير شؤونهم الخاصة بمجرد أن تظهر قدرتهم على ذلك. يجب

¹ – Le Monde 4 Juin 1955.

² – Le Monde 2 Février 1955.

³ – Le Figaro 7 Juin 1955.

أن نبدأ الحوار مع الوطنيين المعتدلين وعدم التمسك فقط بمحاورينا الموصفون بأصدقاء فرنسا. المحاورون الحقيقيون هم الذين يتمتعون بثقة الغالبية أي شعوبهم " (1).

2- الجرائد الكولونiale والقضية التونسية:

- التعريف بالجرائد الكولونiale:

للتعريف بالجرائد الكولونiale تمت الاستعانة بوثيقة خاصة بمحضر شرطة الاستعلامات العامة قسم محافظة الجزائر بتاريخ 14 أفريل 1951م، موجهة من المحافظ Le Commissaire divisionnaire لشرطة الاستعلامات العامة لمحافظة الجزائر إلى المدير العام للأمن العام، والمحضر خاص بالجرائد اليومية الصادرة في الجزائر ردا على مراسلة 30 مارس 1951 تحت رقم n°30.632, pd.R.G.2 جاء فيها ردا على مراسلتكم السالفة الذكر، لي الشرف أن أرسل لكم ملف يتضمن معلومات قانونية تخص الجرائد اليومية والكتابات الأسبوعية ذات توجه سياسي الصادرة في المقاطعة التي أشرف عليها محافظ الشرطة للاستعلامات العامة مسؤول قسم الجزائر.

إمضاء كوستيس COSTES.(2)

ورغم هذه التقارير الأمنية التي جاءت بطلب من السلطات الفرنسية، لم يؤثر ذلك على الخط الافتتاحي والتوجهات السياسية لتلك الجرائد الكولونiale وانتقادها لكل توجه لا يخدم مصالحها ومصالح الفئة التي تمثلها، ونقصد بها الأقلية الكولونiale في كل من المغرب وتونس وخصوصا الجزائر.

¹ – Jour De France, 20 Aout 1955.

²– A.N.O.M, 1AFF, Pol, C2131/3, Le commissaire divisionnaire de la Police des renseignements généraux Chef du District d'Alger, à Mer le directeur général.

أنظر الوثيقة رقم (5) في الملحق.

• تعريف مختصر بالجرائد الكولونيالية:

I/- لاديباش كوتيديان دالجيري La dépêche quotidienne d'Algérie

- التوجه السياسي: راديكالي اشتراكي
- السحب التقريبي: 36 ألف نسخة.
- اسم المالك: راوول بيرري Raoul Perrier
- مكتب التحرير: 15 شارع شاراس الجزائر
- مجلس الإدارة: - هنري بورجو Henri BORGEAUD، سيناتور.
- أوقست رانكورال Auguste RENCUREL عضو برلمان.
- فرناند شوفالي Fernand CHEVALIER عضو برلمان.
- روب وبيري ROBE et PERRIER
- طريقة الصدور: يومية.
- إسم المطبعة M. FONTANA
- الجمهور الذي تخاطبه الجريدة: الأوساط الراديكالية والمعتدلة.
- الجزائر في 14 أبريل 1951م⁽¹⁾.

II- ليكودالجي L'Echo d'Alger

- التوجه السياسي - معتدل
- السحب التقريبي: 65 ألف نسخة.
- اسم المالك: شركة مجهولة ذات مسؤولية
- المدير: آلان دي سيريني Alain de SERIGNY مندوب الجمعية الجزائرية.
- المسير م. ديتري M.DUTRIEUX.

¹ A.N.O.M, 1AFF. Pol, C2131/3, 14 Avril 1951.

أنظر الوثيقة (6) ولواحقها.

- مكتب التحرير: 520 شارع الحرية الجزائرية.
- مجلس الإدارة دم ديرو M. DUROUX راديكالي اشتراكي
- o دي سيريني زيقافو DE SERIGNY, ZEVAGO مندوب في الجمعية الجزائرية.
- o فيراسي جاك FERRACCI JACQUES
- طريقة الصدور يومية.
- اسم المطبعة المطبعة العامة لـ ليكودالجي.
- جمهور الجريدة: الأوساط المعتدلة⁽¹⁾.

III- لوجورنال دالجي Le Journal D'Alger

- التوجه السياسي: معتدل يمين.
- السحب التقريبي: 19 ألف نسخة.
- اسم المالك: شركة ذات مسؤولية محدودة.
- المسير المدير: فييارد بول Viard Paul عضو في البرلمان.
- مكتب التحرير: 1 شارع لا فيريار La ferriere الجزائر.
- مجلس الإدارة: فييارد بول VIARD Paul عضو برلمان.
- كاردونا CARDONA مندوب في الجمعية الجزائرية.
- بلاشات BLACHETTE.
- طريقة السحب: يومية.
- اسم المطبعة: شارع باستور S.N.E.P الجزائر.
- الجمهور الذي تخاطبه الجريدة: الأوساط المعتدلة.

¹ A.N.O.M, 1 AFF.Pol. C 2131/3 .

▪ الجزائر في: 14 أبريل 1951م⁽¹⁾.

VI - "دارينار أور" "DERNIERE HEURE"

- التوجه السياسي: معتدل.
- السحب التقريبي: 20 ألف نسخة.
- اسم المال: شركة ذات مسؤولية محدودة.
- المسير بالمدير: فيليب رولان Philippe ROLAND
- مكتب التحرير: شارع الحرية الجزائر.
- مجلس الإدارة بلاشات BLACHETTE - راوول زيفاقودي سيريني Raoul Zevafo de Sirigny.
- طريقة السحب: يومية.
- اسم المطبعة: المطبعة العامة لجريدة ليكودالجي L'écho D'Alger.
- الجمهور الطي تخاطبه الجريدة: الأوساط المعتدلة⁽²⁾.

3- تونس بين التدويل وتعيين "دي هكتلوك" مقيما عاما:

قبل تعيينه مقيما عاما في تونس تولى "دي هوتكلوك" Hauteclouque منصب سفير فرنسا في بلجيكا، وقبل مغادرته لها وجه برفقة "الباي" يعبر فيها عن أمنيته وتمنياته لجلالته بالسعادة والنجاح، وعن تمسكه بالصدقة التقليدية بين البلدين مع التأكيد على الاتحاد الفرنسي التونسي⁽³⁾.

¹- A.N.O.M, 1AFF, Pol, C2131/3, 14 Avril 1951.

أنظر الوثيقة رقم (8) ولواحقها.

²- A.N.O.M, 1AFF, Pol, C2131/3.

أنظر الوثيقة رقم (9) ولواحقها.

³ - La Dépêche quotidienne D'Algérie, Mercredi 2 janvier 1952, n° 760.

من جهته قام " لويس بيريلي Perillier " المقيم العام المنتهية مهمته بزيارة الباي لتوديعه وخصّ بحفل إستقبال، أما بورقيبة فقد أدلى بتصريح أهم ما جاء فيه: " إن وساطة الأمم المتحدة هي الوحيدة القادرة على بعث المفاوضات الفرنسية التونسية وإخراجها من المأزق الموجودة فيه"⁽¹⁾.

وهذا قبل توجّهه إلى تونس للإشراف على المؤتمر الاستثنائي للحزب الدستوري الجديد المقرّر إنعقاده في 11 جانفي 1952م في تونس. وجاء تصريح "بورقيبة" للصحافة ردّا على مراسلة " روبرت شومان " Robert Schuman وزير الخارجية الفرنسي لفرض فكرة " الشراكة " على التونسيين الذين يرفضونها أصلا وكانت سببا في وقف المفاوضات.

رغم هذا الرفض واصلت السلطات الاستعمارية فرض سياسة الأمر الواقع من خلال مضيقها في مشروع الإصلاحات البلدية، وإنشاء لجنة مشتركة فرنسية تونسية مهمتها دراسة الاقتراحات لوضع نظام تمثلي يعوّض المجلس الكبير.

كما غادر " لويس بيريلي " تونس عائدا إلى باريس يوم 10 جانفي، وهو اليوم الذي شهد إجتماع الجنرال " قبيوم Guillaume " المقيم العام الفرنسي في المغرب مع " دي هوتكلوك " المقيم العام الجديد في تونس للتشاور والتنسيق بينهما قبل مغادرة هذا الأخير باريس نحو ميناء تولون Touloun ومنها إلى تونس⁽²⁾.

أثناء ندوة صحفية في باريس صرّح المقيم العام الجديد في تونس " دي هوتكلوك " بوجود احتمالات إتفاق بين فرنسا وتونس، وبأنه قام بدراسة المشكل طيلة 8 أيام، وقبل مغادرته إستقبل من طرف وزير الخارجية " روبرت شومان ".

¹ - حول تدويل القضية التونسية، أنظر :

Habib BOURGHUIBA, JR ; op.cit, P : 177.

Juliette BESSIS ; Maghreb... op.cit., P : 208.

² - La Dépêche quotidienne D'Algérie, Mercredi 2 janvier 1952, N : 760.

من جانبها أعلنت الحكومة التونسية رفضها لمراسلة " شومان " وزير الخارجية في 15 ديسمبر 1951م⁽¹⁾ وهي تمثل جواب رفض فرنسا للمقترحات التونسية ليوم 31 أكتوبر، كما عبر التونسيون عن رفضهم لفكرة الشراكة La Coosouvainte، مع تأكيدهم على الوحدة والسيادة التونسية⁽²⁾.

وللخروج من هذه الوضعية قرّرت الحكومة التونسية برئاسة " محمد شنيق " نقل خلافها مع فرنسا إلى أروقة الأمم المتحدة، وهو ما أكدّه " حبيب بورقيبة " في لقائه مع طلبة الجامع الكبير، مؤكداً أن ساعة الوحدة قد حانت. من جانبها أشارت الدوائر الرسمية في باريس أن ردّ الحكومة التونسية سلّم لوزير الخارجية Robert Schuman عن طريق المقيم العام العائد " لويس بيريلي "، كما رفضت تلك الدوائر الردّ على ما قاله "بورقيبة" حيث أشارت أنه لا يمثل إلا نفسه.

وعلّقت الجريدة على إحتتمالات نجاح هذا المسعى التونسي، خصوصا مع عدم تحمّس الدول العربية العضوة في الأمم المتحدة على تبني القضية التونسية لتسجيلها في جدول أعمال الأمم المتحدة، خصوصا مع فشل مسعى هذه الأخيرة في تسجيل القضية المغربية في 13 ديسمبر 1951م.⁽³⁾

أما الوفود العربية - عددها 6 ستة - الحاضرة آنذاك، فقد صرّحت بأنها لم تتلقى طلبا بذلك المسعى من طرف الحكومة التونسية، كما صرّح الأمين العام للجامعة العربية "عزام باشا " أثناء زيارته لفرنسا إثر مأدبة عشاء من تنظيم جريدة L'observateur قائلا:

¹ - حول مراسلة 15 ديسمبر 1951م.

Hedi BACOUCE ; op.cit., P : 63.

أنظر:

² - La D.Q d'A, Jeudi 3 janvier 1952, N : 761.

³ - La D.Q d'A Samedi 12 Janviers 1952, N°762.

"...إنني هنا كمحامي لإخواني في شمال إفريقيا، وليس كعدو لفرنسا...وبالنسبة لتونس فإن الجامعة العربية سوف تقف إلى جانبها كما فعلته مع جميع الدول الساعية للاستقلال " (1).

أما بالنسبة للدول الآسيوية فقد عبّر السفير الهندي "Sardor MALIK" في الأمم المتحدة عن موقفها قائلا: " لا يمكن الفصل في القضية التونسية في الأمم المتحدة على اعتبار أن تونس ليست عضوا فيها، وعلى هذه الأخيرة أن تطلب من دولة أو مجموعة دول القيام بذلك نيابة عنها " (2).

وهذا التصريح لتوضيح الجانب القانوني وكيفية إيجاد طريقة لتسجيل القضية.

بطبيعة الحال تسعى جريدة " لا ديباش كوتيديان " كبقية الجرائد الكولونيالية إلى منح تغطيات واسعة للنشاطات الرسمية للسلطات الفرنسية من خلال تخصيص الصفحة الأولى لأي حدث ولو كان بسيطا منها مثلا وصول " دي هوتكلوك " إلى تونس على متن السفينة الحربية MARCEAU (3) وتشريفه بإستقبال حار، وكان من بين وفد المستقبلين السيد " طاهر معاوي " مدير تشريفات الباي، حيث توجه المقيم العام، مع الوفد المستقبل له إلى قصر الباي " بحمام اللّيف " حيث سلّم أوراق إعتماده للباي (4).

وبالعودة إلى موضوع تدويل القضية التونسية ورد خبر أن وزيران تونسيان حاولا اللجوء إلى الأمم المتحدة مباشرة بإسم حكومتهم لكن دون جدوى، فأمانة العامة لهذه الأخيرة تركت لفرنسا حرية تقييم هذه الشكوى، وفي تفاصيل الخبر جاءت الإشارة أن الوزيران هما " صالح بن يوسف " وزير العدل، و " محمد بدرة " وزير الشؤون الإجتماعية.

¹ – La D.Q d'A Samedi 12 Janviers 1952, N°762.

² - Ibid.

³ – حول وصول المقيم العام " دي هوتكلوك " إلى تونس.

Habib Bourguiba, Jr, op.cit, P : 117

أنظر:

⁴ – La D.Q, D'A Dimanche Lundi 13,14 janvier 1952, N°763-764.

من جانبه دافع الوفد التونسي عن حقّه باللجوء إلى أعلى هيئة دولية من أجل حلّ سلمي لخلاف بينه وبين دولة أخرى وهذا حسب القانون الدولي الذي يعطي الحق لأي بلد سواء كان عضواً أو ليس عضواً باللجوء إلى الأمم المتحدة.

وحسب التصريح الذي سلّمه الوفد التونسي للصحافة جاء فيه: "... في رسالة 15 ديسمبر الأخيرة أكدت الحكومة الفرنسية رفضها كلياً للمقترحات التونسية مؤكدة ضرورة إشراك الفرنسي في المؤسسات السياسية للإيالة.... وعليه من حق الحكومة التونسية نقل هذا الخلاف إلى مجلس الأمن " (1).

أما بالنسبة للحكومة الفرنسية فلا يمكن لها قبول تلك الشكوى لسببين، الأول أن الشكوى لا تحمل ختم " الباي " لكونه يمثل السلطة التشريعية، ثانياً أن إجراءات تسجيلها في الأمانة العامة غير قانونية حسب معاهدة " باردو " 1881م التي تنص على أن فرنسا هي المسؤول الوحيد عن الشؤون الخارجية لتونس (2).

وعلى هذا الأساس قامت الأمانة العامة بتسليم الشكوى التونسية إلى ممثل فرنسا عنها وهو Jean Chauvel .

أثناء ذلك شهدت تونس مظاهرات عدّة، منها واحدة وقعت في العاصمة حاول من خلالها مجموعة من المتظاهرين تحرير أحد المعتقلين بالقوّة مما تسبب في مواجهات مع الشرطة أدت إلى سقوط 11 جريح من الجانبين، والسبب في الأصل هي محاكمة رئيس " ودادية قدماء المحاربين السيد "مستوري عبد العزيز " بتهمة تنظيم مظاهرة غير مرخصة.

¹ – La D.Q, D'A Mardi 15 janvier 1952, N°765.

² – حول تدوير القضية التونسية والجانب القانوني فيها. أنظر:

Juliette BESSIS ; op.cit., P : 208

TEMMIMI Abdeljalil : Cinq documents.... Op.cit., PP : 286,287.

ويتواصل السجال بين سلطة الإحتلال والحكومة التونسية، فالمقيم العام " دي هوتكلوك " أبلغ " الباي " بعدم قانونية الشكوى التونسية في الأمم المتحدة. من جانبه صرّح رئيس الوفد الباكستاني السيد " زافرولاه خان " Zafrullah Khan " بأنه يحتفظ لنفسه بحق تأييد ودعم الشكوى التونسية أولا حيث سلّمت له من طرف الوزيران التونسيان بإعتبار بلده يتّراس المجموعة الآسيوية⁽¹⁾.

تميّزت فترة الخمسينات في فرنسا بعدم الإستقرار السياسي وسقوط حكومات وقيام أخرى منها تشكيل حكومة " إدغار فور Edgar Faure "، وإنعقاد أول مجلس لها في جدول أعماله مناقشة المشكلة التونسية التي يمكن أن تزيد في الانقسام مع الإشتراكيين للإختلاف الكبير في الرؤى ووسائل حل القضية⁽²⁾.

4- ردّ فعل الشعب التونسي والقمع الاستعماري:

الجمود السياسي وعدم وجود بوادر حلّ سلمي للقضية التونسية مع تصلب المواقف الفرنسية دفع بالشعب التونسي إلى الشارع والخروج في مظاهرات تعبيراً منه عن نفاذ صبره، وتصعيداً للموقف وقعت مظاهرة في مدينة " نابل " والتي تبعد بعدة كيلومترات عن مدينة " الحمامات " لتتدخل قوات الأمن، مما دفع بمجموعة من المتظاهرين بإعتلاء أسطح المنازل وإلقاء قنابل حارقة أسفرت عن سقوط ثلاث قتلى و 20 جريح.

أما في تونس العاصمة فقد نظم الحزب الدستوري الجديد مظاهرة شارك فيها الآلاف من التونسيين مردّدين شعارات " يحي الحزب الدستوري، يحي بورقيبة "، ثم توجهت إلى قصر " الباي " الذي سلّمت له عريضة وعلى إثرها تفرّق المتظاهرون⁽³⁾.

¹ – La D. Q, d'A mercredi 16 janvier 1952, N°766.

² – La D.Q, D'A Dimanche Lundi 20,21 janvier 1952, N°770-771.

³ – La D.Q, D'A Mardi 22 janvier 1952, N°772.

كما عرفت منطقة " طبولبة " والتي تبعد ببضعة كيلومترات عن مدينة " موقنين " مواجهات بين قوات الدرك التي حاولت تحرير رهينة فرنسي من قبضة المتظاهرين وأدت إلى سقوط سبعة (7) قتلى، والعديد من الجرحى من بين هؤلاء الذين سيطروا على المدينة، وتسعى القوات الاستعمارية لإسترجاعها.

كما وقع هجوم على مركز شرطة " موقنين " - تبعد 200 كلم عن تونس وتشتهر بزراعة الزيتون - وهذا إثر مظاهرة شارك فيه أكثر من 5 آلاف تونسي، حيث قتل ثلاث عناصر من الشرطة، كما هاجم المتظاهرون مركز الدرك حيث أصيب دركي بجروح⁽¹⁾.

ومع وصول خبر الهجوم توجّهت فرقة عسكرية إلى عين المكان حيث تعرّضت إلى إطلاق للنار، وإلقاء قنابل يدوية عليها عند مدخل قصر " الهلال "، وقد أُلقي القبض على ثلاث عناصر مسلحة. وإثر هجوم على المستوطنين بالحجارة في منزل " بوزلفة " توجّه إليها الملازم الأول " فاشر Vacher " مع 12 دركي أين تعرّضوا إلى هجوم مباغت في منطقة " بني خالد " حيث أصيب بجروح خطيرة أدت إلى وفاته مباشرة بعد وصوله إلى المستشفى.

كما تعرّضت عشرات السيارات للتخريب والحرق في 24 ساعة الماضية في نواحي " بن خالد"، منزل "بوزلفة" و"سليمانية"، كما تم إحراق مركز شرطة "جمّال" ولم يؤدي إلى سقوط ضحايا⁽²⁾.

أما في منطقة " الكاف " فقد قام 2000 متظاهر بتسليم عريضة إحتجاج للسلطات " والمشايخ قايدات " Caidat " وإثر مواجهات بين العرب واليهود حدثت في مدينة "صفاقس"، فرّ اليهود إلى الأحياء الأوروبية من المدينة⁽³⁾.

¹ - La D.Q. D'A jeudi 24 Janvier 1952, N°774.

² - La D. Q. D'A N° : 774 , op.cit.

³ - منذ الإحتلال الفرنسي لتونس سعت الجالية اليهودية للحصول على الجنسية الفرنسية.

Paul SEBAG, op.cit, P :153.

أنظر:

كما تعرّض مخزن " الشركة التونسية للإحتياط " في "سوسة" إلى السطو والإستيلاء على 50 قنطار من الحبوب، كما شهدت المدينة مراسيم دفن العقيد " دورانت Durand " الذي أعتيل يوم الثلاثاء إثر مظاهرات ومواجهات عرفت المدينة (1).

هذه المواجهات دفعت بالسلطات الفرنسية إلى تشديد الإجراءات الأمنية في كل المناطق التونسية، كما تم إستدعاء إحتياطي الدرك، ووصول عناصر من الحرس المتنقل من الجزائر، كما تم إستعمال المدفعية في إسترجاع السيطرة على مدينتي " موقنين " و " تبولبة ". كما سقط 4 قتلى و 9 جرحى إثر مواجهات بين متظاهرين وقوات الأمن إثر إجتماع لأعضاء الحزب الدستوري الجديد " في مدينة " القيروان " أعقبه مظاهرة ضخمة إنطلقت من الأحياء العربية متوجّهة إلى الأحياء الأوروبية فأعرضها قوات الأمن وأطلقت عليها النار. كما قام مدير الأجهزة الأمنية بمنع دخول وتوزيع الجريدتان العربيتان " الأهرام " و " المصري " إلى تونس (2) وغالبا ما تستغل السلطات الفرنسية المبرر الأمني لفرض حصار على الصحافة العربية على الخصوص، ومنع تسريب لأي أخبار قد تكشف على حجم القمع الاستعماري.

وقد صرّح " بورقيبة " بأن سبب الاضطرابات التي تعرفها تونس هي مراسلة 15 ديسمبر (3) التي وجهت للباي من طرف الحكومة الفرنسية، وإذا أرادت فرنسا عودة الهدوء إلى تونس فما عليها إلاّ تحديد موقفها من مطالب التونسيين وإيجاد حل للمشكل

¹ - استغلت السلطات الاستعمارية حادثتي إغتيال " فاشر " و " دورانت " للقيام بعمليات قمع واسعة إثر تمشيط الوطن القبلي Cap Bon قادها الجنرال " قرياي Car Bay "، وبتوجيه من المقيم العام " دي هوتكلوك ".

Daniel RIVET, op.cit, P : 395

² - La D.Q D'A Vendredi 25 Janvier 1952, N°775.

³ - مراسلة 15 ديسمبر 1951م التي تضمنت رفضا قاطعا من فرنسا لحق التونسيين في ممارسة سيادتهم وإجبارهم على قبول مبدأ السيادة المشتركة la cosouveraineté مع الفرنسيين.

Hedi BACOUCHÉ ; Op.cit., P :,63.

أنظر:

الذي تسببت فيها ⁽¹⁾. دبلوماسيا ذكرت جريدة " لاديباش كوتيديان " بأن العريضة التونسية لن تسلّم لمجلس الأمن، حسب الناطق الرسمي لأمانة هيئة الأمم المتحدة والذي أكد اللقاء الذي تم بين الوزيران التونسيان والسيد " كوردي Cordier " مدير مكتب الأمين العام "تريجفي لي Trygve Lée"، والذي قال بأنه لا يمكن تحويل الشكوة التونسية إلى مجلس الأمن.

هذا لم يمنع كل من " صالح بن يوسف " و " محمد بدرة " من تكثيف نشاطهما في قصر " شايلو Chaillot مقر الجمعية العامة للأمم المتحدة سعيا منهم لتدويل القضية وهذا بمساعدة مجموعة الدول العربية والآسيوية -13 دولة - التي سعت للإتصال برئيس الجمعية العامة السيد " باديل نيرفو Padela Nervo " معبرين عن إنشغالهم الكبير بسبب الإضطرابات والمواجهات الأخيرة في تونس. وأضاف ممثل الهند أنه طلب من هذا الأخير التوسط مع فرنسا لإيجاد حل سلمي للخلاف التونسي الفرنسي، معبرا له أن العديد من الدول ومنها الهند مستعدة لنقل القضية إلى الأمم المتحدة. وفي إطار مسعى الضغط على السلطات الفرنسية فقد رفضت الوفود العربية حضور حفل الإستقبال الذي أقامه وزير الخارجية الفرنسية " روبرت شومان Robert Schuman " على شرف وفود الأمم المتحدة إحتجاجا على القمع الاستعماري الأخير في تونس ⁽²⁾.

مقابل هذا تواصل فرنسا سياستها الاستفزازية في تونس، فقد رست السفينة الحربية " George Legques " في ميناء بنزرت، وعلى متنها 600 جندي من الحرس المتنقل لدعم القوات الفرنسية المتواجدة في عين المكان وهذا من مجموع 20 ألف عسكري التي ينتظر وصولها إلى تونس للسيطرة على الوضع.

¹ - La D.Q, D'A N°775, op.cit.

² - La D.Q, D'A N°775.

أما حول نشاط المقاومة فهناك تركيز على خطوط السكك الحديدية فقد أدى تفجير عبوة ناسفة إلى إنحراف قطارين تسبب في سقوط قتيل وأكثر من 100 مليون فرنك خسائر مادية (1).

سياسيا إنعقد مجلس وزاري مصغر في فرنسا لمناقشة تطورات الأحداث في تونس شارك فيه رئيس الحكومة " إدغار فور " والوزراء " بيدو Budaut " و " ميتران Mitterrand " و " فيليكس قيارد Felixe Gayard " ووزراء الحرب " شوفيني Chevigne " و " موتل Moutel " و " فافيني Gavini " وعند الخروج من الإجماع صرح الوزير " بيدو " بما يلي: " مادام النظام مضطربا في تونس، والفرنسيون يتعرضون للقتل، سوف نرسل كل القوات الضرورية والملازمة " (2).

مع الإشارة أن هذا الإجتماع إستمر لأكثر من 4 ساعات.

في أعقاب هذا الإجتماع كُلف مجلس الوزراء المصغّر موظفان بنقل رسالة تهديد وضغط على الباي عبر الإقامة العامة وهما " جاك دوهامل Jacques Duhamel " نائب مدير لدى مكتب الوزير الأول و"جون لالوي Jean LaLoy " موظف سامي لدى وزارة الحربية.

من جانبه صرّح "بورقيبة" قائلا: " هناك هدوء نسبي يشوبه الحذر في تونس، إنها الفرصة الأخيرة لفرنسا لكي تحدّد بكل حرّية موقفها هنا، وإذا لم يحصل شيء ملموس من الاتصالات الجارية بين الباي و السلطات الفرنسية، فسوف تتجدّد الإضطرابات (3) وجاء هذا

¹ – La D.Q, d'A Samedi 26 janvier 1952, N°776.

² – Ibid.

³ – La D.Q d'A Dimanche Lundi 27,28 Janvier 1952, N°777-778.

التصريح من فندق إقامة أعضاء الحزب الدستوري الجديد، وكان إلى جانبه كل من " منجي سليم " مدير الحزب و " هادي شاكر " مسؤول الخزينة.

تصريح بورقيبة لم يغيّر شيئاً في الوضع الأمني، فموازة مع إستمرار عمليات التمشيط في " الوطن القبلي " Cap Bon منذ عدة أيام بمشاركة آلاف الجنود الفرنسيين تواصل فرق المقاومة نشاطها الميداني فقد تم تفجير عبوتين ناسفتين على طول خط سكة حديد "سوسة". كما تم تفجير وتحطيم جسر في ناحية " صفاقس " وتحديدًا في المكان المعروف بـ " سانت جوليان "، مما سوف يتسبب في قطع المواصلات لعدة أيام⁽¹⁾.

أمنياً تم إعلان حالة الطوارئ في "الوطن القبلي " موازاة مع إستمرار عمليات التمشيط، كما تم دفن ثلاث رجال أمن سقطوا على يد المقاومة في 23 جانفي 1952م بمنطقة " موقنين " (2).

وحول مراسلة الحكومة الفرنسية للباي فقد سلّمت لهذا الأخير من طرف المقيم العام " دي هوتكلوك "، وأهم ما جاء فيها أن السلطات الفرنسية تشترط على الباي عودة الهدوء قبل أي نقاش أو إجتماع للجنة المشتركة المكلفة بدراسة الإصلاحات (3).

أمنياً يستمر إرسال قوات عسكرية إضافية إلى تونس إنطلاقاً من مينائي مرسيليا- و تولون.

كما أعلنت السلطات العسكرية عن نهاية عمليات التمشيط في الوطن القبلي - يسميها الصحافة الكولونيالية عمليات تنظيف Nettoyage - مع إعطاء إحصاء لما تم إسترجاعه منها 35 بندقية رشاش، 36 بندقية صيد، 81 مدفع، رشاشان، 9 مسدسات

¹ - La D.Q d'A Dimanche Lundi 27,28 Janvier 1952, N°777-778.

² - La D.Q. d'A Mercredi 30 janvier 1952, N°780.

³ - La D.Q. d'A Jeudi 31 Janvier 1952, N°781.

رشاشة، 12 مسدس، 20 لغم، 4500 خرطوشة، 100 كلغ من المتفجرات، كما أشار البيان إلى إلقاء القبض على 200 شخص سيحالون على القضاء العسكري (1).

من جانبها واصلت المقاومة التونسية نشاطها ففي ناحية " صفاقس " تم تفجير وتخريب محوّل كهربائي بواسطة قذيفة 88 ملم، وتسبب في خسائر كبيرة، مع العلم أن هذا المحوّل كان يمول العديد من المصانع بالكهرباء.

كما حاولت مجموعة من المقاومين حرق مزرعتين في ناحتي " زغوان " و " سليانة " كما تم قطع خيوط الهاتف في ناحية " غافور ". كما تم إلقاء القبض على خمسة مناضلين من الحزب الدستوري الجديد في منطقة " باجه " (2).

موازة مع نشاط المقاومة المسلّحة، قامت الأحزاب السياسية والنقابات العمالية بنشاط مكثف من خلال القيام بإضرابات عامة كما حدث في تونس يوم 1 فيفري وقد دعت إليه كل من الحزب الدستوري الجديد، والاتحاد العام التونسي للشغل والشيوعيين، وقد تم الإضراب في هدوء تام.

كما تم إصاق مناشير تتضمن رسائل تهديد بالموت موجهة للفرنسيين ممضاة من "اليد السوداء" هذا محتواها: "اليد السوداء في كل مكان، حياتكم في خطر، الموت في كل منعرج، إنها تتبعكم خطوة خطوة" (3).

إن قتل أي تونسي سيتبعه قتل 10 فرنسيين، لا تطمننوا لشرطتكم أو درككم أو جيشكم المهلهل، لا يمكن لهم حمايتكم من هجماتنا المتواصلة والتي تزداد قوة في كل مرّة

¹ – La D.Q. d'A Dimanche Lundi 3/4 Février 1952, N°784,785.

² – Ibid.

³ – تعرف أيضا بإسم " السود الإحدى عشر " شكلتها المقاومة التونسية كرد فعل على المنظمة الإرهابية اليد الحمراء. أنظر: عبد الكريم عزيز: المرجع السابق، ص: 424.

"اليد السوداء" في كل مكان، ليس بقوة الجيوش تمكن خنق طموحات شعب عازم مسلّح بعقيدته سيفرض قوته....إن الفرنسيون لا يدافعون عن مجد فرنسا لكنهم يدنسونه بدم عشرات الأبرياء... كونوا أصدقاء للتونسيين، لا تفكروا في عرقلة نشاطهم المقدّس، الذي يهدف إلى تحقيق الحرية والعدالة، لا تقفوا في وجه مبادئنا السامية، وإلا فإن " اليد السوداء"، سوف تنزل عليكم كالصاعقة للانتقام لشهادتنا، لن نكون قتلة، وإنّا منفي قصاص عادل، العين بالعين والسنّ بالسنّ.⁽¹⁾ إنها إحدى وسائل المقاومة الإعلامية وإدخال الخوف إلى قلوب الأعداء.

دبلوماسية قامت المجموعة العربية الآسيوية بمراسلة الأمين العام للأمم المتحدة وتنبئ به إلى خطورة الأوضاع في تونس خصوصا مع إستمرار الوضع على حاله، كما سلّمت نسخة إلى رئيس الجمعية العامة، ومجلس الأمن وقد أمضت على تلك العريضة 15 دولة وهي: أفغانستان - بيرمانيا - مصر - إثيوبيا - الهند - إندونيسيا - إيران - العراق - لبنان - نيجيريا - باكستان - الفلبين - العربية السعودية - سوريا - اليمن. كما طالبت تلك الدول بوساطة الأمم المتحدة قبل أي خطوة رسمية تتخذها على مستوى الهيئة الدولية⁽²⁾.

وفعلا قرّرت المجموعة العربية والآسيوية نقل القضية التونسية وعرضها على مجلس الأمن، وقد شكلوا من أجل تحقيق هذه الخطوة لجنة لتحضير ملفّ يقدم للمجلس، أما الجانب الفرنسي فما زال متمسكا بأطروحاته القديمة، بأن المشكل التونسي شأن داخلي فرنسي ولا يحق للأمم المتحدة التدخل فيه، وأن ذلك التدخل وإن حدث فسوف يعرقل تجدد المفاوضات الفرنسية التونسية.

¹ - La D.Q. d'A Vendredi 01 Février 1952, N°782.

² - La D.Q. d'A Samedi 02 Février 1952, N°783.

5-تضاعف نشاط المقاومة المسلحة التونسية:

أما على المستوى الأمني والعسكري فقد شهد نشاطا مكثفا منها إستمرار عمليات البحث من طرف الأجهزة الأمنية الاستعمارية على عناصر من الحزب الدستوري الجديد تتهمهم بأنهم وراء الاضطرابات الأخيرة، كما تواصل البحث في منطقة " بنزرت " عن مخابئ الأسلحة، وتؤكد تلك السلطات أن آلاف المتفجرات والأسلحة تعود إلى سنة 1943م تركتها القوات الإيطالية والألمانية تم إخفائها وهي تمثل الآن مصدر خطر عليها. كما وقع هجوم على قافلة عسكرية في ناحية " سوسة " بإستعمال قنابل يدوية وبنادق، وتحديدا في "قصر الهلال"، وقد أصيب 8 جنود بجروح، كما أصيب مواطن تونسي⁽¹⁾.

ولإعطاء صبغة قانونية لعمليات القمع الاستعماري تذكر السلطات بأنها تتحرك تطبيقا لقانون حالة الطوارئ الساري المفعول في تونس وهذا بأمر من قائد البحرية الفرنسية في تونس الأميرال " بارجو Barjot " ⁽²⁾.

وفي هذا الإطار فقد تم منع كل الإجماعات والمظاهرات وإذا حدثت فيجب أن تخضع لموافقة مسبقة من السلطات الفرنسية. وهذا لم يمنع مظاهرة وقعت في تونس وتحديدا في شارع " باب الخضرة " فتدخلت الشرطة وأطلقت النار فسقط قتيلان والعديد من الجرحى وسط المدنيين، ودائما في تونس العاصمة أطلقت الشرطة النار على مجموعة من المشتبهين كما تسميهم فسقط قتيل وهو المدعو " صادق سويقة ".

أما حول نشاط المقاومة التونسية فقد تم قطع 53 شجرة زيتون في مزرعة لمستوطن فرنسي تبعد بحوالي 50 كلم عن مدينة " صفاقس ". كما تم إطلاق النار على دورية من الدرك في مدينة " أنفيدة " لم تتسبب في سقوط ضحايا. في ناحية قصرين تم حرق مخزون الحلفاء في

¹ – La D.Q. d'A Samedi 02 Février 1952, N°783.

² – Ibid.

أحد مزارع المستوطنين وقدرت الخسائر بـ " 3 ملايين فرنك ". كما حاول أحد الأشخاص في ناحية الحامة إحراق شاحنة أصيب على إثرها بجروح (1).

نقلا عن جريدة "New-York Times" نقلت جريدة " لا ديباش كوتيديان " هذا الخبر فحسب الجريدة الأمريكية فإن أي تدخل في القضية التونسية سوف يتسبب في كارثة وجاء فيه: "المشكل التونسي معقدّ جدًّا، فكل ما يحدث في هذا البلد سوف يكون له انعكاسات عميقة على الجزائر والمغرب، وسوف يؤدي إلى تغيّرات قد تؤثر على الدفاع في إفريقيا والشرق الأوسط (2).... إذ حافظ مجلس الأمن على عاداته فسوف يجد وسيلة ما لتفادي هذا التدخل وهذا سوف يكون مخرجًا جيدًا فأمام فرنسا والوطنيين التونسيين الوقت الكافي للوصول إلى إتفاق، وإلا فإن تصلّب مواقف الطرفين إضافة للتدخل الأجنبي سوف يكون أحسن وسيلة ستؤدي إلى تراجيديا قد نعاني منها جميعا " (3).

وفي حقيقة الأمر التراجيديا مستمرة في تونس والكل ينظر إليها من زاوية مصلحته الخاصة والضحية الوحيد هو الشعب التونسي المستمر في مقاومته لهذا الإحتلال الرافض لأي تغيير.

عرف شهر فيفري 1952م نشاطا مكثفًا للمقاومة المسلّحة بالتركيز على تخريب السكك الحديثة باعتبارها وسيلة النقل الحيوية لإرسال قوات الدعم الاستعمارية ومواصلة نهب ثروات البلد، وهكذا تم تفجير وتخرب خط سكة حديد " قفصة - متلاوي " على بعد 4 كلم من قفصة. (4) كما تم تخريب سكة حديد " سوسة - سبايطة " وإنحراف 16 قاطرة مما أدى إلى

¹ - La D.Q. d'A Mardi 05 Février 1952, N°786.

² - حول الأهمية الإستراتيجية لشمال إفريقيا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية.

Juliette BESSIS ; op.cit., PP : 205, 209

أنظر :

Abdeljalil TEMMIMI ; cinq op.cit., PP : 296, 298.

³ - La D.Q d'A Mardi 6 Févier 1952, N°787.

⁴ - La D.Q d'A Jeudi 7 Févier 1952, N°788.

إصابة 6 أشخاص بجروح. كما تم تخريب وتفجير القناة الرئيسية للمياه ما بين " سبايطة " و " صفاقس " (1).

في تلك الأثناء منح البرلمان الفرنسي الثقة لحكومة " إدغار فور Edgar Faur " بأغلبية 292 صوت ضد 275 وهذا رغم نداء رئيس المجلس الكبير من المستقلين والمزارعين بعدم منح الثقة للحكومة.

أما من تونس فقد نشرت السلطات الفرنسية حصيلة تمشيط " الوطن القبلي " Cap Bon " جاء فيها إلقاء القبض على 700 تونسي سيحاكم منهم 150 شخصا أمام المحاكم العسكرية. إبعاد 350 شخص. إلقاء القبض على خلية مسلحة من الحزب الدستوري الجديد في ناحية المعمورة، إسترجاع 150 قطعة سلاح منها رشاشان.

أما عمليات التمشيط التي بدأت يوم الثلاثاء في منطقة الساحل فقد مكنت من إلقاء القبض على 97 تونسي واسترجاع 15 قطعة سلاح، ولم تحدث مواجهات في ناحية "سوسة" رغم إستمرار عمليات التمشيط.

من جانب المقاومة تم تفجير جسر على طول 4 أمتار في ناحية " قابس " في ليلة الأربعاء إلى الخميس، كما علم عن نشوب حريق إثر انفجار قنبلة في مكاتب "إتحاد منتجي الزيتون" في تونس، أدى إلى حرق محتوياته من آلات وأرشيف (2) مع الإشارة إلى عودة إضراب تجار تونس، وإضراب عمال البناء.

عرفت مدينة تونس مظاهرة نسائية بمشاركة حوالي 150 امرأة وقد حاولت الشرطة إعتراضها فتم إلقاء قنابل يدوية أسفرت عن إصابة شرطيان بجروح خطيرة، وكذلك إصابة اثنان من المارة وإلقاء القبض على 15 متظاهرة. كما تم الإعلان عن فرض حظر التجوال في "قابس"

¹ – La D.Q d'A Dimanche Lundi 17,18 Février 1952, N°788,799.

² – La D.Q d'A Vendredi 8 Février 1952, N°789.

وإرسال فرقة من المظليين إلى قرية " رُبعة " أثناء السوق الأسبوعي لتخويف وترهيب المواطنين.

والمزيد من التعقيم الإعلامي صدرت تعليمة "منع وتوزيع جريدة" Le Soir و " L'Italian in Francia " اللتان تطبعان في باريس من الدخول إلى تونس⁽¹⁾.

كما أوردت جريدة " لا ديباش كوتيديان " الشروط التونسية لإستئناف المفاوضات مع الحكومة الفرنسية وتتمثل في إنشاء حكومة متجانسة في الإيالة وإعادة تنظيم الوظيفة العمومية ليكون تونسيا خالصا، مع رفع حالة الطوارئ وإطلاق سراح كل المعتقلين في السجون أو الإقامة الجبرية⁽²⁾.

دائما في الجانب السياسي وتحديدا دوليا أعلنت كتابة الدولة الأمريكية رسميا عن إنضمام كل من اليونان وتركيا إلى حلف الشمال الأطلسي.⁽³⁾ وسوف يشاركان في قمة الحلف المقرر عقدها في " لشبونة " عاصمة البرتغال⁽⁴⁾.

يتواصل نشاط المقاومة التي تصفه الصحف الاستعمارية بالعمليات التخريبية منها مثلا إغتيال " الشيخ خليفة " في منطقة " القطار " أثناء كمين نصبه المقاومون والذي قتل فيه دركيان من " قفصة "، كما تم تفجير خط سكة حديد " سوسة " مما تسبب في إنحراف قطار. هذه العمليات من المقاومة والمستمرة منذ شهر تقريبا أصبحت مصدر قلق في تونس وتسببت في ركود النشاط التجاري زادها سوءا كثرة الإضرابات التي أدت إلى إنهيار القدرة

¹ – La D.Q d'A, N°798,799.

² – La D.Q d'A, N°789.

³ – إنضمام تركيا إلى حلف الشمال الأطلسي يمثل تفسيراً منطقياً لعدم تصويته على تسجيل القضية التونسية في مجلس الأمن إقتداء بحليفاتها الولايات المتحدة الأمريكية.

Abdeljalil TEMMIMI ; cinq document... op.cit., PP : 286-287..

أنظر :

⁴ – La D.Q d'A, N°798-799.

الشرائية لدى العمال أولاً، والتي انعكست على جميع المجالات فلم يعد بمقدور الحرفيين تصريف منتجاتهم، أما المستهلكين فقد هاجروا الأسواق والمحلات التجارية الأوروبية.

كما أن قطاع السياحة يعرف ركوداً وتوقف شبه كلي خصوصاً في المراكز الكبرى مثل تونس حيث تتوقف كل الأنشطة ليلاً⁽¹⁾.

كما إزداد قلق واضطراب الأوربيين مع كثرة الإشاعات وسماع الجالية لمقولة " حظروا حقائبكم أو أكفانكم".⁽²⁾ أما ما يخفف من آثار هذه الإشاعات هو وصول الدعم العسكري المتواصل وإستمرار المفاوضات بين الإقامة العمة وقصر الباي. ورغم ذلك تبقى الحرب مستمرة على وسائل الإعلام وتحديد الجرائد التي لا تسائر أطروحات السلطات الاستعمارية فقد تم منع توزيع وبيع جريدة " Libération " التي تطبع في باريس من الدخول إلى تونس.

كما منعت حتى جريدة مجرية تدعى " Houfilitars " وبالفرنسية تعني " Le Compatriote " من الدخول إلى تونس وهي تطبع أيضاً في باريس⁽³⁾.

مع الإشارة إلى نقل العقيد" جورج بريو Georges Prio "قائد الفرقة الخامسة في فاس بالمغرب إلى "سوسة" في تونس خلفاً للعقيد "Durand" الذي أٌغتيل في 22 جانفي 1952م⁽⁴⁾.

¹ - حول تردّي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في تونس.

Abdeljalil TEMMIMI ; cinq document... op.cit., PP : 360-361..

أنظر:

² - La D.Q d'A Mardi 19 Février 1952, N°800.

³ - La D.Q d'A Jeudi 21 Février 1952, N°802.

⁴ - Ibid.

6- تمشيط القوات الاستعمارية في " الوطن القبلي " وإنعكاساته:

وبالعودة إلى تمشيط " الوطن القبلي Cap Bon " والذي فرض عليه حصار إعلامي للتغطية على الجرائم التي إرتكبتها القوات الفرنسية واللفيف الأجنبي، فقد تلقى الوزراء التونسيين الموجودين في باريس اي " صلاح بن يوسف " و " محمد بدرة " نسخة من التقرير الذي أعد حول أحداث " الوطن القبلي " المنجز من طرف زملائهم د. "بن سالم" وزيرا للصحة، ود. "الماطري" إثر تحقيق قاموا به بعد تلك الأحداث المؤلمة (1).

وصرح الوزراء التونسيون أن هذه الوثيقة سوف تبقى سرّية ولن توجه للرأي العام في الوقت الحالي (2) وهذا في إنتظار ما سوف تسفر عنه محاولة تسجيل القضية التونسية في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

أما فيما يخص الوضع الأمني في تونس، فقد تم فرض حظر التجوال في منطقة "الكاف " إثر إغتيال جندي من اللفيف الأجنبي يدعى " Harry Shonks "، كما تم إلقاء القبض على قادة الحزب الدستوري الجديد، كما أن مجرد الإشتباه - نظرا لحالة التوتر - تؤدي إلى إلقاء القبض على المشتبه فيه، وبلغ عددهم حتى الآن 10 معتقلين مما دفع بسكان "الكاف " إلى الإحتجاج وغلق شوارع الأحياء العربية، ردّا على تلك الإجراءات القمعية. من جانب المقاومة تم قطع العديد من أعمدة الهاتف في كل من " قابس " و المنزل الجميل " و "رأس الجبل" كما تم توزيع منشائر تحريضية باللغتين العربية والفرنسية في قرية منزل بوزلفة. أما في تونس فقد تم إصاق منشائر تدعو إلى مقاطعة البضائع الفرنسية وقاعات السينما وحافلات النقل (3).

¹ - La D.Q d'A, N°802.

² - حول التحقيق وكشف جرائم الاستعمار إثر تمشيط الوطن القبلي Cap Bon.

Noura BORSALI, op.cit, P : 27.

أنظر:

³ - La D.Q d'A Dimanche Lundi 24-25 Février 1952, N°805-806.

كما عقد تجمع شعبي في الجامع الكبير حيث تداول عدد من الخطباء هنؤوا النساء الوطنيات اللواتي شاركن في إضراب الجوع والذي بدأ من الخميس صباحا، وإنتهى السبت مساءً⁽¹⁾.

لقد كان للطلبة التونسيين في هذه الفترة بالذات دورا حاسما في الضغط على السلطات الفرنسية فقد تظاهر 350 طالبا تقريبا أمام مديرية التعليم العمومي في تونس، فتصدت لهم قوات الأمن باستعمال القنابل المسيلة للدموع، وتم إلقاء القبض على حوالي 30 متظاهر، مع الإشارة أن هؤلاء الطلبة أغلبهم من المدرسة الصديقية حوالي 150 طالب وإنضم لهم طلبة من مؤسسات أخرى.

وقد قامت القوات الفرنسية بعزل "حي" المدينة "العربي في صفاقس"، وهذا إثر محاكمة الطلبة اللذين تظاهروا في المدينة يوم 19 فيفري⁽²⁾ نصرة لإخوانهم في تونس.

كما أن أحداث الوطن القبلي مازالت تسيل الكثير من الحبر فحسب مكتب الوزير الأول التونسي "محمد شنيق" فقد تم إرسال نسخة عن التحقيق الذي قام به الوزيران "بن سالم" و "الماطري" إلى السلطات الفرنسية مطالبة بفتح تحقيق قضائي من طرف كل السلطات، وهو ما ردّت عليه الإقامة العامة بأنها وزعت منذ 9 فيفري بيانا ورد فيه أنه هناك معلومات مشوهة ومغلوبة تم نشرها فيما يخص عمليات حفظ الأمن التي وقعت في الوطن القبلي، وتم على إثرها فتح تحقيق قضائي في الموضوع، وهو مستمر حتى الآن⁽³⁾.

ميدانيا تم إطلاق النار على دركيين في قرية "سليانة" دون إصابتهم، و فرّ المهاجمان إلى الجبال. كما تم الهجوم على رعاة غنم تونسيين يعملون لدى مستوطن فرنسي لم تقع

¹ - حول إضراب الجوع كأحد وسائل المقاومة.

أنظر: محمد قريمان، "إنطباعات شاهد.....المرجع السابق، ص: 296.

² - La D.Q d'A Mercredi 27 Février 1952, N°808.

³ - La D.Q d'A Vendredi 29 Février 1952, N°810.

إصابات. كما أن مجموعة من الأشخاص قامت بتحطيم سيارة تابعة للقيادة العليا للقوات الفرنسية في تونس. كما تعرض بريد مدينة " نابل " إلى محاولة إحراق. أما في تونس فتم إلقاء قنبلة حارقة على حافلة نقل، وتكسير زجاج حافلة أخرى برشقها بالحجارة.

قطع 7 أعمدة هاتف في ناحية " المعمورة "، كما تم تفجير قنبلة أدت إلى تحطم جسر للسكك الحديدية يربط مدينتي "سوسة" و"صفاقس". كما تم إلقاء 3 قنابل يدوية على مركز بريد تونس أدت إلى خسائر مادية كبيرة (1).

يبقى تركيز المقاومة على خطوط السكك الحديدية، فأثناء مرور قطار للبضائع في تونس، تم تفجير عبوة ناسفة أدت إلى إنحراف القطار تسبب في جرح 6 أشخاص منهم إثنان جروحهم بالغة، وقد وقع الحادث بين محطة " غافر " و " سيدي عباد ".

على المستوى الشعبي عرفت مدينة تونس إضرابا عاما شمل أسواق ومحلات التونسيين في الأحياء الأوروبية لمدة 24 ساعة، وهذا مساندة لإضراب الثلاث أيام الذي دعي إليه ملاك المقاهي، كردّ فعل على الإجراءات الإدارية التي أدت إلى غلق 6 مقاهي.

عقبها وقعت مظاهرة شعبية ضخمة في تونس حاول على إثرها المتظاهرون دخول الأحياء الأوروبية فتصدت لهم قوات الشرطة مما أدى إلى سقوط جريحان وإلقاء القبض على 30 متظاهر (2).

أما في ناحية " قابس " فقد تم تفجير جسر على " وادي فرج " وقد توجهت فرقة من " الدرك " إلى عين المكان تلقت على إثرها إطلاق عيارات نارية وفرّ المهاجمون. ودائما في " قابس " وتحديدا في " الحامة " فقد تظاهر تلاميذ المدارس، وألقت الشرطة القبض على خمسة منهم.

¹ – La D.Q d'A Samedi 1 Mars 1952, N°811.

² – La D.Q d'A Dimanche Lundi 2-3 Mars 1952, N°812-813.

أما في تونس فقد تم إلقاء قنبلة حارقة على " ترامواي "، كما تم العثور على تونسلي تلقى وابل من الرصاص في عين المكان.

ويتواصل نشاط المقاومة التونسية للشهر الثاني على التوالي دون إنقطاع من فيفري إلى مارس، فقد تم حرق قطار لنقل الحلفاء بين "سوسة" و"القيروان" وتحديدًا بين قلعة "سرينة" و "سيدي الهاني" إثر إلقاء قنبلة حارقة أدت إلى إشعال النار في 6 عربات لنقل الحلفاء أحرقت بكاملها⁽¹⁾.

تبقى مدينة تونس من بين أهم مراكز نشاط المقاومة ففي ليلة الإثنين تم إلقاء قنبلة حارقة على حافلة " ترامواي " وإصابة شخص بجروح، كما تم إطلاق النار على سيارة أحد الأوروبيين، وعلى إثرها سارع الدرك إلى عين المكان فتلقى وابل من الرصاص ردّ عليها مما أدى إلى فرار الجناة

أما في مدينة " سوسة " فقد تم تفجير قنبلتين قرب مقر البريد تسببت في خسائر مادية كبيرة. كما تمت محاكمة النساء اللواتي قمن بإلقاء قنابل يدوية، من طرف محكمة عسكرية حيث حكم على ثلاثة منهن بسنتين سجن⁽²⁾.

كما قامت مجموعة مسلّحة من 15 شخص مسلّحة ببنادق ورشاشات بالهجوم على جرار قرب " طابرسوق " تسببت في إصابة تونسلي بجروح بليغة. كما تم إطلاق النار على مقر الدرك في ناحية " ماريت ". كما تم إطلاق النار على شاحنة لنقل الجند على الطريق بين "مطمطة " و " قابس " لم تؤدي إلى خسائر بشرية. كما تم تفجير 4 قنابل في صندوق بريد

¹ – La D.Q d'A Dimanche Lundi 2-3 Mars 1952, N°812-813.

² – La D.Q d'A Mercredi 05 Mar 1952, N°815.

" الحامّة " وأدت إلى وقوع خسائر مادية كبيرة. مع الإشارة على تعرض العديد من المناطق إلى قطع وحرّق أعمدة الهاتف (1).

في تلك أثناء تتواصل الأزمة السياسية في فرنسا بتوالي سقوط الحكومات وقيام أخرى فبعد حكومة " إدغار فور "، تشكّلت حكومة أنطوان بيني " Antoine Pinay " والتي منحها البرلمان الثقة بمجموع 324 صوت بنعم و 206 ضد بما فيها الإشتراكيون والتقدميون والشيوعيون. وسعيا لتهدئة الأوضاع قرّرت الحكومة الجديدة إطلاق سراح 100 مبعّد سياسي تونسي، كما سمحت ببقاء بين " طاهر بن عمار " رئيس الغرفة الفلاحية لتونس مع " لحبيب بورقيبة " بعد رجوع الأول من باريس (2).

أمّنيا أعلنت السلطة الفرنسية عن تفكيك خليتين دستوريتين في مدينة " قابس " وإلقاء القبض على 15 عضوا مع إكتشاف كمية كبيرة من الأسلحة في أحد المنازل، ومن بين المتهمين رئيس خزانة خلية الحزب الدستوري الجديد وكذلك رئيس خلية الشبيبة الدستورية، هذه الاعتقالات جاءت إثر هجوم على " خزانة خطوط الهاتف " دمرّت كلياً باستعمال " قذيفة دبابة " ، وهذا تطوّر نوعي في أسلحة المقاومة، وكذلك الهجوم على مركز " الشرطة " أدت إلى سقوط قتيل وأربعة جرحى (3).

وكرّد فعل من السلطات الفرنسية على هذا الهجوم الذي تعرضت له محافظة الشرطة في تونس فقد تم إعلان حظر التجوال في مدينة تونس وتحديدًا في المدينة العربية من 9 ليلا إلى 6 صباحا (4).

¹ – La D.Q d'A Jeudi 6 Mars 1952, N°816.

² – La D.Q d'A Vendredi 7 Mars 1952, N°817.

³ – La D.Q d'A Vendredi 11 Mars 1952, N°821.

⁴ – La D.Q d'A Mercredi 12 Mars 1952, N°822.

من بين العمليات التي أحدثت ضجة في الأوساط السياسية والعسكرية هي الهجوم على محطة " قابس " وتحديدا قاعة الإنتظار بإستعمال القنابل وقد وقعت على الساعة الخامسة و 10 دقائق مساء ، وأسفرت على سقوط 5 قتلى منهم أوريان و 17 جريح منهم

عشرة جروحهم بالغة، مع وقوع خسائر مادية كبيرة وقد أدت هذه العملية إلى ردود فعل منددة بها بما فيها الحزب الدستوري الجديد، وتؤكد الأوساط الرسمية أن هذه العملية من تخطيط وتنفيذ الشيوعيين الفرنسيين والتونسيين (1).

كما وقعت عمليتان فدائيتان لم تتسبب في خسائر بشرية، الأولى حدثت في "تونس" بإطلاق النار على ناقلة جند والثانية في " صفاقس " بإطلاق النار أيضا على دورية من الجند، مع مواصلة قطع وحرق أعمدة الكهرباء منها 17 عمود في منطقة " قصرين " (2).

بالعودة إلى عملية محطة " قابس " فقد إرتفع عدد القتلى إلى سبعة، كما تم إعلان حالة الطوارئ في المنطقة وإلقاء القبض على 50 مشتبه فيه.

كما تعرضت مدرسة في مدينة " صفاقس " إلى حريق بإستعمال " قنابل المولوتوف " تسببت في إتلاف قسم بكامله بما فيها محتوياته (3).

أما في مدينة " الموناستير " فقد تم تفجير قنبلة في مركز الشرطة وهذا يوم الخميس وتسببت في خسائر مادية.

أشارت جريدة "لا ديباش كوتيديان " إلى الحزب الوطني التونسي - الذي لا يعرف عنه شيء- وذكرت بأن هذا الأخير قام بتسليم عريضتين لكل من المقيم العام والباي يطالب

¹ - La D.Q d'A Jeudi 13 Mars 1952, N°823.

² - Ibid.

³ - La D.Q d'A Vendredi 14 Mars 1952, N°824

فيها بإسقاط حكومة " شنيق " والعودة إلى المفاوضات مع فرنسا. ⁽¹⁾ هذا المطلب يتقاسمه هذا الحزب إن وجد فعلا مع كل من المستوطنين الفرنسيين والإقامة العامة في عهد " دي هوتكلوك " والمتطرفين الاستعماريين في فرنسا.

أمنيا إزداد الوضع تأزما في تونس فقد تم وضع عبوة ناسفة أمام إقامة الوزير الأول " محمد شنيق " في منطقة " رادس " بضواحي تونس، ولم تتسبب إلا في خسائر مادية، مع التذكير أن هذا الأخير تلقى رسائل تهديد بتصفيته وتصفية بقية الوزراء مكتوبة بلغة فرنسية جيدة.

كما تعرض مقر " إذاعة تونس " إلى إلقاء قنبلة لم تتفجر. في المقابل تعرضت إقامة " ماريوس لامي Marius Lamy " في حلق الوادي إلى إلقاء قنابل أدت إلى تكسير إحدى واجهات الإقامة مع عدم سقوط ضحايا مع الإشارة أن هذا الأخير يشتغل كاتب ضبط في المحكمة ⁽²⁾.

وتستمر عمليات المقاومة التونسية والتي توصف بالعمليات التخريبية أو الإرهابية حسب " لا ديباش كوتيديان " وهذا للشهر الثالث على التوالي ساهمت في كثرة الاضطرابات في كل البلد، مع إستمرار التركيز على السكك الحديدية لأنها الأكثر إستعمالا لنقل الجند والدعم الاستعماري، إضافة لنهب الثروات منها تفجير خط "سوسة" "المهدية"، أما في الموناستير فتم تفجير محوّل كهربائي للضغط العالي تسبب في حدوث خسائر كبيرة ⁽³⁾. كما قامت مجموعة من المتظاهرين بالهجوم على 3 جنود تمكنت قوات الأمن من إنقاذهم.

¹ – La D.Q d'A Samedi 15 Mars 1952, N°825.

² – La D.Q d'A Dimanche Lundi 16-17 Mars 1952, N°826-827.

³ – تعرف بمرحلة إنتفاضة المدن وإن عرفت عمليات فدائية في الريف وهي معروفة بمرحلة 60 يوما وتبدأ من 18 جانفي حتى مارس 1952.

أنظر: عادل يوسف، " رصيد الاحتجاجات.....المرجع السابق، ص: 56.

كما تم إطلاق النار على سيارة مستوطن وكذلك إطلاق النار على محل تجاري تونسي وهي أساليب تستعملها مجموعات مسلحة من المستوطنين تطلق على نفسها إسم " لجان الدفاع الذاتي " كرد فعل على عمليات المقاومة.

كما تم تفريق مظاهرة في مدينة "قفصة" بمشاركة حوالي 300 شخص أمام مقر " الكايدال " (اللجنة الإدارية) وأدت إلى إصابة مظاهرة بجروح، وفي نفس المدينة وأثناء عملية تفتيش تم العثور على 16 مسدس وكمية كبيرة من الذخائر، كما قامت الشرطة بعد عملية مداهمة داخل مكتب الحزب الدستوري الجديد باكتشاف 50 لغم ووثائق تحريضية وتم إلقاء القبض على خمسة أشخاص، كما أُلقي القبض على تونسي يحمل سعة وجد داخلها مسدسان وذخيرة (1).

كما تم إلقاء قنبلتين على مدرسة في " سوسة " تسببت في خسائر مادية ولم تؤدي إلى سقوط ضحايا. وألقيت قنبلة على صيدلية الدكتور " الحضيبي " وزير الشؤون الاجتماعية في حكومة الكعك أدت إلى تكسير واجهتها.

موجة الاحتجاجات شملت حتى المدارس فأثر مظاهرة طلابية تم غلق مدرسة "الصادقية" لأجل غير محدد بقرار من مديرية التربية. كما منع حوالي 20 تلميذ من دخول ثانوية " كارنو " Carnot.

كما وقعت مظاهرة في مدرسة الإناث الإسلامية " Louis Millet " وقامت الفتيات بتزديد النشيد الوطني التونسي، والتصفير على المديرية، فتدخلت الشرطة وأخلت المدرسة، وألقي القبض على ثلاث تلميذات وأم إحداهن وأقتيدت إلى مركز الشرطة (2).

¹ – La D. Q. D'A Mardi 18 Mars 1952, N : 828.

² – La D. Q. D'A Jeudi 20 Mars 1952, N : 830.

بطبيعة الحال هناك إرتباط بين قضيتي تونس والمغرب فحسب جريدة Le Monde وجه الملك محمد الخامس رسالة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية Vincent Auriol عن طريق الجنرال " Guillaume " مطالبا فيها بفتح مفاوضات بين البلدين تتضمن إعادة مراجعة معاهدة الحماية وإنشاء حكومة في الرباط⁽¹⁾.

أما الجنرال " قيوم " فصرّح بأننا نقود المغرب نحو مستقبله من خلال إصلاحات ناضجة وموزونة وعلقت الجريدة بأن مشكلة تونس والمغرب يجب أن تحل من طرف الحكومة وعلى هذه الأخيرة تحمل مسؤولياتها وليس فقط وزير الخارجية الذي لم يستطع حتى الآن الخروج من هذا المأزق⁽²⁾.

على المستوى الأمني قتل في تونس سائق سيارة أوروبي إثر إطلاق النار عليه في ضواحي المدينة وفي "القيروان" تعرض مخزن إلى عملية تخريب وإتلاف كبيرين والهجوم على حافلة نقل وإصابة مسافر بجروح بليغة، كما تم تفجير قنبلتين في منطقة " الجوارية " في الوطن القبلي " وضعت تحت حافلة نقل لم يكن فيها ركاب أدت إلى تحطيمها وإصابة العديد من السيارات المحيطة بها بأضرار⁽³⁾.

في تلك الأثناء طالب المقيم العام " دي هوتكلوك " بمقابلة الباي على إنفراد وإبلاغه بأن الحكومة الفرنسية تشترط عليه العزل الفوري لوزارة " محمد شنيق " قبل تجديد أي مفاوضات بسبب عدم تطبيقها لأكثر من 64 مرسوم، أما جواب الباي فتمثل في توجيه نداء لرئيس الجمهورية بعدم إستعجال هذه الخطوة، وهذا لم يمنع السلطات الفرنسية من إعادة الرقابة على الصحف، في المقابل إحتج الوفد التونسي المتواجد في باريس على أسلوب التهديد المتبع من طرف المقيم العام، وأن الباي أبلغ رئيس الجمهورية عن إمتعاضه من

¹ – La D. Q. D'A Jeudi 20 Mars 1952, N : 830.

² – La D. Q. D'A Samedi 18 Mars 1952, N : 832.

³ – La D. Q. D'A Mardi 19 Mars 1952, N : 835.

أساليب الضغط الممارسة عليه من طرف " دي هوتكلوك " وأن ذلك لا يصيب في مصلحة
البلدين ⁽¹⁾.

من جانب آخر ذكرت أجهزة الأمن بأنها ألقت القبض على خلية مشكلة من 13
شخص ينتمون للحزب الشيوعي وبأنهم وراء عملية " قابس " الأخيرة بعد أن داهمت مقر
الحزب ⁽²⁾.

7- إلقاء القبض على الوزير الأول " محمد شنيق " وبعض وزرائه:

في تطوّرات جديدة قامت السلطات الفرنسية بإلقاء القبض على الوزير الأول
" محمد شنيق " وثلاثة من وزرائه وهم الدكتور "الماطري" وزير الدولة والدكتور "بن سالم"
وزير الصحة والسيد "محمد مزالي" وزير الحرف ووضعهم تحت الإقامة الجبرية ليلة الثلاثاء
إلى الأربعاء حيث نقلوا على متن طائرة حربية من مطار "العوينة" نحو منطقة "القبلي" التي
تبعد بحوالي 100 كلم عن " قابس ".

كما شمل إجراء الاعتقال العديد من قادة الحزب الدستوري الجديد والحزب الشيوعي من
بينهم "محمد بن عثمان النابلي" و"محمود ريرزري" رئيس غرفة التجارة التونسية و"فرحاني بن
الحاج عمور" و"جلولي بن عمر" و"أندري باروش" نائب رئيس الغرفة التجارية و "أندري
بارانيس" وكلهم من الحزب الدستوري الجديد.

كما شمل الإجراء أيضا "أحمد الشيخ رحو" مدير جريدة الصباح و"جورج عدة" من
الحزب الشيوعي، كلهم خضعوا لإجراء الإبعاد بمعنى الإقامة الجبرية. أما قادة الحزب

¹ – La D. Q. D'A Mercredi 18 Mars 1952, N : 836.

² – Ibid.

الدستوري الجديد وهم "حبيب بورقيبة" و"مونجي سليم" و"الهادي شاكر" فتم نقلهم من مقر إقامتهم الجبرية في "طبرقة" إلى منطقة "الرمطة" في جنوب تونس⁽¹⁾.

وقد إستغل الاستعمار الفرنسي حالة الطوارئ السارية المفعول منذ 1939م، والتي لم تلغى أصلا وتم نقل مهام الأمن من الشرطة إلى الجيش إبتداء من الأربعاء 26 مارس 1952 مع فرض حظر التجوال في جميع المدن التونسية من الساعة التاسعة ليلا وحتى الخامسة وثلاثون دقيقة صباحا وهذا ما صرّح به الجنرال " Carbay " القائد الأعلى للقوات التونسية في تونس⁽²⁾.

هذا القمع الاستعماري لم يوقف نشاط المقاومة فقد تم تفجير قنبلتين في الحي الأوروبي "بسوسة" تسببت في خسائر مادية كبيرة، مع إطلاق النار على دورية من الدرك دائما في "سوسة"، وتحديدًا في "قصور الصاف" وتم تحطيم سيارة شرطة كما تم رشق العديد من عربات الترامواي بالحجارة. على أن أخطر عملية وقعت في منطقة " الحامة " بالجنوب على الطريق إلى "القبلي" حيث تم تحطيم جسر بالمتفجرات أدى إلى توقف حركة المرور، كما أعلن في "تونس" عن إضراب عام ضد الإجراءات القمعية الفرنسية⁽³⁾.

بعد عملية الاعتقالات التي تعرض لها الوزراء التونسيون، تم لقاء بين المقيم العام يرافقه مبعوثان لرئيس الجمهورية والباي حاملين ردًا على مراسلة هذا الأخير وهما Kosciusko كوسيسكو و Forget "فورجيه" الأمين العام للرئاسة، وحسب السلطات الاستعمارية فإن الإجراءات القمعية الأخيرة لها ما يبرّرها حيث تم إحصاء 55 عملية هجوم ضد سيارات شخصية، 15 عملية ضد خطوط السكك الحديدية - 82 عملية تخريب وتحطيم

¹ - بلغ مجموع مناضلي الحزب الدستوري الجديد الذين أُلقي عليهم القبض أكثر من 150 مناضل وبدأت العملية في 18 جانفي 1952م. أنظر:

Yvette KATAN BEN SAMOUN, Le Maghreb op.cit, P : 323

² - La D. Q. D'A Jeudi 27 Mars 1952, N : 837.

³ - La D. Q. D'A Jeudi 27 Mars 1952, N : 837.

ضد الممتلكات -27 عملية ضد قنوات المياه - 6 عمليات ضد مولدات الكهرباء - 11
عملية ضد مراكز البريد- 7 عمليات تخريب مسّت الجسور - 22 عملية ضد محطات ضخ
المياه - عملية واحدة مسّت خزان مياه- تحطيم 6 أعمدة كهرباء ذات الضغط العالي-
تخريب 122 خط للإتصالات الهاتفية ونهب 4840 من خيوط الهاتف - قطع وإحراق 646
عمود هاتف - قطع 608 شجرة زيتون- إحراق 9 مخازن حلفاء.

كما تم إحصاء وفاة 12 مدني و 10 جرحى⁽¹⁾.

كما تم إحصاء 54 عملية ضد القوات الفرنسية- و 15 هجوم ضد سيارات وشاحنات
عسكرية - 16 عملية ضد ثكنات ومراكز عسكرية، في المجموع قتل 9 عسكريين وجرح
32 آخرين في الفترة الممتدة من 14 جانفي إلى 23 مارس 1952م⁽²⁾.

وفي 24 ساعة الأخيرة تم إحصاء 4 عمليات تسببت في خسائر كبيرة وهذا في منطقة
تافنة بالجنوب. كما تم تفجير سيارة القنصل العام الأمريكي في تونس، وتفجير قنبلة في
مركز البريد، وأخرى في مدخل القلعة كما تعرضت سيارة مقاول فرنسي إلى إطلاق للنار في
ناحية " تالة ".

سياسيا أكدت المجموعة البرلمانية الاشتراكية إنتقادها للإجراءات القمعية الأخيرة، وأنها
تتناقض مع تصريحات الحكومة التي تدّعي التفاوض مع الطرف التونسي لتحقيق الحكم
الذاتي، في الوقت نفسه أعلنت الأسبوعية الاشتراكية "Fraternité" أن الرقابة منعتها من

¹ - La D. Q. D'A Vendredi 28 Mars 1952, N : 838.

² - La D. Q. D' A N : 838.

الصدور، تعبيرا عن أفكارها التي تعارض توجهات الحكومة. دبلوماسيا توجه الوزيران "صالح بن يوسف" و "محمد بدرة" إلى جنيف ومنها إلى "القاهرة" (1).

كما طالب الوزير التونسي السيّد "سعد الله" - الذي لم تمسّه إجراءات الإبعاد- من "دي هوتكلوك" - إلحاق بزملائه في الإقامة الجبرية تعبيرا عن تضامنه معهم (2).

بعد عزل ونفي حكومة "محمد شنيق" تم تكليف "صلاح الدين بكوش" بتشكيل حكومة جديدة (3) مع فرض "دي هوتكلوك" وزير الخارجية على الباي وهذا حتى قبل تشكيلة الحكومة. وكرد فعل على هذا الإجراء أعلن الاتحاد العام التونسي للشغل عن إضراب عام ليوم الثلاثاء 1 أفريل 1952 (4).

8- القضية التونسية في مجلس الأمن حسب La Dépêche Quotidienne :

تستمر القبضة الحديدية بين المجموعة العربية والآسيوية وفرنسا على مستوى هيئة الأمم المتحدة في جدول أعماله لمناقشته، وأثناء التصويت وقفت كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وهولندا على الحياد، مع التذكير أن قرارات المجلس حول القضايا الإجرائية تتخذ بموافقة 7 أعضاء من مجموع 11 عضو في مجلس الأمن، وهو النصاب الذي لن يتحقق بإمتناع الأعضاء الثلاث. كما أن أول نقطة يناقشها المجلس هي الموافقة على جدول الأعمال.

¹ - تمكن "صالح بن يوسف" و "محمد بدرة" من الفرار من فرنسا بعد صدور أمر بالقبض عليهم وهذا بمساعدة Gaston Smadja، صاحب جريدة Combat وحسان بلخوجة حيث توجهوا إلى بلجيكا ومنها إلى القاهرة. أنظر: Habib BOURGUIBA, op.cit, P : 177

² - La D. Q. D' A N : 838.

³ - بعد عزل حكومة "محمد شنيق" في 28 مارس 1952م، تم تعيين "صلاح الدين بكوش" وهو من كبار ملاك الأراضي ومن التجار الأغنياء، وجاء بإقتراح من المقيم العام "دي هوتكلوك"، وقد رفضت كل الشخصيات التونسية الانضمام إليها.

أنظر: أحمد خالد، "الهادي نوييرة.....المرجع السابق، ص: 326.

⁴ - La D. Q. D'A Dim Lundi 30-31 Mars 1952, N : 840-841.

بالنسبة للوفد الفرنسي لا يوجد ما يبرّر تسجيل القضية في مجلس الأمن، لأن تونس لم تطلب ذلك على إعتبار أن خاتم الباي- الذي يمثل السيادة التونسية- لم يوضع على ذلك الطلب الذي قدم للجمعية العامة في باريس إضافة أن " الباي " منح ثقته لرئيس حكومة جديد "صلاح الدين بكوش"، الذي لم يجدد طلب التسجيل، الذي تقدمت به حكومة لم تعد موجودة. مع الإشارة أن وفود كل من سوريا ولبنان وأثيوبيا الذين شاركوا في كل المناقشات السابقة داخل المجموعة العربية الآسيوية إمتنعوا عن إلحاق بها لتسجيل القضية وهو ما يعتبر إمتناع عن التصويت ويصب في صالح فرنسا⁽¹⁾.

أمنيا تم تفجير قنبلة أدت إلى إصابة نائب رئيس بلدية "سوسة " السيد زيفاقوا Zevaco بجروح نقل على إثرها إلى المستشفى. سياسيا رغم رفع عدد الوزراء من 5 إلى 7 لم تتجح المشاورات التي يقوم بها " صلاح الدين بكوش " في تشكيل الحكومة، في تلك الأثناء فتحت السلطات القضائية الفرنسية تحقيقا ضد مجهول بخصوص نشر معلومات مغلوبة حول أحداث " الوطن القبلي " وقتل خمسة أطفال أثنائها في منطقة " تارزوقة ".

كما تم الحكم على 64 متظاهر في "صافي" من 3 أشهر إلى سنتين وهذا إثر الأحداث الأخيرة في المدينة يوم 31 مارس⁽²⁾.

ورد خبر أن " باي تونس " غادر في عجلة مقام إقامته في " حمام اللّيف " ليستقر في "قصر قرطاج" حيث سيستقبل المقيم العام لمزيد من الضغوط وإملاء الشروط، ورغم الإدعاء بحل وسط للأزمة الوزارية التونسية فقد تم رفع حظر التجوال كمؤشر للتهدة من السلطات⁽³⁾.

¹ – La D. Q. D'A Vendredi 4 Avril 1952, N : 845.

² – La D. Q. D'A Jeudi 3 Avril 1952, N : 844.

³ – La D. Q. D'A Samedi 5 Avril 1952, N : 846.

وإثر اللقاء الذي تم بين المقيم العام والباي أعلن " صلاح الدين بكوش " عن التوصل إلى إتفاق لإنشاء حكومة وفاق وإدارة مصرحا: " في السلم وفي القلوب الصادقة سوف يتجدد الحوار الفرنسي التونسي " (1).

بالعودة إلى الأمم المتحدة أكد ممثل بريطانيا "Goldwyn Jebb أن بلاده تدعم الموقف الفرنسي الذي يرفض رفضا قاطعا تسجيل القضية التونسية، من جانبه أكد ممثل الولايات المتحدة الأمريكية "أرنيسست دراك Ernest Drake بأن بلاده سوف تمتنع عن التصويت قائلا: " من الأفضل حاليا تسهيل المفاوضات بين فرنسا وتونس، بدل فتح نقاش أمام مجلس الأمن (2).

كما أعلنت اليونان على عدم تصويتها. مقابل هذا أكدت كل من الاتحاد السوفياتي والصين الوطنية " تايوان " (3) الباكستان - الشيلي - البرازيل عن مساندتهم للتسجيل مقابل هذا عارضت كل من فرنسا وبريطانيا تسجيل القضية التونسية. أما الدول التي إمتنعت عن التصويت فهي الولايات المتحدة الأمريكية - اليونان - تركيا (4) هولندا. ومع عدم تحقيق نصاب 7 دول عضوة في المجلس بالموافقة، تم رفض تسجيل القضية (5).

هذا ما دفع برئيس مجلس الأمن ممثل الباكستان " أحمد بوخاري " على رفع الجلسة بصفة مفاجئة، كما تسعى المجموعة العربية والآسيوية إلى عقد دورة طارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة حول القضية التونسية وهذا بالرجوع إلى حكوماتهم لاستشارتها حول الموضوع، ولا يمكن عقد تلك الدورة إلا بموافقة 31 دولة من مجموع أعضاء الجمعية العامة، مع

¹ - La D. Q. D'A Dimanche Lundi 6-7 Avril 1952, N : 847-848.

² - Ibid.

³ - " تايوان " الصين الوطنية من صنع الولايات المتحدة الأمريكية تعارض موقف هذه الأخيرة وتقف إلى جانب تسجيل القضية التونسية، مقابل هذا تركيا الدولة الإسلامية تمتنع عن المشاركة في التصويت إرضاءا للولايات المتحدة وفرنسا.

Abdeljalil TEMMIMI , Cinq op.cit, P :

⁴ - أنظر :

⁵ - La D. Q. D'A Vendredi 11 Avril 1952, N :852.

الإشارة إلى إلحاق الوفدين السوري واللبناني بالمجموعة التي أكدت في بيانها أنها سوف تلجأ ثانية إلى مجلس الأمن في حالة إبعاد القضية التونسية من جدول الأعمال الحالي⁽¹⁾.

أمينا تم وضع قنبلة شديدة المفعول تحت جسر للسكك الحديدية بين تونس وسوسة مما تسبب في أضرار جسيمة، كما تم قطع وإتلاف 200 شجرة فاكهة وهكتاران من أشجار العنب في مزرعة أحد المستوطنين المدعو "جيانيسيني" Giancesini في منطقة "القرية"، مع العلم أن أحد إخوة هذا الأخير عضو في المجلس الكبير⁽²⁾. وقد يكون هذا أحد أسباب ذلك الهجوم.

على المستوى الداخلي دائما نظم الحزب الدستوري الجديد مظاهرة أمام إقامة السيد "بكوش" مندّبين بحكومته العميلة فتدخلت قوات الأمن لتفريق المتظاهرين⁽³⁾.

كما تم عزل "الأمير الشاذلي" - الإبن الأكبر للباي - من منصبه كمدير مكتب الباي، بسبب معارضته لحكومة "بكوش" ومساندته للحزب الدستوري الجديد ودعمه للمطالب الوطنية⁽⁴⁾.

ولإفشال مساعي الإقامة العامة التي تعتمد على قداماء المحاربين وتجد فيهم سنداً لها، فقد تعرضوا لهجوم من الوطنيين التونسيين حيث أصيب ملازم أول بجروح إثر إطلاق النار عليه. كما قاطع الأهالي توزيع المواد الغذائية في "سوسة"، وتم غلق المتاجر، كما تعرض فندق في مدينة "مقطر" إلى محاولة حرق. مع قطع 18 عمود هاتف قرب "سوسة" و 14 أخرى في "جمال" بالساحل⁽⁵⁾.

¹ - La D. Q. D'A Jeudi 27 Mars 1952, N : 837.

² - La D. Q. D'A Dimanche Lundi 13-14 Avril 1952, N : 854-855.

³ - La D. Q. D'A Mardi 15 Avril 1952, N : 856.

⁴ - La D. Q. D'A Jeudi 17 Avril 1952, N : 858.

⁵ - La D. Q. D'A Mardi 22 Avril 1952, N : 863.

بداية شهر مارس تم تشكيل لجنة سرّية للمقاومة على رأسها قيادة جماعية من خمس تونسيين مهمتها الدّعاية ونشر المناشير، والقيام بأعمال إرهابية، تحقيق الشرطة كشف بأن الأموال التي استعملت لشراء الأسلحة والذخيرة كان مصدر أغلبها الأميرة " زكية " ابنة الباي وزوجة الطبيب "بن سالم" وزير الصحة في عهد حكومة " شنيق " وبدرجة أقل من الشيخ " الشاذلي النيفر" مسير مدرسة قرآنية وأغلب عناصر هذه المجموعة هم طلبة المسجد الكبير وتذكر الجريدة أنه تم إلقاء القبض على 11 عضوا من عناصر المجموعة، أما قضية الأميرة فهي في يد " الباي " مقابل هذا فالشرطة تستوجب الشيخ "الشاذلي النيفر " (1).

وبالعودة إلى الأمم المتحدة وبعد عدم الحصول على النصاب في مجلس الأمن لتسجيل القضية التونسية تسعى المجموعة العربية الإفريقية الآسيوية إلى التوجه إلى الجمعية العامة للمطالبة بعقد دورة طارئة وقد تم الحصول على موافقة 13 دولة، ودعمًا لهذا المسعى فقد تم قبول عضويتي كل من تونس والمغرب في الجامعة العربية بصفة ملاحظ، كما أكدت هذه الأخيرة على لسان كل من علال الفاسي، رئيس حزب الاستقلال و"أحمد الشقيري"، نائب الأمين العام إثر لقائهما التشاوري في القاهرة على نية طرح القضية المغربية للنقاش في الجمعية العامة للأمم المتحدة (2) كورقة ضغط جديدة على فرنسا من جهته صرح الوزير الأول البريطاني " أونتوني إيدن " Anthony Eden " أمام مجلس العموم، بأن القضية التونسية هي مشكل داخلي يخص فرنسا مؤكّداً أن أي تدخل خارجي سوف يؤدي إلى تحطم فرص إتفاق بين الطرفين (3).

مع الإشارة أن جريدة " لا ديباش كوتيديان " تسعى دائما لخلق توازن في التأثير على الرأي العام فكلما كانت هناك تطوّرات وأحداث تصب في خانة أو مصلحة الطرف التونسي

¹ – La D. Q. D'A Mercredi 30 Avril 1952, N : 871.

² – La D. Q. D'A Mercredi 16 Avril 1952, N : 857.

³ – La D. Q. D'A Jeudi 24 Avril 1952, N : 865.

سعت إلى إيجاد أو البحث عن مواقف تدعم الطرف الفرنسي خصوصا على المستوى الدبلوماسي.

وتضامنا مع عمال المطابع حيث رفضت لهم السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر بالتظاهر، قررت جريدة " La Dépêche Quotidienne " التضامن مع زميلاتها من الجرائد الكولونيالية تضمن هذا العدد أيضا، عدد من L'Echo D'Alger و Le Journal D'Alger وقد تناول هذا العدد خبر مواجهة بين المتظاهرين والشرطة أمام مقر إقامة السيد "بكوش" وتم تفريق المتظاهرين الذين رفعوا شعارات منددة بتلك الحكومة العميلة بإطلاق عيارات نارية في الهواء.

من جانبه ندّد الأمين العام للإتحاد التونسي للشغل UGTT العائد من الولايات المتحدة الأمريكية بمنع المظاهرات العمالية التقليدية ليوم 1 ماي. كما كذبت الأوساط الرسمية التونسية الخبر المتعلق بالسيدة " زكية " ابنة الباي وبأن الأمر لا يتعدى إستدعاء الشرطة لها كشاهدة في أعقاب التحقيق الذي يخص منظمة إرهابية (1).

9- الموقف الأمريكي من القضية التونسية وتعليق الجريدة الكولونيالية عليه:

ومن أجل الإطلاع الأكثر على الأوضاع في تونس والتقرب من طرفي المشكل حل بتونس السيد "هنري برويد" Henry Byroad نائب كاتب الدولة الأمريكي للشؤون الإفريقية والشرق الأوسط حيث إستقبل من طرف " باي تونس " والمقيم العام. (2) وبين التأييد المحتشم للموقف الفرنسي والدعوة إلى منح التونسيين بعض حقوقهم جاء في افتتاحية الجريدة لهذا اليوم تحت عنوان " تونس والمغرب " و " الهفوات الأمريكية " حيث خصص له جزء هام من جدول أعمال مجلس الوزراء الذي أكد بأن الوضع في تونس لا يتحسن، وبأن أحد أسباب

¹ – La D. Q. D'A , L'Echo D' Alger , Le Journal D'Alger, Jeudi Vendredi 1- 2 Mai 1952.

² – La D. Q. D'A Mardi 6 Mai 1952, N : 877.

ذلك تشجيع الدبلوماسية الأمريكية لحركات التحرّر العربية والتي أدمجت في تقرير " فيشتلر " Fechteler " المبالغ فيه، كما شجعت الحزب الدستوري الجديد على المقاومة وشجعت المضربين على التشدد في مواقفهم إتجاه بريطانيا، في الوقت نفسه تتعرض العناصر المعتدلة المؤيدة للتعاون مع فرنسا إلى التهديد والتخويف، إن الأمريكيين يتمنون تحسن سريع للعلاقات الفرنسية التونسية، لكن موقفهم يفسر على أنهم يسعون لمنع هذا الاتفاق وهذا ما يدعو للدهشة (1).

سواء لتهدة الوضع أو محاولة إظهار ذلك للوفد الأمريكي، فقد قرّرت السلطات الفرنسية إطلاق سراح " شنّيق " ووزرائه أمس بعد إقامة جبرية إستمرت منذ 27 مارس وهم الدكتور " الماطري " والدكتور " بن سالم " مع منعهم من الدخول إلى مدينتي " تونس " و " قرطاج " والقيام بأي نشاط سياسي (2) كما تم تحويل بورقيبة من منطقة " رمادة " إلى جزيرة " لاقاليت "، ونقل القادة الثلاثة للحزب الدستوري الجديد وهم " منجي سليم " مدير الحزب و " الهادي نويرة " نائب الأمين العام و " الهادي شاكر " أمين خزانة الحزب إلى جزيرة " جربة " (3).

أمّنيا لثالث مرة يقع تفجير ليلي في مدينة " سوسة " أمام محل تجاري أدى إلى تحطيم واجهته كلياً، كما تم تفجير البريد المركزي في تونس حيث دُمر كلياً وذلك إثر انفجار قنبلة وضعت داخل مخفر هاتفي أدت إلى سقوط 4 قتلى وإصابة 10 أشخاص منهم إثنان حالتهم خطيرة (4).

¹ – La D. Q. D'A Mercredi 14 Mai 1952, N : 885.

² – La D. Q. D'A 7 Mai 1952, N : 878.

³ – La D. Q. D'A 8 Mai 1952, N : 879.

⁴ – La D. Q., N : 885.

أمام خطورة العمليات الأخيرة " دي هوتكلوك " يسلم " الباي " مراسلة من باريس وهي في الحقيقة رسالة تهديد تحث على توجيه نداء تهدة للتونسيين وتطالبه بالتدديد بالإرهاب ولمزيد من الضغط البسيكولوجي، كان بصحبته المقيم العام الجنرال " قارباي " قائد القوات الفرنسية في تونس (1).

كما تضمنت تلك الرسالة من رئيس الحكومة " أنطوان بيني Antoine Pinay " الإنعكاسات الخطيرة لتلك الاضطرابات الإجرامية على الإيالة كما أشار إلى وجود مؤشرات تؤكد لجوء المستوطنين للانتقام من عمليات المقاومة وكدليل على ذلك تم ذكر عملية التفجير التي تعرضت لها صيدلية صهر الوزير السابق " صالح بن يوسف " في الحي العربي بمدينة تونس (2).

محاولة الضغط على " الباي " تفسر التخبط الذي تعانيه السلطات الفرنسية لأن هذه الأخيرة لا تملك أية سلطة على مجموعات المقاومين والدليل، استمرار عملياتها فقد أقيمت قنبلة على منزل " إدموند غريمالدي Edmond Grimaldi " رئيس بلدية " الخربة " لم تتسبب في خسائر. كما تم تفجير خط السكك الحديدية الرابط بين تونس و صفاقس في المكان المسمى " مساكن " كما تم تفجير قنبلة شديدة المفعول في " بنزرت"، تسبب في تخريب أنابيب نقل المياه. كما تعرض مركز بريد في " صفاقس " إلى تفجير أدى إلى حدوث خسائر كبيرة، مع عدم وجود ضحايا (3).

وبالعودة للخطوة الأمريكية فقد سعت باريس إلى توضيح موقفها لواشنطن على لسان وزير قداماء المحاربين " تامبل M. Temple " في تونس، حيث أكد بأن التونسيين هم المسؤولون عن تأخر بدأ المفاوضات وبأن فرنسا سوف تفي بتعهداتها.

¹ – La D. Q. D'A 15 Mai 1952, N : 886.

² – La D. Q. D'A Samedi 17 Mai 1952, N : 888.

³ – La D. Q. D'A Dimanche Lundi 18-19 Mai 1952, N : 889-890.

يشار أن الأمريكيين إمتنعوا عن التصويت في مجلس الأمن في الجلسة التي عقدت يوم 14 أفريل، سعيًا منهم لإعطاء الوقت الكافي لفرنسا من أجل التفاوض مباشرة مع التونسيين حول مشروعها الإصلاحية، لكنهم إحتفظوا لنفسهم بحق تغيير موقفهم في حالة دفعتهم المستجدات لذلك، وهذا ما حصل في الأوساط الرسمية بإعتبار أن المدة الممنوحة

لفرنسا قد تجاوزتها دون حدوث تغيير، وتحت ضغط النقابات والصحافة والكونغرس المعارضين لموقف حكومتهم من القضية التونسية، وهذا ما دفع بكتابة الدولة للتقرب من فرنسا ومطالبة إياها بحل المشكل في أسرع وقت وبأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تستطيع مستقبلًا معارضة أي نقاش في الأمم المتحدة وهذا ما قام بنقله سفيرها في باريس "جامس داوين James Daun للحكومة الفرنسية. وعلقت الجريدة بأنه لا يمكن لأي حكومة أن يبق موقعها ثابت جامد دون تغيير في تعاملها مع أي مشكل⁽¹⁾.

ما يجب التأكيد عليه أن طيلة هذه الفترة لم تتوقف عمليات المقاومة التونسية فقد تم قطع وحرق 3 أعمدة هاتف عند " المنزل الجميل " في ناحية " بنزرت "، كما تم تفجير قنبلة قرب ديوان التجارة الخارجية التونسية لم تسبب في حدوث خسائر⁽²⁾.

وكمزيد من الضغط على الحكومة الفرنسية جاء في التقرير النهائي لمؤتمر الحزب الراديكالي الاشتراكي برئاسة "إيميل روش Emile Roche" بأنه يندد بإضطرابات المتطرفة للانفصاليين في إفريقيا الشمالية، ويطالب الحكومة بسياسة واضحة وإصلاحات مطبقة، كما يؤكد على ضرورة الحفاظ على النظام في ممتلكاتنا الثلاثة في شمال إفريقيا⁽³⁾.

¹ – La D. Q. D'A Mardi 20 Mai 1952, N : 891.

² – La D. Q. D'A Mercredi 21 Mai 1952, N : 892.

³ – La D. Q. D'A Dimanche Lundi 25-26 Mai 1952, N : 896-897.

أمنيا وقوع عمليات جديدة في تونس أدت إلى إصابة ثلاث أشخاص بجروح خطيرة، وخسائر فادحة، كما انفجرت قنبلة في محطة توزيع البنزين أدت إلى تحطيم المحطة دون حدوث خسائر بشرية. وفي "القيروان" تم إلقاء قنبلة يدوية على مقر الدرك، أدت إلى إصابة ضابط ودركيين بجروح بليغة، كما تم إحراق شاحنة على طريق "سوسة". في تلك الأثناء تواصلت السلطات الفرنسية تشديد الخناق على الصحافة التي تفصح جرائمها، فقد حكم على "منصف مستيري" مدير جريدة "الإرادة" لسان حال حزب الدستوري القديم بثلاثة سنوات سجن مع وقف التنفيذ ومليون فرنك غرامة مالية بسبب نشره أخبار كاذبة حول ضحايا مظاهرة 22 جانفي بأنهم سقطوا على يد قوات الأمن بمن فيهم العقيد "دوراند Durand"⁽¹⁾.

10- إستمرارية ونشاط المقاومة المسلّحة:

أكد أعيان ناحية "بنزرت" للمقيم العام "دي هوتكلوك" عن ولائهم لفرنسا، وكدليل على ذلك الوفاء فقد طالبوا المقاومين "الفلاحة" بوضع السلاح، من ناحية أخرى قام 10 ثوار بوضع سلاحهم في ناحية "رأس الجبل" و "راف راف" وتسليمه للمراقب المدني في "بنزرت" سواء كمجموعات أو أفراد. وقد تم اللقاء بين هؤلاء الأعيان يتقدمهم "قائد" الناحية في الإقامة العامة، كما إستقبل هؤلاء من طرف الوزير الأول "صلاح الدين بكوش"⁽²⁾.

ما يجب التذكير به أن جزء من المقاومين إستجابوا لنداء وضع السلاح، لكن جزء هام منهم إستمر في نشاطه، فقد قامت مجموعة من الثوار بوضع قنبلة في الحي العربي "باب الخضراء" في تونس حيث تم تفجيره بعد هجوم بالرشاشات ضد مقهى يرتاده الأوروبيون، مما أدى إلى مقتل شخصين منهم ساعي بريد، وإصابة 5 أشخاص، كما تم تفجير قنبلة على مشارف عمارة في منطقة "باب الفلاح" في ضواحي تونس أدى إلى خسائر فادحة⁽³⁾.

¹ – La D. Q. D'A Mercredi 28 Mai 1952, N : 899.

² – La D. Q. D'A Mardi 6 Janvier 1953, N : 1122.

³ – La D. Q. D'A Dimanche Lundi 18-19 Janvier 1953, N : 1134-1135.

مقابل هذا قامت مجموعات إرهابية من المستوطنين بإغتيال أحد المناضلين التونسيين في الحزب الدستوري الجديد رميا بالرصاص قرب منزله ويدعى " حسين بوزير " عمره 25 سنة وهذا بقصر " الهلال " في ناحية "سوسة" مع الإشارة لتعرض أخيه لنفس المصير أي الإغتيال بعد إنسحابه من الحزب الدستوري الجديد ويدعى "محمد بوزير" وهذا في 23 نوفمبر 1952م⁽¹⁾.

كما وقعت مظاهرة شعبية أمام منزل " الحبيب بورقيبة " فتدخلت الشرطة التي تم رشقها بالحجارة، فقامت بإلقاء القبض على مجموعة من المتظاهرين، كما تم توزيع منشائر تدعو إلى وقف جميع الأنشطة والقيام بإضراب عام، مع الاجتماع في المساجد وهذا تضامنا مع ضحايا " الوطن القبلي " Cap Bon وهذا يوم الجمعة 30 جانفي 1953م، كما أشار المنشور أن البلدان الإسلامية سوف تجعله يوما تضامنيا مع ضحايا الاستعمار من أبناء الشعب التونسي⁽²⁾.

وتستطرد الجريدة وقع إنفجار ليلة أمس في ساحة " باب سريرة " تسببت في خسائر مادية كبيرة، وأصيب 3 أشخاص بجروح. كما تم تفجير محوّلين كهربائيين وهذا على الطريق الذي يؤدي إلى المستشفى العسكري في ضواحي تونس والثاني في " المدينة " ولا يوجد ضحايا⁽³⁾.

وتستمر سلسلة العمليات فقد هاجم 30 مقاوم " فلاقة " قرية " زنوخ " في ناحية " قفصة " وذلك يوم الأربعاء وقاموا بالاستيلاء على كميات من المواد الغذائية ثم إنسحبوا من القرية مطلّقين عيارات نارية⁽⁴⁾.

¹ – La D. Q. D'A Mardi 20 Janvier 1953, N : 1136.

² – La D. Q. D'A Vendredi 30 Janvier 1953, N : 1146.

³ – La D. Q. D'A Jeudi 5 Février 1953, N : 1152.

⁴ – La D. Q. D'A Vendredi 6 Février 1953, N : 1153.

كما انفجرت قنبلة في منطقة " بئر بورقبة " والتي تبعد بحوالي 50 كلم إلى الجنوب من العاصمة تونس أدت إلى مقتل 3 أشخاص وإصابة شخصين بجروح، من جانب آخر تمت تصفية " الهاشمي بن ناصر " شيخ قرية " ملولاش " وكان يتولى منصب " خليفة " لدى قائد ناحية " جبينانة " والمراقب المدني لناحية " صفاقص " وهذا ليلة الأحد إلى الإثنين في منزله من طرف مجموعة مسلحة ثم لاذوا بالفرار⁽¹⁾.

كما أقيمت قنبلة حارقة على المدرسة الفرانكو إسلامية في " القلعة الكبيرة " قرب "سوسة " تسببت في خسائر مادية كبيرة، وتم إخماد الحريق.⁽²⁾ من جهة أخرى تم تفجير خط السكك الحديدية بين مدينتي " تونس - سوسة " من طرف مجموعة من المقاومين وتحديدًا عند " القلعة الكبرى و " " سيدي بوعلي ".

كما تعرضت دورية عسكرية لإطلاق النار والتي كانت مكلفة بحراسة مركز الإذاعة بمنطقة " جديدة " أصيب على إثرها الجندي "روزاريو ماموتا Rosario Mamota " بجروح نقل على إثرها إلى المستشفى⁽³⁾.

وفي زيارة إلى تونس صرح السيد " دي شوفيني De Cheigné " كاتب الدولة الفرنسية للشؤون العسكرية لدى إستقباله المقيم العام بأن فرنسا سوف تقود إصلاحاتها السياسية في تونس إلى النهاية.

كما دعى إلى ضرورة التعاون الفرنسي التونسي.⁽⁴⁾ من جهتها أعلنت السلطات الفرنسية بأنها حددت يوم 11 ماي 1953 لإجراء الانتخابات البلدية في تونس، وفي أواسط شهر أفريل ستجري إنتخابات مجالس المراقبين المدنيين Caidat⁽⁵⁾.

¹ – La D. Q. D'A Mardi 17 Février 1953, N : 1162.

² – La D. Q. D'A Mercredi 18 Février 1953, N : 1163.

³ – La D. Q. D'A Samedi 21 Février 1953, N : 1166.

⁴ – La D. Q. D'A Vendredi 20 Février 1953, N : 1165.

⁵ – La D. Q. D'A Vendredi 27 Février 1953, N : 1172.

كما تم تفجير قنبلة ليلة السبت أمام منزل السيد " فارس جلول " الممثل السابق للحزب الدستوري الجديد في باريس، والمدرس الحالي في متوسطة في تونس تسببت في خسائر مادية كبيرة⁽¹⁾.

كما عرفت مدينة تونس عدة تفجيرات منها تفجير في ناحية " باردو " أمام منزل صهر الباي الطبيب " بن سالم " ووزير الصحة السابق في حكومة "شنيق" أدت إلى خسائر مادية. سياسيا طالبت العديد من الشخصيات ومنهم " الطاهر بن عمار" رئيس الغرفة الفلاحية في تونس من السلطات الفرنسية بإلغاء المجلس الكبير وتعويضه بإنتخاب " لجنة ميزانية " مشكلة من أعضاء الغرف الاقتصادية في تونس⁽²⁾.

أمام هذه الوضع المتأزم تحاول فرنسا إقناع حلفائها وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية بأنها تقف في المقدمة في أداء مهام الإستراتيجية الغربية على أكمل وجه في مواجهة الخطر الشيوعي، وهذا ما صرح به المقيم العام " دي هوتكلوك " أثناء زيارة القاعدة البحرية في "بنزرت" ⁽³⁾.

ورغم إمتعاض فرنسا من تصريحات المسؤولين الأمريكيين والتي تعتبر تدخل في شؤون فرنسا الداخلية وأنها تشجعا للحزب الدستوري الجديدة، هذا لم يمنع هذه الأخيرة من إبتزاز الولايات المتحدة الأمريكية فقد طلب رئيس الحكومة الفرنسية " روني مايير René Mayer " من واشنطن مساعدات مالية وعسكرية بقيمة واحد مليار دولار وهذا لتغطية نفقات

¹ – La D. Q. D'A Dimanche Lundi 1-2 Mars 1953, N : 1174-1175.

² – La D. Q. D'A Mardi 3 Mars 1953, N : 1176.

³ – La D. Q. D'A Mercredi 4 Mars 1953, N : 1177.

حرب الهند الصينية (الفيتنام) وأن فرنسا تدافع عن الغرب كلّهُ في مواجهة الزحف الشيوعي، وليس دفاعاً عن نفسها فقط⁽¹⁾.

في تلك الأثناء شهدت الأمم المتحدة تغييراً على رأس أمانتها العامة فبعد إستقالة السيّد "تريفي لي Trygve Lee" تتهمة الولايات المتحدة الأمريكية بالميل إلى الأطروحات السوفييتية- وبإقتراح من مجلس الأمن يوافق السويدي "الدوق هارمشولد Dog Hammarskjöld" على تولي منصب الأمين العام للأمم المتحدة، وصادقت عليه الجمعية العامة بـ 57 صوت لصالحه وصوت واحد ضده⁽²⁾.

دائماً على مستوى الأمم المتحدة فقد انسحب الوفد الفرنسي من جلسة اللّجنة السياسية للأمم المتحدة بعد كلمة ممثل العراق "عبد الله بكر" حيث صرّح قائلاً: "إن تونس والمغرب يخضعان لنظام العبودية وأن أوضاعهما تتسبب في تعقيد العلاقات الدولية وأن فرنسا ليست مؤهلة لتسييرهما"⁽³⁾.

كما أشارت الجريدة أنه على المستوى الداخلي تتواصل عمليات الاغتيالات والعمليات العسكرية فقد تمت تصفية المحامي "الطيب الغشام" أمام محكمة "موقنين" سوسة بإطلاق النار عليه وقد ترشح للانتخابات البلدية لنفس المدينة وتم إلقاء القبض على منفذ العملية وهو شاب عمره 22 سنة. مع الإشارة أن الضحية هو أخ "حامد غاشم" وزير الصحة التونسية في حكومة "بكوش"، كما تم توزيع منشور أحدهما يحمل رقم 110 يدعوا إلى مقاطعة الانتخابات البلدية وينتهي المنشور بهذا التحذير "كل من يترشح من التونسيين لهذا المنصب سوف يقتل"⁽⁴⁾. وتحت ضغط الإقامة العامة وعمليات التزوير الواسعة التي حدثت

¹ – La D. Q. D'A Dimanche Lundi 15-16 Mars 1953, N : 1188-1189.

² – La D. Q. D'A Jeudi 2 Avril 1953, N : 1206.

³ – La D. Q. D'A Mercredi 15 Avril 1953, N : 1219.

⁴ – La D. Q. D'A Jeudi 23 Avril 1953, N : 1227.

وعزوف التونسيين على الترشح للانتخابات لم تجد السلطات الفرنسية من حل إلا تعيين منتخبين وضغطت على الباي ليصادق على مراسيم تحويل البلديات المعينة إلى بلديات منتخبة ومجموعها 64 بلدية.

في أثناء ذلك تعرض خط سكة حديد "تونس - سوسة" إلى تفجير على النقطة 132 كلم أدى إلى توقف وقطع حركة النقل عليه ⁽¹⁾. كما تم إغتيال رئيس بلدية تونس " الشاذلي القسطللي " بإطلاق وابل من الرصاص عليه، وهو عضو المجلس البلدي لتونس منذ 1946م وفي الوقت نفسه يتولى رئاسة جريدة " النهضة " الوحيدة التي قامت بنشر نتائج إنتخابات المراقبين المدنيين " Caidals " حسب إدعاء السلطات الاستعمارية من جانبه نجى وزير التجارة " بن رايس " من محاولة إغتيال ⁽²⁾.

وكرد فعل على هذه الاغتيالات تم إلقاء القبض على السيّد " الهادي نويرة " الأمين العام بالنيابة للحزب الدستوري الجديد في تونس، كما أُلقي القبض أيضا على السيّد "مصمودي " ممثل الحزب الدستوري الجديد في باريس ومعه أحد إخوة "صالح بن يوسف" بتهمة تشكيل مجموعة أشار واغتيال " القسطللي " ومحاولة إغتيال "بن رايس"، حيث عرضوا على قاضي المحكمة العسكرية لاستجوابهم، مع الإشارة أن " الهادي نويرة " كان تحت الإقامة الجبرية في منزله ⁽³⁾.

وكنوع من التهيب وتوجيه رسالة للمقاومة المسلّحة قضت المحكمة العسكرية بإعدام 8 من المتظاهرين من بين 11 متظاهر في أحداث " موقنين " الأخيرة، وحكم على الباقي منهم بالأشغال الشاقة المؤبدة وغرامة مالية قدرها 500 ألف فرنك ⁽⁴⁾.

¹ – La D. Q. D'A Vendredi 24 Avril 1953, N : 1228.

² – La D. Q. D'A Dimanche Lundi 3-4 Mai 1953, N : 1237-1238.

³ – La D. Q. D'A Samedi 16 Mai 1953, N : 1250.

⁴ – La D. Q. D'A Dimanche Lundi 24-25 Mai 1953, N : 1258-1259.

بالعودة إلى محاولة إغتيال وزير التجارة التونسي الطبيب "بن ريس" حيث أطلق عليه شخص النار من بندقية وهو في حديقة منزله لكنه لم يصب ولاذا الجاني بالفرار.

كما أصيب شرطي بإصابات بليغة بعد إطلاق النار عليه من مسدس في أحد شوارع "سوسة" (1).

وتواصل الجريدة إحصاء عمليات المقاومة التونسية حيث تم إغتيال القائد "علي بن الحاج محمد رجب" مستشار المراقب المدني في قرية "الحامة" والتي تبعد بحوالي 40 كلم عن مدينة "قابس"، كما تم إغتيال "أحمد بن سعد بن عطية" 64 سنة أحد أعيان "الحامة" بإطلاق الرصاص عليه ليلا (2).

يتواصل مسلسل سقوط الحكومات الفرنسية وقيام أخرى وهو ما يفسر إنعدام الرؤى لدى السلطات الفرنسية وعجزها على إيجاد الحلول أو على الأقل إقتراح حلول للمشاكل الداخلية والخارجية وعلى رأسها القضية التونسية، ففي هذا المجال وبعد يومين من المشاورات في البرلمان رفض هذا الأخير منح الثقة لحكومة "بيار منديس فرانس Pierre Mandes France بـ 301 صوت نعم 314 ضد وشملت أصوات الحزب الاشتراكي الراديكالي وجزء من الحركة الجمهورية الشعبية وحوالي 30 برلماني من التجمع الشعبي الفرنسي (3) نفس الأحزاب منحت الثقة لـ "جوزيف لانيال Joseph Laniel" لتشكيل حكومة بمجموع 398 صوت مع تأكيد تلك الأحزاب المشاركة فيها (4).

¹ – La D. Q. D'A Mardi 2 Juin 1953, N : 1267.

² – La D. Q. D'A Jeudi 11 Juin 1953, N : 1276.

³ – La D. Q. D'A Vendredi 5 Juin 1953, N : 1270.

⁴ – La D. Q. D'A Samedi 27 Juin 1953, N : 1292.

11- التصعيد الاستعماري وإستمرارية المقاومة المسلحة خلال 1954م:

الملاحظ على الصحافة الكولونيالية عموما و"لاديباش كوتيديان" خصوصا هو التركيز على الجانب الأمني وتتبع عمليات المقاومة كنوع من الضغط على السلطات الاستعمارية لمزيد من القمع وغلق باب الحلول السلمية والمفاوضات وهكذا أشارت إلى هجوم مجموعة من المقاومين لمنجم ومركز حراس الغابات في ناحية "مختار"، وقامت بإختطاف المدعو "صالح التريكي" وهو أحد الحراس ويقطن "حيدرة"، وذلك يوم 29 جوان 1954م.

كما انفجرت قنبلة على سطح أحد المحلات في "زرزونة" بناحية "بنزرت" تسببت في خسائر كبيرة ولا يوجد ضحايا⁽¹⁾. وفي مدينة "سوسة" تم إغتيال مستوطن يدعى جيلاردي Gilardi بإطلاق النار عليه بمسدس من طرف شخصين ولذا بالفرار، وهذا قرب منزله في "كروسية". كما تمت تصفية عضو المجلس البلدي "لباديس" السيد الشاذلي صفاقسي بإطلاق الرصاص عليه في إحدى شوارع المدينة. كما أصيب مواطن روسي يدعى "ليسقلاس Lesgsat" وعمره 56 سنة بجروح في يده بعد إطلاق النار عليه.

أما في منزل "بوزلفة"، قامت مجموعة من المقاومين بإطلاق وابل من الرصاص على مقهى أدى إلى سقوط 3 قتلى و 6 جرحى. كما تم إختطاف أحد صبايحية "Spahi" في "برج مسعودي" بناحية "الكاف" من طرف مجموعة من "الفلاقة" وهذا في منتصف نهار 30 جوان وهذا في منطقة "الخنقة" في مشيخة "جواودة"⁽²⁾.

على أن أهم عملية للمقاومة تمثلت في الهجوم على قافلة من الجنود أدت إلى سقوط 4 جنود فرنسيين قتل منهم ضابط برتبة ملازم أول إثنان من القومية المغاربة وجندي من المشاة وإصابة 3 قومية مغاربة بجروح، وتسعى فرنسا من خلال إشراك هؤلاء في

¹ – La D. Q. D'A Vendredi 2 Juillet 1953, N : 1653.

² – La D. Q. D'A Samedi 3 Juillet 1954, N : 1654

مطاردة المقاومة التونسية إلى خلق عداوة وفجوة وإبعاد أي مشروع للربط بين القضية التونسية والمغربية.

وللتصدي لهذه الموجة من المقاومة، قامت السلطات الفرنسية بإستدعاء 3 دفعات من الجنود الاحتياطيين، كما تم إستدعاء كل الشباب التونسي المولود قبل 1 نوفمبر 1929م لأداء الخدمة العسكرية، وهذا بعد الإعلان الذي ورد في " الجريدة الرسمية " للجمهورية الفرنسية والذي نشرته وزارة الدفاع الوطني والقوات المسلحة والذي سوف يكون بمثابة إستدعاء رسمي للعمل تحت العلم الفرنسي (1).

كما تم تدعيم القوات الفرنسية في تونس بإرسال 200 جندي من القوات المضلين Parachutistes والقومية المغاربة وكان في إستقبالهم في تونس الجنرال "لاتور La Tour " القائد الأعلى للقوات المسلحة (2).

ورغم النجدة وإرسال قوات إضافية إلى تونس يتواصل نشاط المقاومة ففي " سوسة " تمت تصفية مستوطن فرنسي يدعى " Gilardi " بإطلاق الرصاص عليه من طرف شخصي لاذا بالفرار. كما اغتيل عضو المجلس البلدي " لباديس " السيد الشاذلي صفاقس " بإطلاق الرصاص عليه في إحدى شوارع المدينة، كما أصيب مواطن روسي يدعى " Lesgsot " في يده بإطلاق النار عليه .

وأثناء إشتباك بين القوات الفرنسية والمقاومين في جبل " أوربطة " إلى الشرق من قفصة وهذا يوم الإثنين حيث سقط 7 " فلاقة " من جانبها قتل 4 جنود فرنسيين منهم ملازم أول و 2 من القومية المغاربة وجندي من المشاة وإصابة 3 جنود بجروح (3).

¹ – La D. Q. D'A Samedi 3 Juillet 1954, N : 1654.

² – La D. Q. D'A Vendredi 6 Juillet 1954, N : 1657.

³ – La D. Q. d' A Mercredi 7 juillet 1954, N : 1658.

سياسيا تم تعيين " أحمد بن صالح " أمينا عاما للاتحاد العام التونسي للشغل خلفا للسيد " نوري بودالي " في أعقاب أشغال المؤتمر الوطني الخامس للنقابة المنعقد أيام 2-3-4 جويلية في تونس. من جانبه قبل الباي إستقالة حكومة " محمد مزالي " التي قدمها يوم 15 جوان الماضي، لكن الباي طلب منه مواصلة تسيير الشؤون العامة في إنتظار إيجاد خلفا له (1).

أما في فرنسا فقد قام " بيار منديس فرانس " بإعلام البرلمان بالإجراءات المتخذة بإرسال قوات إضافية إلى الهند الصينية وشمال إفريقيا، كما إستقبل السفير الأمريكي في باريس Douglas Dillon لإعلامه بتطورات الأوضاع في المنطقتين والتشاور معه (2) خصوصا أن القضيتان هم على رأس أولويات الحكومة بتخصيص إجتماع مجلس الوزراء المقبل لهما وفي هذا المجال فقد تم إستدعاء كل من Pierre Voizard و Francise Cacorte وهم على التوالي المقيم العام في كل من تونس والمغرب، من جهته اجتمع السيد " Christian Fouchet " مع كل من الجنرال Boyer de La Tour قائد القوات الفرنسية في تونس والجنرال " Duval " قائد القوات الفرنسية في المغرب لبحث التطورات في البلدين (3).

من جانبه إستقبل الوزير المكلف بالشؤون المغربية والتونسية السيد " طاهر بن عمار " رئيس الغرفة التونسية للفلاحة والقائد " عزيز جلولي " وهذا من أجل الإطلاع على آراء الشخصيات التونسية حول الأوضاع في البلد، وقد ساهم وصول " بيار منديس فرانس " إلى الحكم في باريس في إعطاء آمال لتجدد الحوار وهذا ما صرح به طاهر بن عمار (4).

¹ – la D. Q. d' A N :1657.

² – la D. Q. d' A N :1658.

³ – la D. Q. d' A Mercredi 29 juillet 1954, N : 1680.

⁴ – la D. Q. d' A Mercredi 21 juillet 1954, N : 1672.

كما تمت مراسيم دفن العقيد " Victor de Benoit de la Paillonne " مدير الإدارة المركزية للجيش الفرنسي في تونس والذي تمت تصفيته من طرف " إرهابي " يوم السبت صباحا بحضور ممثل عن الباي والإقامة العامة، وعقب الجنازة صرّح الجنرال " De La Tour " : " إنّ ردة الفعل قد تأخذ وقتا حتى تتحقّق، وسوف تكون شديدة إيجاباً من لا يفهمون بأن حلّ المشكل التونسي في النظام وليس في الفوضى " (1).

¹ – la D. Q. d' A Mercredi 28 juillet 1954, N : 1679.

الفصل السادس

الصحافة الكولونيالية وتغطيتها للقضية التونسية من
إعلان الحكم الذاتي حتى الاستقلال التام 1956م

1- ظروف وملابسات إعلان الحكم الذاتي لتونس وردود الفعل عليه:

إضافة لسبر آراء الشخصيات التونسية إستقبل رئيس الحكومة الفرنسية السيناتور " Clonna " ممثل المستوطنين حول الخطوات المزمع القيام بها في تونس. كما تعرف كواليس البرلمان تحركات كبيرة بسبب مشاريع الحكومة في تونس خصوصا من طرف اللجنة التنفيذية للحزب الراديكالي على لسان السيناتور " Henri Borgeaud " لفرض وجهة نظره على الحكومة ⁽¹⁾ حيث طالب هذا الأخير بأن لا تبدأ أية مفاوضات مع تونس قبل الوقف الكلي لمظاهر " الإرهاب " في الإيالة وعودة النظام.

أما مجلس الوزراء الذي إستغرق 5 ساعات كاملة فقد تم اتخاذ عدة إجراءات قبل بدأ المفاوضات على أساس القواعد التالية:

* - منح الحكم الذاتي على مراحل مع تشكيل حكومة تونسية متجانسة.

* - الحفاظ على كامل الحقوق والصلاحيات العسكرية والدبلوماسية لفرنسا.

* - تعيين الجنرال " Boyer De La Tour " مقيم عام في تونس خلفا " Pierre Voizard ".

* - إرسال 6 آلاف عسكري لدعم التواجد الفرنسي في الإيالة.

من جانبه طالب " بيار منديس فرانس " من البرلمان منحه كافة السلطات الاقتصادية إلى غاية 31 مارس 1955، لتمكينه من تطبيق برنامجه ⁽²⁾.

¹ - la D. Q. d' A Vendredi 30 juillet 1954, N : 1681.

² - la D. Q. d' A Samedi 31 juillet 1954, N : 1682.

وعلى إثر إجتماع مجلس الوزراء توجه رئيس الحكومة الفرنسية إلى تونس لإعلام الباي شخصيا بنوايا الحكومة، بعدها قام بإعلام الرأي العام والصحافة بالإجراءات المتخذة والتي قدمت للباي والتي تشمل النقاط التالية:

- الإعتراف بالحكم الذاتي للدولة التونسية.

- التفاوض مع فرنسا على الاتفاقيات التي سوف تحدد حقوق الطرفين، والضمانات المعترف بها لفرنسا وللفرنسيين المقيمين في تونس.

- ضرورة بقاء فرنسا في تونس للحفاظ على السلم في المنطقة وهذا ما يتطلب توحيد الدفاع والشؤون الخارجية تطبيقا لمعاهدة " باردو " وسوف تضمن فرنسا الأمن في البلد وعلاقاتها الدولية⁽¹⁾.

وقد تباينت ردود الفعل الدولية حول بيان الحكمة الفرنسية:

- لندن تتحفظ لدى الأوساط الرسمية على اعتبار أن المشكل يخص فقط فرنسا، مع ترحيب لدى الرأي العام لأن التهدة في الإيالة سيدعم مكانة فرنسا.

- واشنطن، نفس التحفظات الرسمية مثل لندن مع الرضى برؤية الشيوعيين يخسرون فرصة لإثارة الإضطرابات.

- إيطاليا تعتقد بأن الحكومة القادمة سوف تكون في صالح الأقلية الإيطالية التي طردت بعد تحرير تونس.

- أما على مستوى الأمم المتحدة فهناك إهتمام ملحوظ بالمقترح الفرنسي.

¹ - la D. Q. d' A Dimanche Lundi 1^e 2 Aout 1954, N : 1683-1684.

عربيا: عبرت "مصر" بأنها تنتظر بقية المفاوضات، وتعتبر أن لقاء الباي بـ "منديس فرانس" يمكن أن يكون بناءا. المغرب اعتبر أن انتخاب برلمان تونسي يمكن أن يغيّر الوضع في الإيالة، لأن هذا الأخير يمكن أن يعلن عن الاستقلال وسوف يكون لذلك صدى كبير في شمال إفريقيا حسب " Maroc Presse " .

أما بورقبيّة فقد صرّح من مقر إقامته في Montargis عن إرتياحه لهذه الإجراءات والتي سوف تمكن تونس من تحقيق سيادتها وتحافظ على مصالح فرنسا (1).

كما وجّه الباي نداء للشعب التونسي للهدوء هذا مضمونه: " بسم الله الرحمان الرحيم" فتحت صفحة جديدة في تاريخ بلدنا العزيز إذ كان من الصعب علينا التذكير بما عانيناه، يجب علينا اليوم أن نحمد الله على رحمته بنا بأن أبعد علينا السّحب التي كادت أن تتسبب لنا بعواقب وخيمة. أن الحكومة الفرنسية بهذا المقترح الذي يشرف تاريخها، لم تتردّد في الاعتراف بنضجكم السياسي وطموحاتكم الشرعية على لسان رئيسها المعترف به والإعلان الصريح دون خلفيات عن الحكم الذاتي لبلدنا " (2).

كما كلف الباي السيّد " طاهر بن عمار " بتشكيل حكومة تونسية جديدة، وقد دخل هذا الأخير في مشاورات مع الأحزاب السياسية الدستوري القديم والجديد، والمنظمات النقابية وعلى رأسها الاتحاد العام التونسي للشغل.

من جانبه وجّه المقيم العام نداء للشعب التونسي بالهدوء، كما هدّد بأنه سوف يستعمل كل الوسائل ويتصدى ويقمع أية إضطرابات. (3) هذا لم يمنع إستمرار نشاط المقاومة

¹ – la D. Q. d' A Dimanche Lundi 1^e 2 Aout 1954, N : 1683-1684.

² – la D. Q. d' A Mardi 3 Aout 1954, N : 1685.

³ – la D. Q. d' A Mercredi 4 Aout 1954, N : 1686.

المسلحة حيث وقعت مواجهة بين فرقة من المظليين الفرنسيين ومجموعة من المقاومين على طريق قفصة سقط على إثرها شهيدان، وقتل مضلي وأصيب إثنان بجروح (1).

أما فيما يخص تشكيل حكومة " طاهر بن عمار " فقد عرفت صعوبات في تشكيلها، بسبب رفض الباي للقائمة الأولى التي سلمت له لأنها ضمت فقط أسماء من الحزب الدستوري الجديد، من جانبه صرّح بورقيبة بتشكيل وزارة وفاق وطني تشمل جميع التشكيلات والأحزاب السياسية حتى ولو كانت تمثل أقلية، مما دفع بالوزير الأول إلى توسيع مشاوراته (2).

من جانبه دخل "منديس فرانس" في مشاورات مع المجموعات البرلمانية لإقناعهم بمشروعه للحكم الذاتي في تونس فقد إلتقى بممثلي الجالية الفرنسية في تونس بالبرلمان على رأسهم Jean Médecin وضمت السيناتور Colonna و Piaux و Gaillermin والجنرال Aumeran إضافة لـ Quilici حيث عبّر الوفد عن إنشغاله من إمكانية قيام الوطنيين التونسيين بنقل قضيتهم إلى الأمم المتحدة في حالة فشل المفاوضات، فجاء جواب رئيس المجلس بأن القضية التونسية دخلت فعلا إلى الأمم المتحدة وأن فرنسا تعاملت بكل ليبرالية مع الموضوع، ولا يعني هذا إضعاف لموقف حكومته، كما أكد رئيس المجلس بأن حكومته تعتزم إتخاذ إجراءات لصالح ضحايا " الإرهاب " في تونس، وأنهم سوف يستفيدون من نظام شبيه بضحايا الحرب (3).

¹ – la D. Q. d' A Jeudi 5 Aout 1954, N : 1687.

² – la D. Q. d' A Vendredi 6 Aout 1954, N : 1688.

³ – Ibid.

2- إرسال المزيد من القوات الفرنسية إلى تونس:

إنطلاقاً من مارسيليا توجهت السفينة Athos II إلى تونس وعلى متنها 2445 عسكري، من جهة أخرى ستتوجه سفينة Ville de Tunis و Ville D'Alger أيام 10 و 13 أوت إلى تونس وعلى متنها فرق عسكرية لتدعيم القوات المتواجدة في تونس، مع الإشارة إلى وصول 2000 جندي من قوات المشاة إلى ميناء " بنزرت "، على متن السفينة " Campara ". من جانبها شهدت مدينة " صفاقس " مراسيم دفن الجندي المظلي الجزائري " بوزاير " Bouzair " من مدينة الشلف والذي قتل أثناء مواجهة مع " الفلاقة " في مرتفع " فايد " الذي يبعد بحوالي 100 كلم عن مدينة صفاقس (1).

يستمر تدفق الوحدات العسكرية الفرنسية إلى تونس فقد حلت بميناء بنزرت " سفينته Djebel Dira " قادمة من مارسيليا وعلى متنها 1250 جندي (2) من جانبها توجهت سفينة " القيروان " نحو تونس وعلى متنها 650 عسكري فرنسي. كل هذه القوات الفرنسية لدعم تلك المتواجدة في تونس أرسلت مع إعلان الحكم الذاتي في تونس الذي لم تمنع من استمرار نشاط المقاومة التي قامت بتصفية السيد Beech " المفتش السابق للنقل ورئيس الجبهة الفرنسية الحرة F.F.L بعد تعرضه لإطلاق النار يوم 3 أوت في مدينة " سوسة " بالقرب من الميناء (3).

كما وقعت مواجهة بين الفرقة الرابعة لصابحية Spahis ومجموعة مقاومين بقيادة " طاهر فرشيثي " وذلك يوم 4 أوت بناحية سيدي بوزيد وسقط من المقاومين شهيدان (4) لكن الجريدة لا تذكر خسائر القوات الفرنسية.

¹ – la D. Q. d' A , N : 1688.

² – la D. Q. d' A Samedi 7 Aout 1954, N : 1689.

³ – la D. Q. d' A Dima- Lundi 8-9 4 Aout 1954, N : 1690-1691.

⁴ – la D. Q. d' A Mardi 10 Aout 1954, N : 1692.

والتخلّص من ضغط المعارضة الفرنسية خصوصا في البرلمان طرح " بيار منديس فرانس " مشكلة الثقة أمام هذا الأخير مطالبا بمنحه كافة الصلاحيات فيما يخص قضية تونس والسياسة الاقتصادية فجاءت مصادقة البرلمان في القضية الأولى 361 نعم 90 ضد والقضية الثانية 398 نعم و 126 ضد، وقد صرّح أمام البرلمان قائلا: " إن فرنسا نائمة لأبد من إيقاظها، إنها مهمة صعبة لكنها ممكنة، لأبد من إدماج الطبقة الشغيلة في الأمة، وإدماج ممتلكات ما وراء البحار مع فرنسا، مع التوضيح أنه يمكن أن تختلف الرؤى على المدى القصير، أما على المدى البعيد فيمكن إنقاذ كل الفرنسيين " (1) في تلك الأثناء توجهت السفينة " Ville de Tunis " إنطلاقا من ميناء مارسيليا إلى ميناء " بنزرت " وعلى متنها 1900 عسكري لدعم القوات المتواجدة في تونس (2).

وحول ملابسات وظروف بدأ المفاوضات الفرنسية التونسية صرّح السيد " طاهر بن عمار " رئيس الحكومة من باريس لجريدة " Carrefour " بما يلي: " إن تونس جد قوية إستراتيجيا وجد ضعيفة عسكريا، لايمكن لها أن تستغني عن فرنسا " (3).

كما صرّح لجريدة " Combat " دائما من باريس: " سأبذل قصارى جهدي من أجل تأكيد الإخوة بين الفرنسيين والتونسيين، فهناك كثير من الروابط الثقافية والاقتصادية تجمعنا والتي سوف تزيد من إلتهامنا مستقبلا " (4).

وبوصول "طاهر بن عمار" رئيس المجلس ووزير الدولة " مصمودي " إلى باريس حيث كان في إستقبالهم في مطار Villa Coublay كل من La Chauvinier مدير تشريفات رئيس الجمهورية و"كريستيان فوشي" وزير الشؤون المغربية والتونسية، والجنرال De La Tour

¹ – la D. Q. d' A Mercredi 11 Aout 1954, N : 1693.

² – Ibid.

³ – la D. Q. d' A Jeudi 12 Aout 1954, N : 1694.

⁴ – la D. Q. d' A Mardi 17 Aout 1954, N : 1699.

المقيم العام الفرنسي في تونس ⁽¹⁾، حيث إتفق الطرفان مبدئياً على بدأ المفاوضات الرسمية بين الطرفين في تونس، لتبدأ بعدها جلسات العمل مباشرة في باريس ⁽²⁾.

ودائماً حول ظروف بدأ المفاوضات صرّح "كريستيان فوشي " أمام البرلمان بما يلي: " مشكلتي تونس والمغرب مازالتا قائمتين لكن الحكومة إستطاعت أن تخلق جوا نظيفاً يسمح بفتح نشاط سياسي بناء، أمام معارضة ممثلي الجالية الفرنسية في تونس منهم الجنرال Aumeran والبرلماني Halleguen الذي حمل الجامعة العربية وبرامج إذاعة القاهرة التي أصبحت تبثُ عبر إذاعة " بودابست " Budapest (عاصمة المجر). أما Quilici فأشار أن فرنسا قدمت تنازلات كبيرة في تونس دون الحصول على مقابل من الحزب الدستوري الجديد وأكثر ما يتخوّف منه هو إقتداء فرنسا بتجربة بريطانيا الفاشلة في مصر ⁽³⁾.

وفي إجابته عن سؤال في البرلمان حول سياسة حكومته في كل من تونس والمغرب، أجاب " بيار منديس فرانس " قائلاً: " لن يعاد السلطان محمد الخامس " على عرش المغرب " تونس والمغرب تشكّلان دولتان لكل منهما شخصيتها داخل الجمهورية، حتى ولو كانتا مترابطتان ليس هناك وضع كارثي يجزّهم للإنفصال " ⁽⁴⁾.

أما René Mayer عن الحزب الراديكالي الإشتراكي فقد ذكر في تدخله بفشل العالم الحرّ في الهند الصينية، وأن دور إفريقيا أصبح ضروريا في دفاع أوروبا ودفاع فرنسا في شمال إفريقيا أصبح أساسيا، وبمناسبة بدأ المفاوضات مع كل من تونس والمغرب أوصى بوجوب توسيع معاهدة الدفاع الأطلسي لكل شمال إفريقيا وليس للجزائر فقط، كما طالب

¹ – la D. Q. d' A Mercredi 18 Aout 1954, N : 1700.

² – la D. Q. d' A Jeudi 19 Aout 1954, N : 1701.

³ – la D. Q. d' A Vendredi 27 Aout 1954, N : 1709.

⁴ – la D. Q. d' A Samedi 28 Aout 1954, N : 1710.

بتحديد مجال تدخل حلفائنا في شؤون المحميات، ففقدان التشاور أدى إلى ضياع الهند الصينية، وقد تؤدي إلى ضياع إفريقيا⁽¹⁾.

3- تطورات الوضع الأمني نهاية 1954م حسب جريدة ليكو دالجي L'Echo D'Alger:

رغم تراجع نشاط المقاومة التونسية نهاية 1954م، إلا أنه من حين إلى آخر تتقل وسائل الإعلام أخبارا عن عمليات عسكرية أو تصفيات لعناصر تعتبر موالية لفرنسا ففي منطقة " الجم " بناحية بنزرت تم اغتيال تونسيان وهما " الطيب خياري " وتونسي آخر لم تحدد هويته وهما من التيار الفرانكوفيلي⁽²⁾.

ودائما بإستعمال أسلوب المبالغة في أرقام خسائر المقاومة التونسية حيث أشارت الجريدة إلى وقوع معركة قاتلة بين " الفلاقة " والقوات الفرنسية وأسفرت عن سقوط 65 قتيل من بين الثوار وقتيل واحد و 4 جرحى في صفوف القوات الاستعمارية وذلك يوم 2 أكتوبر في جبل " خرشم " شرق " سيدي بوزيد "، كما أشار الخبر إلى قيام طائرة عسكرية بقنبلة تجمع لمجموعة من " الخارجين عن القانون " وهذا في جبل " النقب " ولم تعرف حصيلة المعركة، مع الإشارة أنه لأول مرة تستعمل الطائرات لقصف المتمردين⁽³⁾. ولرفع معنويات القوات الفرنسية توجه وزير الحربية جاك شوفاليي " Jacques Chevallier " إلى تونس حيث قام بزيارة ميدانية برفقة المقيم العام الجنرال بوير دولاتور Boyer De La Tour للفرقة المتنقلة التي تطارد " الفلاقة في جنوب وغرب تونس والتي قوامها 3000 جندي⁽⁴⁾.

كما تفقد الوفد القطاعات العسكرية في " قصرين " على الحدود الجزائرية التونسية، و"سيدي بوزيد "، مع تأكيده للمستوطنين الفرنسيين أن كل الإمكانيات قد سخرت للقضاء

¹ – la D. Q. d' A Samedi 28 Aout 1954, N : 1710.

² – L'Echo D'Alger Vendredi 1 Octobre 1954.

³ – L'E.D'A , Mardi 5 Octobre 1954.

⁴ – L' E.D'A , Mercredi 6 Octobre 1954.

على الفلاقة، مع الإشارة أن القوات الفرنسية تظم فرقة من "القوم المغاربة" التي تساندها في عملياتها ضد الثوار التونسيين (1).

كما ورد خبر عن مواجهة عسكرية أدّت إلى مقتل 11 من الفلاقة وجرح جندي واحد (2). هذا الأسلوب في تغطية الجريدة لنشاط المقاومة يهدف بطبيعة الحال إلى كسر معنويات المقاومة والشعب التونسي.

ورغم ذلك يستمر نشاط هذه الأخيرة حسب الجريدة الكولونيالية ففي ليلة 9 أكتوبر قامت مجموعة من المقاومين من الهجوم على مزرعة "تورات" Touret " في ناحية" الكاف " كما تم حرق جرارين تابعين للشركة التونسية للتأمين وذلك يوم 10 أكتوبر بمنطقة " ساقية سيدي يوسف " التابعة لمنطقة الكاف (3).

مع الإشارة أنه ورد خبر تواجد زعيم المقاومة التونسية " ساسي لسود " ومجموعته المقدر أفرادها بـ 100 مقاوم تتمركز بجبل " برقو " على بعد 10 كلم من " سليانة " ناحية سيدي بوزيد " (4).

إنّ انتقال نشاط المقاومة التونسية من الحدود مع ليبيا إلى الحدود الجزائرية وإختراقها وإقامة قواعد خلفية لهم أقلق سلطات الاحتلال، ودفعت بالوالي العام الفرنسي في الجزائر "روجي ليونار" Roger LEONARD إلى عقد إجتماع تنسقي مع المقيم العام في تونس الجنرال بوير دي لا تور Boyer De La Tour في قسنطينة بحضور قادة الأجهزة الأمنية العسكرية لاتخاذ الإجراءات الكفيلة بالقضاء على نشاط المقاومة على الحدود الجزائرية التونسية (5). ولدعم هذا التوجه القمعي صرّح روني ماي " René Mayer " أمام المجلس

¹ – L' E.D'A, Vendredi 8 Octobre 1954.

² – L' E.D'A, Samedi 9 Octobre 1954.

³ – L' E.D'A, Mercredi 13 Octobre 1954.

⁴ – L' E.D'A, Jeudi 21 Octobre 1954.

⁵ – L' E.D'A, Samedi 16 Octobre 1954.

العام لقسنطينة قائلا: " إن الإختراقات الخارجية لا يمكن تقبلها، كما نعلن رفضنا لأي تدخل أجنبي - يقصد بها إختراق المقاومين التونسيين للحدود الجزائرية - كما أشار أنه سوف يتم التصدي لها بكل قوّة " (1).

يبقى السؤال المطروح، ما هو موقف الحزب الدستوري الجديد، من نشاط المقاومة في الوقت نفسه التي بدأت فيه المفاوضات الفرنسية التونسية ؟ الجواب جاء على لسان " منجي سليم " أحد أعضاء الوفد التونسي في تلك المفاوضات حيث صرّح للصحافة قبل مغادرته تونس إلى باريس قائلا: " أن الحكومة التونسية تتدّ بكل الأعمال الإرهابية الفردية مهما كان مصدرها وبفضل عملنا المتواصل والسير العادي للمفاوضات الفرنسية التونسية سيتحقق السلم الفعلي والدائم في بلدنا دون أن تحدث أعمال إرهابية وإنتقامية كما أتوجّه لأصدقائنا الفرنسيين الذين عاشوا ويعيشون في بلدنا بأن يتأكدوا من ضماننا لمصالحهم الشرعية في ظل الوئام والسلم والأخوة والكرامة " (2).

ونقلا عن جريدة " الصباح " الناطق الرسمي للحزب الدستوري الجديد أشارت فيه إلى إنعقاد إجتماع لمجلسه الوطني لمناقشة مسألة نشاط المقاومة نهاية أكتوبر أو بداية نوفمبر وهذا بعد عودة ممثليه المنجي سليم ومحمد مصمودي من باريس وتقديمهما عرضا عن سير تلك المفاوضات. وحسب L'ECHO D'Alger فإن الحزب الدستور الجديد وممثليه لم ينددوا إلا بالعمليات الفردية أما موقفهم من مجموعات الفلاقة التي تنشط في الجبال فلم يدينوها، كما أشارت أن مجموع الصحف العربية لا تستعمل صفة "خارجون عن القانون" على هؤلاء المتمردين وإنما مصطلح المقاومون، وتدعو إلى إيجاد حل إنساني لهذا المشكل، وعلى هذا

¹ - L' E.D'A, Samedi 30 Octobre 1954.

² - L' E.D'A, Mardi 5 Octobre 1954.

الأساس فالقرارات التي سوف يتخذها المجلس الوطني تعتبر حاسمة في هذا الوقت بالذات⁽¹⁾.

4- تسليم سلاح المقاومة وردود الفعل الوطنية والإقليمية والدولية عليه:

أثناء المفاوضات التونسية الفرنسية توصل الطرفان "طاهر بن عمار" و "كريستيان فوشي" على إتفاق مبدئي بتوحيد جهود الحكومتان لحل مشكل المقاومين بتوجيه نداء مشترك لهم بتسليم أنفسهم ووضع السلاح مقابل الحصول على صك آمان ممضي من السلطات الفرنسية⁽²⁾.

وفي هذا السياق تأتي رسالة "لزهر شرايطي" أحد أكبر قادة المقاومة التونسية الموجهة إلى "حبيب الشطي" رئيس قسم الصحافة في رئاسة مجلس الحكومة التونسية حملت موافقته على التصريح المشترك للحكومتين التونسية والفرنسية الخاص بقضية المقاومين جاء فيها: "لقد علمنا بإتفاق الحاصل بين الحكومة التونسية والسيد المقيم العام الفرنسي في تونس، فيما يخص وقف نشاطنا من أجل تسهيل سير المفاوضات، أننا نأمل أن تقود هذه المفاوضات للحكم الذاتي لبلدنا وتفتح آفاق يسودها الهدوء والثقة بين كل سكان هذا البلد وأنه يمكن لقادتنا من بناء ما تحطم، هذا الاتفاق وافق عليه الشعب التونسي بواسطة زعماء الحزب، من جهتنا نوافق على تطبيق محتوى الإتفاق من أجل خلق جو من الأخوة وهذا ما تمنيناه دائما، رغم إستمرار القوات الفرنسية في مطاردتنا، لنا الثقة في تعهد الحكومتان فيما يخص أمننا وأمن أسرنا وحرّيتنا"⁽³⁾.

¹ - L' E.D'A, Mercredi 27 Octobre 1954.

² - la D. Q. d' A Vendredi 19 Novembre 1954, N : 1793.

³ - la D. Q. d' A Mercredi 1 Décembre 1954, N : 1805.

حول تسليم سلاح المقاومة التي تسببت في وقف المفاوضات أدت إلى لقاء سري بين "منديس فرانس" و "بورقيبة" هذا الأخير تعهد شخصيا بضمانه وكان أحد أهم أسباب الخلاف مع "صالح بن يوسف".
أنظر: Ammar CHADLI, P P : 70-71 ، عمار السوفي، ص: 46.

كما تم تشكيل 22 لجنة مشتركة موزعة على كامل التراب التونسي للإشراف على العملية من خلال الإتصال وإستقبال المقاومين ووضع السلاح، وتتم العملية حسب الخطة التالية، يقوم الممثل التونسي في اللجنة بشتى الطرق والوسائل المناسبة الدخول في إتصال مع المقاومين لإقناعهم بوضع السلاح وتسليمه، ولن يتدخل الضابط الفرنسي إلا بعد هذه المرحلة من أجل إصدار " تسريح التنقل " لصك الأمان، وأخذ الأسلحة، وأثمرت أولى الاتصالات في ناحية " ماطر " وتحديدًا في منطقة " أبو زير " الجبلية على تسليم 22 مقاوم لسلاحهم من مجموع حوالي 100 مقاوم⁽¹⁾ أما في نواحي " القيروان " و " الكاف و " بنزرت " فقد قام أكثر من 100 مقاوم بتسليم سلاحهم⁽²⁾.

وحتى 8 ديسمبر 1954م أوردت " لاديباش كوتيديان " هذا الإحصاء حول من سلموا أسلحتهم فقد عدّت 2000 مقاوم سلموا أنفسهم وأسلحتهم المقدرة بـ 1553 قطعة سلاح و90 ألف رصاصة وذخيرة تم إسترجاعها⁽³⁾.

لتأتي ردود الفعل على تجدد المفاوضات، ودخول إتفاق تسليم سلاح المقاومة والإستجابة له حيز التطبيق من طرف متطرفي المستوطنين والمنظمات الإرهابية التي تؤطّهم مثل منظمة اليد الحمراء لإفشال ذلك المسعى من خلال تفجير الوضع العام في تونس فقد نشرت الإقامة العامة إعلانًا عن تلك العمليات ففي ليلة 14 إلى 15 ديسمبر ما بين 9 ليلا والواحدة صباحا انفجرت 7 عبوات ناسفة واحدة في صفقاس و 6 في تونس العاصمة ولم تتسبب إلا في خسائر مادية وأستهدفت شخصيات وطنية تونسية من بينها

من أشهر المقاومين الذين وضعوا السلاح " لزهر شرايطي " و " ساسي لسود "، أما أخوه " طاهر لسود " فرفض تسليم سلاحه مؤكدا على مواصلة المقاومة المسلحة.
أنظر: المنصف الشابي، ص: 158.

¹ – la D. Q. d' A Jeudi 2 Décembre 1954, N : 1806.

² – la D. Q. d' A Vendredi 3 Décembre 1954, N : 1807.

³ – la D. Q. d' A Mercredi 8 Décembre 1954, N : 1812.

André Barouch الذي تعرض لقرار إبعاد إلى الجنوب التونسي 1953م إلى جانب القادة الوطنيين، والسيد "بن براهيم" عضو إحدى اللجان المكلفة بالاتصال بالمقاومين، وأخ "الشاذلي بن عاشور" الذي شارك بدوره في الاتصال بالمقاومة. كما وقع انفجار في "المرسى" بتونس، وتحديدًا في منزل "المنصف المستيري" مدير الحزب الدستوري القديم، وانفجار آخر في منزل الطبيب "حبيب رقيق" المعروف بتوجهاته الوطنية⁽¹⁾.

من جهتهم المتمسكون بنهج المقاومة زادتهم تلك الأحداث قناعة بصواب قرارهم فظاعفوا من نشاطهم مشجعين بانفجار الثورة الجزائرية وإمكانية التنسيق معها بنقل عملياتهم إلى الحدود، ففي شمال دوار "كيمال" بغابة بني إملول وقع إلتحام عسكري بين فرقة من المظليين ومجموعة من المقاومين وهذا يوم الثلاثاء حيث قتل ثلاث جنود مظليين، وسقط عدد من المقاومين - لا يذكر عددهم - من بينهم تونسيان أحدهما فرّ من الخدمة العسكرية وكان في قائمة الجنود المرسلين إلى الهند الصينية⁽²⁾.

كما أشارت التقارير إلى إلقاء القبض على تونسيان دخلا الجزائر بطرق "غير قانونية" قرب مدينة عنابة من طرف قوات الدرك لناحية "عين المقرّة" وهما "براهيم بن ساعد" و"علي بن فرج" هذا الأخير كان بحوزته مسدس رشاش⁽³⁾.

من هنا سعت السلطات الاستعمارية لوضع إستراتيجية أمنية لتشديد الخناق على الحدود الجزائرية التونسية ولهذا الغرض قام الحاكم العام الفرنسي في الجزائر "Roger Léonard" بزيارة تفقدية للحدود بين البلدين مرفوقا بالسلطات العسكرية وهذا يوم الأحد صباحا⁽⁴⁾ كما قام بزيارة كل من "تبسة" و "سوق أهراس"، كما تفقّد الإجراءات الأمنية

¹ - la D. Q. d' A Mercredi 15 Décembre 1954, N : 1819.

² - la D. Q. d' A Vendredi 17 Décembre 1954, N : 1821.

³ - la D. Q. d' A Vendredi 19 Novembre 1954, N : 1793.

⁴ - la D. Q. d' A Samedi 18 Décembre 1954, N : 1805

المتخذة لتأمين الحدود الجزائرية التونسية وكان برفقته الجنرال " Cherriere " قائد الناحية العسكرية العاشرة و " Pierre Dupuch " والي قسنطينة والجنرال " Spilman " قائد مجموعة قسنطينة.

كما تعهد حسب قوله بأن فرنسا سوف تحمي أصدقائها ضد أي عمليات إنتقام، ومنعا لتسرّب المقاومين والأسلحة بين البلدين ومنعا لأي تنسيق بينهما (1).

ونظرا لأهمية التنسيق الأمني وإفشالا لأي إلتحام بين فصائل المقاومين في تونس والمغرب مع الثورة الجزائرية فقد خصّ رئيس الحكومة الفرنسية Edgar Faure القادة العسكريون لكل شمال إفريقيا بلقاء مطوّل من أجل إعادة هيكلة المنظومة الدفاعية الفرنسية في المغرب العربي (2). ولكسب وُدّ حلفائه أي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا خصّ السيد " Edgar Faure " المجلة الأمريكية " News and Word Report " والتي تصدر في واشنطن بحوار مطوّل طالبا من حليفه دعما كاملا لسياسته في شمال إفريقيا قائلا: "بأن مهمتنا سوف تكون أصعب لو أن الشمال الإفريقي يتوهمون بأن أعمالهم العدائية لفرنسا تلقى التعاطف من حلفائنا ".

أما بخصوص الوضع في تونس فقال: " إن سياستنا الحالية تركز على مقترح "الحكم الذاتي" الذي قدمه "منديس فرانس" في 31 جويلية في "قرطاج"، وهذا يقودنا للقول أن الاتفاقيات التي أبرمتها الحكومة السابقة قد تسببت في إنتقادات في البرلمان الفرنسي، وأن حكومته سوف تأخذ بعين الاعتبار الإرادة " البرلمانية ". وحول سؤال حول متى يمكن الوصول إلى إتفاق حول تونس، جاء جوابه، أن ذلك ممكن منتصف شهر أفريل، كما أشار أن قضية المغرب تختلف عن الوضع في تونس، فوجودنا في هذه الأخيرة يعود إلى

¹ – la D. Q. d' A Dimanche- Lundi 19-20i 1 Décembre 1954, N : 1823-1824

² – la D. Q. d' A Vendredi 4 Mars 1955, N : 1898.

1881م، أما بالنسبة للمغرب فيعود إلى 1912، دون أن يغيّر ذلك في نظرة حكومته للحلول المقترحة للقضيتين (1).

وحسب بيان رسمي من وزارة الشؤون المغربية والتونسية فقد تجددت المفاوضات بين الطرفين بقاء جمع كل " طاهر بن عمار " و " بيار جولي " Pierre July " وتناول اللقاء وضع جدول أعمال للقضايا التي يمكن مناقشتها (2).

ولإنجاح ذلك المسعى سمحت السلطات الفرنسية للحبيب بورقيبة بالانتقال إلى الضاحية الباريسية وتحديدا إلى Mont Genève للإقامة فيها لتمكين الوفد التونسي المفاوض من التشاور معه وإعلامه بسير المفاوضات (3).

5- تجدد المفاوضات التونسية الفرنسية وردود الفعل عليها:

حسب بيان رسمي صادر عن وزارة الشؤون المغربية والتونسية فقد تجددت المفاوضات بين الطرفين برئاسة كل من " طاهر بن عمار " و " بيار جولي " Pierre July وخصص اللقاء الأول لوضع جدول أعمال المفاوضات (4).

ولإعطاء أكثر لفرص النجاح المفاوضات تأكد خبر سماح السلطات الفرنسية " للحبيب بورقيبة " بالانتقال إلى Mont Genève بالضاحية الباريسية للإقامة فيها (5) لتمكينه من الإتصال مع الوفد المفاوض وتوجيهه.

¹ – la D. Q. d' A Mercredi 13 Avril 1955, N : 1938.

² – la D. Q. d' A Mercredi 16 Mars 1955, N : 1910.

³ – la D. Q. d' A Dimanche – Lundi 3-4 Avril 1955, N : 1928-1929.

⁴ – la D. Q. d' A Mercredi 16 Mars 4 Avril 1955, N : 1910.

⁵ – la D. Q. d' A Dimanche – Lundi 3-4 Avril 1955, N : 1928-1929.

ونظرا لكثرة نقاط الخلاف بين الطرفين تطلب الأمر عقد لقاءات مراطونية بحضور رئيس المجلس Edgar Faure والمقيم العام في تونس Boyer De La tour والجنرال Spielman من الجانب الفرنسي و " الطاهر بن عمار " والوزراء والخبراء من الجانبين لتذليل آخر العقوبات قبل الإمضاء على بروتوكول الاتفاقيات (1).

ولإبراز ردود الفعل ننقل أهم ما ورد في افتتاحية " لاديباش كوتيديان " التي تلخص وجهة نظر الكولونيالية حول إتفاقيات الحكم الذاتي لتونس: " باريس 23 أبريل، نصوص دقيقة لم تنتشر وبروتوكول إتفاق دون وزن سياسي وقانوني، الزيارة المفاجئة والغير متوقعة لبروقية، وزير مسؤول ينصّب الحواجز، وفي الوقت نفسه رئيس حكومته ومساعدوه المقربون يعملون على وضع اللّمسات الأخيرة لإتفاق خطير سيكون سابقة لجميع الدول الأخرى التي تشكل الاتحاد الفرنسي، مفاوضات دامت 9 أشهر والتي تلوح بالوصول إلى إتفاق حولها قبل 30 ماي من طرف الخبراء، عندما تم إخراج الزعيم الدستوري رسميا من إقامته الجبرية ليتم إستقباله من طرف رئيس الحكومة الفرنسية، في الوقت الذي لا يسمح فيه للموظفين الفرنسيين المساهمة فيه، نرى تبادل الأدوار بين " طاهر بن عمار " من باريس، ومن وراء الستار من طرف " بورقية " ومن " باندونغ " " صالح بن يوسف"، مع المقارنة بين الأوضاع الإيالة وما يحدث في الأوراس والمغرب كل هذه الخيوط المتناقضة تجعل الرؤيا غير واضحة ومربكة.

في الحقيقة لا يوجد إلا سؤال واحد أساسي ورئيسي، فهناك تكرار وإعادة دائمة لعبارة " الوجود الفرنسي في تونس " والروابط الدائمة بين فرنسا وتونس، فما معنى هذه العبارات، أليس التساؤل الحقيقي هو: ما هو الوضع القانوني لفرنسي تونس في المستقبل ؟ وماهي ضمانات هذا الوضع ؟ وبأكثر صراحة: - في يوم ما لايمكن تحديده، والذي يبقى ممكنا هل

¹ - la D. Q. d' A Dimanche – Lundi 17-18 Avril 1955, N : 1942-1943.

يصبح الفرنسيون أجنب في تونس ؟ لأن هذا هو ما يحدّد الوجود الفرنسي و العلاقات الفرنسية التونسية، فهو الذي يتحكم في الإبقاء ليس فقط على الثقافة الفرنسية، وإنما أيضا وهو الأهم الإبقاء على اللغة الفرنسية. أنّ هذا هو الضمان لأمن الجزائر من الشرق وأكثر وضوحا أمن كل شمال إفريقيا " (1).

ولمزيد من الضغط على الحكومة الفرنسية لمنع الإمضاء على تلك الإتفاقيات، فقد انعقد تجمعا لفرنسي تونس ترأّسه السفير " قابريال بيو " Gabriel PUAUX "، أكدوا فيه أن تلك الاتفاقيات ستؤدي إلى التخطيم السريع للتجمع الفرنسي التونسي وأنهم يعتبرونه - أي الإتفاقيات - اللاحث وغير معترف به. من جهتهم صرّح قدماء الفرقة الثانية مدرّعة من تونس عن تنديدهم بالعبارات التي وردت في إتفاقيات الحكم الذاتي لتونس، وأنهم وضعوا أنفسهم في واجهته وإفشاله.

أما على المستوى الدولي فقد تباينت ردود الفعل بين مرحب ومندد، فمن واشنطن تناقلت الصحف الأمريكية ترحيب الأوساط الرسمية الأمريكية بهذا الاتفاق الفرنسي التونسي.

أما من باندونغ فقد صرّح " صالح بن يوسف " قائلا: " الإعلان عن إتفاق مبدئي فرنسي تونس لم يأت بالجديد ولن يغير شيئا من موقعي الرفض له ". ومن القاهرة نقلا عن إذاعة " صوت العرب "، صرح معلقها أن الشعب التونسي لا يعترف ويرفض هذا الإتفاق الذي أمضت عليه حكومته حول المستقبل السياسي لبلده.

أما من الأمم المتحدة، فقد صرّح الممثل الرسمي للجامعة العربية بما يلي: " كنا دائما مع فكرة علاقات حسنة بين فرنسا والوطن العربي، ونتمنى أن هذا الإتفاق سيؤدي إلى

¹ - la D. Q. d' A Dimanche - Lundi 24-25 Avril 1955, N : 1949-1950.

تحقيق رغائب الشعب التونسي، وفي الوقت نفسه إلى تحسين العلاقات بين فرنسا وبقية دول شمال إفريقيا " (1)

أما الموقف البريطاني فجاء على لسان رئيس الحكومة " Macmillan " إثر اللقاء الذي جمعه مع رئيس الحكومة الفرنسية Antoine Pinay " إثر زيارة هذا الأخير للندن، قائلا: " لن أتبع أبدا هذه الطريقة في الحديث عن حلفائنا، لست هنا من أجل موافقة أو إنتقاد السياسة المتبعة من طرف فرنسا " وهذا ردا عن سؤال للبرلماني العمالي Fermer Brock Way حول موقف حكومته من الأوضاع في شمال إفريقيا (2).

من جانبه صرّح السيد " Robert M. Turtou " نائب كاتب الدولة للحكومة البريطانية أمام مجلس العموم، حول سؤال لنفس البرلماني العمالي حول دعم حكومته لفرنسا، قائلا: " إن حكومته تعتبر أنه من مصلحة ومصلحة العالم الحرّ مساندة سياسة فرنسا في شمال إفريقيا، وترحب بالإتفاق الحاصل بين الحكومة الفرنسية والحكومة التونسية " (3).

ردود الفعل السياسية والإعلامية كانت لها إنعكاسات على الوضع ميدانيا في تونس، فقد تحركت المجموعات الفرنسية المتطرفة لترهيب كل من يساند تلك الاتفاقيات بما فيهم الفرنسيون أنفسهم، فقد تعرض الطبيب " Burnet " المدير العام السابق لمعهد " باستور " في تونس، وعضو لجنة النشاط الفرنسي التونسي إلى إعتداء عنيف من طرف ثلاث شبان أوروبيين حيث أصيب بجروح خطيرة نقل على إثرها إلى المستشفى، مع العلم أنه تجاوز 85 سنة من العمر.

¹ – la D. Q. d' A N : 1928-1929.

² – la D. Q. d' A Mardi 26 Avril 1955, N : 1951.

³ – la D. Q. d' A Vendredi 29 Avril 1955, N : 1954.

كما تعرض الأستاذ Pignon الأمين العام السابق لمعهد الدراسات العليا إلى محاولة اعتداء جعلته يلجأ إلى بيته ويحتمي به، والمعروف عن الشخصيتان من المدافعين عن الصداقة الفرنسية التونسية ومن دعاة التعاون⁽¹⁾.

وعلى إثر تلك العمليات وجّه الجنرال Boyer De La Tour " المقيم العام نداء لتهدئة فرنسي تونسي، مع إتخاذ قرار إبعاد الجنرال المتقاعد " Runé Bruneau " رئيس جمعية " الوجود الفرنسي " عن الإيالة بسبب إنتقاده للمقيم العام⁽²⁾.

ذلك النداء لم يمنع تعرض مقر الحزب الدستوري الجديد في " باردو " إلى تفجير قنبلة شديدة المفعول، أدت إلى خسائر فادحة ولم تتسبب في سقوط ضحايا. كما تم إغتيال السيد " عبد الكريم قمره " الأستاذ في الجامع الكبير، و عضو الجنة الإدارية للحزب الدستوري القديم، ومؤسس جريدة " صوت الطالب " في منطقة " مساكن " بناحية " سوسة " بإطلاق النار عليه من أشخاص مجهولين، مع التذكير أن هذا الأخير أصيب بجروح أثناء مواجهات بين عناصر الحزب الدستوري القديم والجديد في ناحية سوسة يوم 14 ماي الماضي⁽³⁾.

6- الإرتباط بين الثورة الجزائرية والمقاومة التونسية:

إضافة لإنقال نشاط المقاومة التونسية إلى الحدود الجزائرية والتنسيق والمشاركة في الكثير من العمليات العسكرية ضد القوات الفرنسية داخل التراب الوطني، أشارت جريدة "لاديباش كوتيديان " إلى قضية هامة جدًا تتعلق بعدد من الجنود الفرنسيين الفارين من الخدمة العسكرية، وأغلبهم من منطقة " الألزاس"، والذي سرد كيف وقع في أسر "الفلاقة" التونسيين في ناحية " سبايطة"، في الفترة التي شهدت فيها تونس نشاطا عسكريا مكثفًا،

¹ – la D. Q. d' A Mardi 3 Mai 1955, N : 1958.

² – la D. Q. d' A Mercredi 4 Mai 1955, N : 1959.

³ – la D. Q. d' A Dimanche- Lundi 22-23 Mai 1955, N : 1977-1978.

وذكر أن إطلاق سراحه يعود إلى إعتقاد المقاومين بأنه من أصل ألماني - لتكلمه الألمانية -
والمؤكد الآن من التوضيحات التي قدمها هذا الأخير بأن قائد المقاومة التونسية " الطاهر
لسود " الذي رفض وضع السلاح والاستسلام إثر الصفقة التي وقعت بين " الحبيب بورقيبة " و
الحكومة الفرنسية كشرط للإمضاء على إتفاقيات الحكم الذاتي قد إلتحق بالشرق الجزائري،
وقد شارك في العديد من العمليات ضد القوات الفرنسية بالناحية الشرقية والمؤكد أنه يوجد
ضمن مجموعة " الطاهر لسود " ما بين 10 إلى 12 فار من الخدمة العسكرية من أصل
ألماني وهم جنود محترفين (1).

كما جاء في نفس عدد الجريدة خبر هام حول محاكمة " مصطفى بن بولعيد " في
المحكمة العسكرية الدائمة للقوات المسلحة في تونس، وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة
تحت تهمة القتل والحياسة على أسلحة ممنوعة، والعبور الغير قانوني للحدود، وعدم التبليغ عن
جريمة. أما تهمة القتل ضد " مصطفى بن بولعيد " فتخص تصفية أحد فرسان المخزن
بطلقتين ناريتين بناحية " بن قردان " عندما حاول توقيفهما مع مجموعة. أما رفيقه فقد إتهم
بعدم التبليغ على جريمة كان شاهدا عليها. وتصف الجريدة أن "بن بولعيد" عضو نشط في
حركة الانتصار للحريات الديمقراطية M.T.L.D، وكان أميناً عاماً لخلية " أريس " وقد شارك
في أحداث الأوراس - أي تفجير ثورة 1 نوفمبر 1954 - وبأنه يتقن اللغة الفرنسية ويتكلمها
بطلاقة.

وفي الأخير حكمت المحكمة العسكرية على " مصطفى بن بولعيد " بالأشغال الشاقة
المؤبدة، أما رفيقه فحكم عليه بسنة سجن، أما وكيل الجمهورية فقد طالب في مرافعته بإعدام

¹ - la D. Q. d' A Samedi 28 Mai 1955, N : 1983..

المتهم، وسيتم نقل " مصطفى بن بولعيد " إلى الجزائر حيث سيعرض على المحكمة العسكرية التي تتهمه بالأحداث الدامية في منطقة الأوراس⁽¹⁾.

7- الإمضاء على إتفاقيات الحكم الذاتي لتونس:

بعد تسعة أشهر في المفاوضات الصعبة والمعقدة تمكن الطرفان الفرنسي والتونسي من الوصول إلى إتفاق حول الاتفاقيات الخاصة بالحكم الذاتي، وعقب ذلك صرّح " إدغار فور " Edgar Faure " قائلاً: " هناك مهام كبرى تنتظرنا نتائجها المستقبلية ستلغي كل الانتقادات " أما " طاهر بن عمار " فقال: " عهد جديد فتح بين بلدينا، لابد أن يبدأ بالتأخي والسلم ". وضمت الاتفاقيات 150 ورقة تقريباً شملت الاتفاقيات العامة، الثقافية والتعاون الإداري والتقني، والاقتصادي والمالي والقضاء، ووضعية الأشخاص، والاتفاقيات المكملة كالنقل الجوي المدني، الإذاعة، وضعية الموظفين المندوبين، قدماء المحاربين، كذلك مجموعة رسائل لتوضيح بعض الاتفاقيات.

وسيتم الإمضاء على الإتفاقيات رسمياً من طرف كل من " طاهر بن عمار " و " المنجي سليم " بعد عودتهم إلى باريس، ومن الجانب الفرنسي كل من " Edgar Faure " و " Pierre July " وهذا بعد عرضهما أي الإتفاقيات للمصادقة من طرف البرلمان الفرنسي وباي تونس⁽²⁾.

وحول المراحل المختلفة لسير المفاوضات الفرنسية التونسية فبدايتها تعود إلى 1950م وقد مرّت بالمراحل التالية:

¹ - la D. Q. d' A , N : 1983.

أنظر ملحق الصور (06).

² - la D. Q. d' A Dimanche- Lundi 29-30 Mai 1955, N : 1984-1985.

- 17 أوت 1950م: تشكيل وزارة تونسية للتفاوض برئاسة " محمد شنيق "، وفي 08 فيفري 1951م يعلن المقيم العام Louis Périllier " عن إصلاحات شكلية، تبعثها رسالة 15 أوت 1951م، لوزير الخارجية Robert Shumman والتي تسببت في توقف المفاوضات.
- 26 مارس 1952م إلقاء القبض ونفي أعضاء حكومة "شنيق " بأمر من المقيم العام " دي هوتكلوك ".
- 1 أبريل 1952م تشكيل حكومة المخزن، وعلى رأسها " بكوش ".
- 9 سبتمبر 1952م " دي هوتكلوك " يقترح سلسلة إصلاحات جديدة رفضها جلالة الباي.
- 20 ديسمبر 1952م جلالة الباي يوافق على إصلاحات مزدوجة بلدية والمراقبين المدنيين " Caidales " تحت ضغط المقيم العام بعزله في حالة رفضه، والتي سوف تؤدي في أبريل وماي 1953م إلى إنتخابات مزدوجة قاطعها الحزب الدستوري الجديد والشعب التونسي.
- جوان 1954م تحويل " بورقيبة " من إقامته الجبرية في جزيرة " لاكاليت " إلى جزيرة " قوروة " Croix ".
- 31 جويلية 1954م تصريح " بيار منديس فرانس " رئيس الحكومة، حول فتح باب المفاوضات وتوجيهها نحو منح الحكم الذاتي لتونس.
- المفاوضات التي تم التوصل حولها إلى إتفاقيات بدأت يوم 4 سبتمبر 1954م، وتوقفت في 22 أبريل 1955م ثم تجددت في 16 ماي في باريس⁽¹⁾.

¹ - la D. Q. d' A , N : 1985.

وفي مراسلة وجهت للصحافة في باريس أعلن فيها " صالح بن يوسف " عن رغبته في العودة إلى تونس قائلا: "...أؤكد على موقفي بالعودة إلى تونس ومواصلة جهدي داخل الحزب من أجل تحقيق غايتنا المشتركة وهي إستقلال بلدنا، لقد أكّدت لأصدقائي حرصي الأكيد على دعم الاتحاد داخل الحزب، الضامن الأساسي لوحدتنا الوطنية " (1).

ونقلا عن جريدة " الصباح " الناطقة بإسم الحزب الدستوري الجديد والتي نشرت رسالة بعث بها السيد " حبيب شبلي " أمين عام الحزب الدستوري القديم يعلن فيها إنسحابه النهائي من الحياة السياسية (2).

أما "بورقيبة " فقد صرّح مباشرة بعد وصوله إلى تونس قادماً من مارسيليا يوم 1 جوان 1955م قائلا لمستقبله من الجماهير التونسية: " لقد قبلنا بالإتفاقيات كما هي لأنها تمثل مرحلة أولية وهامة نحو المبدأ الذي نسعى إليه وهو الإستقلال التام "، كما حيّا كل من ضحى بنفسه من أجل إستقلال الوطن، وفي مقدمتهم المجاهدين الذين رفعوا السلاح". كما أنهى كلمته للشعب التونسي بضرورة الإتحاد لأنه الضامن لسعادة البلد (3).

أما حول ردود الفعل الدولية فقد كتب محرّر جريدة " New York Herald Tribune " تعليقا على الإتفاقيات الفرنسية التونسية أشار فيه بأن تحسن الجو العام في تونس بإمكانه أن يؤدي إلى الانفراج في كل شمال إفريقيا.... وأضافت أن التغييرات التي حدثت على الاتجاهات السياسية في فرنسا بإمكانها على أن تساعد السيّد " Edgar Faure " على تحقيق نجاح فشل فيه من سبقه (4). رسميا يتم الإمضاء على الاتفاقيات الفرنسية

¹ – la D. Q. d' A , N : 1985.

² – la D. Q. d' A Mercredi 1 Juin 1955, N : 1987.

³ – la D. Q. d' Jeudi 2 juin 1955, N : 1988.

⁴ – la D. Q. d' A , N : 1987.

التونسية في فندق "Matignon" من طرف السيد " Edgar Faure " و "طاهر بن عمار" بحضور وزير الشؤون التونسية والمغربية " Pierre July " ⁽¹⁾.

8- ملخص نظرة جريدة لاديباش كوتيديان إلى القضية التونسية حسب تحقيق شامل للصحفي Jean Brune بعنوان :

أ/ " تونس منعرج الاتفاقيات La Tunisie au Carfour des Accords "

*- يوجد في المادة الثانية من معاهدة " باردو " كل ما يغذي النزاع الفرنسي التونسي منذ 20 سنة.

*- هناك إنشقاق داخل الحزب الدستوري الجيل الجديد من المناضلين أكثر اعتدالا من القديم.

*- إن إسمي حبيب بورقيبة - وصالح بن يوسف يرمزان ويلخصان الاعتدال والتطرف الدستوري الجديد والدستور القديم.

*- في هذا الحوار الصوتين في تاريخ النزاع الفرنسي التونسي، تدخل طرف ثالث اليوم إنها الجالية الفرنسية في تونس.

المادة الثانية من معاهدة " باردو " جاء فيها: " إن جلالة باي تونس يقبل بأن السلطة العسكرية الفرنسية تحتل النقاط (الأماكن) التي تعتبرها ضرورية لضمان النظام والأمن للحدود والساحل ".

لكنها أيضا أشارت أن هذه السلطة ستقوم بإصلاحات لتمكين الإدارة التونسية من التكيف مع متطلبات دولة عصرية. كما تم الإتفاق بأن النظام المتفق عليه في المعاهدة

¹ - la D. Q. d' A Samedi 4 Juin 1955, N : 1990.

سينتهي ويتوقف في اليوم الذي يتحقق فيه هاذان الهدفان. ونفس المادة الثانية تضيف: " هذا الإحتلال ينتهي - يتوقف- بمجرد اعتراف السلطتين العسكريتين الفرنسية والتونسية بإعتراف مشترك بالإدارة العملية بإستطاعتها ضمان والحفاظ على النظام ".

كل ما يغذي المنازعة الفرنسية التونسية موجود ي هذه الأسطر. فالتونسيون يقولون ويؤكدون :

1-أن مسؤولية النظام والأمن في الداخل هي أول صلاحيات دولة مستقلة.

2-وبأن الدولة التونسية بمقدورها حاليا ضمان هذه المسؤولية لوحدها.

فرنسا لا ترفض الصلاحية الأولى، لكنها مترددة بالنسبة للثانية.

ولتعجيل هذه الأخيرة، قامت مجموعة من التونسيين بإنشاء " الحزب الدستوري " 1920 والذي يعني " الدستور " La Constitution " كل تاريخ النزاع الفرنسي التونسي ما هو إلا حلقات لمواجهات وفترات تهدئة بين فرنسا والدستور أثناء فترات التهدئة يسعى الطرفان إلى القيام بإصلاحات يعتبرها البعض شكلية والآخر بأنها جريئة. وفي فترات التآزم " يُبعد " الدستوريون من تونس ... وحبيب بورقيبة الذي يلخص لوحده " الحزب الدستوري " سيوضع في فترات متتالية في الإقامة الجبرية في Bordj- Le Boeuf في 1933. ثم في مارسيليا - وليون وفي Vancia بناحية Ain ، من 1940 إلى 1942. ليحرر من طرف الألمان ويعود إلى تونس عن طريق روما. ليتم إبعاده مرة أخرى إلى طبرقة في جزيرة La Galite، ثم إلى فرنسا 1952 م إلى 1955 م⁽¹⁾.

¹ - la D. Q. d' A Mardi 7 Juin 1955, N : 1993.

أثناء هذه الإقامة الأزمة الفرنسية التونسية إنتقلت إلى مرحلة العنف والحرب التي لا يعرف لها إسم. توغل المقاومين إلى تونس، سوسة وقابس، في شوارع والأحياء الشعبية، أما الفلاقة فسيطروا على الجبال.

في قلب هذه الأزمة وُلدت الاتفاقيات المستقبلية Les Conventions.

وصول "منديس فرانس " إلى تونس في 31 جويلية 1954م ، وفي أعقاب هذه الزيارة السريعة دخل وفد تونسي في مفاوضات في باريس و التي سوف تؤدي إلى الإمضاء على "الاتفاقيات " .

– التنافس بين الحزبين الدستوريين القديم والجديد:

في تلك الأثناء وقع إنقسام داخل الحزب الدستوري، وهو مصير جميع الأحزاب السياسية. لقد إنقسم إلى توجهين معتدل ومتطرف.

العصبية القديمة: الدستوري القديم، أكدّ بأن تونس قد تطورت إلى درجة الحصول على الإستقلال التي وردت مواده في معاهدة " باردو "، ولا يقبل بأي تحوير(تغيير) لهذا الإستقلال.

أما العصبية الجديدة: الدستوري الجديد أكدت بأن الكفاح من أجل الاستقلال التام ما هو إلا أحلام- خيال- هي مطاردة وهم، وبأن الوضعية الإستراتيجية لبلد صغير لا تمكنه من تحقيق ذلك الحلم، وحتى ولو تحقق يوما ما لا يمكن أن يواصل به مستقبلا. وفي هذه الظروف بالذات من الأحسن أن يتميز بالتسامح، والإعتراف بالحقوق المحصّل عليها من الفرنسيين، مقابل حماية دولية، وإختصار الطموحات بالحصول على الحكم الذاتي لتونس بإمضاء على إتفاق الشعبين إسمان يخلصان لوحدهما الاتجاهين داخل الحزب:

صالح بن يوسف بالنسبة للحزب الدستوري القديم.

والحبيب بورقيبة بالنسبة للحزب الدستوري الجديد.

وفي تناقض واضح المجموعة الجديدة تعتبر أكثر اعتدالا من القديمة.

- الطرف الثالث:

في هذا النزاع الفرنسي التونسي هناك طرف ثالث وهي الجالية الفرنسية في تونس، هي مثل بقية الجاليات في إفريقيا الشمالية تتشكل من عنصرين: المستوطنون والموظفون، الأولون سايروا تطوّر إخوانهم في الجزائر. لقد حرثوا الأرض لينزعوا منها رفاهية التي تعتبر عند الكثيرين ثروة، ويثورون بسبب لومهم على ذلك دون أن يوضع في الكف الأخرى المجهودات التي بذلوها لتحقيق ذلك.

أما التونسيون فيلومون الموظفين الفرنسيين لأنهم استحوذوا على كل المناصب العليا ولم يترك لهم إلا المناصب الدنيا كلا العنصران - الموظفون والمستوطنون، يمثلان الواقع الإنساني لما يمكن تسميته " بالحقوق المكتسبة للفرنسيين ".

إنهم يدافعون على ثلاثة أشياء في نفس الوقت:

-وسائل معيشتهم، أمنهم ونوع من الذكريات لعظمة فرنسا التي تلخص في الإمبراطورية.

ويمكن تلخيص الوضع في صورة حية وواقعية لوضع الأطراف الثلاثة التونسية برسم ميزان محوره الحكومة الفرنسية على أقصى جانبي الكفة نجد الحزب الدستوري والجالية الفرنسية، حتى أن ما تسعى باريس لمنحه لأحد الطرفين كأنه أنتزع من الآخر.... وكل مأساة تونس تتواجد في هذه المعادلة.

الحزب الدستوري القديم منغلّق في فكرة إنتزاع الكفة التي تحمل الجالية الفرنسية.

أما الحزب الدستوري الجديد فيتمسك بفكرة التوازن، وهو يعترف بالطرف الآخر بالكفة الأخرى في الميزان ، لكنه يعتبر أن ما يملكه أكبر بكثير من وزنها.

أما الجالية الفرنسية فهي تتخوف من أن هذا الاعتدال ما هو إلا خدعة... أو مرحلة نحو الهدف لتحقيق الاستقلال.

من هو على حق ؟ و من هو مخطئ ؟ ولا يمكن الإختبار - الإجابة (1).

- الإستماع لأصوات الفرنسيين:

*- سوف يأخذ " صالح بن يوسف " في يوم ما السّبق على " حبيب بورقيبة " لأن الراديكاليين يتمكّنون دائما من التفوق على المعتدلين.

*- لكن زعيمى الدستور بدون شك قد إتّفقا على إقتسام مهام الدعاية: الإعتدال والتطرّف.

*- عكس ما حصل في الهند وأندونيسيا: هناك جالية أوروبية كبيرة عاشت في تونس منذ 1881 إلى اليوم.

*- الجالية الفرنسية المهمة بطريقة مباشرة لم تستشر أثناء المفاوضات على الإتفاقيات.

*- فرنسا هي المُسيّر للشراكة الفرنسية التونسية، لكنها لا تملك حق إستعمال رؤوس الأموال ولا مراقبة إستعمالها.

*- السياسة تتمثل في الصّهر على حسابات العقل وتسبق دائما توجهات القلب

Les élans du Cœur

¹ - la D. Q. d' A , N : 1993

عند السماع " لصوت حبيب بورقيبة " تصلنا أصداء غير متوقّعة للإعتدال والتعقّل،
وعند سماع أصوات فرنسي تونس، لا نلاحظ إلا همسات التشاؤم.

الفرنسيون لا يثقون في مظاهر تعقل الحزب الدستوري الجديد، عبارة تلخص كل
مظاهر هذا الشك: كل هذا ما هو إلا مناورة، واجهته تهدف إلى إقناع الفرنسيين باتفاقيات
التي تم الإمضاء عليها. لكن هذه الاتفاقيات ماهي إلا مرحلة على طريق الاستقلال النهائي،
ولن يرضي الدستور إلا عندما يحقّق هذا الهدف.

ولدعم هذه النظرية يذكر الفرنسيون هذه العبارة " البورقيبية ": " أن المستوطنين
المتشدّدين يقولون لك بأن الحكم الذاتي الداخلي.... سينتهي لا محالة للاستقلال. وهذا
صحيح. وهذا ما يتطلب حتى لا يؤدي ذلك لأي تجاوزات أو أحداث، التفكير منذ الآن في
المشكل برمّته وتحضير الحلول البعيدة والمرحلة النهائية....."

هذه العبارة المعزولة من إطارها العام، مبالغ فيها ويمكن أن تؤدي إلى انفجار، وحتى
نكون شرفاء لابد من توضيح أن زعيم الحزب الدستوري قد أضاف فكرة سأسجلها بالتدقيق
غداً...." وأضاف قائلاً السؤال هو ليس الاختيار بين إستقلال تونس والإدارة الاستعمارية بل
الاختيار يقع بين إستقلال بتوجيه Patronnée من فرنسا.... وإستقلال تم الحصول عليه
بالدمّ والحقد.... وسيرمي بتونس نحو تكتلات أخرى.....".

الإشكالية غير منتهية فقط الزمن قادر أن يفصل بين الطرفين.

- وجهي المستقبل كلاهما غائم

Les deux visages de L avenir sont aussi sombres L'un que L'autre

هناك توجّهان داخل الجالية الفرنسية بعد دراسة المسألة التونسية بعيدا عن جوانبه

الشكلية:

- هناك من يؤمن بصدق حبيب بورقيبة.

- وهناك من يعتقد بأن النزاع داخل الحزب الدستوري الجديد ليس إلا شكليا وأن حبيب بورقيبة يتفق كلياً مع صالح بن يوسف. بالنسبة للفئة الأولى صدق " بورقيبة " حقيقي لأنه عرّف كيف يميّز بين الواقع والأحلام. لكنهم يعتقدون بأن هذا الأخير سوف يتجاوزه تطرّف القاعدة التي ساهم في نفخها وبث الحماس فيها. وبأن الحماس الوطني الذي ينفجر بعد تحقيق أول نصر لا يمكن أن يتوقف عند أي حدّ وسيدفع ببورقيبة إلى تطرف وإن كان يرفضه بصدق لكنه سيجبر على مسايرته وقد يتجاوزه إذا حاول الحدّ منه، كما حدث لجميع من حاول عبر التاريخ الحدّ من المدّ الثوري اللذين ساهموا في صقله (1).

أما الفئة الثانية فتعتبر أن المنافسة بين الدستور القديم والدستور الجديد ماهي إلا حكاية شرقية.

هؤلاء يظنون بأن حبيب بورقيبة وصالح بن يوسف هما متفقان تماماً، وبأن صالح بن يوسف كلف بالدّعاية للاستعمال الخارجي والموجه للجامعة العربية، وأن حبيب بورقيبة يتولى مهام التهذئة في الداخل، وإنشغالات الرأي العام الفرنسي، ويتنبؤون بأن صالح بن يوسف سوف يتفوق يوماً ما ويأخذ مكان حبيب بورقيبة لأن " المكلوبين " " Les Enrages " يتمكنون دائماً من التفوق على المعتدلين، ويكفي لزعيم الدستور القديم استغلال الهفوات الصغيرة الناتجة عن تطبيق الاتفاقيات لتفجير موجة جديدة من الرفض ضد فرنسا.

¹ - la D. Q. d' A Mercredi 8 Juin 1955, N : 1994.

- سلطة العنف:

وهكذا ففي كلتا الحالتين يبقى وجه المستقبل غامض.

الحكم الذاتي لم يكن إلا مرحلة في طريق الاستقلال.... وهم آخر على طريق الأحلام، الجالية الفرنسية تعتقد بأنه لا يمكن لدولة إسلامية أن لا تتجر نحو طريق التمييز العنصري. إنها تتخوف أن تصبح في يوما ضحية ما تعرّضت له كل الأقليات المسيحية في الدول العربية: بمعنى المعاناة ليس من التمييز في الحقوق ولكن من أن تُخضع في كلمة واحدة إلى سلطة العنف ". وكما قالها أحد الفكاهيين ربما لن يبقى لنا في يوما ما إلا اللجوء بشكوى إلى الأمم المتحدة ".

- الطرف الثالث لم تتم إستشارته:

قالت لي شخصية فرنسية في تونس بأن بورقيبة والدستوريون يرتكبون خطأ ديماغوجيا بأن السيادة التونسية سلبت من طرف فرنسا 1881. وربما تكون هذه حقيقة من حيث القانون لكنها ليست صحيحة في الواقع. وبورقيبة نفسه صرّح بذلك في مقولته " إنه من العبث التخفي وراء الاعتقاد بأن تونس كانت مستقلة 1881 ".

وفي الواقع ففرنسا لم تسلب لصالحها سلطة الباي، لأن هذه السلطة لم تكن موجودة. لكنها على العكس من ذلك فرضت على تونس سلطة لولاها لما كانت هناك وحدة تونسية، والتي سوف ترثها تونس في يوما ما.

لكنها على الخصوص أحييت لديها مفهوم السلطة على الطريقة الغربية، ومن خلال هذا الجانب من العمل يمكن القول بأنه بدل الاعتقاد بأنها تسعى إلى إنتزاع الشخصية عن الشعب التونسي، على العكس من ذلك فقد ساهمت إلى إعادة معنى تلك الشخصية له ".

وما يقوله بورقيبة حول تلك المساهمة في صقل شخصيته فهو ينطبق على بقية الشعب التونسي.

وهذه المساهمة لم تحقق عكس ما حصل في الهند والهند الصينية، إلا بسبب تواجد جالية فرنسية كبيرة في تونس منذ سنة 1881.

هذه الجالية الفرنسية تتكون من حوالي 300 إلى 400 ألف نسمة، فهي تشكل إلى جانب فرنسا وتونس الطرف الثالث للمعادلة.

هذا الطرف الذي لم يستشر حول مفاوضات الاتفاقيات. سوف يتم إخضاعه مستقبلا لقواعد لم يستشر حولها.

- فرنسا التي أمرت بعملية لن تكون المحكمة فيها:

يبقى للتقنيين أن يرفعوا اعتراضا هامًا.

في نهاية الاتفاقيات سوف تضمن فرنسا لتونس عملة قوية.

وفي الحقيقة ففوة العملة هي خاضعة في الوقت نفسه للتسيير الاقتصادي للدولة، وإلى القرارات السياسية التي تتحكم في الرفاهية الاقتصادية⁽¹⁾.

فالقرارات السياسية لم تعدّ في يد فرنسا، فكيف يمكن لنا تصور أن بمقدورها ضمان قوة العملة التي لا تتحكم فيها. بعبارة أخرى ففرنسا هي من وضع شروط الشراكة الفرنسية التونسية لكنها لا تملك القدرة على التحكم في رؤوس الأموال، ولا مراقبة إستعمالها.

¹ - la D. Q. d' A , N : 1994.

في الأخير فإن المختصين الماليين يتنبؤون بأن تخوف الرساميل (رؤوس الأموال) من إمكانية فوز مستقبلي لصالح بن يوسف والمتطرفين الدستوريين، سيتوقفون من التوجه إلى تونس.

وفي هذه الظروف ففرنسا معرضة لخطر إما ضمان إفلاس ليس بمقدورها منعه، أو إتخاذ قرار توجيه حملة ضدها.

- التناقض المدهش:

وحوصلة هذا. إذا أردنا معرفة ما تتخوف منه الجالية الفرنسية في تونس يمكن وضع الجدول التالي:

-الجميع يتفق- وقادة الحزب الدستوري الجديد يميلون لهذا الطرح - بأن تونس سوف تعرف سنتين صعبتين، سنتان للتكيف، واكتساب الخبرة، أثنائها سيخضع النظام الجديد لحقائق الواقع الإنساني.

-وحسب العبارة المشهورة: " ليس بمقدور أحد القيام بشيء ليس معروف

الجالية الفرنسية ربما نسيت هذا الشعور وهذه التخوفات.

ما هو حقيقي اليوم هي الاتفاقيات. لم يكن بمقدورها منعها فهي تتقبلها كأقل ضرر. سوف نقبل بها بكل إرادة إذا ضمن لها بأن لا نذهب أبعد من ذلك...وبأن هذا التنازل لن يكون مرحلة نحو الاستقلال.

-وهذا لن يكون إلا بمعرفة نهاية الصراع بين الحزب الدستوري الجديد والحزب الدستوري القديم....المعتدلون أو المتطرفون....حسب بورقيبة أو صالح بن يوسف.

خلاصة: لو كان هذا ما حصل.... لو كانت هذه هي معطيات المشكل. لو أن فرنسا تبينت الخطر أو إختارت سياسة حازمة وتمسكت بها في مواجهة الجميع- لن يبقى لها أمام مواجهة صالح بن يوسف إلا دعم حزب بورقيبة !

أنا متأكد كم سوف تكون هذه الفكرة صعب الاعتراف بها لدى كثير من الفرنسيين، لن يمكن لنا إسكات شعور القلب بسهولة.

لكن السياسة في الحقيقة تتمثل في العمل على جعل الحسابات الباردة الهادئة للعقل تتفوق وتتقدم على حماس القلب (1).

ب- حوار حصري مع منصف العقبي Moncef -el- OKby نائب رئيس المجلس البلدي التونسي، أهم ما جاء فيه:

" يد فرنسا جد جميلة. لا تجبرونا على تقبيلها، سوف نقبلها لوحدنا وبارادتنا ".

" المنصف العقبي " من أصول جزائرية، وهو سليل عقبة بن نافع الشريف الذي قدم من شبه الجزيرة العربية، على رأس الجيش الإسلامي الذي فتح بلاد المغرب العربي، ثم دخل أوروبا فاتحا عبر جبال الألب حيث يلتقى بجيش شارل مارنل. ما أعرفه أن الفاتح العربي عندما وصل إلى المحيط الأطلسي في جزء من السواحل الغربية للمغرب، قام بترتيب فرسانه على الشاطئ ودفع بفرسه إلى الماء ثم صرّح: " أشهد الله بأن البحر لوحده القادر على إيقافنا ".

المعروف أن " عقبة بن نافع " عاد إلى بسكرة أين وافته المنية، قرب واحة تحمل إسمه إلى يومنا هذا - سيدي عقبة - وأستقرت عائلته طيلة قرون في بلاد المغرب.

¹ - la D. Q. d' A , N : 1994.

في 1830 م بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر هاجرت أسرة " العقبي " جنوب الجزائر ولجأت إلى القيروان. وبعد إحتلال فرنسا لتونس هاجر جد " منصف العقبي " تونس ولجأ إلى ليبيا

بعد إندلاع الحرب العالمية الأولى 1914م طلبت السلطات الفرنسية من " الشيخ العقبي " الرجوع من منفاه وكلفته بنقل تحية سكان شمال إفريقيا للملك " الشريف حسين " الذي إسطف إلى جانب الحلفاء. وكان من بين الوفد الذي توجه إلى الحجاز " قدور بن قبريط " بعد عودة الوفد قام السيد Doumergue بمنح الشيخ العقبي فارس وسام الشرف لتستقر عائلته في تونس... حيث يتولى حفيده " المنصف العقبي " منصب سامي في البلدية إلى يومنا هذا.

وأهم ما صرّح به المنصف العقبي لمستجوبيه الصحفي Jean Brune في إطار تحقيقه المطول حول تونس ما يلي:

" لا يمكن للفرنسيين أن يلوموا التونسيين على ما منحتم إياه الحكومة الفرنسية "

" يوجد هناك مكان في تونس لكثير من الفرنسيين "

" بورقيبة عاد إلى تونس: أتمنى أن يتصل مع ممثلي الجالية الفرنسية لوضع أسس إتفاقيات جديدة.... معترف بها من الجانبين ومصادقة البرلمان الفرنسي عليها التي تكون إلا شكلية "

" يجب قول الحقيقة لجميع الأطراف، أنني أعتبر دستوريا في أعين الفرنسيين، وفرنسيا في أعين الدستوريين ."

" لقد ترددنا كثيرا حول مبادرة النظرية المشهورة: إصلاحات بدون بورقيبة، أو بورقيبة دون إصلاحات. إنّ لدينا اليوم في الوقت نفسه بورقيبة والإصلاحات ."

" سوف يكون هناك سنة أو سنتين صعبتين لكن العقل في النهاية سوف ينتصر"(1).

ج- حوار حصري مع " طاهر بن عمار " رئيس مجلس الوزراء التونسي. الذي

أمضى على الاتفاقيات حاوره Jean Brune ومما قاله الوزير الأول:

" لو كان هناك تهديد ضد الفرنسيين سوف أكون إلى جانبهم "

" إنه شرف لفرنسا أنها ساهمت في تطوّر النخب التونسية "

" كنت أول من دافع على إحترام الحقوق المكتسبة للفرنسيين "

" إن إقتصادنا مرتبط إرتباطا وثيقا بفرنسا "

" المصالح والأشخاص وممتلكات الفرنسيين محفوظة. سوف أكون إلى جانبكم في

حالة وجود أي تهديد ضدكم " "

" عندما يتم إنشاء البرلمان الوارد في الإتفاقيات، "سوف أعيد مؤزري " - أقدم إستقالتي

لجلالة البلاي حتى يتمكن من إختيار وزيره الأول "

" المهم قولوا للفرنسيين أن يطمئنوا، الاتفاقيات ليست موجهة ضدهم " (2).

- تونس في منرج الاتفاقيات:

* - إستنتاجات حول بعض الأفكار البسيطة:

¹ - la D. Q. d' A Samedi 10 Juin 1955, N : 1996.

² - la D. Q. d' A Samedi 11 Juin 1955, N : 1997.

لابد من الوصول إلى إستنتاج....بمعنى محاولة حصر المشكل في عبارة تلخص في الوقت نفسه التنوّع والتناقض...لفرضها العقل، رغم الخطورة التي تبرز كل مرة إذا لزم ذلك في شكل جواب مُفبرك.

المهمة بهذا الشكل تبدو مستحيلة، مادامت التفاصيل والنوايا تغطي وتعقد الخطوط الكبرى للمشروع ككلّ ... ربما قلب التوازن الهش للتعلل والاستنتاجات.

لكن يجب بدّل مجهود لعزل بعض الأفكار البسيطة، ووضعها في شكل منظم ومتدرج والتي سوف تساعدنا على تطور مخرج مشرف للمشكل الذي يشغلنا.

وهاهي هذه الأفكار التي أضنها ضرورية لنجاح المشروع ⁽¹⁾.

9- الترابط بين إتفاقيات الحكم الذاتي والمفاوضات حول إستقلال المغرب:

يتواصل الجدل بين أعضاء حكومة "إدغارفور" وخصوصا الوزير "بيار جولي" المكلف بالشؤون المغربية والتونسية في الدفاع عن إتفاقيات الحكم الذاتي لتونس أمام البرلمان مصرحا بأنه ليس هناك أي تهديد أو تخوف على الوجود الفرنسي في الإيالة، في المقابل صرح النائب "كويلسي QUILICI" أحد أشرس المدافعين عن المستوطنين ومصالحهم بأن الإيالة قد ضاعت على المدى القريب. ⁽²⁾

ليصادق البرلمان الفرنسي على الإتفاقيات إثر خطاب مطول لرئيس الحكومة "إدغارفور"، الذي أكد فيه على ضرورة مواصلة التجربة الإيجابية، وجاء التصويت بمجموع 540 صوت نعم و 43 صوت ضد. ⁽³⁾

¹- la D. Q. d' A Dimanche Lundi 12-13 Juin 1955, N : 1998-1999.

²- La D.Q d'Algerie Vendredi 8 Juillet 1955, N°, 2024.

أنظر ملحق الصورة (02)

³- La D.Q d'Algerie Samedi, 9 Juillet 1955, N°, 2025

من جانبه صادق "الباي" على تلك الإتفاقيات بمقر إقامته بقصر "قرطاج" بحضور المقيم العام الجنرال "بويرديلاتور" Boyer de la tour.¹

أما فيما يخص القضية المغربية فقد تم الانتقال من مرحلة المشاورات إلى مرحلة المفاوضات مع وصول الطرفان إلى شبه إتفاق في "إكس ليبان Aix-les-Bains" بمشاركة وفد عن حزب الإستقلال يقوده "عبد الرحيم بوعبيد" الذي لخص المشاورات في نقطتان، قضية العرش، والعلاقات المغربية الفرنسية، مشيراً أن الإضطرابات الحالية في المغرب مرتبطة بقضية عزل الملك "محمد الخامس" عن العرش في 20 أوت 1953.² من جانبه ناقش مجلس الوزراء الفرنسي برئاسة "إدغارفور"، إمكانية الوصول إلى إتفاق حول ثلاث احتمالات وهي إنسحاب مولاي "بن عرفة"، وإنشاء مجلس حراس العرش، أو تعويض المقيم العام "قرودفال Graudval"، وإما مواصلة المشاورات الفرنسية المغربية في باريس.³

¹– La D.Q d'Algerie Dimanche Lundi, 28-26 Aout 1955, N°, 2075-2076

²– La D.Q d'Algerie Jeudi 25 Aout 1955, N°, 2072.

³– La D.Q d'Algerie, N° 2075-2076.

10- تأثير الجرائد الكولونيالية Le Journal d'Alger و Dernière Heure وتأثيرها على النزاع "اليوسفي البورقيبي":

خصّصت الصحافة الكولونيالية حيزاً من صفحاتها لعودة الأمين العام للحزب الدستوري الجديد "صالح بن يوسف" إلى تونس بعد منفى طويل حيث إستقبل من طرف "لمين باي" في قصر "قرطاج" وأيضاً من طرف "حبيب بورقيبة".¹

حسب تلك الصحافة فإن بداية الخلاف بين الرجلين جاء إثر تسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة بمجموع 28 صوت نعم و 27 صوت ضد و 5 ممتنعين، مع إنسحاب الوفد الفرنسي برئاسة وزير الخارجية "أنطوان بيني Antoine Pinay".⁽²⁾

وإثر لقاء جمع المحافظ السامي الفرنسي "روجي سايدو Roger Seydoux" برئيس الحكومة التونسية "طاهر بن عمار" وبحضور وزير الداخلية "المنجي سليم"، أشار المحافظ إلى العبارات الغير مقبولة التي وردت في البرقية المرسلة من طرف "صالح بن يوسف" الأمين العام للحزب الدستوري الجديد، الحزب الذي يمثل الأغلبية في الحكومة والذي بعثه لممثل المجموعة الآفرو آسيوية في الأمم المتحدة يشكره فيها على تسجيل القضية الجزائرية في جدول الأعمال.⁽³⁾ والملاحظ هو هذا الضغط الممارس على أعضاء الحكومة التونسية الموالين للطرح الفرنسي لدفعهم لإتخاذ إجراءات ردعية عقابية ضد "صالح بن يوسف" وهو ما يخدم "حبيب بورقيبة"، لتنفجر على إثرها الأزمة بين الرجلين داخل وخارج الحزب فهذا الأخير وجه تحذيراً للأمين العام بقوله أن ساعة الإستقلال لم تحن بعد، وفي تجمع شعبي له في "القلعة الصغيرة" قرب سوسة صرح قائلاً: "إن الحزب قد وجد في فرنسا رجال أدركوا

¹ – La D.Q d'Algerie samedi 17 septembre, 1955, N°, 2095.

² – Le J. d'A, Samedi 1 er October 1955, N° 1923.

³ – Le J. d'A, Samedi 8 October 1955, N° 1929.

المشكل الحقيقي التونسي، رغم ضغط المستوطنين وقبول التفاوض معنا الند للند ليعترفوا في النهاية بحقوقنا". وبعد أن أثنى على الإتفاقيات ختم تدخله بتهديد مغلف موجه لغريمه بأن من يسعون لتحطيم إنجاز الحزب ويرفضون إنضباطه لن يكون لهم مكان بيننا.⁽¹⁾ إنها بداية التحضير لطرد صالح بن يوسف "من الحزب كما سوف يحصل في مؤتمره في صفاقص"، خصوصا وأن الجريدة أشارت إلى إمكانية هذا الطرح والذي تحقق في ظرف وجيز. والذي يبين أيضا قدرة تلك الصحافة على الوصول إلى مصادر الأخبار حتى وإن كان تخص الحزب الدستوري الجديد وقيادته ونخص بالذكر "بورقيبة".

وحسب السيناريو المحضر فإن المكتب السياسي للحزب طلب من أمينه العام "صالح بن يوسف" تقديم إستقالته، وأمام رفض هذا الأخير، وبتوجيه من "بورقيبة" قررت اللجنة السياسية طرده من الحزب.⁽²⁾

ليأتي الرد من الأمين العام مصرحا في ندوة صحفية قائلا: "لقد قرأت في الجرائد خبر طردي من الحزب، فإن أشهد المناضلين والرأي العام بأن المكتب السياسي وعلى رأسه "حبيب بورقيبة" ليس له أي صلاحية حسب قوانين الحزب في إتخاذ هذا الإجراء وعليه فإنني أعتبره ملغى ولا يعني شيء"، مؤكدا بأنه سوف يجري مشاورات مع لجان وفيدراليات الحزب لإتخاذ الموقف المشترك قبيل إنعقاد مؤتمر الحزب المقرر في 15 نوفمبر.⁽³⁾

بطبيعة الحال سينتقل هذا الخلاف إلى القاهرة وتحديدًا إلى لجنة تحرير المغرب العربي التي قررت طرد "حبيب برريقية" والمكتب السياسي للحزب الدستوري الجديد من هياكلها.⁽⁴⁾

¹– Le J. d'A, Jeudi 13 October 1955, N° 1933.

²– Le J.d'A, Mercredi 12 October 1955, N° 1932.

³– Le J.d'A, Vendredi 14 October 1955, N° 1934.

⁴– Le J.d'A, Samedi 15 October 1955, N° 1935.

من جانبه كثف "صالح بن يوسف" من نشاطه ففي تجمع شعبي كبير في تونس صرح هذا الأخير قائلاً: "بأن الإتفاقيات الفرنسية التونسية تمثل خطوة إلى الوراء، وختم تدخله بأن الشعب التونسي سيبقى متحدا حتى الإستقلال التام لكل من تونس الجزائر والمغرب".⁽¹⁾ كما صرح في تجمع شعبي آخر في منطقة "المعمورة" "بالوطن القبلي" - حيث إرتكب فرنسا جريمة شنعاء- بأن الشعب التونسي مستعد للعودة للكفاح المسلح في حالة إجباره على قبول تلك الإتفاقيات.⁽²⁾

كما تناولت الجرائد الكولونيالية موقف الصحف من هذا النزاع، فأغلبية الصحف العربية حسبها تساند "صالح بن يوسف" أما الصحف الناطقة بالفرنسية فتساند "بورقيبة"، مشيرتا أن هذا الأخير يتلقى دعم الإتحاد العام التونسي للشغل U.G.T.T حيث صرح أمينة العام "أحمد بن صالح" للجريدة، بما يلي: "إن الإتحاد يساند السياسة الوطنية الحالية، ويراقب بدقة تطبيق الإتفاقيات الفرنسية التونسية والذي سوف تمكن من الإسراع في تحسين الأوضاع السياسية والإقتصادية".⁽³⁾

موازاتاً مع الإمضاء والمصادقة على الإتفاقيات الفرنسية التونسية، تسعى فرنسا إلى الوصول إلى نفس الحل مع المغرب ففي لقاء له مع الملك "محمد بن يوسف" في قصر "سال سانت كلود Celle Saint Cloud" أعلن وزير الخارجية "أنطوان بني" لمستقبله بان حكومته قررت إعادته على عرش المملكة المغربية، وبأن المفاوضات بين الجانبين ستبدأ عن قريب وذلك في إطار الشراكة مع فرنسا، وأن عودة هذا الأخير إلى المغرب قد حددت في الفترة من 12 إلى 16 نوفمبر 1955".⁽⁴⁾

¹- Le J.d'A, Mercredi 19 October 1955, N° 1938.

²- Le J.d'A, Mardi 25 October 1955, N° 1943.

³- Le J.d'A, Jeudi 27 October 1955, N° 1945.

⁴- Le J.d'A, Dimanche, Lundi 6-7 novembre, 1955, N° 1954.

بالعودة إلى النزاع "اليوسفي البورقيبي" كتبت جريدة لوجورنال دالجي Le Journal d'Alger مقالا تحت عنوان هل تكون "مصر" هي الحكم في الخلاف بين الرجلين، وهذا عشية إنعقاد مؤتمر الحزب الدستوري الجديد الذي سينعقد في مدينة "صفاقص"، عاصمة الجنوب التونسي وفي جدول أعماله ليس فقط تونس وإنما كل شمال إفريقيا، وحتى أبعد من ذلك، فهذه المدينة المعروفة بنشاطها وحركيتها، فهي تشتهر بزيت الزيتون، وفساطها، هذا المؤتمر الذي يجمع 2000 مندوب وفي مقدمة جدول أعماله النزاع "اليوسفي البورقيبي" وكذلك المصادقة على الإتفاقيات الفرنسية التونسية، وفي هذا الجو المكهرب هناك أطراف سوف تسعى للتوفيق بين الرجلين منهم مناضلي القصر البايليكي، وجامع الزيتونة والعديد من مناضلي القاعدة الذين سوف يرتاحون لعودة "صالح بن يوسف" إلى الأحضان، كما أن هناك حديث عن وساطة مصرية يقودها الوزير الأول المصري "حسان الباكوري" الذي سوف يمثل بلده في المؤتمر، هذا الأخير جد متحمس لتحقيق تلك المصالحة التي سوف ترفع من مكانة "مصر" عند الدول الكبرى.⁽¹⁾

ولأهمية مؤتمر الحزب الدستوري الجديد، والفترة الحساسة التي تمر بها تونس فقد عرف تغطية واسعة من طرف الصحافة الوطنية والدولية خصوصا الفرنسية منها والتي خصصت إفتتاحياتها للدعم الكبير والانتصار الذي حققه "بورقية" على حساب عزيمة "صالح بن يوسف". كما تناول الكلمة في هذا المؤتمر الوزير الأول المصري "حسان الباكوري" منتقدا في كلمته السياسية الإستعمارية الغربية، وبأن مصر تتمنى كل النجاح والتوفيق للشعب التونسي، مؤكدا على عروبة تونس وأنها جزء من الوحدة العربية وأن وجوده يهدف بالدرجة الأولى إلى تحقيق المصالحة بين "صالح بن يوسف" و"حبيب بورقية".⁽²⁾

¹ - Le J.d'A, Mercredi 16 novembre, 1955, N° 1962.

أنظر ملحق الصورة (03)

² - Ibid.

ومن الشخصيات التي تناولت الكلمة في هذا المؤتمر نذكر الوزير الليبي "عبد الرحمان جلود" والصحفي "حبيب حماتي" من صوت العرب، ومن الجانب الفرنسي نذكر الصحفي Jean Rous من جريدة Franc- Tireur وأيضا السيد André Bidet المستشار في الإتحاد الفرنسي، الذي أكد دعم الحزب الاشتراكي الفرنسي للمؤتمر.⁽¹⁾

مع التذكير أن المؤتمر صادق بالأغلبية على إتفاقيات الحكم الذاتي التونسية الفرنسية بإقتراح من "بورقيبة" الذي وجه إنتقادا لاذعا ضد "صالح بن يوسف".⁽²⁾

مباشرتنا بعد إنتهاء المؤتمر بدأت حملة قمعية واسعة تستهدف أنصار ومؤيدي الأمين العام والبداية كانت بإغتيال سائق هذا الأخير المدعو "بن سماعيل أورحين" وعمره 33 سنة وهو متزوج وذلك بإطلاق وابل من الرصاص عليه من طرف ستة أشخاص قدموا من "قصر الهلال بالساحل، وقد جاءت هذه العملية 48 ساعة بعد محاولة إغتيال الصحفي "محمد بن عمار" والمساند لصالح بن يوسف.⁽³⁾

كما تعرض مقر الفيدرالية اليوسفية في "نابل" الى هجوم من طرف أنصار "بورقيبة" حيث قاموا بتخريبه وإحراق محتوياته بما فيها الأرشيف، كما قتل "محمد بن عطية" وهو صانع حلويات ومن مؤيدي "صالح بن يوسف" بعد إطلاق النار عليه حيث توفي في المستشفى، مما دفع بالإتحاد التونسي للتجارة والحرف إلى إعلان إضراب عام يوم الثلاثاء للتنديد بهذا الإغتيال لأن الضحية كان عضوا فيه.⁽⁴⁾

¹– Le J.d'A, Vendredi 18 novembre, 1955, N° 1964.

²– Le J.d'A, Vendredi 2 décembre 1955, N° 1976.

³– Le J.d'A, Mardi 6 décembre 1955, N° 1979.

⁴– Le J.d'A, Dimanche, Lundi 11-12 décembre 1955, N° 1984.

كما وقعت مواجهات عنيفة بين أنصار الطرفين في "مدنين" في الجنوب التونسي على الحدود مع ليبيا، أدت إلى إصابة 11 شخصا بجروح.⁽¹⁾ أدى ذلك إلى قيام وزارة الداخلية التونسية وعلى رأسها "المنجي سليم" بحملة إعتقالات واسعة في أوساط اليوسفيين حيث تم إعتقال 49 منهم في مدينة تونس فقط.⁽²⁾

إثر تجمع شعبي ضم أكثر من 2500 مناصري صالح بن يوسف تجمعوا حول منزله الأخير بتونس وبمشاركة "طاهر لسود" أحد رموز المقاومة وقعت مواجهات عنيفة مع قوات الأمن أدت إلى سقوط قتيل و 27 جريح من اليوسفيين، كما تساءلت الجريدة الكولونيالية كيف أن زعيم المقاومة "طاهر لسود" لا زال طليقا رغم إتهامه بإرتكابه العديد من الجرائم. وأنه لم يستقد من الأمان في إطار تسليم سلاح المقاومة.⁽³⁾ مع الإشارة أن "صالح بن يوسف" تقدم بطلب لحكومة "طاهر بن عمار" لعقد مؤتمر يضم الخلايا الدستورية الموالية له يوم 18 جانفي في تونس.⁽⁴⁾ لكن هذا الطلب قبل بالرفض لتبدأ الحملة القمعية ضد المطاردين من طرف وزارة الداخلية، تلك الحملة ساهمت في صعود العشرات من هؤلاء الأنصار إلى الجبال وإعادة تشكيل مجموعات من المقاومين التي بدأت في تنسيق نشاطها مع الثورة الجزائرية، حيث وقعت مواجهة عسكرية كبيرة في جنوب تونس والتي تعتبر إمتداد لجبال النمامشة الأوراسية شمال الشط، وتحديدا في تامرزة "قرب الحدود الجزائرية وكعادتها في تضخيم خسائر الثوار أشارت الجريدة إلى سقوط 12 شهيد و 18 أسير من الجانب الجزائري، وقتل جندي فرنسي وإصابة إثنان بجروح.⁽⁵⁾

¹– Le J.d'A, Mardi 20 décembre 1955, N° 1991.

²– Le J. d'A, Mercredi 21 décembre 1955, N° 1992.

³– Le J. d'A, Mercredi 21 décembre 1955, N° 1992.

⁴– D. Heure, Vendredi 11 Janvier 1956, N° 2832.

⁵– D. H, Lundi 23 Janvier 1956, N° 2842.

في هذه الأجواء مكهربة نشرت الأسبوعية التونسية باللغة الفرنسية "Action" المؤيدة "البورقيبية" مقالا لهذا الأخير، مبرزاً فيه أن ميزان القوة بيننا وبين الإستعمار ليس عسكرياً فقط وهذا رداً على توجه اليوسفيين في إستمرار المقاومة ودعم الثورة الجزائرية قائلاً: "قيل عنا أننا لم نحسن التفاوض وتنازلاً بسرعة ولم نحصل إلا على القليل، ومقابل هذا فالمغرب سوف يحصل في الأسابيع أو الأشهر القادمة على أكثر مما حصلنا عليه، وإذا حصل ذلك لإخواننا المغاربة فهذا يعتبر جيداً لكل إفريقيا الشمالية ومن جهة فرنسا فالمستقبل مفتوح".⁽¹⁾

إضافة للحملة الإعلامية ضد "صالح بن يوسف" ومؤيديه، تتواصل الحملة القمعية لتصفية حركته بإنشاء "محكمة خاصة" في تونس لمحاكمة هؤلاء المؤيدين، مع استمرار حملة الإعتقالات الواسعة في حقهم بتهمة التآمر على أمن الدولة، وشملت مناطق "سوسة"، "القصور"، "الكاف" ومن بين أهم الشخصيات الذين أُلقي عليهم القبض نجد زعيم المقاومة زليطني، و أيضاً "محمد بن نيفار" المعروف "بالمانشو" الذي أُلقي عليه القبض في منطقة "قفصة"، أما "صالح بن يوسف" فقد تكمن من الفرار قبل وصول قوات الأمن إلى منزله، وكان الإعتقاد أنه سوف يحاول عبور الحدود إلى ليبيا، للإلتحاق بالثوار الجزائريين بقيادة أحمد بن بلة، الذي كان متواجد آنذاك في ليبيا.⁽²⁾ مع التذكير أن هذه الحملة القمعية كانت بإشراف وزير الداخلية "المنجي سليم".

وفعلاً تم تأكيد خبر لجوء "صالح بن يوسف" إلى ليبيا، وتحديدًا إلى العاصمة "طرابلس" حيث منح صفة لاجئ سياسي وصديق الحكومة الليبية، كما أنه خص بإستقبال

¹– D. H, Mardi 24 Janvier 1956, N° 2843.

²– D. H, Lundi 30 Janvier 1956, N° 2848.

حار من طرف الوزير الأول "بن حليم" وحاكم مدينة طرابلس حيث تم وضع حراس خاصين تحت تصرفه".⁽¹⁾

وللرد على الإتهامات الموجهة "لليبيا" حول قضية تهريب السلاح عبر أراضيها نحو الجزائر فقد فند السفير الفرنسي في طرابلس السيد "دوماركي Dumarcai" مسؤولية الحكومة الليبية في ذلك التهريب وهذا أثناء إستقباله في تونس من طرف المحافظ السامي الفرنسي السيد "سايدو Seydoux"، على إعتبار أن نشاط تهريب السلاح عبر "ليبيا" مرورا "بتونس" نحو "الجزائر"، يشغل إهتمام أعلى السلطات في البلدين، خصوصا مع وجود مركز توجيه لجهة التحرير الوطني، حيث تم العبور إلى الغرب من "بن قردان"، ثم مرتفعات "مطماطة"، و"شط الجريد"، ثم الحدود الجزائرية التونسية، كما ذكر السفير بأن هذا النشاط تقوم به منظمات خاصة لا دخل للحكومة الليبية فيها، وحسب الجريدة فإن أحمد بن بلة هو المسؤول الأول عن هذا النشاط.⁽²⁾

مع التأكيد على حالة اللأمن على الحدود الجزائرية التونسية، فقد تم العثور على الحارس الإيطالي لمنجم جبل طروزة مقتولا على بعد 3 كلم من مكان إختطافه من طرف الثوار، كما قامت مجموعة من المقاومين بإعتراض شاحنة محملة بالحلفاء وإحراقها، وفي ناحية "سيدي بوزيد" قام خمسة أشخاص بالهجوم على منزل شيخ وقائد منطقة أكرمة، وأستولوا على مبالغ مالية هامة.⁽³⁾

¹– D. He, Mercredi 8 Févrie, 1956, N° 2856.

²– D. H, Jeudi 26 Janvier 1956, N° 2845.

³– Ibid.

11- المفاوضات المغربية الفرنسية والصعوبات التي واجهتها:

من أهم العراقيل التي وقفت في وجه توصل الطرفين الفرنسي والمغربي إلى إتفاق ينهي الحماية الفرنسية ويحقق للمغرب إستقلاله هو رفض إلغاء معاهدة "فاس" الممضات في 30 مارس 1912م، وهو المطلب الذي رفعه الملك "بن يوسف" بإلغائها وذلك أثناء خطابه الإفتتاحي في اليوم الأول لبدأ المفاوضات بين الجانبين في "كي دورسي Le Quai d'orsay"، كما رفع مطلب الإستقلال التام للمغرب، مع الإبقاء على التعاون بين البلدين في المجالات التقنية والمالية والإقتصادية.⁽¹⁾

فما هو محتوى معاهدة "فاس" والتي يطالب المغاربة بإلغائها، هذه أهم مواد الخلاف بين الطرفين:

المادة الأولى: إن حكومة الجمهورية الفرنسية وجمالة سلطان المغرب يتفقان على وضع نظام جديد يتضمن إصلاحات إدارية وقضائية وتعليمية وإقتصادية ومالية وعسكرية، والتي ترى الحكومة الفرنسية أنها ضرورية لإدخالها إلى المغرب، كما أن الحكومة الفرنسية ستستشاور مع الحكومة الإسبانية فيما يخص مصالح هذه الأخيرة في المناطق الجغرافية الخاضعة لها وفي ممتلكاتها على السواحل المغربية.

المادة الثانية: يعترف جمالة السلطان لفرنسا بحقها في إحتلال المناطق المغربية التي يعتبرها ضرورية للحفاظ على النظام والأمن فيما يخص العمليات التجارية، كما أنها سوف تشرف على كل عمليات الأمن في الأراضي وفي المياه الإقليمية المغربية.

المادة الثامنة: لا يحق لجمالة السلطان الإقتراض بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من مؤسسة عامة أو خاصة أو التنازل بأي شكل من الأشكال دون موافقة الحكومة الفرنسية.

¹- D. H, jeudi 23 février 1956, N° 2869.

المادة التاسعة: يتم إخضاع هذه المعاهدة لمصادقة الحكومة الفرنسية وجمالة السلطان في أقرب الآجال الممكنة في فاس 30 مارس 1912 Rebia II 1330، إمضاء "رينو Regnault مولاي "عبد الحفيظ".⁽¹⁾

12- ضغط الثورة الجزائرية على مسار التفاوض الفرنسي، التونسي والفرنسي المغربي حسب الجرائد الكولونيالية واستقلال البلدين المغرب وتونس مارس 1956م:

أثناء عملية تمشيط بناحية "ساقية سيدي يوسف" على الحدود الجزائرية التونسية وقعت مواجهة عنيفة بين القوات الفرنسية ومجموعة من المجاهدين أدت إلى سقوط 12 شهيد وإصابة 5 خمسة مجاهدين بجروح ولم تشير الجريدة إلى عدد القتلى من الجانب الفرنسي، كما هو الحال دائما في تغطية الجرائد الكولونيالية بإخفائها للخسائر البشرية للقوات الإستعمارية بأوامر من هذه الأخيرة كما أن تضاعف عمليات الثوار الجزائريين أصبحت تقلق الصحافة الفرنسية فقد كتبت جريدة "لوفيقارو Le Figaro" بأنه في الوقت الذي بدأ فيه التحضير لتجديد المفاوضات الفرنسية التونسية والفرنسية المغربية، يبقى الوضع في الجزائر مقلقا جدا، خصوصا بعد الهجوم على معسكر "سبابنة" Sebabna حيث قتل 31 جندي فرنسي في يومين أثناء وقوعهم في كمين للثوار الجزائريين⁽²⁾ والملفت في هذا الهجوم استعمال الثوار الجزائريين.

لأسلحة جد متطورة مصدرها فرار العديد من الجنود الفرنسيين من أصول جزائرية، والتحاقهم بالثورة.⁽³⁾

¹– D. H, N° 2876.

²– D. H, Mardi 28 février 1956, N° 2873.

³– Ibid.

في هذه الأجواء تتجدد المفاوضات التونسية الفرنسية في باريس، حيث صرح رئيس الحكومة التونسية "طاهر بن عمار" بمايلي: "إننا نبدأ المرحلة الثانية من هذه المفاوضات بنفس الثقة التي مصدرها خطاب "منديس فرانس" أثناء توليه السلطة، وبما صرح به "ألان سفاري Alain Savary" فيما يخص الإستقلال داخل الشراكة الفرنسية التونسية".⁽¹⁾

من جانبه تلقى الوفد المغربي المفاوض في شارع "لوطاس" Le Tasse مقترح الإعلان المشترك من طرف الجانب الفرنسي حيث سيناقشه مع جلالة السلطان قبل الرد عليه، مع العلم أن هذه المفاوضات تجري في الوقت الذي كثفت فيه المقاومة المسلحة من نشاطها خصوصا في منطقة "الريف" وجبال "الأطلس".⁽²⁾

ضغط الثورة الجزائرية وتأثيرها على مسار تلك المفاوضات نقرأه في عناوين وإفتتاحيات الصحف الفرنسية والكلونيالية فجريدة "دارنيار أور Dernière Heure" كتبت في صفحتها الأولى "إننا نشهد صحوة وسط الرأي العام".

"لن يقبل الفرنسيون تنازل جديد" جاء هذا في إفتتاحية "باريسيان ليبيري Parisien libéré"، أما جريدة "لورور L'Aurore" فكتبت تقول "حرروا هذا الإقليم الفرنسي - يقصد الجزائر - من الإرهاب قبل أي شيء".

أما الصحف السويسرية فكتبت: "لقد حان الوقت لفرنسا بأن تظهر أنها لن تقبل بالضغط والإستسلام".

¹ - D. H, jeudi 1 er Mars 1956, N° 2875.

² - D. H, Lundi 5 Mars 1956, N° 2890.

هذه الحملة الإعلامية جاءت رداً على خطاب السياسة العامة لرئيس الحكومة الفرنسية "قي مولي Guy Mollet" مطالباً بمنحه السلطات الخاصة في الجزائر Les pouvoirs spéciaux، وهذا عشية إعراف فرنسا بإستقلال المغرب والإمضاء على الإتفاقيات الفرنسية المغربية من طرف كل من "كريستيان بينوا Christian Pineau" وزير الخارجية و"سي بكاي" رئيس الحكومة المغربية وقد وجه باي تونس "محمد لمين" رسائل تهنئة لكل من سلطان المغرب ورئيس حكومته بمناسبة حصول المغرب على استقلاله.

في هذه الأجواء تفتتح المفاوضات التونسية الفرنسية والتي سوف يطغى عليها الإعراف الفرنسي بالإستقلال المغرب، وهذا ما سوف يدفع بالوفد التونسي للمطالبة بالحصول على مظاهر السيادة الخارجية للحكومة التونسية، أسوة بما حصل عليه المغرب، وفي الحقيقة إعراف فرنسا بالإستقلال المغرب يعود إلى 2 مارس، وهو التاريخ الذي سلم فيه الأمين العام لوزارة الخارجية الفرنسية السيد "كاسيغلي Massigli" نسخة للكونت "كازاس روخاس Casas- Rojas" السفير الإسباني في باريس، يتضمن ضرورة إعلام الحكومة الفرنسية نظيرتها الإسبانية في حالة وقوع أي تغيير في الإتفاقيات الدبلوماسية التي ترتبط بالوجود الفرنسي في المغرب، كما أن الجنرال "فرانكو" سيسعى إلى إستعمال هذه المراسلة ليكون شريكا في تجسيد إستقلال المغرب.⁽¹⁾

- **إستقلال تونس:** في إفتتاحيتها ليوم 19 مارس 1956 كتبت جريدة "دارنيار أور Dernier Heure" ما يلي: "بعد 48 ساعة ستعترف فرنسا بإستقلال تونس، وقد تم إنقاض المفاوضات الفرنسية التونسية في آخر لحظة بعد 24 ساعة من المناقشات المتواصلة، حيث تم التوصل إلى إتفاق نهائي حول نص البروتوكول المشترك، والذي يعترف بإستقلال تونس، وشراكتها مع فرنسا، نقطة الخلاف الوحيدة التي بقيت عالقة تخص

¹- D. H, lundi 19 Mars ; 1956, N° 2890.

مجال الدفاع فالوفد التونسي طالب بكامل سيادته في هذا المجال، أما الوفد الفرنسي فتمسك بحق الإطلاع والمسؤولية وأن يبقى قائما⁽¹⁾.

- وحسب بعض التسريبات فالإتفاق يتشكل من صفحة ونصف فيه مدخل يلخص مراحل العلاقات الفرنسية التونسية ليأتي نص الإعتراف بإستقلال تونس، كما تم الإشارة إلى معاهدة "باردو" بنفس الصيغة التي استعملت في الإعلان المشترك الفرنسي المغربي حول معاهدة فاس، وجاءت بالشكل التالي بأن معاهدة "باردو" لم تعد تسير وتحدد العلاقات الفرنسية التونسية، مع تحديد تاريخ 15 أفريل لتجديد المفاوضات.⁽²⁾

- كما عنونت الجريدة في صفحتها الأولى "ثاني دقيقة تاريخية في الكي دروسي " Quai D'orsay " تخص شمال إفريقيا، فبعد الإمضاء على الإتفاق الفرنسي المغربي في 2 مارس ودائما في قاعة الساعة Le salon de l'horloge، تم الإمضاء يوم الثلاثاء 18 مارس 1956 على الاتفاق الفرنسي التونسي الذي يعترف بإستقلال تونس من طرف كل من وزير الخارجية الفرنسي "كريستيان بنيو" ورئيس الحكومة التونسية "طاهر بن عمار".⁽³⁾

¹- D. H, lundi 19 Mars ; 1956, N° 2890.

²- D. H, Vendredi 23 Mars 1956, N° 2894.

³- Ibid.

أنظر ملحق الصورة رقم (05)

13- تأسيس نقابة الصحف اليومية الكولونيالية في الجزائر:

حسب الوثيقة التي بين أيدينا والمؤرخة في الجزائر بتاريخ 3 ديسمبر 1951 والموجهة إلى السيد "رو" « Roux » والي الجزائر من طرف مؤسسي ومسيري الصحف اليومية الكولونيالية في الجزائر وهي عبارة عن محضر تأسيس نقابة تلك الصحف المجتمعون في مقر "لاديباش كوتيديان"، وحسب الوثيقة دائما فإن هدف تلك النقابة هو دراسة وتنسيق وتمثيل كل القضايا المهنية الخاصة بالصحف التالية:

Echo d'Alger	ليكو دالجي
Dépêche quotidienne	لاديباش كوتيديان
Alger républicaine	ألجي ريبوبليكان
Journal d'Alger	جورنال دالجي
Dernière Heure	دارنيال أور
Echo d'Oran	ليكو دوران
Echo du Soir	ليكو ديسوار
Oran Républicaine	أوران ريبوبليكان
La Dépêche de l'Est	لاديباش دولاست
La Dépêche de Constantine	لاديباش دوكوستاتين

وفي نهاية إجتماع الجمعية التأسيسية المنعقدة في 23 نوفمبر 1951م، تم إنتخاب المكتب التالي:

- رئيسا راؤول بيرري Raoul PERRIER لاديباش كوتيديان

- جون مايي Jean MAILLET أُلجي ريبوبليكان
- لويس دوفيل Louis DEVILLE أوران ريبوبليكان
- م. رونارد M. RENARD لاديباش دوكوستاتين

والمؤكد أن هدف هذه النقابة ليس فقط الدفاع عن مصالحها المهنية، وإنما خلق تكتل إعلامي لمزيد من الضغط على السلطات الفرنسية لفرض نفسه كشريك أساسي في أي قرارات تتخذ لها علاقة بالكولون وزعمائها المتحكمون الفعليون في تلك الجرائد⁽¹⁾.

¹- A.N.O.M. 1 AFF. Pol, C 2131/3 : A Monsieur Roux, Préfet d'Alger la création du syndicat des quotidiens d'Algérie.

أنظر الوثيقة (10) في الملحق.

الخاتمة:

كل بحث علمي أكاديمي تكون خاتمته مجموعة استنتاجات، تثير القارئ وتبرز بعض الجوانب التي تساعد على فهم واستيعاب دروس التاريخ، وفيما يخص المغرب العربي عموما ومنه تونس، فإن العديد من الوقائع والأحداث ما زالت مخفية بإرادة استعمارية احتفظت لنفسها بحق كتابة التاريخ، كما حاولت من قبل صناعة التاريخ والتي فشلت فيه أمام إرادة ومقاومة الشعوب، لكنها في المقابل وللأسف ما زالت تتحكم ولو جزئيا في كتابة، من خلال سرقتها واحتفاظها بأرشيف تلك الدول خصوصا الوثائق الهامة والخطيرة، أما ما يفتح أو يسمح بلاطلاع عليه بالنسبة للباحثين فهو عبارة عن تقارير إدارية أو إحصائيات أو تقارير أجهزة أمنية حول بعض زعماء ومناضلي الحركات الوطنية.

هذه الوقائع تؤكد لها شهادات مختصين في البحث التاريخي، وبالنسبة لتونس نذكر الأستاذ عبد الجليل التميمي ومؤسسته المختصة في الدراسات التاريخية فقد أكد في العديد من كتاباته ومداخلاته بأن فرنسا ما زالت تحتفظ إلى اليوم بأهم الوثائق والأرشيف الخاص بتاريخ تونس الحديث والمعاصر، وخصوصا الذي يغطي فترة الحركة الوطنية ومقاومة الاستعمار حتى الاستقلال، ولم تفلح كل الاتصالات والمفاوضات مع الطرف الفرنسي لاسترجاعه ويبقى التفسير الوحيد لهذا الرفض الفرنسي الحفاظ على أسرار من ساعدوها وتواطؤا معها فيما ارتكبته من جرائم في حق الشعوب أخطر من هذا هناك من هؤلاء من لا يزال يتولى مناصب عليا في البلد وهذا تطبيقا لمشروع الإبقاء على التبعية وبالتالي الحفاظ على المصالح الاقتصادية والاستراتيجية لفرنسا في تلك البلاد، ومنها تونس والتي لا يمكن أن تتحقق إلا بوجود نخبة تونسية مفرنسة صنعها الاستعمار بفتح باب التمدريس لها ومنحها منح دراسية في فرنسا والتأثير عليها فكريا وإيديولوجيا.

وبالعودة إلى قضية الإبقاء على جزء هام من وثائق وأرشيف الدول سرا أكد الدبلوماسي التونسي السابق أحمد بن مصطفى في حوار له مع جريدة "الصباح" الأسبوعي العدد 1520

ليوم الاثنين 4 جانفي 1955، بأن هناك حوالي 90 صفحة من ملاحق الاتفاقيات الخاصة بالحكم الذاتي لتونس والموقعة في 3 جوان 1955. لم تنتشر رسميا والقليل من اطلع على فحواها، كما أشار أن الاتفاقيات لا تشمل الاستقلال الاقتصادي والعسكري بل بلعكس فتونس ممثّلتا في حكومتها آنذاك تعهدت لفرنسا بأن لا تؤمم الثروات النفطية والاستخراجية، وهو السبب الرئيسي لعجز الحكومات التونسية المتعاقبة إلى يومنا هذا في إبطال نشاط الشركة الفرنسية لاستغلال وتصدير الملح التونسي، وإن أخطر ما في الاتفاقيات هو عدم الغائها لمعاهدة الحماية الموقع عليها 1881، فهي ما زالت سارية المفعول إلى يومنا هذا ولو في جانب منها، أبعد من هذا فاتفاق الشراكة مع الاتحاد الأوروبي غير منفصل عن معاهدة الحماية فكلها تهدف إلى حماية مصالح فرنسا أولا ثم أوروبا ثانيا.

ويمكن للوثائق الشخصية وأرشيف العائلات التي ساهمت في أحداث تلك الفترة أن تساهم في إبراز جوانب من تاريخ البلد ومن هنا تأتي مساهمة المناضل أحمد بن صالح "الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل الذي أمد مؤسسة التميمي ببعض الوثائق المرتبطة خصوصا بقضية تدويل القضية التونسية في الأمم المتحدة والموقف الأمريكي منها والحساسيات مع الطرف الفرنسي، كما تخص أيضا ملابس اغتيال "فرحات حشاد" والتحقيق الذي شابهته الكثير من النقائص.

وكذلك هناك وثيقة هامة وهي عبارة عن رسالة من "الصالح بن يوسف" لأحد رجالات المخابرات الإيطالية والذي كان واسطة مع سلطات بلده ودور هذا الأخير في دعم القضية التونسية وما تسبب لها من عدااء مع فرنسا.

ومن خلال هذا العمل المتواضع فقد وصلنا إلى بعض الاستنتاجات تخص القضية التونسية ومن صنعوها ثم بعدها تحليل وإبراز دور جريدة البصائر في متابعة القضية وتنوير الرأي العام الجزائري بها وخلق جسر بين الجزائر وتونس لترابط القضيتين. ومنها إلى تغطية الجرائد الكولونيالية وتحديدا "لاديباش كوتيديان دالجبيري La dépêche quotidienne

"d'Algerie" وأيضا "لوجورنال دالجي Le journal d'Alger" و"دارنيار أور Dernière heure" فقد أفادتنا كثيرا في تفاصيل ودقائق الأحداث خصوصا النشاط المكثف للمقاومة التونسية التي سعت الكثير من الأطراف إلى تقزيمها وتهميشها، فإبراز هذا الجانب الأمني، يهدف إلى الضغط على السلطات الاستعمارية لمواصلة سياسة الهروب إلى الأمام ومزيد من التهريب خصوصا وأن تلك الجرائد الكولونيالية كانت تمثل ثقلا إعلاميا في الدفاع عن الأطروحات الاستعمارية ومحاولة توجيه سياسة هذه الأخيرة خدمة لأقلية كولونيالية استأثرت بالبلاد والعباد ولا تريد التخلي عن تلك الامتيازات والثروات.

أما فيما يخص القضية التونسية فأهم الاستنتاجات هي:

- سيطرة نخب المدن ومنهم حاشية "الباي" والمتقنين والطبقة البورجوازية على الواجهة السياسية لتونس، بما فيها الكتابات التاريخية ومحاولتها إخفاء أو تهميش مقاومة الشعب التونسي للاحتلال الفرنسي، خصوصا سكان البدو، والمرتفعات الشمالية الشرقية لتونس، مع إطلاق تسميات عليها مثل الخارجون عن القانون أو الفئة الضالة أو العصاة وأخيرا مصطلح "الفلاقة" الذي شاع استعماله.
- تحكم النخب التونسية المثقفة في توجيه المطالب السياسية، أدى إلى حدوث تصادم بينها ونقصد بها المتخرجون من المدرسة الصديقية الفرنسية وطلبة جامع الزيتونة هذا الأخير تعرض للعديد من المحاولات لتصفيته نهائيا آخرها بعد الاستقلال على يد "الحبيب بورقيبة".
- مساهمة السلطة الفرنسية في اختيار وتعبيد الطريق لتولي "بورقيبة" سدة الحكم في تونس بعد الاستقلال، كما ساهمت من قبل في صنعه كمناضل اختزل لوحدة الحركة الوطنية ولن يتأتى له ذلك إلا بعد إزاحة منافسيه ونقصد بهم "المنصف باي" ثم "فرحات حشاد" حيث تم إطلاق سراح من اغتالوه في نهاية 1956م، في صفقة سرية لا يعرف محتواها بين "بورقيبة" و"فرانسوا ميران" حيث تم نقلهم على متن طائرته

الخاصة إلى فرنسا لتتم تصفية "صالح بن يوسف" وإبعاد وتهميش الدكتور "محمود الماطري" والمناضل "أحمد بن صالح".

- التوجه الليبرالي لتونس، ففي الوقت الذي كان "فرحات حشاد" يعتبر الاستقلال السياسي بداية لتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة، كان "بورقيبة" يرفض كل صراع طبقي وبالتالي فالبورجوازية التونسية التي كانت تسانده وتمد الحزب الدستوري الجديد بالمال كان "فرحات حشاد" يقف في وجهها بسبب استغلالها للطبقة الشغيلة التي ردت بالإضرابات ليتم قمعها باستعمال أجهزة الأمن.

- هناك فجوة كبيرة - ما زالت إلى اليوم - ساهمت فيها السلطة الاستعمارية بين النخب التي تدعوا إلى إنشاء دولة عصرية ليبرالية وبين طموحات الشعب في تحقيق العدالة الاجتماعية.

- استتار هذه النخب بمفهوم النضال والمقاومة السياسية للاستعمار على حساب المقاومة المسلحة والتي تعرضت إلى تشويه خطير منذ الاتفاق على الحكم الذاتي واشترط فرنسا وقف نشاطها واستسلام المقاومين وتسليم سلاحهم وهو ما وافق عليه بورقيبة والحزب الدستوري الجديد بغالبية ورفضه "صالح بن يوسف" وجزء من المقاومين بعضهم التحق بالثورة الجزائرية مثل "الطاهر لسود".

- تبني "صالح بن يوسف" لأسلوب الكفاح في مواجهة الاستعمار الفرنسي والتنسيق والتكامل مع الثورة الجزائرية مكنه من الإطلاع على بعض تفاصيل منها مشروع الثورة في إنشاء الطابور الخامس من أبناء المجندين الجزائريين داخل الجيش الفرنسي واستعماله عند الضرورة لإلتحاق بالثورة تدريباً وتسليحاً.

- تأثير الظروف الدولية على مجرى الأحداث، فالصراع الأمريكي السوفياتي في إطار الحرب الباردة كان له انعكاسات خطيرة على المغرب العربي عموماً وتونس خصوصاً، نظراً للموقع الاستراتيجي والحيوي والأمني للمنطقة بالنسبة للولايات المتحدة، ومن ثم تأثيرها على تلك الأحداث عكس الاتحاد السوفياتي الذي كان غائبا

تماما ولم يهتم بالمنطقة من منظور أن فرنسا الاشتراكية أفضل وأقرب له من المغرب العربي، وهذا يفند الأطروحة القائلة بأن إستراتيجية الإتحاد السوفياتي في مواجهة المعسكر الغربي تعتمد على الدعم اللامشروط لحركات التحرر.

- دائما في المواقف الدولية فمن أغرب ما حدث في الأمم المتحدة عند محاولة تدويل القضية التونسية هو أن فرنسا بذلت قصارى جهدها لمنع "الوفد الإسرائيلي" من دعم مطلب المجموعة العربية في تسجيل القضية التونسية في جدول الأعمال سعيا منه لكسب ود العرب، في المقابل وقفت سوريا ولبنان على الحياد حفاظا على مصالحها مع فرنسا. ونفس الموقف تبنته تركيا في البداية لمسايرة الموقف الأمريكي حفاظا على الدعم المالي والسياسي لهذه الأخيرة مع السعي للانضمام للاتحاد الأوروبي ورد الجميل على قبولها عضوا في حلف الشمال الأطلسي.

- هناك أيضا قضية استقالة "عبد الكريم الخطابي" من لجنة تحرير المغرب العربي والتي ذكر بعض أسبابها منها النفقات الكبيرة التي تصرف على الرحلات المكوكية للوفود التونسية إلى باريس والإقامة في أفخم الفنادق بدل إنفاقها في دعم المقاومة المسلحة وأنه لا طائل من تلك المفاوضات.

- تأثير القضية الفلسطينية وارتباطها بحركات التحرر في المغرب العربي، كشفت عن مساندة ودعم الاستعمار للحركة الصهيونية في قمع وعزل بايات تونس والسلطان محمد الخامس لدعمهم اللامشروط لكفاح الشعب الفلسطيني بتتجيد المتطوعين وتقديم السلاح والمال ومنع الدعم عن الكيان الصهيوني عن طريق الجالية اليهودية في المغرب.

أما من الجانب الفرنسي فيمكن ذكر الاستنتاجات التالية:

- دور بعض رجال الاستعمار في تطوير أساليب هذا الأخير والانتقال به من الاحتلال المباشر والحملات العسكرية الكبرى المكلفة، إلى أسلوب التعاون والشاركة وهي

- تخليص لنظام الحماية وعلى رأس هؤلاء النقيب "جول لوبوف Jule le Bœuf" رئيس جهاز شؤون الأهالي لدى المقيم العام في تونس شعاره احتلال إفريقيا بالأفارقة.
- اعتماد فرنسا على إطارات وموظفين تخرجوا من المدارس والجامعات الفرنسية وليس لهم أدنى معرفة بأوضاع تونس الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ومباشرة بعد وصولهم إلى تونس تتبناهم الجالية الفرنسية بالمصاهرة، وتمكنت بذلك من التحكم في توجيه السياسة الفرنسية في تونس.
 - دور الجالية اليهودية في تونس في تسهيل الاحتلال ثم المطالبة بالجنسية الفرنسية ثم التأثير وتوجيه سياسة فرنسا من خلال المال والصحافة وهذا بشهادة زعمائها.
 - تأثير الكولون في الجزائر على البرلمان والحكومة الفرنسية بمنع أي إصلاحات في تونس تكون ارتداداتها وانعكاساتها خطيرة على الجزائر.
 - إن "إتحاد الفرنسي الافريقي" L'union française الذي دعا "ديغول لإنشائه في قمة "برازافيل" سنة 1944م، جاء كرد فعل على قمة "سان فرانسيسكو" وإنشاء هيئة الأمم المتحدة وتبنيها لمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها للتخلص من تبعاته.

أما حول جريدة البصائر فيمكن ذكر الملاحظات التالية:

- تعتمد الجريدة في مصادرها على ما تنقله الجرائد الصادرة في تونس من أخبار مثل "النهضة" و"الصباح" وكذلك من صحافة "التجمع الفرنسي" في تونس كما تستقي أخبارها من الجرائد الصادرة في الجزائر منها Alger Republicain, La république Algérienne, l'Echo d'Alger, la Dépêche Quotidienne.
- من مصادر جريدة "البصائر" نجد تقارير وكتابات طلبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في جامع الزيتونة ومنها مساهمات الأستاذ المرحوم أبو القاسم سعد الله.
- من حيث توجهاتها هناك أسلوب العتاب والنقد إذا تعلق الأمر باختيارات الحركة الوطنية التونسية في مجاراتها لخطط الاستعمار حول فكرتي المفاوضات

والاصلاحات الشكلية كما نجد أيضا أسلوب التهكم في التعليق إذا كان الأمر غير مجدي.

- لا تتوان الجريدة في فضح وكشف أساليب الاستعمار وإبراز أساليبه القمعية وجرائمه في حق الشعب التونسي ومناضليه، كما تبرز التضييق على الصحافة والرأي والسعي لمصادرتها.

- ميل جريدة البصائر للحلول السلمية في حل القضية التونسية وكل المغرب العربي وذلك من خلال هيئة الأمم المتحدة بمعنى تدويلها.

- هناك خطاب لاذع اتجاه الاستعمار وأساليبه وعدم مسايرته لمستجدات الوضع في تونس وفي كامل المنطقة، وهذا الخطاب يتلاقى مع نظرة مجموعة من المفكرين الفرنسيين مثل "شارل أندري جوليان" وخصوصا "فرانسوا مورياك".

- عدم اقتصار دور الجريدة على تغطية الأحداث في تونس ولكن أيضا المساهمة في تفعيلها، فقد ساهمت "البصائر" ومن ورائها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في يوم وطني جزائري للتضامن مع القضية التونسية وتحديد يوم الجمعة 1 فيفري 1952.

- ساهمت في الكشف عن بعض الحقائق منها مثلا رفض إسبانيا قرار فرنسا بعزل السلطان "محمد الخامس" وعدم اعترافها بمن نصبه الاستعمار وهو "محمد بن عرفة".

- الإشارة إلى الاهتمام البريطاني بالأوضاع في المغرب العربي من خلال تحقيق قام به الصحفي "فيليب داين Philipe Dean" بتكليف من جريدة "ل'Observer" وترجمته جريدة "لاكسبريس L'Express" الفرنسية وقد دام التحقيق شهران وأهم استنتاجاته أن الاستعمار باحتقاره لشعوب المغرب العربي وسعيه لفرض توجهاته عليها قد ساهم في إفشال كل التجارب والحلول في تونس، كما حقق في مجازر 8 ماي 1945 وخلص إلى الاستنتاج التالي أن فرنسا لو استمرت في نفس النهج

والأسلوب فسوف يؤدي ذلك إلى انفجار عام في الجزائر مع التنبيه أن المقال نشر في جانفي 1954.

- نلاحظ أيضا التطابق بين تحليل "البصائر" ومجلة لوبسارفاتور L'Observateur " أن ما يحدث في تونس حرب فعلية ومؤسسة بين احتلال وثورات تونسيين وأنهم ليسوا "فلاقة" كما يدعيه الاستعمار.

- من بين أهم تفاصيل فشل المفاوضات حول الحكم الذاتي هو قضية محاولة الكولون توريث مناصبهم الإدارية لأبنائهم والذي رفضه التونسيون جملتا وتفصيلا.

- الإشارة إلى مشروع "منديس فرانس" لحل القضية الجزائرية ورفض البرلمان له وبالتالي سقوط حكومته وأهم ما جاء في خطابه: "يجب منح رئيس الحكومة المقبلة السلطة التامة وعليه أن ينتقل شخصا إلى الجزائر حتى يتغلب هناك على المقاومة الإدارية ويحطم الإقطاعية العسكرية والراسمالية التي تضع وتشعر ما تشاء من القوانين، على الحكومة في الأخير أن تختار بين طريقين الهند الصينية وتونس". ما رفض "المنديس فرانس" في فيفري 1955 منح "لدوغول" 1959م لكنه جاء متأخرا جدا.

- التنبيه إلى ضغط حكومة "منديس فرانس" على الحكومة المصرية في عهد "جمال عبد الناصر" لوقف بث إذاعة "صوت العرب" التي كانت تشوش على مفاوضات الحكم الذاتي في تونس، وقد استجابت له السلطات المصرية وتوقف البث لمدة شهرين حسب خطاب هذا الأخير أمام البرلمان الفرنسي وكان ذلك في فيفري 1955م.

- تحول اهتمام "البصائر" أكثر من تونس إلى تطورات الأوضاع في المغرب الأقصى منذ عزل الاستعمار للملك محمد الخامس واندلاع المقاومة المسلحة.

- باندلاع الثورة الجزائرية أصبحت الجريدة تخصص لها من صفحتين إلى ثلاث صفحات بعنوان يوميات الأزمة الجزائرية.

- شح مصادر المعلومات القادمة من تونس ويمكن تفسيرها بتشديد الخناق من طرف الاستعمار على الحدود الجزائرية التونسية.

أما فيما يخص الصحافة الكولونيالية وخصوصا "لاديباش كوتيدان" فنلاحظ مايلي:

- تخصيص الصفحة الأولى للأحداث التي تهم الرأي العام الكولونيالي والفرنسي لجلب انتباهها ودفعها لتصفح العدد حتى ولو كانت تفاصيل الحدث بعد ذلك بسيطة وعادية.

- التركيز على النشاط الرسمي للحكومة والمسؤولين الفرنسيين، لطمأنة الرأي العام في الجزائر وتونس مع تحميل هذا الأخير مسؤولية جمود الأوضاع .

- إبراز النشاط المكثف للقوات الاستعمارية وقدرتها في السيطرة على الوضع. أي ممارسة الدعاية لها وتشجيعها على ذلك.

- تضخيم خسائر المقاومة التونسية أمام ضربات القوات الفرنسية لتكسير الروح المعنوية للشعب التونسي والحركة الوطنية.

- تعتبر الجرائد الكولونيالية ناطق رسمي للمستوطنين والمدافع عن توجهاتهم والناقد للسلطات الفرنسية، إذا لم تساير توجهات هذه الأخيرة، وقد ساهم ذلك في عدم الاستقرار السياسي وسقوط الحكومات الواحدة تلو الأخرى مما زاد في تأزم الوضع.

- التركيز على شخصية "بورقيبة" وتصريحاته بنوع من الانتقاد حتى يعتقد القارئ بأن هذه الأخيرة تحقد عليه لكنها في الحقيقة تساهم في صنع الهالة والشخصية التي سوف تحكم تونس.

- ممارسة الدعاية الإعلامية من طرف الصحافة الكولونيالية بوضع صور الزعماء المعتدلين حسبها في الصفحة الأولى لجعلها مألوفة لدى الرأي العام مع إمكانية التفاهم معها خصوصا "الحبيب بورقيبة" ثم أثناء المفاوضات "طاهر بن عمار"، في

المقابل لا نجد صور من يوصفون بالمتشددین وحتى الإرهابیین مع السعي لتشويه سمعتهم مثل "فرحات حشاد" و"صالح بن يوسف".

- انتقاد الصحافة لكل فرنسي لا يساير توجهاتها مثل "شارل أندري جوليان" و"فرانسوا مورياك".

- سعي الصحافة الكولونيالية إلى غرس الخوف في نفوس المواطنين وكسر معنوياتهم من خلال التأكيد على استحالة تحقيق مطالبهم المشروعة، مقابل هذا سعت الصحافة الوطنية وفي مقدمتها "البصائر" إلى تكسير حاجز الخوف لدى شعوب المنطقة ورفع معنوياتها وغرس التفاؤل في قلوبها وتشجيعها على الصمود والتضامن والتعاون فيما بينها تحقيقا للاستقلال والتحرر.

- رغم الرقابة الأمنية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر على الصحافة الكولونيالية ووجود تقارير ومتابعة بذلك تخص مؤسسيها ومدراء تحريرها وعناوينها والمساهمين فيها وحتى توجهاتها الإيديولوجية بتصنيفها إلى اليمين أو الوسط أو اليسار أو إلى راديكالية أو معتدلة، فلم تتخذ أي إجراءات ضدها، عكس ما يحصل من تصنيف ومنع الصدور للصحف الوطنية سواء في تونس والمغرب وخصوصا الجزائر.

عموما لعبت الصحافة الجزائرية والكولونيالية دورا هاما في إعلام الرأي العام بمختلف توجهاتهم والتأثير عليه كما كان لها تأثير على السلطات في البلدين خصوصا في فرنسا والذي دفع بها إلى اتخاذ قرارات كانت نتائجها عكسية على ما حاولت تحقيقه.

المصادر والمراجع

المصادر:

المصادر الأرشيفية:

- 1- Archive national d'outre mer, Aix en Provence, France, Aff . Pol, C 2131/3.
Le haut commissaire de la république en Afrique occidentale française à Monsieur le Ministre de la France d'outre mer, articles de la presse arabe antisémite et autre français, la guerre en Palestine, 1948, soutien du Maroc et de la Tunisie.
- 2- A.N.O.M, Aix en Provence, France
A.F.P Spéciale outre mer 14 Janvier 1954, n° 2238.
Le Problème nord africain devant le comité politique de la ligue Arabe.
- 3- A.N.O.M, Aix en Provence, France
Ministère de la France, d'outre mer
Monsieur le Directeur des affaires politique
Note de renseignements
Objet : Projet de mise en place d'une « cinquième colonne » nationalistes des les unités
Nord Africaines de l'armée française
- 4- A.N.O.M, Aix en Provence, France.
AFF. Pol / C 2134/6
Algérie police des renseignements généraux, district d'Alger préfecture 2161, A Monsieur le Directeur général de la sécurité général,
Objet : fiches de renseignements des quotidiens paraissant en Algérie.
- 5- A.N.O.M, Aix en Provence, France
B26 H/19, évolution de la situation politique en Tunisie du 1^{er} Juin 1955 au 15 Août 1956.
Le chargé d'affaires de France, en Tunisie à Monsieur le Secrétaire d'état aux affaires étrangers
Direction général des affaires Marocaines et Tunisienne

المراجع باللغة العربية:

الكتب

- (1) المنصف ابن فرج: لمحة النضال التونسي والاختلال الفرنسي، 1881-1956، مطبعة فنري، تونس، 2009.
- (2) جدي أحمد ، " تاريخ تونس الحديث والمعاصر مدخل بيبليوغرافي " ، مركز النشر الجامعي، مؤسسة سعيدان للنشر، 2004، تونس.
- (3) خالد أحمد ، " الهادي نويرة " مسيرة مثقف مناضل ورجل الدولة " ، " منشورات الزخارف، تونس، 2006.
- (4) النيفر أحميدة: الخطاب الديني في الصحافة التونسية قراءة في مرحلة التأسيس 1881-1911، مركز النشر الجامعي، تونس، 2007.
- (5) بوعوني الأزهر " الأنظمة السياسية والنظام السياسي التونسي " ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2002.
- (6) بن صالح ناصر محمد، " الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1954م " ، دار ألفا، الطبعة الثانية 2006.
- (7) يحيياوي جمال ، " القضية التونسية في الخمسينات في جريدة البصائر الجزائرية " ، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، العدد 13، أعمال الندوة الدولية الثالثة عشرة حول إستقلال تونس ومسيرة التحرر من لاستعمار، جامعة منوبة منشورات المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2010.
- (8) الشاطر خليفة ، " المقاومة والتحرير (1952-1965)، تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية ودور الاستقلال " ، الجزء الثالث، تونس، 2006.

- (9) الشاطر خليفة ، " تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال " ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، ج 3، تونس، 2005.
- (10) إحدادن زهير ، "الصحافة المكتوبة في الجزائر"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012.
- (11) الزواري رضا، الصراع الطبقي في تونس، 1956م-1980م، صفاقس، دار العمادة تونس، 2009.
- (12) الشرايطي عبيد، الجنوب التونسي والاستعمار الفرنسي، مطبعة قطيف، قفصة، تونس، 2009.
- (13) الشرايطي عبيد، الحركة الوطنية التونسية، 1952-1954، مطبعة قطيف، قفصة، تونس، 2009.
- (14) الشرايطي عبيد، ثورة وقيادة حزب: صراع من أجل الاستقلال، مطبعة قطيف قفصة، تونس، 2009.
- (15) الصحراوي الأزهر: الاحتلال الفرنسي لتونس 1881-1956م، مطبعة ميديا كوم، تونس، 2009.
- (16) الصحراوي الأزهر: الفكر الاقتصادي للحركة الوطنية التونسية، 1881-1956، مطبعة ميديا كوم، تونس، 2009.
- (17) ضيف الله محمد: الحركة الوطنية التونسية، 1916-1965، بن عروس، المطبعة الرسمية، تونس، 2009.
- (18) بن حميدة عبد السلام ، " الحركة النقابية (1924-1952)، تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال " ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجزء الثالث، تونس، 2006.

- (19) عزيز عبد الكريم ، " نضال شعب أبي تونس 1881 م -1956م " ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2005.
- (20) عزيز عبد الكريم ، " نضال شعب أبي تونس 1881-1956 " ، مركز النشر الجامعي تونس، 2005.
- (21) الحناشي عبد اللطيف ، " تطور الخطاب السياسي في تونس إزاء القضية الفلسطينية 1920-1955م " ، المطبعة الرسمية، تونس، 2006.
- (22) السوفي عمار ، " عواصف الاستقلال رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي جذوره وتداعياته من تامر إلى الشرايطي " ، تونس، 2006.
- (23) السوفي عمار ، " عواصف الاستقلال رؤية في الخلاف اليوسي البورقيبي جذوره وتداعياته من تامر إلى الشرايطي " ، مطبعة ر.د.م.ك، تونس، 2006.
- (24) سعيدان عمر: فرحات حشاد زعيم الكفاح الوطني والاجتماعي والحركة النقابية الوطنية، منشورات سعيدا، سوسة، تونس، 2010.
- (25) الصغير عميرة عليّة: المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات، انتفاضة المدن، القلاقة، اليوسفية، صفاقس، تونس، 2004.
- (26) الصغير عميرة عليّة ، " المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات إنتفاضة المدن - الفلاقة - اليوسفية " ، صفاقس، 2004.
- (27) المهدي محمد الصالح: فصول في تاريخ الصحافة التونسية، جمع وتقديم وتحقيق، د. أحمد الطويلي، المطبعة الرسمية، تونس، 2009.
- (28) الشريف محمد فريد ، مذكرات دبلوماسي، أربعون سنة في خدمة الدبلوماسية التونسية 1956-1996، المطبعة العصرية، تونس، 2006.

- (29) الشابي محمد لطفي ، " الحركة الوطنية (1934-1954)، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، تونس عبر التاريخ "، الجزء (3)، تونس 2006.
- (30) الشابي محمد لطفي ، " الحزب الحرّ الدستوري التونسي (1920-1934)، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، تونس عبر التاريخ "، الجزء الثالث، تونس، 2006.
- (31) العياشي مختار ، " الزيتونة والزيتونيون في تاريخ تونس المعاصر (1883-1958) "، مركز النشر الجامعي، جامعة الزيتونة، تونس 2003.
- (32) العياشي مختار ، " الزيتونة والزيتونيون في تاريخ تونس المعاصر 1883-1958 "، مركز النشر الجامعي، جامعة الزيتونة، 2003.
- (33) العياشي مختار ، الزيتونة والزيتونيون في تاريخ تونس المعاصر (1883-1958)، مركز النشر الجامعي، جامعة الزيتونة، تونس، 2003.
- (34) المشلوش البشير: معارك وشهداء عبر تاريخ الحركة الوطنية بجهة مدين من الاحتلال 1881 إلى الجلاء الفرنسي 1961م، مطبعة جكتيس، تونس، 2009.
- (35) الشابي منصف ، " صالح بن يوسف، حياة كفاح "، دار نقوش عربية، تونس، 2007م.
- (36) الهاللي عبد الحميد: علاقة الحركة الوطنية بالأرياف 1881-1956م، بن عروس، المطبعة الرسمية، تونس، 2009.
- (37) الغول يحيى: " جذور الحماية الفرنسية على تونس، تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال "، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجزء الثالث، تونس، 2006م.

رسائل جامعية غير منشورة

- 1- الأرقش (عبد الحميد)، " الاتحاد النقابي لعمالة القطر التونسي 1946-1956 "، تونس، س.ك.ب، 1984.
- 2- بلوازع (براهيمية)، " كتابات الجزائريين في الصحافة التونسية 1947-1962 "، تونس، ش.ذ.م، 1999.
- 3- بن يوسف (عادل)، " الطلبة التونسيون بالجامعات الفرنسية 1881-1956 "، تونس، دكتوراه، 2000.
- 4- بويحي (سالم)، " تطوّر الحركة العمالية في تونس 1939-1956 "، القاهرة، جامعة القاهرة، دكتوراه، 1984.
- 5- تركي (عروسيّة)، " المقاومة المسلحة بجهة الأعراض 1952-1954 "، تونس، ش.ك.ب، 1989.
- 6- تركي (عروسيّة)، " الحركة اليوسفية في الجنوب التونسي 1955-1956 "، تونس، ش.ك.ب، 1996.
- 7- جمل (عبد المجيد)، " بريطانيا وتونس بين 1948 - 1956 "، تونس، ش.ك.ب، 1999.
- 8- بن سلامة (بشير)، " النظرية التاريخية في الكفاح التحرري التونسي "، مطبعة بن عبد الله، تونس، 1979.
- 9- رحومة (رشيد)، " تاريخ الحركة الشعبية بتونس 1916-1956 "، تونس، 1984.

10- سعيدان (عمر)، " فرحات حشاد بطل الكفاح القومي، حياته، مذهبه، آثاره "، سوسة، 1969.

11- القصاب (أحمد)، " تاريخ تونس المعاصر 1881-1956 "، تعريف حمادي الساحلي، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1986.

المجلات:

(1) التميمي عبد الجليل، " بعض الوثائق الجديدة من أرشيف الأستاذ أحمد بن صالح "، المجلة التاريخية المغاربية، السنة 42، العدد 160، جويلية 2015، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس.

(2) عادل يوسف، " رصد الاحتجاجات المدنية خلال فترة الكفاح المسلح 1952-1954 وتأثيرها على مسار الحركة الوطنية إلى غاية 1956م "، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 147، السنة 39، نوفمبر 2012، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس.

(3) عبد الجليل التميمي، " الدور الوطني للمنصف باي دفاعه عن وحدة وإستقلال ومصالح الشعب التونسي "، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 147، تونس، نوفمبر 2012م.

(4) عبد الجليل التميمي، " نشاط صالح بن يوسف من أجل القضية التونسية على ضوء رسالة جديدة موجهة إلى أحد الرجال الإيطاليين "، المجلة التاريخية المغاربية، السنة 38، العدد 143-144، أكتوبر 2011.

(5) قريمان محمد، " إنطباعات شاهد عيان على منظومة التعليم الزيتوني بعد الحرب العالمية الثانية "، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 150، سنة 2013، منشورات مؤسسة التميمي، تونس.

(6) عادل يوسف، رصيد الاحتجاجات المدنية خلال فترة الكفاح المسلح 1952 - 1954، وتأثيرها على مسار الحركة الوطنية إلى غاية 1956، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 147، منشورات مؤسسة التميمي، تونس 2012.

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

- 1) LAROUÏ Abdallah, « L' histoire du Maghreb » un essai de synthèse, FM, fondations, paris ,1982.
- 2) TEMEMI Abdeljelil, « Cinq nouveaux document du fondes personnel de Ahmed BEN SALAH , un révue d'histoire maghrébine, n° 159, 42 année, Tunis, 2015.
- 3) HACHICHI Abdelwaheb « Le mouvement national Tunisien entre militantisme et les défis de la L indépendance », in Histoire du mouvement national, N ; 13, Tunis, 2010.
- 4) DELABERGE Albert , « En Tunis, Récit de l'expéditions Français, voyage en Tunis », L harmattan, France, 2005.
- 5) CHADLI Amor, « Bourguiba tel que je l'ai connu, Berg international éditions, France, 2013.
- 6) CHOURAQUI André; « Histoire des juifs en Afrique du nord » Hachette France 1985.
- 7) EL MATERI HACHED Anissa , « Mahmoud EL MATERI, pionnier de la Tunisie Moderne, edition les belles lettres, Tunis, 2011.
- 8) YAZID Béchir: La Politique Coloniale et le domaine de l'état en tunisie, Editions Sahara, Tunis, 2005.
- 9) ANDRE JULIEN Charles, « L' Afrique du Nord en Marche, Algérie, Tunisie, Maroc 1880-1952 » Ommi Bus, France, 202.
- 10) LEVISSE TOUZE Christine « l Afrique du Nord dans la guerre 1939-1945 », Albin Michel, France, 1998.
- 11) REVET Daniel ; « Le Maghreb a L épreuve de la colonisation » Hachette France 2003.
- 12) ABBASSI Dris, Quand la Tunisie invente entre orient et occident des imaginaires Politiques, Ed Autrement, Paris, France, 2009.
- 13) ABBASSI Driss, Entre Bourguiba et Hannibal, Identité tunisienne et histoire depuis l'indépendance, Préface de Robert Ibbert, IREMAM Aix en Provence, Paris, France, 2005.
- 14) GOBE Eric: Les Avocats en Tunisie de la Colonisation à la révolution 1883-2011, IR MC-KARTHALA, Tunis, 2013.

- 15) METERAND François, « La France était a Carthage » in présence Française et abandon Tribune Libre, Plou, Paris, 1957.
- 16) GOUSSAUD-FALGAS Genevieve, français de Tunisie, les dernières années du protectorat, Ed ALAN SUTTON France 2004
- 17) BOULARES Habib, « Histoire de la Tunisie , Les Grandes dates de la préhistoire a la révolution » Cérès éditions Tunis, 2011.
- 18) BOURGUIBA Habib Jn, « Notre Histoire, entretien avec Mohamed KERROU » Cérès éditions, Tunisie, 2013.
- 19) BACCOUCHE Hédi, La nation tunisienne d'hier a Aujourd'hui centre de publication universitaire, Tunis 2007
- 20) BACCOUCHE Hedi, « la Nation Tunisienne d'hier a aujourd'hui » C.P.U, Tunis, 2007.
- 21) TIMOUMI Hedi: La tunisie 1956-1987, Traduit Abderrazak Bannour, éditions Centra, Tunis 2008.
- 22) GASPAR Jacqueline: Wassila Bourguiba, entretiens a Cathage de novembre 1972 a mars 1973, Sunparct, Tunis 2012.
- 23) BELLE Jacques: L'Opération Torch et la Tunisie de Casablanca a tunis et au delà (novembre 1942-Septembre 1943), ed Economica, Paris, France, 2011.
- 24) GANIAGE Jean, et MARLIN Jean, « Histoire contemporaine du Maghreb de 1830 a nos jours » édition Fayard, France, 1994.
- 25) LACOUTURE Jean, « Cinq Hommes et la France» éditions, du seuil, Paris, 1961.
- 26) LACOUTURE Jean, « Pierre Mandes France et Indépendance de la Tunisie » in Tunisie en mutation les cahiers de L orient, Troisième trimestre, N : 43, 1996.
- 27) ALLALI Jean- Pierre, Juifs de Tunisie, Gil Wern Editions, France, 1996.
- 28) PLANCHAIS Jean, « L'empire embase 1946-1962 » éditions Denoël, Paris, France, 1990.
- 29) CHARLES ANDRE Julien, « L' Afrique du nord en Marche Algérie-Tunisie Maroc » édition Nivara, Tunis, 2010.
- 30) BESSIS Juliette , « Maghreb question d'histoire » L harmattan, Paris, 2003.

- 31) BESSIS Juliette, « La Méditerrané Fasciste» Publication l' harmattan, Paris, 1981.
- 32) BESSIS Juliette, « Maghreb la traverse du siècle » L'Harmattan, France, 1997.
- 33) CHENOUI Kamel et GALLO Gilles «La Tunisie en décolonisation 1957-1972 » Edition du lau, Tunisie, 2003.
- 34) CHATER Khalifa, Tahar BEN AMMAR 1889. 1985 edition NIRVANA, Tunis 2010.
- 35) CHATER Khalifa, « Tahar BEN AMMAR 1889- 1985 » édition NIRVANA, Tunis, 2010.
- 36) HALAYEM Mohamed Bachir, M'HENNI Hédi, « La Tunisie, et le Monde une nouvelle Histoire se construit 1954-2006, Orbis éditions, Tunis, 2006.
- 37) CHARFI Mohamed, « Mon Combat pour la lumière », Editons Zellige, Paris, 2009.
- 38) MERIMI Mohamed: Juifs de Djerba et Stratégies Identitaires, éditions Carthacom, Tunis, 1993.
- 39) MZALI Mohamed: Un premier Ministre de Bourguiba Témoigne jean Picollec, Editeur Paris, France, 2004.
- 40) DOT. POUILLARD Nicole: Tunisie : La révolution et ses Passes l'harmattan, France, 2013.
- 41) BORSALI Noura: Bourguiba a l'preuve de la démocratie 1956-1963, Samed, Editions Sfax, Tunisie, 2008.
- 42) BORSALI Noura, « Bourguiba l'épreuve de la démocratie 1956-1963, Sfax, Sauned éditions, 2008.
- 43) BORSALI Noura, « Livre d'entretiens avec Ahmed ben Salah » Tunis, 2008.
- 44) BORSALI Noura, livre d'entretien avec AHMED BENSALAH, Tunis 2008.
- 45) BALTA Paul, Le grand Maghreb des indépendance a l an 2000 »La découverte/Essai, Paris, 1990.
- 46) DE CONSTANT Paul D'Estoumelles, « La conquête de la Tunisie, récit Contemporaine » les éditions Sfar, Paris, 2002.

- 47) SEBAG Paul, « **Histoire des Juifs de la Tunisie des origines a nos jours** » L harmattan, Paris, 1991.
- 48) SEBAG Paul, **De tunis à Paris, Ouvrage Coordonne Par Claude Nataf**, éditions de l'éclat, Paris, France, 2008.
- 49) VERMEREN Pierre, « **la formation des élites marocaines et tunisienne des nationalistes aux islamistes 1920/200** » La découverte, France.
- 50) CASEMAJOR Roger , « **l' Action nationaliste en Tunisie** » Rapport secret des renseignement généraux, Sud édition, Tunis, 2009.
- 51) H. RAINERO Romain, « **Les Italien dans la Tunisie Contemporaine** » Edition PUBLISUD, France, 2002.
- 52) MESTIRI Said, « **Moncef MESTIRI, aux sources du destour**, sud éditions, Tunis, 2011.
- 53) MESTIRI Said, « **Moncef Bey** » Sud Editions, Tunis, 2008.
- 54) FUZI Silvia, **Mémoire Italienne Di Tunisie Memonces Italiennes de tunisie**, Fuizi editor, Tunisie, 2000.
- 55) BEN FERHAT Soufiane: **Rencontres avec des Tunisiens d'exception**, Cérès éditions, Tunis, 2006.
- 56) YAZIDI Béchir, **la politique coloniale et le domaine, de l'état en Tunisie** édition sahar, Tunisie 2005.
- 57) KATAN BENSAMOUN Yvette, « **Le Maghreb de L empire Ottoman a la fin de la colonisation Française** » Editions Belin, Paris, 2007

Revue :

- 1) TEMMEMI Adbeldjalil « **le rôle du premier ministre Hadi Noura dans le mouvement national et dans la construction de l'état après l'indépendance** », in Revue D histoire maghrébine, N :151 année 2013, Tunis.
- 2) ZMERLI Adnan , « **Réflexion sur le projet de constitution du parti tunisien durant 1919** » In Revu D'histoire maghrébine, N :148.
- 3) Archive D'outre mer, Aix en Provence, France, b 26H/19. **Evolution de la situation politique en Tunisie du 1 juin 1955 au 15 Aout 1956, Le charge D'affaires de France en Tunisie, a Monsieur le secrétaires d'état au affaires étrangers.**

- 4) RUSCION Alain: **La presse française et la décolonisation de la Tunisie dans les années 1950**, publication de l'institut supérieur d'histoire du mouvement national, série, histoire du mouvement national n° 13, Tunis, 2016.
- 5) ARNOVLET François, « **Extrait de la correspondance de Paul Cambon, Résident , général a Tunis avec Jules Jusseraud** », Revue d'histoire maghrébine, n° 156, juin 2014, publication de la fondation, Témini, Tunis.

بحوث جامعية:

- 1) SOUMAI (Mohsen), **le rôle de la colonie française dans l'évolution politique de la question tunisienne (1936-1954)**. Thèse Grenoble France 1994.
- 2) SOUTEY RAND (Francine), **le protectorat français en Tunisie (1881-1956)** paris thèse de droits, 1960.
- 3) LORA (Davit), **L'attitude des italiens de Tunisie Vis-à-vis de mouvement national tunisien entre 1954 et 1956**, Tunis, 1996.
- 4) KACEM (Noomane), **L'internationale communiste, le PCF et la question tunisienne jusqu'à l'indépendance**, paris VII MM. 1971.
- 5) FENNICHE (A), **Farhat Hached et le syndicalisme tunisien** Aix Marseille, thèse 1972.
- 6) CHABBI (Moncef), **Contribution a l'étude du mouvement national tunisien (1950-1955): la crise de l'autonomie interne**, paris VII, M.M.1979.
- 7) BENAMEUR (Ali), **L'U.G.T.T. et la lutte de libération nationale (1946-1956)**, paris VIIM.M. 1976.
- 8) BEN HMIDA (Abdessalem), Capitalisme et syndicalisme en Tunisie 1924-1956 Nice, France thèse d'Etat, 2000.
- 9) BAKALTI (Souad), la femme tunisienne au temps : de la colonisation (1881-1956) Paris, harmattan 1996
- 10) BEN HAMIDA (Abdessalem), **le syndicalisme tunisien de la 2eme guerre mondiale a l'autonomie interne**, Tunis P.V.T. 1989
- 11) BEN HAMIDA (Abdessalem), **Capitalisme et syndicalisme en Tunisie (1924-1956)**, Tunis P.V.T 2003.
- 12) BOUDALI (Nouri), **protectorat et indépendance**, Tunis , Imp, EF Asma, 1992
- 13) CHAIBI (Mohamed lotfi), **socialistes français et nationalistes tunisiens : histoire d'une rencontre (1945-1956)** Tunis, Imp ORPIS, 1997

- 14) EL MACHAT, (Samia), **la Tunisie , les chemins vers l'indépendance (1945-1956,** paris L'harmattan, 1992.
- 15) EL MACHAT, (Soumia), **les états unis et la Tunisie de l'ambigüité a l'entent 1945-1959** paris , L'harmattan, 1997
- 16) HAMZA (HASSINE Raouf), **Communisme et nationalisme en Tunisie de « la libération a l'indépendance (1943-1956),** Tunis, université de Tunis, 1994
- 17) Samya EL MECHAT, **les relations franco-tunisiennes histoire d'une souveraineté arrache (1955-1964)** L'harmattan France (2005)

الجرائد:

البصائر:

- 1- "البصائر" السنة الرابعة، من العدد 136 ليوم الاثنين 29 ربيع الأول عام 1370هـ، 8 جانفي 1951م إلى العدد 177 ليوم الاثنين 18 ربيع الأول عام 1371هـ، 17 ديسمبر 1951م.
- 2- "البصائر" السنة الخامسة من العدد 181 ليوم الاثنين 23 ربيع الثاني 1371هـ، 21 جانفي 1952 إلى العدد 211 ليوم الاثنين 12 ربيع الأول 1372هـ الموافق 29 ديسمبر 1952م.
- 3- "البصائر" السنة الخامسة العدد 212 ليوم الاثنين 23 ربيع الثاني 1372هـ الموافق 9 جانفي 1953 إلى العدد 249 الجمعة 4 ديسمبر 1953م.
- 4- "البصائر" السنة السادسة العدد 252 ليوم الجمعة 1 جانفي 1954م إلى العدد 298 ليوم الجمعة 24 ديسمبر 1954م.
- 5- "البصائر" السنة السابعة، العدد 301 ليوم الجمعة 14 جانفي 1955م إلى العدد 347 الجمعة 30 ديسمبر 1955م.
- 6- "البصائر" السنة الثانية العدد 348 الجمعة 6 جانفي 1956م إلى العدد 361 الموافق 6 أفريل 1956م.
- 7- "الصباح الأسبوعي"، الاثنين 4 جانفي 2016، العدد 1580.

بالفرنسية:

- 1- Alger Républicaine du mardi 4 janvier 1955, n° 3560 au vendredi 18 février n° 3599.

الجرائد الكولونiale:

- 1- La dépêche quotidienne d'Algérie, mercredi 2 janvier 1952 n° 752, au mercredi 28 mai 1952, n° 899.
- 2- La dépêche quotidienne d'Algérie, mardi 6 janvier 1953, n° 1122, au vendredi 2 juillet 1953, n° 1653.
- 3- La dépêche quotidienne d'Algérie, samedi 3 juillet 1954 n° 1654 au dimanche, lundi 19/20 décembre 1954, n° 1823-1824.
- 4- La dépêche quotidienne d'Algérie, mardi 1 mars 1955 n° 1895, au samedi 17 septembre 1955, n° 2095.
- 5- Le journal d'Alger, samedi 1 octobre 1955, n° 1923 au mercredi 21 décembre 1955, n° 1992.
- 6- Dernière Heure, mercredi 11 janvier 1956, n° 2832 au vendredi 23 mars 1956, n° 2894.

الملاحق

ملحق الوثائق

R/C.
GOUVERNEMENT GÉNÉRAL

DAKAR, LE 30 JUL 1948

DE
L'AFRIQUE OCCIDENTALE
FRANÇAISE

DIRECTION DE LA SURETE
GENERALE.

LETTRE-AVION

MINISTRE DE LA FRANCE D'OUTRE-MER
3 AOUT 1948
DIRECTION DES AFFAIRES POLITIQUES

N° 666 DS/

SECRET

LE HAUT-COMMISSAIRE DE LA REPUBLIQUE

Le Gouverneur Général

en

de l'Afrique Occidentale Française

OBJET:

MINISTRE DE LA FRANCE D'OUTRE-MER
3 AOUT 1948
DIRECTION DES AFFAIRES POLITIQUES
N° 7690

Monsieur le MINISTRE de la FRANCE
d'OUTRE - MER

27, rue Oudinot, 27

- P A R I S - (7°)

3 AOUT 1948

J'ai l'honneur de vous adresser photographies et traduction de documents émanant du "Bureau Arabe de l'Afrique du Nord" envoyés du Caire à M. Joseph KAHWAGI, 533 Orleans Street à DETROIT 7, Michigan, avec demande d'insertion dans le journal "ASSABAH".

M. J. KAHWAGI, disant avoir refusé d'insérer, a transmis les documents à un de ses amis libanais habitant DAKAR, lui conseillant d'informer les autorités françaises, et le destinataire les a remis à la Sûreté Générale.

Le ton général de ces documents est qu'après l'extermination des Juifs, soutenus par les Français et même les Américains, le monde arabe chassera les Français de l'Afrique du Nord.

*M. KAHWAGI
lettre aux aff. it. ar. (on a pu le voir)
en transmettant copies de
traductions joints.
6.8.48*

Pour le Haut-Commissaire absent,
L'Inspecteur Général des Colonies,
Secrétaire Général de l' A. O. F.
Chargé de l'expédition des Affaires Courantes.

Abbas

978

CONFIDENTIEL

1948

DOCUMENTS SOUMIS À LA SIGNATURE
DU MINISTRE.

OBJET: Articles presse Arabe anti-sémites et anti-Français
Nature: Lettre au ministre des Affaires Étrangères.

Pièces jointes : 2 ..

Signature : 1 ..

6-67

12 AOUT 1948

9/6/1948

NOUVELLES DE L'AFRIQUE DU NORD

ANGER le 9

DE NOTRE CORRESPONDANT DE L'AFRIQUE DU NORD

L'appel qu'avait adressé Sa Majesté le Sultan du Maroc aux israélites de son territoire, n'a pas donné l'effet prévu, en raison de l'aide et du soutien que le gouvernement français manifeste envers les juifs. Ce problème est devenu le plus redoutable entre Français et Marocains en raison duquel aucune entente n'est espérée entre eux, dans aucun domaine.

Malgré l'encouragement de l'autorité française pour une aide des juifs du Maroc aux leurs en Palestine, nous constatons que les dirigeants marocains, sur l'ordre de Sa Majesté le Sultan, poursuivent les quêtes, confisquent l'argent et arrêtent les agents.

Le trafic d'hommes et d'armes juifs, entre le Maroc et EL-GEZIRA à destination de Palestine, avec le consentement français est cependant très actif, même en plein jour. Pour désorganiser toute infiltration des volontaires et des armes juifs pour le massacre des arabes de Palestine, les patriotes arabes du Maroc n'ont pas réussi par des moyens pacifiques à mettre fin à cette ruée de désastre et c'est la raison des manifestations générales et des soulèvements dans tous les milieux arabes.

Un groupe de jeunes patriotes arabes a attaqué, dans la ville de WAJDAH un convoi de juifs se dirigeant vers EL-GEZIRA. Les juifs furent tous tués et la manifestation s'est étendue dans la mine de JERADAH (une grande mine de charbon d'Afrique du Nord). Les ouvriers de cette mine se sont mis en grève et attaquèrent un quartier juif où un combat entre juifs et arabes a duré plus de 6 heures. Il y a eu des centaines de tués et blessés parmi les juifs. Les pertes marocaines étaient très minimes et celles-ci ne sont dues qu'à l'intervention des troupes françaises qui furent jetées au combat pour la protection des juifs.

Les Marocains ne cessent d'accroître leur vif effort pour paralyser toute activité de la part des juifs et sont toujours prêts à s'affronter avec eux, en cas de besoin, malgré l'aide efficace des Français. Les Américains eux aussi, de retour au port de KNEITERA, après l'avoir déjà évacué, donnent leur appui aux juifs.

Les milieux officiels du Maroc considèrent que la question des juifs est la seule question qui domine la politique actuelle du pays.

Le nombre des juifs au Maroc s'élève à 200.000.

.....

ABOU-RAKIBA, prince de TUNIS, visite le camp d'entraînement
des volontaires Marocains

Hier après midi le prince de TUNIS, ABOU-RAKIBA, secrétaire du parti républicain indépendant s'est rendu au camp des volontaires marocains, pour la défense de Palestine, accompagné de Monsieur RACHID ADRIS, membre du bureau arabe de l'Afrique du Nord au CAIRE, et délégué du Comité tunisien pour la défense des arabes de Palestine. Ils furent reçus par M. HOSNI AHMED MOUSTAPHA, commandant du camp et vaillant soldat, qui a participé au combat de DEIR SANIDE. Celui-ci souhaita la bienvenue au Prince et à sa suite et se dit très satisfait du moral des volontaires tunisiens. A son tour, le Prince ABOU-RAKIBA confirma la reconnaissance de l'Afrique du NORD envers l'EGYPTE sa **confiance** en son armée et Sa Majesté le roi FAROUK, suprême chef du **peuple** arabe.

Ensuite le Prince et sa suite visitèrent les divers camps des volontaires Lybiens, El-Gezirians et Marocains et le Prince fit un éloquent appel, traçant la ligne de l'évolution du **peuple** arabe, défenseur de Palestine et libérateur du monde arabe entier de la domination juive et de la colonisation étrangère, disant notamment :

"Nous participons actuellement au combat de l'Orient arabe, soyez persuadés que celui-ci sera certainement à vos côtés pour la libération de l'Afrique du Nord de la domination française. Cette Afrique est l'aile gauche du monde arabe".

Ses paroles ont été saluées de cris enthousiastes des volontaires: "Vive le monde arabe, vive le Roi FAROUK, vive le Bey de Tunisie MOUHAMED EL-MONSEF, et vive l'Emir ABDEL-KRIME !

Le Prince et sa suite ont quitté les camps, après y avoir passé deux heures environ, avec ~~leurs~~ honneurs et diverses manifestations d'enchantement de tous.

Le but de tous les arabes, dans leurs pays respectifs, est le même et tout effort gagné dans n'importe quel pays arabe est un progrès et une prospérité pour le monde arabe entier.

— : — : — : — : — : — : — : — : —

*M. Brigue
Youssef
à cl. par M. Tounah*

LE PROBLEME NORD-AFRICAIN DEVANT LE COMITE POLITIQUE DE LA LIGUE ARABE

(d)

Le Caire, 13 janvier. AFP

Les leaders nationalistes des pays d'Afrique du nord, MM Allal el Fassi pour le Maroc, Salah Ben Youssef pour la Tunisie et Ghazli el Mekki pour l'Algérie, ont demandé à être entendus par le Comité politique de la Ligue Arabe, afin d'exposer la situation actuelle du Maghreb au cours de la réunion de la Commission nord-africaine.

Les leaders nationalistes ont présenté au Comité politique des notes concernant leurs pays respectifs, annoncent les journaux égyptiens.

Le journal "AL AHRAM" résume ainsi la note présentée par l'ancien ministre tunisien, L. SALAH BEN YOUSSEF :

La section tunisienne du bureau du Maghreb demande au Comité politique de la Ligue Arabe : 1°) - d'organiser une conférence générale des états arabes et asiatiques ; 2°) - de considérer toutes les causes arabes comme un tout indivisible et de les présenter comme telles en bloc aux puissances occidentales, de manière à mettre sur le même plan que les autres causes arabes les causes tunisienne, algérienne et marocaine.

Le journal "AL AHRAM" ajoute que le Conseil de la Ligue examinera la question de l'affectation d'un budget spécial pour le Comité de Libération du Maghreb arabe et a déjà prévu dans le nouveau budget de la Ligue un montant de 15.000 livres pour les affaires d'Afrique du nord.

AFP/am - HL 12 h.50

-:-:-:-

DEFIENI

PARIS, 13 Janvier - On dément officiellement que la France ait décidé de prendre des mesures de rétorsion économiques contre l'Egypte portant, notamment, sur les importations de coton, en réponse aux campagnes anti-françaises de la presse égyptienne au sujet de l'Afrique du Nord.

Le gouvernement français s'est borné, dit-on, à formuler des protestations à l'Egypte, tant par l'intermédiaire de l'ambassadeur de ce pays à Paris, que par celui de l'ambassadeur de France au Caire. A.E.P.

A. F. P.

— : — : — : — : — : — : — : — : — : — : —

A. F. P.

voir lignes arabes
page suivante

الوثيقة (3)

26/4/25

Gouvernement Général de l'Algérie
ARRIVÉE
15 OCT. 1956
S. L. N. A.

755

AMBASSADE EXTRAORDINAIRE
MISSION EXCEPTIONNELLE
DE FRANCE EN TUNISIE

CABINET DU SECRÉTAIRE GÉNÉRAL
14 OCT 1956
ARRIVÉE

le 29 Septembre 1956

N° 1298 C/SDS

D6/AP
(Lancé)

LE CHARGE D'AFFAIRES DE FRANCE a.i.
EN TUNISIE

à MONSIEUR LE SECRÉTAIRE D'ÉTAT AUX
AFFAIRES ÉTRANGÈRES
Direction Générale des Affaires Marocaines
et Tunisienne

P A R I S

a/s : Evolution de la
situation Politique en
Tunisie du 1er Juin 1955
au 15 Août 1956.

GOVERNEMENT GÉNÉRAL ALGERIE
CABINET
10 OCT 1956
ARRIVÉE NP 22434

Le retour de BOURGUIBA le 1er Juin 1955
à Tunis, accueilli par une foule délirante mais dis-
ciplinée dans son allégresse de plusieurs centaines
de mille de Tunisiens, la signature des Conventions
franco-tunisiennes le 3 Juin, consacrent l'autonomie
interne de la Tunisie marquent un tournant décisif
dans l'histoire de la Tunisie.

Est définitivement rejetée la notion de
co-souveraineté et de communauté franco-tunisienne
qui laissait l'espoir à la colonie Française de par-
ticiper au moins à égalité à la vie politique du
pays. Le Gouvernement Français, après bien des hés-
itations et trois années de troubles et d'agitation,
a accepté de négocier avec les chefs du Néo-Destour,
a reconnu l'Etat Tunisien comme Etat Souverain, la
Tunisie acceptant encore des restrictions à l'exer-
cice des attributs externes, de cette souveraineté,
et admettant la nécessité d'une coopération étroite
entre les deux pays : c'est l'idée d'interdépen-
dance.

.../...

Gouvernement Général de l'Algérie
COURRIER: ARRIVÉE
2 OCT. 1956
DIRECTION GÉNÉRALE des AFFAIRES POLITIQUES et de la FONCTION PUBLIQUE

A l'intérieur, les réformes se succèdent, bouleversant les traditions séculaires : réforme de la justice qui "laisse" le Charaâ, réforme du statut personnel abolissant la polygamie et relevant la condition de la femme.

La situation économique reste la partie faible de l'activité gouvernementale. Une récolte médiocre a succédé à une mauvaise, le Commerce et les entreprises industrielles sont plongés dans le marasme; les capitaux essentiellement français continuent à fuir. Touchés par la crise économique ou lésés par des mesures discriminatoires, beaucoup de nos compatriotes songent à partir, déjà un certain nombre d'entre eux ont quitté définitivement le pays. Les fonctionnaires Tunisiens sont mécontents des fortes diminutions de traitement dont ils sont victimes. L'U.G.T.T. critique ouvertement le Gouvernement. Bourgeois et notables du Bled le boudent. Maladresses, arbitraire, et bien souvent l'incompétence des nouvelles autorités locales indisposent. L'opinion publique est passée au désenchantement au mécontentement ; ce n'est pas encore l'heure de l'opposition, cohérente et organisée.

M. BOURGUIBA, à mesure qu'il met solidement en place les instruments destinés à asseoir l'autorité de son Gouvernement et du parti, voit sa popularité décliner. Ses déplacements dans l'intérieur du pays ne suscitent plus les grands rassemblements populaires et enthousiastes du passé. A Bizerte, il s'embarque pour la Galite au milieu d'une indifférence générale.

L'Affaire de Suez éclate. Le Premier Ministre hésite longtemps avant de prendre parti, avec modération, pour l'Egypte, au cours d'une allocution où il expose pour la première fois sa doctrine économique. Il se prononce pour le capitalisme libéral, la restauration de la confiance, l'apport des capitaux étrangers. Entre l'Orient et l'Occident, M. BOURGUIBA poursuit sa route difficile.

Robert F. H. H.

(4) الوثيقة

Section
de Coordination
(Nom du Service.)

Métro : Duroc et St-François-Xavier

Adr. Télégr. : Franceoutremer-Paris

Tél. { SÉgur 25.00 } Poste n°
{ SUFFren 16.70 }

MINISTÈRE DE LA FRANCE D'OUTRE-MER

27, RUE OUDINOT, PARIS (7°)

Pièce n°....., ...^e étage.

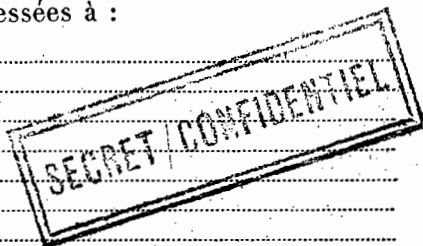
N° 88 -SC/FOM.

BORDEREAU

DES PIÈCES adressées à :

Votre référence

Notre référence



Monsieur le Directeur des
Affaires Politiques

2

22 JANV 1955

PARIS, le 195.....

NUMÉROS
DES PIÈCES.

SOMMAIRE.

NOMBRE
DE PIÈCES.

OBSERVATIONS.

- Note de Renseignements relative au projet de mise en place d'une "Cinquième Colonne" nationaliste dans les Unités Nord-Africaines de l'Armée Française.....

1

Pour information



Le Chef de la Section de Coordination,

Lt-Colonel TRANCART.



France d'Outremer. — N° 1143 bis. — BORDEREAU divers services. — 1954. (25-646-J. A. 430095.)

Le 21 Janvier 1955.

NOTE de RENSEIGNEMENTS

- ! - ! - ! - ! - ! - ! - ! - ! - ! -

Source : S.S.D.N.F.A.

Date : 10 Janvier 1955.

Objet : Projet de mise en place d'une "Cinquième Colonne" nationaliste dans les Unités Nord-Africaines de l'Armée Française.

De GENEVE, au début du mois de Décembre, Salah ben YOUSSEF a informé certains membres du Née-Destour que les leaders nationalistes algériens de toutes tendances, modérés ou extrémistes, étaient maintenant persuadés que "rien ne pourrait se faire en Algérie sans l'appui des militaires algériens servant dans l'Armée Française".

Selon Salah ben YOUSSEF, les nationalistes algériens auraient décidé de faire porter leur effort principal sur la mise en place, dans les unités algériennes de l'Armée Française stationnées en Algérie, d'une "cinquième colonne algérienne" qui aurait pour mission, le jour où un soulèvement serait décidé, de neutraliser les militaires et les cadres français et de s'approprier l'armement des unités en question. Les nationalistes algériens attendraient beaucoup de cette tactique et demanderaient aux jeunes de faire leur service militaire avec conscience, jusqu'au moment où leur intervention serait requise.

Salah ben YOUSSEF a précisé que l'organisation de cette cinquième colonne progresserait à grands pas et qu'il envisageait d'appliquer la même méthode en Tunisie dans les unités indigènes de l'Armée Française.

- ! - ! - ! - ! - ! - ! -

14 Avril

51.

ALGERIE

Alger, le 194

**POLICE DES RENSEIGNEMENTS
GÉNÉRAUX**

DISTRICT D'ALGER
(Préfecture)

2161.-

N° de la Sécurité Générale

Le Commissaire divisionnaire de
la Police des Renseignements Généraux,
Chef du District d'Alger,
Le Directeur Général

à Monsieur

**A.S. des quotidiens paraissant en
Algérie.**

Objet :

Référence :

P. J. :

Note n° 30.632.Pol.RG.P., du 30 Mars
1951.

Comme suite à votre note citée en
référence, j'ai l'honneur de vous transmettre
ci-joint, les notices réglementaires relatives
aux quotidiens et écrits périodiques de carac-
tère politique paraissant dans mon District.

Le Commissaire Divisionnaire de la P.R.G.
Chef du District d'Alger -

AMPLIATIONS :

signé: COSTES.

- M. le Préfet-(Cabinet)-
- M. le Préfet-(Police Générale)-

Préfecture

PRESSE POLITIQUE

Quotidiens - Titre : Nuance : Directeur : Adresse

QUOTIDIEN:

ALGER REPUBLICAIN	: Communiste	: MICHEL	: 9 Bd Laferrière
DEPECHE QUOTIDIENNE	: Radicale	: R. PERRIER	: 15, rue Charras
ECHO D'ALGER	: Modéré	: De SERIGNY	: 20, rue de la Liberté
JOURNAL D'ALGER	: Modéré	: VIARD-CARDONA	: 63, r. D'Isly

QUOTIDIEN DU SOIR

DERNIERE HEURE	: Modéré	: PH. ROLLAND	: 9 bd Carnot

SEPTIMAIRES

L'AFRICAIN	: P.R.L.	: HENRIETTE VALLIN	: 12, r. DURMONT D'UNE VILLE
DIMANCHE-MATIN	: Modéré	: CHATELUS	: 55, rue d'Isly
LA FRONDE	: Modéré	: KLEPPING	: 26, bd Victor Hugo
LIBERTE	: Communiste	: FAYET	: 2, r. des Tanneurs
LE REGIONAL	: Modéré	: MICHEL	: BLIDA
LA REPUBLIQUE ALGERIENNE	: Fédéraliste	: FERHAT ABBAS	: Place Lavignerie
LE TEL	: Modéré	: BULLINGER	: BLIDA

PRESSE DE LANGUE ARABE

ADDAI	: DJABER ABOU	: 14, r. de Solférino
ASSA MOUSSA	: BEKER	
EL BASSAIR	: ENBAREK Ben	: 11, r. Bleue
EL DJEZAIR EL DJEDIDA	: ABDELKADER	
SAOUT EL MESDIA	: TALEB BACHIR	: 12, r. Pomptée
	: MAHMOUDI	: 2, r. des Tanneurs
	: CHEINH et ASSIMI	: Grande Mosquée

N O T I C E

Titre du Journal : "LA DEPECHE QUOTIDIENNE D'ALGERIE".
Nuance politique : Radical Socialiste.
Tirage approximatif : 36.000 environ.
Nom du propriétaire : Société Anonyme.
Gérant-Directeur : Raoul PERRIER
Bureau de la Rédaction : 15 bis, Rue Charras- Alger -
Conseil d'Administration: M.M. Henri BORGEAUD, Sénateur
Auguste RENOUVEL, Député.
Fernand CHEVALIER, Député.
ROBE et PERRIER.
Fréquence de la parution: Quotidien.
Nom de l'Imprimeur : M. FONTANA
Public auquel il s'adresse
plus particulièrement : Milieux radicaux et modérés.

Alger, le 14 Avril 1951.

NOTICE

Titre du Journal : "LE JOURNAL D'ALGER".

Nuance politique : Modéré de droite.

Tirage approximatif : 19.000 environ

Nom du propriétaire : Société à responsabilité limitée.

Gérant-Directeur : VIARD Paul, Député.

Bureau de la rédaction : 1, Boulevard Laferrière.

Conseil d'Administration : M.M. VIARD Paul, Député.
CARDONA, Délégué à l'Assemblée Algérienne.
BLACHETTE.

Fréquence de la parution : Quotidien

Nom de l'Imprimeur : S.N.E.P., Avenue Pasteur - Alger.

Public auquel il s'adresse plus particulièrement : Milieux modérés.

Alger, le 14 Avril 1951.

N O T I C E

Titre du Journal	:	"DERNIERE HEURE".
Nuance politique	:	Modérée.
Tirage approximatif	:	20.000 environ
Nom du propriétaire	:	Société à responsabilité limitée.
Gérant-Directeur	:	Philippe ROLAND
Bureau de la Rédaction	:	Rue de la Liberté - Alger.
Bureau de la rédaction	:	Rue de la Liberté - Alger -
Conseil d'Administration	:	M.M. BLACHETTE - Raoul ZEVACO DE SERIGNY - DURoux.
Fréquence de la parution	:	Quotidien.
Nom de l'Imprimeur	:	Imprimerie Générale de l'"ECHO D'ALGER".
Public auquel il s'adresse plus particulièrement	:	Milieux modérés.

Alger, le 14 Avril 1951.

NOTICE

Titre du Journal : **"L'ECHO D'ALGER"**.

Nuance politique : **Modéré**

Tirage approximatif : **65.000**

Nom du propriétaire : **Société Anonyme à Responsabilité limitée.**

Directeur : **M. Alain DE SERIGNY, Délégué à l'Assemblée Algérienne.**

Gérant : **M. DUTHIEUX.**

Bureaux de la Rédaction: **20, Rue de la Liberté.**

Conseil d'Administration: **M.M. DUROUX, Radical Socialiste.
DE SERIGNY, ZEVACO, Délégués à l'Assemblée Algérienne,
FERRACCI Jacques.**

Fréquence de la parution: **Quotidien.**

Nom de l'Imprimeur : **Imprimerie Générale de l'"ECHO D'ALGER".**

Public auquel il s'adresse plus particulièrement : **Milieux modérés.**

Alger, le 14 Avril 1951.

N O T I C E

Titre du journal : ALGER REPUBLICAIN
Nuance politique : Communiste
Tirage approximatif : 25.000 environ
Nom du propriétaire : Société Coopérative d'Alger Républicain
Gérants directeurs : MARIA Michel et Henri ALLEG (Communistes)
Bureau de la Rédaction : Boulevard Laferrière
Conseil d'Administration : MAILLET Jean, ABEL MAYLIE, WALLOERT,
MANDOUZE
Fréquence de la parution : Quotidien
Nom de l'imprimerie : S.N.E.P., Avenue Pasteur - ALGER
Publie auquel il s'adresse plus particulièrement : Milieux d'extrême gauche.

ALGER, le 14 Avril 1951

LA DEPECHE QUOTIDIENNE
D'ALGERIE
15bis, rue Charras,
ALGER

ALGER, le 3 Décembre 1951

Monsieur ROUX
Préfet d'Alger
ALGER

Monsieur le Préfet,

J'ai l'honneur de porter à votre connaissance la création du Syndicat des Quotidiens d'Algérie.

Ce syndicat qui a pour but d'étudier, de coordonner, de promouvoir toutes questions professionnelles groupe les quotidiens suivants :

Echo d'Oran
Echo du Soir
Oran Républicain

Echo d'Alger
Dépêche Quotidienne
Alger Républicain
Journal d'Alger
Dernière Heure

Dépêche de l'Est
Dépêche de Constantine

A l'issue de l'assemblée constitutive qui s'est tenue le 23 Novembre 1951, le bureau suivant a été élu à l'unanimité :

Président	: M. Raoul PERRIER	(Dépêche Quotidienne)
Vices-Présidents	: M. Jean MAILLET	(Alger-Républicain)
	M. Louis DEVILLE	(Oran-Républicain)
Trésorier	: M. RENARD	(Dépêche de Constantine)

Veuillez agréer, etc....

Le Président du
Syndicat des Quotidiens d'Algérie,
signé : Raoul PERRIER.

OL/FG
PREFECTURE D'ALGER

CABINET

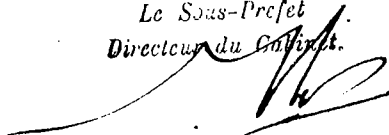
N° 18879 Cab.

SERVICE des ARCHIVES
No. 272
Arrivée le 17 DEC 1951

Copie conforme transmise pour information et toutes fins utiles à Monsieur l'ARCHIVISTE DEPARTEMENTAL

ALGER, le 15 DECE 1951

F^r LE PRÉFET :
Le Sous-Préfet
Directeur du Cabinet.



ملحق الصور

المدير وصاحب الامتياز المسؤول :

البصائر

عنوان الجريدة :

• البصائر • نهج بومبي رقم ١٢ بالجزائر

رقم الهاتف : ٢٧٨ - ١٧

الحساب الجاري : ٧٣ - ٥٣٩

"EL-BASSAIR"
Journal hebdomadaire
Organe de l'Association des Oulamas d'Algérie
12, Rue Pompée - ALGER
Téléph. : 278-17
C.O.P. 539-73 B.O. Alger 7184

البصائر

سبتمبر

جمعية علماء المسلمين الجزائريين

شعارها : العروة والاسلام

تنفيذا لقرار الجبهة الجزائرية للدفاع
عن الحرية ، تصدر • البصائر • مع
بقية الصحف التقدمية بتاريخ الجمعة
١ فيفري ، مشاركة في يوم التضامن
مع الشعب التونسي المجاهد .

الموافق ليوم ١ فيفري سنة ١٩٥٢ م

تصدر يوم الاثنين من كل اسبوع

يوم الجمعة ٥ جمادى الأولى عام ١٣٧١ هـ

ثم شرح حضرته شرحا مفصلا مكيدة
الاستعمار في تونس ، ورغبة « الوصي » في
الاستيلاء على نصف مال « الموصى عليه »
حين بلغ رشده ، مما يدعى في كل قوانين
الدنيا لصويرة واختلاسا ، يعاقب عليها
القانون عقابا صارما ، وهكذا سيعاقب
الاستعمار ، وسيخسر كل شيء ، حين اراد
ان يستحوذ على كل شيء ..

ثم خطب حضرة الشيخ مصباح الحويذيق ،
مثلا لجبهة العلماء المسلمين ، فتكلم عن وحدة
الشمور الاسلامي الذي يجعل من كل
المسلمين جسداً واحداً ، ان اشتكى منه
عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .
وذكر بفضل تونس في ميادين العلم
والثقافة ، وفضل الزيتونة المجيدة على هذه
الاقطار ، واسبقية تونس في الكفاح الاسلامي
والحريري . ونادى بوجوب العمل المشترك
وتوحيد النضال الى جانب الشقيقة العزيزة .
وحذر الظالمين المستعمرين من سوء مغبة
الجرائم التي يقرّفونها بالبلاد التونسية . فهي
جرائم قد آلت كل القلوب الاسلامية
والجزائرية ، وان استمرادها يوشك ان
يفجر على المستعمرين حملة لا قبل لهم بها .
واعطيت الكلمة اخيراً لحضرة المكافح
السيد العربي البوهالي ، ممثل الحزب الشيوعي
الجزائري ، فتناول القضية التونسية من
ناحيها الامة ، وقال ان العالم قد انقسم
اليوم الى معسكرين ، احدهما استعماري ،
ومؤازر للاستعمار ؛ والاخر تحريري ،
ومناصر لكل حركات التحرير . فلاستعمار
نجد في تونس باساليه وآتانه ، كما نجد
في الهند الصيني ، وكما نجد في كوريا ، وكما
نجد في كل بلاد لا تزال تعاني آتانه ،
كما نجد في مصر وغيرها . والراسمالية كلها
تؤيده وتؤازره ، لانها كلها تستثمر البلاد
المستعمرة . اما حركة الكفاح التحريري ،
فهو تفرع العالم اليوم ؛ ومنطلها الذي رفع
لواءه في بلاد الصين : ماو تسي تونغ ، قد
بدد سحب الاستعمار في الصين وريوع
آسيا ، وذلك نود سوف يفرع العالم اجمع .

(البقية على الصفحة ٥)

اليوم الجزائري العظيم لاعلان التضامن والوئام مع الشقيقة العزيزة ، تونس المجاهدة

وحكومتها ، وقادتها الأبرار ، مناديا بالحرية ،
صارخا بسقوط الاستعمار .
ثم اعطى الرئيس الكلمة لممثل حركة
الانتصار للحرية الديمقراطية ، حضرة
المكافح الأستاذ مصطفى فروخي . فلقى
خطابه المسهب في بيان موقف الحركة الوطنية
الجزائرية ، من الحركة الوطنية التونسية ،
ومن الحركة الوطنية في المغرب الأقصى .
مؤكداً ان كفاح تونس انما هو كفاح الجزائر .
وان الجزائري الذي ينصر قضية تونس ،
انما هو ينصر نفس قضيتة ؛ فالفقصة
الاستقلالية التحريرية التي شملت سائر
جهات المغرب العربي ، ستنتهي حتما بالنصر
والفوز المين ، لأن عناصر النصر موجودة
فيها ، الا وهي التضحية ، والاتحاد ، والبيان .
ولقد فوطع هذا الخطاب ، كما قوطع الذي
قبله ، والذي بعده ، بالهتافات العالية لتونس ،
وللاتحاد ، وللانستقلال .

ثم اعطيت الكلمة لممثل حزب الاتحاد
الديموقراطي للبيان الجزائري ، حضرة
الأستاذ قدور ساعلو ؛ فخطب باللغة
الفرنسية ، لكيلا يقع التباس في ذهن ممثلي
السلطة المبتئين بين الحضور ، ولا في ذهن
رجال الجاليات الأجنبية ؛ ولكي يفهموا
حقيقة موقفنا ، ويعلموا ما في قرارة انفسنا ،
فحين يؤيد تونس في كفاحها الجريئ الشريف
تأييداً لا يتقيد بقيد ؛ ونحن نعلم ان كفاح
تونس هو كفاحنا ، وان قضيتنا هي قضيتنا ؛
واننا نقف من القضية التونسية ، نفس
موقفنا من القضية الجزائرية . واذا كان
الاستعمار الذي صب علينا سوط عذابه
واحداً ، فان كفاحنا ضد ذلك الاستعمار ،
انما هو كفاح واحد .

السابعة ، حتى كانت القاعة قد غصت برجال
الامة الأبرار ، وغصت كذلك جنباتها
ورحايها واروقتها ؛ والطرق العامة حوالها .
فكان مظهرأ من مظاهر التضامن الممل ،
يسر الصديق ، ويكمد قلب العدو .
كان ذلك الاجتماع تحت رئاسة اخينا
الأستاذ أحمد توفيق المدني ، الكاتب العام
لجمعية العلماء المسلمين ، وكاتب اللجنة الدائمة
لجبهة الدفاع عن الحرية . فجال اخونا جولة
موقفة في القضية التونسية ، اذاح فيها الستار
عن مكائد الاستعمار ، ومكره وخداعه ؛
ثم قدم صورة صادقة عن القضايع والتمكرات
التي افرقتها السلطة بمناسة تقديم القضية
التونسية لمجلس الأمن ؛ زاعمة انها تخضع
الحركة في مهدها ؛ وانها تسلط الخوف
والرعب على قلب الملك والحكومة والرعية ؛
لكن السلطة وقعت في الشرك الذي نصبت ؛
ودعت ضحية تدبيرها . فلللك الأمن حفظه
الله ، وحكومته ، وشعبه ، قد وقفوا ثابتين
كالجبل الاشم . واذا ما ساد رعب أو ساد
خوف وهلع ، ففي صفوف الاعداء ، لا في
صفوف المكافحين .

وبعد ان حيا التهتداء الأبرار ؛ وسجل
صفحة الفخار للسيدات التونسيات اللاتي
قابلن بصدورهن رصاص القوة ، وولجن
ابواب السجون مترفات بالناشيد الوطنية ،
مستبشرات بفتح ابواب التضحية على
مصراعها في وجه الشعب المكافح ؛ نادى
بوحد الكفاح في اقطار الشمال الافريقي ؛
وبشر باقتراب الساعة التي يشتمع فيها مغربنا
العربي ، بحقه الكامل في الحرية والاستقلال ،
ولا تسل عن حماس الشعب ، وهو يقاطع
الحفب هاتفاً بجيشة تونس ، وملكمها ،

أي تونس المجاهدة العظيمة ، لييك
وسميك !

هذه أمة الصلابة والكفاح ، أمة الجزائر ،
الاخت الوفية ، تقف الى جانبك الموقف
الذي يبله الواجب ، ويدعو اليه الشرف ،
ويأمر به الله ؛ فتغضب لنضك ؛ وتتم على
ظلمك ؛ وقد لك يد الاخوة الصادقة المخلصة ،
التي تستجديها اليوم ، وتستجديها بعد اليوم ،
وتستجديها دائما ابداً ، قوية فعالة في ميادين
الكفاح والنضال ، الى ان يحق الحق ،
ويندحر الباطل ، وترتفع فوق اقطارنا
المغربية الموحدة ، الوية الحرية ، خفاقة
عالية ؛ فتعاقب يومئذ الشقيقات في السراء ،
كما تند المناكب في الضراء . والحرية ثمرة
الكفاح ؛ والاستقلال نتيجة الثابرة والبيان
والتضحية .

لقد قررت ، الجبهة الجزائرية ، للدفاع
عن الحرية ؛ انما قررت من وسائل التضامن
مع تونس ، ومؤازرتها في كفاحها النبيل ،
ان تصدر كل الصحف العربية والوطنية
والتقدمية ، في القطر الجزائري ، يوم الجمعة
هذا ؛ الذي هو يوم تضامن عالمي الشرق
والاسلام مع تونس ؛ او تصدر في هذا اليوم
عدداً خاصاً لها ؛ كما قررت عقد اجتماعات
عديدة ، في أهم مدن القطر الجزائري ، يوم
الاثنين ٢٨ من شهر جاسفي ؛ لكي يشترك
الشعب كله ، وبصفة عملة ، في اظهار تضامنه ،
والاعلان عن شعوره ، وغضبه وسخطه
بصفة علنية جليلة ؛ يفهم المستعمر منها
ومغزاه ، ويستخلص منها النتائج اللازمة .
لبت الامة النداء ، في كل مكان ، واقبل
على هاتيك الاجتماعات الرائسة ، في حماس
فياض ، وحمية قد اطبعت على صفحات
الحيا ؛ وما من جزائري شادك في هاتيك
المظاهرات السلمية الحادة ، الا وقد اعلن
عن استعداده العظيم للمشاركة في كفاح
تونس ، بالنفس والنفس .

اما اجتماع مدينة الجزائر فقد كان بالغاً
الحدا الأقصى في الروعة والجلال . فلقد هب
أهل الجزائر يتسابقون الى قاعة « دنازاد » ،
حيث موعده الاجتماع ، وما دقت الساعة

ELECTIONS EN ALGERIE

cinq semaines après la levée de l'état d'urgence

décide la Commission du Suffrage Universel sur une initiative de M. Jacques Chevallier

(Lire nos informations page 12)



M. Siegfried, auteur d'une motion de renvoi d'expulsion. On remarque à ses côtés, un des vice-présidents des centres municipaux présents, et M. Ch. Bouvard, maire de Blida (photo du haut). Après sa réélection, M. Froger, président de la Fédération des maires, est entouré de la plupart des membres du bureau

MERCREDI 16 NOVEMBRE 1955
★ NOUVELLE SERIE N° 1.862 10 ANNEE

En patrouille avec l'escorteur la « Pique »

MALAISE POLITIQUE Seize bâtiments algérienne de Nemours à La Calle

chez les maires de l'Algérois

La Fédération a élu son bureau en dépit de l'absence des présidents des centres municipaux M. Froger, président pour la 8^e année M. Baïche, vice-président (malgré lui)

L'ASSEMBLEE générale statutaire annuelle de la Fédération des Maires

PAGE 2 — 1^{re} COLONNE



Un colon et sa femme assassinés à Oued-Zenati

Une bande rebelle anéantie à Turenne

L'est 16 heures. L'après-midi commence à s'achever dans une luminosité rare pour un mois de novembre. Depuis un quart d'heure le soleil a bordé l'horizon entre le « Pique », de la Marine Nationale, qui se prépare à appareiller pour sa dernière mission de surveillance le long des côtes de Kabylie.

Le « Pique » a été le seul à être bien accueilli par le commandant, le lieutenant de vaisseau Laporte, et un état-major qui comprend le second, l'enseigne de vaisseau de première classe Mares Grand-Chénat (il avait officier d'active avec le commandant), les enseignes de vaisseau Xavier Mercurieux du Vignau, fils de l'amiral Mercurieux du Vignau, qui commanda la Marine à Ouanès de 1947 à 1949, Jean Bonafant, et l'enseigne Bertrand Capet. Tous trois ont été malades à la fin de leur service militaire. Xavier Mercurieux du Vignau est, dans la « Pique », l'ingénieur en chef, chargé de la maintenance du long sloop au Montebello Maritime, sur la ligne d'Indochine. Jean Bonafant n'est pas la partie de l'équipage. Après avoir suivi les cours des Hautes Etudes Commerciales, il a été affecté dans la Marine sous le nom de son service militaire. L'enseigne Bertrand Capet, lui, est lieutenant au long cours à la Compagnie Générale Transatlantique, et a suivi l'école

PAGE 2 — 2^e COLONNE

BOURGUIBA triomphe au congrès du Néo-Destour

Le leader tunisien s'est prononcé pour une collaboration avec la France et contre l'extrémisme de Salah ben Youssef

M. Jacques Soustelle remet la Légion d'honneur à M. Tommaso Astarita



Une vue du Conseil d'Etat de l'Université de Tunis, pendant la cérémonie inaugurée par M. Henri Raquet, président de la Faculté de Médecine. (Lire page 3)



Le Maroc se prépare à recevoir son Sultan dans l'allégresse



Des milliers de cavaliers sur les routes

Un colon et sa femme assassinés à Oued-Zenati

Une bande rebelle anéantie à Turenne

Bombes dans des cafés à Bône et Ain-Beïda

CONSTANTINE (De notre correspondant particulier Antoine Moullet). — Un double assassinat terroriste a été commis hier soir dans la région d'Oued-Zenati où deux agriculteurs européens, M. et Mme Jean Pignatelli, ont été tués dans les champs de céréales.

M. et Mme Jean Pignatelli résident à la ferme Taverne située dans le douar Pignatelli-Kennedy, commune d'Oued-Zenati. Comme chaque soir, M. et Mme Pignatelli avaient quitté leur ferme pour se rendre au

PAGE 2 — 2^e COLONNE

A la Bonbonnière « ALETTI » BAGHEERA la panthère de la chanson



Bagheera, qui emprunte son nom à la belle panthère née de Rudyard Kipling, a fait ses débuts au Cabaret Alletti. Après une tournée en Afrique du Sud et en Extrême-Orient, elle qui inspire Jean-Gabriel Demerges pour plusieurs de ses textes (dont celui qui fait son succès) va montrer aux Algériens, leurs griffes déchaînées, que c'est la « panthère de la chanson »

Tous les aérodromes de France et d'Outre-mer paralysés

après l'extension du mouvement à la C.G.C. et la C.F.T.C. DES PERTURBATIONS AU DEPART D'ALGER (Lire nos informations page 12)

Plus large représentation de l'Algérie au Conseil Economique demandant MM. Blachette Chevallier et Ribère à l'Assemblée Nationale (Lire nos informations page 3)

Hier, en l'église Saint-Charles de Sidi-Moussa Mgr Poggi a présidé la messe des prêtres Anciens Combattants



A l'issue de la messe, les prêtres anciens combattants se sont groupés autour de drapeau de leur association, devant l'église Saint-Charles de Sidi-Moussa. (Lire nos informations page 3)

Le congrès de la F.A.V. contre toute législation viticole discriminatoire pour l'Algérie



(De notre envoyé spécial) Après le tempête, le spirituel. Le congrès de l'an dernier, qui s'était tenu à Béziers, ville des vins, se déroule cette année dans la cité des Palmes, en l'hôtel de Ville, à quelques mètres du château de la ville. Hier matin, d'après M. Edouard Calandier, maire d'Alger, qui a présidé le Congrès (dont les travaux se déroulent sous la présidence de M. Jean Rey) et qui a analysé la situation

Vernissage de l'exposition Léon Moreau chez Dominique



Le vernissage de l'exposition du peintre Léon Moreau a eu lieu hier après-midi à la galerie « Dominique », rue Charles. Notre club montre la peinture autour de ses amis, au milieu de ses tables

SECONDE MINUTE HISTORIQUE

LE DÉCRET

pour l'Algérie

demain en Conseil des ministres

Ils auront un caractère économique et social marqué

LA RÉFORME AGRAIRE doit être mise au point

PARIS (A.C.P.). — Un Conseil des ministres se réunit demain. Il sera essentiellement consacré au problème algérien. M. Lacoste proposera au Gouvernement un second train de décrets qui auront un caractère économique et social très marqué. Les mesures d'application de la réforme agraire, dont le principe a été retenu par le dernier Conseil des ministres, devraient en principe, être définitivement mises au point.

Les indices d'une modification de climat se multiplient. L'attitude de fermeté du gouvernement en matière de sécurité a provoqué un certain flottement parmi les rebelles et en plusieurs points du territoire algérien le réarmement des populations autochtones qui ont été les auteurs d'attaques commises selon la technique habituelle.

Les déclarations du gouvernement et les premières réactions de la presse algérienne ont pu provoquer, dans le milieu politique algérien musulman, une certaine déception. Mais, dans le milieu algérien, la situation est complexe. Les déclarations de M. Lacoste, président du Conseil général de Constantine, ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies.

Les déclarations de M. Lacoste, président du Conseil général de Constantine, ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies.

Les déclarations de M. Lacoste, président du Conseil général de Constantine, ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies.

Les déclarations de M. Lacoste, président du Conseil général de Constantine, ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies.

Les déclarations de M. Lacoste, président du Conseil général de Constantine, ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies.

Les déclarations de M. Lacoste, président du Conseil général de Constantine, ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies.

Les déclarations de M. Lacoste, président du Conseil général de Constantine, ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies.

Les déclarations de M. Lacoste, président du Conseil général de Constantine, ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies.

Les déclarations de M. Lacoste, président du Conseil général de Constantine, ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies.

Les déclarations de M. Lacoste, président du Conseil général de Constantine, ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies.

Les déclarations de M. Lacoste, président du Conseil général de Constantine, ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies.

Les déclarations de M. Lacoste, président du Conseil général de Constantine, ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies.

Les déclarations de M. Lacoste, président du Conseil général de Constantine, ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies.

Les déclarations de M. Lacoste, président du Conseil général de Constantine, ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies.

Les déclarations de M. Lacoste, président du Conseil général de Constantine, ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies. Elles ont été très bien accueillies.

Le dernier Heure

Directeur : Philippe ROLAND VENDREDI 23 MARS 1956 15 francs 11^e ANNÉE - N° 2.894 ALGER 12, boulevard Carnot. C.O. Postes 400-43. Tél. : 1-2-3-4-5-6-7-8-9-10-11-12-13-14-15-16-17-18-19-20-21-22-23-24-25-26-27-28-29-30-31-32-33-34-35-36-37-38-39-40-41-42-43-44-45-46-47-48-49-50-51-52-53-54-55-56-57-58-59-60-61-62-63-64-65-66-67-68-69-70-71-72-73-74-75-76-77-78-79-80-81-82-83-84-85-86-87-88-89-90-91-92-93-94-95-96-97-98-99-100

Les gommiers de Palestro aux trères Ferradji, ont pris port

Un combat a opposé deux bandes rebelles dans la région de Boghni

4 cadavres en uniforme ont été découverts

Importante opération en cours près de Thiers

5 hors-la-loi ont déjà été tués et 4 faits prisonniers

Un sous-officier et un soldat sont morts

TIZI-DOUZOU (D.A.C.P.). — Hier après-midi, dans la commune mixte de Dzaïr-Mizun, au douar Beni-Roudoudj, à proximité du village de Boghni, 4 cadavres en uniforme ont été découverts par une patrouille.

Il s'agit de rebelles qui étaient encore revêtus de leur uniforme militaire. Ils n'ont pas encore été identifiés.

De nombreuses douilles d'armes de guerre et de munitions ont été retrouvées sur les lieux. D'importantes opérations sont en cours dans la région de Boghni. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Une importante opération a été déclenchée hier après-midi au douar Beni-Roudoudj. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Les rebelles ont été défaits. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Une importante opération a été déclenchée hier après-midi au douar Beni-Roudoudj. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Les rebelles ont été défaits. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Une importante opération a été déclenchée hier après-midi au douar Beni-Roudoudj. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Les rebelles ont été défaits. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Une importante opération a été déclenchée hier après-midi au douar Beni-Roudoudj. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Les rebelles ont été défaits. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Une importante opération a été déclenchée hier après-midi au douar Beni-Roudoudj. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Les rebelles ont été défaits. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Une importante opération a été déclenchée hier après-midi au douar Beni-Roudoudj. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

aux tueries de ce centre et des Deux-Bassins

C'est un témoin qui, reconnaissant l'un d'eux, a permis leur arrestation

AUDIENCE sensationnelle ce matin, où l'on apprend que deux assassins d'affaires tragiques récentes, celle du Sakamoudj, sur la route, près des Deux-Bassins, près de 8 automobilistes, et celle de Palestro, où 6 fermiers furent assassinés, ont été arrêtés.

Ces deux bandits, qui sont des frères appartenant tous deux au groupe mobile de protection rurale de Palestro (G.M.P.R.) et c'est un coup de surprise qui a permis de les confondre.

Les enquêteurs avaient été frappés par les similitudes de plusieurs indices dans deux affaires : la mort de Sakamoudj et la mort de Palestro. Ils ont été très bien accueillies.

Une importante opération a été déclenchée hier après-midi au douar Beni-Roudoudj. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Les rebelles ont été défaits. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Une importante opération a été déclenchée hier après-midi au douar Beni-Roudoudj. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Les rebelles ont été défaits. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Une importante opération a été déclenchée hier après-midi au douar Beni-Roudoudj. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Les rebelles ont été défaits. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Une importante opération a été déclenchée hier après-midi au douar Beni-Roudoudj. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Les rebelles ont été défaits. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Une importante opération a été déclenchée hier après-midi au douar Beni-Roudoudj. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Les rebelles ont été défaits. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Une importante opération a été déclenchée hier après-midi au douar Beni-Roudoudj. Les forces armées algériennes ont été renforcées.

Le budget extraordinaire de l'Algérie comptera 21.500 millions de plus que l'an dernier

L'Assemblée Algérienne a adopté ce matin, sous la présidence de M. Lacoste, le budget extraordinaire de l'Algérie pour 1956. Le budget extraordinaire de l'Algérie pour 1956 est de 21.500 millions de plus que l'an dernier.

Le budget extraordinaire de l'Algérie pour 1956 est de 21.500 millions de plus que l'an dernier.

Le budget extraordinaire de l'Algérie pour 1956 est de 21.500 millions de plus que l'an dernier.

Le budget extraordinaire de l'Algérie pour 1956 est de 21.500 millions de plus que l'an dernier.

Le budget extraordinaire de l'Algérie pour 1956 est de 21.500 millions de plus que l'an dernier.

Le budget extraordinaire de l'Algérie pour 1956 est de 21.500 millions de plus que l'an dernier.

Le budget extraordinaire de l'Algérie pour 1956 est de 21.500 millions de plus que l'an dernier.

M. BOURGÈS MANOURY s'est rendu directement hier, de Bône à Marnia

M. Bourguès-Manoury, ministre de l'Intérieur, s'est rendu hier, de Bône à Marnia.

M. Bourguès-Manoury, ministre de l'Intérieur, s'est rendu hier, de Bône à Marnia.

M. Bourguès-Manoury, ministre de l'Intérieur, s'est rendu hier, de Bône à Marnia.

M. Bourguès-Manoury, ministre de l'Intérieur, s'est rendu hier, de Bône à Marnia.

Accrochage près de Laverdure

Quatre soldats ont été tués et deux blessés

Pertes importantes des hors-la-loi

Un accrochage a eu lieu près de Laverdure, entre une unité de l'Armée algérienne et une bande de hors-la-loi. Quatre soldats ont été tués et deux blessés. Les pertes des hors-la-loi sont importantes.

Un accrochage a eu lieu près de Laverdure, entre une unité de l'Armée algérienne et une bande de hors-la-loi. Quatre soldats ont été tués et deux blessés. Les pertes des hors-la-loi sont importantes.

Un accrochage a eu lieu près de Laverdure, entre une unité de l'Armée algérienne et une bande de hors-la-loi. Quatre soldats ont été tués et deux blessés. Les pertes des hors-la-loi sont importantes.

Un accrochage a eu lieu près de Laverdure, entre une unité de l'Armée algérienne et une bande de hors-la-loi. Quatre soldats ont été tués et deux blessés. Les pertes des hors-la-loi sont importantes.

Un accrochage a eu lieu près de Laverdure, entre une unité de l'Armée algérienne et une bande de hors-la-loi. Quatre soldats ont été tués et deux blessés. Les pertes des hors-la-loi sont importantes.

Un accrochage a eu lieu près de Laverdure, entre une unité de l'Armée algérienne et une bande de hors-la-loi. Quatre soldats ont été tués et deux blessés. Les pertes des hors-la-loi sont importantes.

Un accrochage a eu lieu près de Laverdure, entre une unité de l'Armée algérienne et une bande de hors-la-loi. Quatre soldats ont été tués et deux blessés. Les pertes des hors-la-loi sont importantes.

ANGLETERRE

proteste contre les émissions du Caire

l'intention de l'Afrique orientale anglaise

Les émissions du Caire, diffusées par la radio anglaise, ont provoqué une vive protestation de la part de l'Afrique orientale anglaise.

Arrestation à Forbach de cinq Nord-Africains qui rançonnaient les travailleurs musulmans, ne craignant pas de recourir aux violences et au meurtre

Une arrestation a eu lieu à Forbach, où cinq Nord-Africains ont été arrêtés. Ils étaient accusés de rançonner les travailleurs musulmans, de recourir aux violences et au meurtre.

Arrivées de militaires par le « Kairouan »

Des militaires sont arrivés à Alger par le « Kairouan ».

Des militaires sont arrivés à Alger par le « Kairouan ».

Des militaires sont arrivés à Alger par le « Kairouan ».

Des militaires sont arrivés à Alger par le « Kairouan ».

M. DOUGLAS DILLON...

M. Douglas Dillon, ministre des Affaires étrangères, s'est rendu hier, de Bône à Marnia.

M. Douglas Dillon, ministre des Affaires étrangères, s'est rendu hier, de Bône à Marnia.

M. Douglas Dillon, ministre des Affaires étrangères, s'est rendu hier, de Bône à Marnia.

M. Douglas Dillon, ministre des Affaires étrangères, s'est rendu hier, de Bône à Marnia.

M. Douglas Dillon, ministre des Affaires étrangères, s'est rendu hier, de Bône à Marnia.

M. Douglas Dillon, ministre des Affaires étrangères, s'est rendu hier, de Bône à Marnia.

M. Douglas Dillon, ministre des Affaires étrangères, s'est rendu hier, de Bône à Marnia.

M. Douglas Dillon, ministre des Affaires étrangères, s'est rendu hier, de Bône à Marnia.

M. Douglas Dillon, ministre des Affaires étrangères, s'est rendu hier, de Bône à Marnia.

M. Douglas Dillon, ministre des Affaires étrangères, s'est rendu hier, de Bône à Marnia.

M. Douglas Dillon, ministre des Affaires étrangères, s'est rendu hier, de Bône à Marnia.

M. Douglas Dillon, ministre des Affaires étrangères, s'est rendu hier, de Bône à Marnia.



M. Douglas Dillon, ministre des Affaires étrangères, s'est rendu hier, de Bône à Marnia.

